

# حياة السلف

بين

## القول والعمل

تأليف

أحمد بن ناصر الطيار

إمام وخطيب

جامع عبد الله بن نوفل بالزلفي

إمتازت هذه الطبعة بمزيد من التنقيح

وإضافة (١٢٠٠) أشرو (٩٠٠) تعليق

الجزء الثاني

دار ابن الجوزي

حَيَاةُ السَّلَفِ

بَيْنَ

الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

٦





**دار ابن الجوزي**

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:

الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان

ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣

٠١٣٨٤١٢١٠٠

ص.ب. واصل: ٨١١٤

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦

الرقم الإضافي: ٤٩٧٣

الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥

جوال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢

جدة - ت: ٠١٢٦٠١٠٠٦٣

جوال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:

بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:

القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

جوال: ٠١٠٠٦٨٢٢٧٣٨٨

✉ aljawzi@hotmail.com

☎ +966503897671

📌 aljawzi

📍 eljawzi

🌐 ibnaljawzi.com

ح) دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطيار، أحمد ناصر

حياة السلف بين القول والعمل / أحمد بن ناصر الطيار - الدمام، ١٤٤٠هـ.

٦٨٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم (ج ٢)

ردمك: ١ - ٧٨ - ٨٢٤٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الصحابة والتابعون أ. العنوان

١٤٤٠ / ٤٦٨٦

ديوي ٢٣٩,٩

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرابعة

١٤٤٤هـ

إِمْتَارَتْ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِمَزِيدٍ مِنَ التَّنْقِيحِ

وإضافة (١٢٠٠) أثر و (٩٠٠) تعليق

الباركود الدولي: 9786038245781

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٤٤هـ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

حَيَاةُ السَّلَفِ

بَيْنَ

الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

تَأَلَّفَ

أحمد بن ناصر الطيار

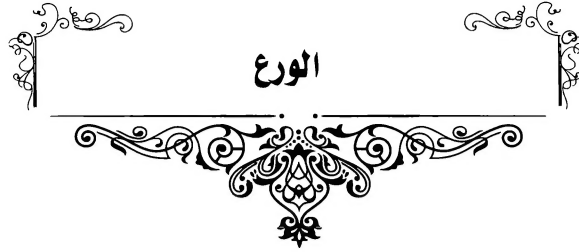
غفر الله له ولوالديه

الجزء الثاني

دار ابن الجوزي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



أ- أهميّة الورع ومعناه:

\* عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: إن الناس قد ضيعوا أعظم دينهم:

الورع. الزهد لأحمد: ٣٦١.

\* وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٩): يقول الناس: فلان الناسك،

وإنما الناسك الورع. تهذيب الحلية ١/٤٥٤.

\* وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١): لأن أرَدَّ درهماً من شبهة أحبّ

إليّ من أن أتصدّق بمائة ألف، حتى بلغ ستمائة ألف. صفة الصفوة ٣/٣٧٥.

\* وقيل للفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): ما الزهد؟ قال: القنوع، قيل:

ما الورع؟ قال: اجتناب المحارم. قيل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض. قيل: ما

التواضع؟ قال: أن تخضع للحق، وقال: أشدُّ الورع في اللسان. تهذيب السّير

٧٧٧/٢.

\* وقال حسان بن أبي سنان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥١): ما شيء أهون عليّ من الورع

إذا رابني شيء تركته. تهذيب الحلية ١/٤٤٠.

\* وقال يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٩): يجزي قليل الورع عن كثير

العمل. تهذيب الحلية ٣/٥٩.

\* وجاء رجل إلى أبي عبد الرحمن العُمريّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٤) فقال: عطني،



فأخذ حصاة من الأرض، فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك: خير لك من صلاة أهل الأرض، قال: زدني، قال: ما تحب أن يكون الله لك غداً فكن له اليوم.  
ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٨-١٩٩.

\* وعن الضحاك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٥) قال: أدركت الناس وهم يتعلمون الورع.  
ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٩ واللفظ له، الزهد لو كيع (٢٢٣).

\* وعن ضمرة بن حبيب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠) قال: لا يعجبكم كثرة صلاة امرئ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى ورعه، فإن كان ورعاً مع ما رزقه الله من العبادة، فهو عبد الله حقاً. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٤.

#### ب- قصص وأخبار السلف في الورع:

\* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣) غلام يُخرج له الخراج<sup>(١)</sup>، وكان أبو بكر يأكل من خراجِه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت<sup>(٢)</sup> لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه. صحيح البخاري (٣٦٢٩).

\* وعن نعيم بن أبي هند، أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) كان يدفع إلى امرأته طيباً للمسلمين كانت تبعه، فتزن فترجح وتنقص فتكسر بأسنانها، فتقوم لهم الوزن، فعلق بأصبعها منه شيء فقالت بأصبعها في فيها، فمسحت به خمارها، وأن عمر جاء فقال: ما هذه الريح؟ فأخبرته خبرها، فقال: تطيبين بطيب المسلمين! فانتزع خمارها، فجعل يقول بخمارها في التراب ثم يشمه ثم يصب عليها الماء ثم يقول به في التراب، حتى ظن أن ريحه قد ذهب، ثم جاءتها العطارة

(١) أي: يأتي له بما يكسبه من الخراج، وهو ما كان يقرره السيد على عبده من مال يدفعه من كسبه.

(٢) الكهانة: هي الإخبار عما سيكون من غير دليل شرعي.

مرة أخرى فباعته منها فوزنت لها فعلق بأصبعها منها شيء، فقالت فأصبعها في فيها ثم قالت بأصبعها في التراب، فقالت العطارة: ما هكذا صنعت أول مرة! فقالت: أو ما علمت ما لقيت منه؟ لقيت منه كذا ولقيت كذا وكذا. ابن أبي الدنيا ٢٠٩/١ - ٢١٠.

\* وكانت لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهما بالشام والناس في شغل، فدفنتا في حفرة، فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر. تهذيب الحلية ١٨٤ / ١.

\* وجاء رجل لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) فَقَالَ: أَيُصْلِحُ لِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ آتِيَ الْمَوْقِفَ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَا تَطُفُ بِالْبَيْتِ حَتَّى تَأْتِيَ الْمَوْقِفَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَقَدْ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْقِفَ، فَبَقُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَقُّ أَنْ تَأْخُذَ، أَوْ بِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟<sup>(١)</sup> صحيح مسلم (١٢٣٣).

\* وكان محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) إذا حدث كأنه يتقي شيئاً، كأنه يحذر شيئاً. صفة الصفوة ١٧١ / ٣.

\* وقال ابن عون: سمعت محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في شيء راجعته فيه: إني لم أقل لك ليس به بأس، إنما قلت لك: لا أعلم به بأساً. صفة الصفوة ١٧٢ / ٣.

\* وعن هشام بن حسان قال: ترك محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ أربعين ألف درهم في شيء ما ترون به اليوم بأساً. صفة الصفوة ١٧٣ / ٣.

\* وأعطى ابن هبيرة محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاث أعطيات، فأبى أن يقبل.

(١) هذا ورع منه؛ لئلا يذكر ابن عباس بشيء لم يثبت عنه.



ف قيل له: ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة؟

قال: إنما أعطاني على خير كان يظنه فيّ، فلئن كنت كما ظن فما ينبغي أن أقبل<sup>(١)</sup>، وإن لم أكن كما ظن فبالحري أنه لا يجوز لي أن أقبل. ابن أبي الدنيا ١ / ٢٣٢.

\* وأتي عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) بماء قد سخن في فحم الإمارة، فكرهه ولم يتوضأ به. تهذيب الحلية ٢ / ٢٢١.

\* واشتهى رَحِمَهُ اللهُ تفاحًا فقال: لو أن عندنا شيئًا من تفاح فإنه طيب؟ فقام رجل من أهله فأهدى إليه تفاحًا، فلما جاءه به الرسول قال: ما أطيبه وأطيب ريحه وأحسنه، ارفع يا غلام واقراء على فلان السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحب.

ف قيل له: يا أمير المؤمنين ابن عمك رجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، قال: إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية، وهي لنا رشوة. تهذيب الحلية ٢ / ٢٢١.

\* وأتي رَحِمَهُ اللهُ بغنائم مسك فأخذ بأنفه، فقالوا: يا أمير المؤمنين! تأخذ بأنفك لهذا! قال: إنما يُتَنَفَّع من هذا بريحه، فأكره أن أجدر ريحه دون المسلمين. ابن أبي الدنيا ١ / ٢٠٩.

\* وعن الشعبي قال: جاء رجلان إلى شريح رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٨)، فقال أحدهما: اشتريت من هذا دارًا فوجدت فيها عشرة آلاف درهم فقال خذها، فقال: لم! إنما اشتريت الدار، فقال للبائع: خذها أنت، قال: لم! وقد بعته الدار بما فيها، فأدارا الأمر بينهما، فأبيا، فأتى زيادًا فأخبره، فقال: ما كنت أرى أن أحدًا هكذا بقي، وقال لشريح: ادخل بيت المال فألق في كل جراب قبضة، حتى يكون للمسلمين، ثم قال للشعبي: كيف ترى الأمير؟

(١) لأن الخير والطاعة التي عملها ينتظر أجرها من الله لا من غيره.

قال أبو بكر بن عياش: أعجبه ما صنع. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣٣.

\* وقال مطرف رَحِمَهُ اللهُ: كان مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩) يستعمل في نفسه ما لا يلتزمه الناس، ويقول: لا يكون العالم عالمًا حتى يكون كذلك، وحتى يحتاط لنفسه بما لو تركه لا يكون عليه إثم. ترتيب المدارك (١/ ١٧٢).

\* وقال سليمان بن داود الشاذكوني: رأيت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) أتى فاميًّا<sup>(١)</sup>، فرهن عنده سَطْلًا على شيء يقوته، ثم شاهدته أتاه في فكاك الرهن، وقال: أخرج سَطْلِي، فأتاه بسَطْلين، وقال: قد اشتبه سَطْلُكَ عَلَيَّ فخذ منهما، فقال: أنت من السطل في حل ومن الفكاك في حل، وانصرفت عنه، فخاصمتُ الفاميَّ وقلتُ له: لِمَ حملته على هذا؟ فقال: الذي ناولته هو -والله- سَطْلُه وأنا أعرفه، ولكنني أردتُ أن أمتحنه. طبقات الحنابلة (١/ ٤٣٧).

\* وأراد الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤) الخروج إلى مكة، فاحترق دكان القصار والثياب، فجاء القصار ومعه قوم يتحمل بهم على الشافعي في تأخيرهِ ليدفع إليه قيمة الثياب، فقال له الشافعي: قد اختلف أهل العلم في تضمين القصار، ولم أتبين أن الضمان يجب، فلست أضمنك شيئًا. تهذيب الحلية ١٢٩/ ٣.

\* وكتب غلامٌ لحسان بن أبي سنان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥١) إليه من الأهواز: إن قصب السكر أصابته آفة فاشتر السكر فيما قبلك، فاشترى من رجل، فلم يأت عليه إلا قليل، فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفًا!.

فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا، إن غلامي كان كتب إلي ولم أعلمك فأقِلني فيما اشتريت منك، قال الآخر: قد أعلمتني الآن وطيبته لك.

(١) الفامي: هو الذي يبيع الفواكه اليابسة، وما أشبهها، وهو والبقال سواء.

من تعليقات الدكتور المحقق عبدالرحمن العثيمين في الهامش.



فرجع فلم يحتمل قلبه، فأتاه فقال: يا هذا، إني لم آت الأمر من وجهه فأحب أن تسترد هذا البيع، فما زال به حتى رده عليه. المنتظم ٨ / ١٥٢.

\* وعن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧) قال: لا يسلم للرجل الحلال، حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال. تهذيب الحلية ٢ / ٥٤.

\* وخرج ابن محيريز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠) إلى بزاز يشتري منه ثوبًا، والبزاز لا يعرفه، قال: وعنده رجل يعرفه، فقال: بكم هذا الثوب؟ قال الرجل: بكذا وكذا، فقال الرجل الذي يعرفه: أحسن إلى ابن محيريز، فقال ابن محيريز: إنما جئت أشتري بمالي، ولم أجيء أشتري بديني، فقام ولم يشتري. تهذيب الحلية ٢ / ١٦٦.

\* ودخل الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) السوق، فساوم رجلا بثوب، فقال: هو لك بكذا وكذا، والله لو كان غيرك ما أعطيته.

فقال: فعَلِّمُوها؟.

فما رئي بعدها مشتريا من السوق ولا بائعا حتى لحق بالله عَزَّوَجَلَّ. مسند الدارمي (٥٩٢).

\* وكان أبو عبد الله الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٤) لا يشتري خبزه من خباز واحد، ولا بَقْلَهُ من بقال واحد، كان لا يشتري إلا ممن لا يعرفه، يقول: أخشى أن يحابوني فأكون ممن يعيش بدينه. البداية والنهاية ١٠ / ٢٥٥.

\* وخرج ابن حامد الورَّاق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٠٣) إلى الحج، فلما عطش الناس في الطريق استند هو إلى حجر هناك في الحرِّ الشديد، فجاءه رجلٌ بقليل من ماء فقال له ابن حامد: من أين لك هذا؟ فقال: ما هذا وقته، اشرب، فقال: بلى، هذا وقته عند لقاء الله تعالى، فلم يشرب ومات من فوره رَحِمَهُ اللهُ. البداية والنهاية ٦١ / ١٢.

\* وحكى السمعاني أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٧٦) دَخَلَ إلى بعض المساجد، فأكل شيئاً ثم انصرف، وقد نسي فيه ديناراً، فلمَّا رجع وجده، فأبى أن يأخذه، وقال: لعل هذا سقط من غيري، والذي نسيته أخذه آخذ. طبقات الشافعيين (٣٦/٢).

\* وقال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ اللهُ: سمعتُ جماعة من أهلي يحكون: أن في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة لما وقع النهب ببغداد بالجانب الغربي منها، وَكَانَ في داره -أي والده القاضي أبي يعلى رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٥٨)- خبزٌ يابس، فنقله معه، وترك نقل رَحْله لتعذر من يحمله، واختار حمل الخبز اليابس على الرجل النفيس، وكان يقتات مِنْهُ ويبلِّه بالماء، وَقَالَ: هَذِهِ الْأَطْعِمَةُ الْيَوْمَ نُهَوِّبُ وَغُصُوبٌ، وَلَا أَطْعَمُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، فَبَقِيَ مَا شَاءَ اللَّهُ يَتَّقُوتُ مِنْ ذَلِكَ الْخَبْزِ الْيَابِسِ الْمَبْلُولِ، وَيَتَقَلَّلُ مِنْ طَعْمِهِ إِلَى أَنْ نَفَدَ، وَلِحَقِّ الْوَالِدِ السَّعِيدِ مِنْ ذَلِكَ الْخَبْزِ الْيَابِسِ الْمَبْلُولِ مَرَضٌ. طبقات الحنابلة (٤١٣/٣).

\* واشترك دخيل بن رشيد رَحِمَهُ اللهُ مع رجل في شراء نخلة، فخرج هو وشريكه لِلْجَنِيِّ منها، فلما نزل إناء الأمير وفيه الرطب لم يأكل منها، ولما نزل إناء شريكه أخذ يأكل هو وشريكه من إناء الشريك، فأراد شريكه أن يُمازحه وقال: رطبك لم تأكل منه وتأكل من رطبي؟ فقال دخيل: هذا الرطب ليس لي، وإنما هو تبع قصر الإمارة، ولا أبيع لنفسي شيئاً منه، وأما رطبك فأنت حاضر، وأعلم أن نفسك طيبة بذلك.

وهكذا يبلغ به الورع والابتعاد عن الشبهات. علماء نجد (١٣٨/٢).

ج- التنبيه على الورع الصحيح والخاطئ، ومن يليق به الورع:

\* سأل رجل ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟

فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ وسمعت النبي ﷺ يقول: (هما ريحائتي من الدنيا). صحيح البخاري (٥٩٩٤).

\* وقال محمد بن إبراهيم الأنماطي: كنتُ عند أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت): (٢٤١) وبين يديه محبرة، فذكر حديثاً، فاستأذنته في أن أكتب من محبرته، فقال لي: اكتب يا هذا، فهذا وَرْعٌ مُظْلِمٌ.<sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٢).

\* وسئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عن رجل يشتري بقلّاً، ويشترط الخوصة: يعني التي تربط بها حزمة البقل، فقال أحمد: أيش هذه المسائل؟ قيل له: إن إبراهيم بن أبي نعيم يفعل ذلك، فقال أحمد: إن كان إبراهيم بن أبي نعيم، فنعم، هذا يشبه ذاك.<sup>(٢)</sup> جامع العلوم والحكم / ١٤٤.

\* وسأل رجل بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧) عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها، فقال: إن كان بَرَّ أمه في كل شيء ولم يبقَ من بَرِّها إلا طلاق زوجته فليفعل، وإن كان يبرّها بطلاق زوجته، ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل.<sup>(٣)</sup> جامع العلوم والحكم / ١٤٤.

(١) تورّع محمد بن إبراهيم عن الكتابة من المحبرة التي بين يديه، ولم يعرف لمن هي، فطلب أن يكتب من محبرة الإمام أحمد، فلذلك سماه تورّعاً مُظْلِمًا.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وهاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أنّ التدقيق في التوقف عن الشبهات إنّما يَصْلُحُ لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعماله في التقوى والورع، فأما من يقع في انتهاك المحرّمات الظاهرة ثم يريد أن يتورّع عن شيء من دقائق الشبه، فإنه لا يحتمل له ذلك بل يُنكر عليه. كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض. جامع العلوم والحكم / ١٤٤

(٣) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وإنما أنكر هذه المسائل ممن لا يشبه حاله، وأما أهل التدقيق في الورع فيشبه حالهم هذا، وقد كان الإمام أحمد نفسه يستعمل في نفسه هذا الورع، فإنه أمر من يشتري له سمناً، فجاء به على ورقة، فأمر بردّ الورقة إلى البائع. جامع العلوم والحكم / ١٤٤

## د- الورع في القضاء:

\* كان القاضي عبدالله بن غانم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٠) يلبس من الثياب أرفعها، ويجعل لخصومات النساء يومًا يجلس فيه للنظر بينهن، فيلبس يومئذ الفرو الخشن، وخلق الثياب<sup>(١)</sup>، وينظر ببصره إلى الأرض، فلا يشك من لا يعرفه أنه أعمى، ويُزيل الحُجَّاب والكتَّاب عنه.

وكان له حظٌّ من صلاة الليل فإذا قضاها وجلس في التشهد آخرها عرض كل خصم يريد أن يحكم له على ربه، يقول في مناجاته: يا رب فلان منازع فلانًا وادعى عليه بكذا فأنكر دعواه فسأله البينة فأتى ببينة شهدت بما ادعى، ثم سأله تزكيتها فأتاني بمن زكاهم وسألت عنهم في السر فذكر يعني خيرًا، وقد أشرفت أن أخذ له من صاحبه حقه الذي تبين لي أنه حق له، فإن كنتُ على صواب فثبتني، وإن كنت على غير صواب فاصرفني، اللهم سلمني، فلا يزال يعرض الخصوم على ربه حتى يفرغ منهم<sup>(٢)</sup>. ترتيب المدارك (١/ ٣٤٣).

\* وقيل للقاضي إسماعيل بن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٠): ألا تؤلف كتابًا في أدب القضاة؟.

فقال: اعدل ومدّرجليك في مجلس القضاء، وهل للقاضي أدبٌ غير الإسلام؟ ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٩).

---

(١) أي: البالية القديمة.

(٢) ما أجمل أدب هذا القاضي، فقد احتاط لنفسه بعدم التجمل في اليوم الذي يكون للنساء، وغضّ بصره، وأخرج الحُجَّاب والكتَّاب عنه لئلا يطلعوا على شيءٍ منهن ومن خصوماتهن، ولئلا يُصبن بالخرج من سماعهم لهن.

وانظر إلى تعلّقه بالله والتجائه إليه، في أحكامه وقضاياه، ولذلك سلّمه الله وسدّده وأعانه، وخلصه مما ابتلي به بعض القضاة من الجور والظلم والطمع والانغماس في الترف والدنيا.



## الأدب والمروءة<sup>(١)</sup>

\* عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: ما مسست فرجي بيمينني منذ بايعت رسول الله ﷺ. الزهد لأحمد: ٢٧٧.

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: المروءة: هي مراعاة الأحوال التي تكون على أفضلها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجه إليها ذمٌ باستحقاق.

والداعي إلى استسهال ذلك شينان:

أحدهما: علو الهمة.

والثاني شرف النفس.

أما علو الهمة: فلأنه باعث على التقدم وداع إلى التخصيص؛ أنفةً من خمول الضعة، واستكباراً لمهانة النقص.

وأما شرف النفس: فإن به يكون قبولُ التأديب، واستقرارُ التقويم والتهديب؛ لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مُستحسنة؛ لأنها عليه غير مطبوعة، وله غير ملائمة، فتصير منه أنفر، ولضده الملائم أثر.

وقد قيل: ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه.

وإذا شرفت النفس كانت للأدب طالبة، وفي الفضائل راغبة، فإذا ما زجتها صادفت طبعاً ملائماً فنمت واستقرت. أدب الدين (٥١٤-٥١٦)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره. فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب، فانظر إلى الأدب مع الوالدين: كيف نَجَّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة، والإخلال به مع الأم تأويلاً وإقبالاً على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته، وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة. وانظر أدب الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الصلاة أن يتقدم بين يديه فقال: (ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ) كيف أورثه مقامه والإمامة بالأمة بعده. ١. هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٢٠٩-٢١٠

\* وعن الزهري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٤) قال: كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه. تهذيب الحلية ٢/٢٣.

\* وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١): كاد الأدب يكون ثلثي الدين<sup>(١)</sup>. صفة الصفوة ٤/٣٧٩.

\* وعن أبي العالية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٣) قال: إذا دخلت على قوم فألقوا إليك فاجلس بحيث ألقى لك الوسادة فإن القوم أعلم ببيتهم. الزهد لأحمد: ٥٠٩.

\* وقال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩) لفتى من قريش: يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم. تهذيب الحلية ٢/٣٥٩.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فألبس ثياب العلم.

فألبستني وعممتني.

ثم قالت لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه. ترتيب المدارك ١/١٣٠.

\* وأفتى رَحِمَهُ اللهُ لبعض الشعراء بما لا يوافق، فقال: لأقطعن جلدك هجاءً. فقال له مالك: يا هذا أتدري ما وصفت به نفسك؟ وصفتها بالسفاهة والدناءة، وهما اللذان لا يعجز عنهما أحد، فإن استطعت فأنت غيرهما مما تنقطع دونه الرقاب من الكرم والمروءة. ترتيب المدارك (١/١٨٤).

\* وقال ابن وهب: ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه. تهذيب السير ٢/٧٣٧.

---

(١) وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والأدب هو الدين كله. مدارج السالكين ٣/٢٠٠  
قلت: الأدب مُقدَّم على العلم والعمل، وسابق عليهما، فإذا قدم الإنسان العلم أو العمل على الأدب: شاب علمه وعمله الكثير من الهوى والفساد.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): لو علمت أن شرب الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته إلا حارًّا، وقال: أهل المروءة في جَهْد. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).  
\* وقال رَحِمَهُ اللهُ:

يا لهف نفسي على مالٍ أجودُ به      على المقلِّين من أهلِ المروءات  
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني      ما لستُ أملك إحدى المصيبات  
طبقات الشافعيين (١/ ٦٤).

\* وقال الذهبي: كان يجتمعُ في مجلس أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) زُهاء خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلَّمون منه حُسْنَ الأدب والسَّمْت. تهذيب السَّير ٩٤٧/٢.  
\* وقال بعضهم: عيون الأخبار ١/٢٨٣.

إذا المرء أعيته المروءة ناشئًا      فمطلبُها كهلاً عليه شديدٌ  
\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): لا يعجبنيَّ إكرام من يكرمك لمنزلة أو سلطان؛ فإنَّ السلطان أو شك<sup>(١)</sup> أمور الدنيا زوالًا، ولا يعجبنيَّ أكرام من يكرمك للمال؛ فإنه هو الذي يتلو السلطان في سرعة الزوال، ولا يعجبنيَّ إكرامهم إياك للنسب؛ فإنَّ الأنساب أقلُّ مناقب الخير غناء عن أهلها في الدين والدنيا.  
ولكن إذا أُكْرِمت على دينٍ أو مروءة فذلك فليعجبك؛ فإنَّ المروءة لا تزايلك<sup>(٢)</sup> في الدنيا، وإن الدين لا يزايلك في الآخرة. الأدب الكبير (١١٧-١١٨).  
\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إذا رأيت رجلًا يحدث حديثًا قد علمته، أو يخبر خبرًا قد سمعته، فلا تشاركه فيه، ولا تتعقبه عليه؛ حرصًا على أن يعلم الناس أنك قد علمته، فإنَّ في ذلك خفةً وشُحًّا وسوء أدب وسخفًا. الأدب الكبير (٩٨).

(١) أي: أسرع.

(٢) أي: لا تفارقك.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: لا تصاحبن أحدًا وإن استأنست به - أخًا ذا قرابة، أو أخًا ذا مودة، ولا ولدًا ولا والدًا إلا بمروءة، فإن كثيرًا من أهل المروءة قد يحملهم الاسترسال<sup>(١)</sup> والتبذل<sup>(٢)</sup> على أن يصحبوا كثيرًا من الخلطاء بالإدلال<sup>(٣)</sup> والتهاون والتبذل.

ومن فقد من صاحبه صحبة المروءة ووقارها وجلالها: أحدث ذلك له في قلبه رقةً شأنٍ، وخفةً منزلةً. الأدب الكبير (٩٨).

\* وقال بعض الحكماء: الأدب صورة العقل، فصوّر عقلك كيف شئت.

أدب الدين (٣٦٨).

\* وقال بعض الشعراء:

أَحَبُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ جَهْدِي      وَأَكْرَهُ أَنْ أَعِيبَ وَأَنْ أَعَابَا  
وَأَصْفَحُ عَنْ سَبَابِ النَّاسِ حِلْمًا      وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السَّبَابَا  
وَمَنْ هَابَ الرِّجَالَ تَهَيَّوْهُ      وَمَنْ حَقَرَ الرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا  
أدب الدين (٤٠٢).

\* وسئل بعض الحكماء عن المروءة فقال: إنصافٌ من هو دونك، والسموُّ

إلى من هو فوقك. المجالسة وجواهر العلم (٥٢٧).

\* وقال بعض الشعراء:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفِ لِنَفْسِكَ حَقَّهَا      هَوَانًا بِهَا كَانَتْ عَلَى النَّاسِ أَهْوَانَا

\* وقال الآخر:

(١) أي: لا تفارقك.

(٢) أي: الانبساط والاستئناس.

(٣) أي: الاجترأ.

إِنَّ الْمُرُوءَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ      وَرِثَ الْمَكَارِمَ عَنْ أَبِي فَأَضَاعَهَا  
أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بِالْدَّنَاءَةِ وَالْخَنَا      وَنَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ الْعُلَا فَأَطَاعَهَا  
فَإِذَا أَصَابَ مِنَ الْمَكَارِمِ خَلَّةً      يَبْنِي الْكَرِيمُ بِهَا الْمَكَارِمَ بَاعَهَا  
أدب الدين (٥١٨-٥١٩).



## أ- الحياء من الله:

\* خطب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) الناس فقال: يا معشر المسلمين استحيوا من الله عَزَّجَلَّ، فوالذي نفسي بيده، إني لأظلم حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعا بثوبي استحياء من ربي عَزَّجَلَّ. الزهد لأحمد: ٣٧١، الزهد لابن المبارك (٣٠١).

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال - وذكر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) وشدة حيائه - فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه. تهذيب الحلية ١/ ٧٦.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَيَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خُلُقِ الْحَيَاءِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أَحْيَى كَانَ الْحَيَاءُ أَتَمَّ... هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٦٠٥.

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن الخير والشر معانٍ كامنةٌ تعرف بسماتٍ دالة.

فسمة الخير الحياء، وسمة الشر القحّة والبذاء.

وكفى بالحياء خيرا أن يكون على الخير دليلا، وكفى بالقحّة والبذاء شرا أن يكونا إلى الشر سبيلا.

وليس لمن سلب الحياء صاڈ عن قبيح ولا زاجرٌ عن محذور، فهو يُقدم على ما يشاء ويأتي ما يهوى، وبذلك جاء الخبر.

قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت». أدب الدين (٣٩٤ - ٣٩٥).

\* وقال أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠): إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صليبي أخذًا ثوبي حياء من ربي عَزَّجَلَّ. الزهد لأحمد: ٣٥٤.

\* وعن مطرف بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ (ت: ٩٥) قال: ليعظم جلال الله في صدوركم، فلا تذكرونه عند مثل هذا: قول أحدكم للكلب: اللهم أخزه، وللحمار والشاة. الزهد لابن المبارك (٢١٠).

\* وعن عبد الله بن أبي الهذيل رَضِيَ اللَّهُ (ت: ٩٢) قال: أدركنا أقوامًا وإن أحدهم يستحيي من الله تعالى في سواد الليل.

قال سفيان: يعني التكشف. تهذيب الحلية ١٢٢ / ٢.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): إذا استحيى العبد من ربه عَزَّجَلَّ فقد استكمل الخير. تهذيب الحلية ١٨٣ / ٣.

ب- الحياء من الناس<sup>(١)</sup>:

\* خرج زيد بن ثابت (ت: ٤٥) يريد الجمعة، فاستقبله الناس راجعين، فدخل دارًا فقيل له: أتستحي من الناس؟ فقال: إنه من لم يستح من الناس لم يستح من الله. الزهد لهناد (٢ / ٦٢٩)، صفة الصفوة ١ / ٣٤٣.

\* وعن سلمان (ت: ٣٣) قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبد شرًّا أو هلكة نزع منه الحياء، فلم تلقه إلا مقيتًا ممقّتًا، فإذا كان مقيتًا ممقّتًا نزعته منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظًّا غليظًا، فإذا كان كذلك نزعته منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائنًا مخونًا، فإذا كان كذلك نزعته ربة الإسلام من عنقه فكان لعينًا مُلْعَنًا. تهذيب الحلية ١٦٤ / ١.

\* وقال يزيد بن أبي حبيب رَضِيَ اللَّهُ (ت: ١٢٨): من لم يستح من الحلال

(١) قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ: أكمل ما يكون من الحياء: حياء المرء من نفسه، فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة: من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدُّون، فيجد نفسه مُسْتَحْيًا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحي بإحدهما من الأخرى، فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحي من غيره أجدر. ١. هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢ / ٦٠٨.



خَفَّتْ مُؤَنَّتُهُ، وَقَلَّ كَبْرِيَاؤُهُ. <sup>(١)</sup> الزهد لابن المبارك (٥٩١).

\* وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

وقال بعض الشعراء:

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه      ولا خير في وجهٍ إذا قلّ ماؤه  
حياؤك فاحفظه عليك وإنما      يدلّ على فعل الكريم حياؤه

وقال الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي      ولم تستح فاصنع ما تشاء  
فلا والله ما في العيش خيرٌ      ولا الدنيا إذا ذهب الحياء  
يعيش المرء ما استحيا بخير      ويبقى العود ما بقي اللحاء  
أدب الدين (٣٩٥).

ج- الحياء من النفس <sup>(٢)</sup>:

\* قال بعض الحكماء: ليكن استحياءك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك.

\* وقال بعض الأدباء: من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس

(١) فبعض الناس يتخرج من كثير من الحلال؛ كشراء حاجاته من السوق، وهذا باعته في الغالب الكبر والتكلف.

وقد كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويلقى أصابعه بعد الأكل، ويأكل على الأرض، ويقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وتأخذ الأمة بيده فتنتلق به حيث شاءت. هذا وهو أظهر وأفضل وأكرم البشر.

الشافع لهم يوم الكرب الأعظم.

وأول من يدخل الجنة.

(٢) حياء المرء من نفسه: هو حياء النفوس الشريفة العزيزة من رضاها لنفسها بالنقص وقنعها بالدون، فيجد نفسه مستحيًا من نفسه، حتّى كأنّ له نفسان، يستحيي بإحداهما من الأخرى.

وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإنّ العبد إذا استحيا من نفسه، فهو بأن يستحيي من غيره أجدر.

مدارج السالكين (٢/ ٦٢٠)

لنفسه عنده قدر.

\* وقال بعض الشعراء:

فسرّي كإعلاني وتلك خليقتي      وظلمة ليلى مثل ضوء نهاري

أدب الدين (٣٩٩).



## الكرم، والجود، والإيثار

\* قال عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ: أسلم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣) وله أربعون ألف درهم، فأخبرتني عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالت: توفي أبو بكر ولم يترك دينارا ولا درهما. الزهد لأحمد: ٢١٤، الزهد لأبي داود (٥٨).

\* وأخذ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) أربعمئة دينار، فجعلها في صرة، فقال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨).

فذهب الغلام، قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك قال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها.

فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره، فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨)، فذهب بها إليه قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: رَحِمَهُ اللهُ ووصله، تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا.

فاطلعت امرأته، فقالت: ونحن والله مساكين فأعطينا، ولم يبق في الخرقه إلا ديناران، فدحا بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره بذلك فقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض. الزهد لابن المبارك (٤٧٢).

\* وكان أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول لولده: اذكروا صاحب الرغيف،

ثم ذكر أن رجلاً من بني إسرائيل عبد الله سبعين سنة، ثم إن الشيطان حسن في عينيه امرأة فأقام معها سبعة أيام، ثم خرج هارباً فأقام مع مساكين فتصدق عليه برغيف كان بعض أولئك المساكين يريد، فآثره به ثم مات، فوزن عبادته بالسبعة الأيام التي مع المرأة فرجحت الأيام السبعة بعبادته، ثم وزن الرغيف بالسبعة الأيام فرجح بها. اختيار الأولى لابن رجب (٧٦) وصححه في جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٢١).

\* وعن سعدى بنت عوف امرأة طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قالت: لقد تصدق طلحة يوماً بمائة ألف درهم، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه. تهذيب الحلية ١/ ٩١.

\* وكان للزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء. تهذيب الحلية ١/ ٩٢.

\* وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أعتق جاريته التي يقال لها رُمَيْثَة، فقال: إني سمعت الله عَزَّ وَجَلَّ قال في كتابه: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا، اذهبي، فأنت حرة لوجه الله. صفة الصفوة ١/ ٢٦٩.

\* وعن نافع قال: كان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا اشتدَّ عُجْبُهُ بشيء من ماله قرَّبه لربه عَزَّ وَجَلَّ.

قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم فلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلا أن يخذعوك، فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله انخدعنا له. صفة الصفوة ١/ ٢٦٩.

\* ولما اشتكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشتَهَى حوتًا فُضِّنَ له، فلما وُضِعَ بين يديه جاء سائل فقال: أعطوه الحوت فقالت امرأته: نعطيه درهمًا فهو أنفع له من هذا، وأقضى أنت شهوتك منه، فقال: شهوتي ما أريد. الزهد لهناد (٦٣٥)، صفة الصفوة ١ / ٢٧٠.

\* واشتكى يوما، فاشترى له عنقودًا بدرهم، فأتاه مسكين يسأل، فقال: «أعطوه إياه»، فخالف إنسان، فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إليه، فلو علم ابن عمر بذلك العنقود لما ذاقه. الزهد لابن المبارك (٧٣١).

\* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألفًا، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم. تهذيب الحلية ١ / ٢١٢.

\* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجمع أهل بيته على جفنته كل ليلة، فسمع بكاء مسكين، فأخذ نصيبه من اللحم والخبز فدفعه إليه، ورجع إلى مكانه وقد فرغوا مما في الجفنة ثم يصبح صائما. الزهد لأبي داود (٢٦٥).

\* وأتى بعشرين ألفًا، فما قام من مجلسه حتى أعطاها. الزهد لأبي داود (٢٦٧).

\* وقال بعضهم:

أَشْتَرُ الْعِزَّ بِمَا شِئْتُ	فَمَا الْعِزُّ بِغَالٍ
بِالْقَصَارِ الصُّفْرِ إِنْ شِئْتُ	أَوْ السُّمْرِ الطُّوَالِ
لَيْسَ بِالْمَغْبُونِ عَقْلًا	مَنْ شَرَى عِزًّا بِمَالٍ
إِنَّمَا يُدْخِرُ الْمَالُ	لِحَاجَاتِ الرِّجَالِ
وَالْفَتَى مَنْ جَعَلَ الْأَمْوَالَ	أَثْمَانَ الْمَعَالِي

البداية والنهاية ١٢ / ٧٠.

\* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): إني لأستحي من الرجل يطأ بساطي

ثلاث مرات ثم لا يُرى عليه أثر من آثار بَرِّي. المنتظم ٦/٧٤.

\* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثلاثة لا أكافهم:

رجل وسع لي في المجلس لا أقدر أن أكافئه ولو خرجت له من جميع ما أملك.

والثاني من اغبرت قدماء بالاختلاف إلي فإني لا أقدر أن أكافئه ولو قطرت له من دمي.

والثالث لا أقدر أكافئه حتى يكافئه رب العالمين عني من أنزل بي الحاجة لم يجد لها موضعاً غيري. شعب الإيمان (١٠٣٨٢).

\* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صاحبُ المعروف لا يَقَعُ، فَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَكَاً.

هذا نحو قول النَّبِيِّ ﷺ: «المعروف يَبْقِي مَصَارِعَ السُّوءِ». عيون الأخبار ١٧٧/٣.

\* وعن أبي حازم قال: انصرفت من العصر إلى سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت): (٩١)، -وكان صائماً- فلما أمسى قلت لغلამه: هات فطره، قال: ما عنده شيء<sup>(١)</sup>، قال: فتمر، قال: ولا تمر، قال: فجعلت أسبه، وأقول: شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ ضيعته؟.

قال: وما ذنبي؟ فتح اليوم خزانته فما ترك فيها بُرَّةً ولا شعيرة إلا قسمه. ابن أبي الدنيا ١٢٦/٤.

\* وقال عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠): إذا جعل أحدكم لله عَزَّجَلَّ شيئاً، فلا يجعل له ما يستحي أن يجعله لكريمه، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أكرم الكرماء، وأحق من اختير له. صفة الصفوة ١/ ٢٧٠.

(١) في الأصل: ..... علامة على أن الكلام في النسخة غير واضح.

\* وقال الشاعر:

أُفْسَدَتْ بِالْمَنْ مَا أُسْدَيْتَ مِنْ حَسَنِ      لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أُسْدَى بِمَنْنَانٍ  
أدب الدين (٣٢٨).

\* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى      فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيًا<sup>(١)</sup>  
ديوان المتنبي (٢٧٢).

\* وقال جعفر بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨): لا يتم المعروف إلا بثلاثة:

بتعجيله وتصغيره وسَتره<sup>(٢)</sup>. صفة الصفوة ٢ / ٤٩٧.

وقال الشاعر:

إِنَّ الْحَوَائِجَ رُبَّمَا أَزْرَى بِهَا      عِنْدَ الَّذِي تُقْضَى لَهُ تَطْوِيلُهَا  
فَإِذَا ضَمِنْتَ لَصَاحِبٍ لَكَ حَاجَةٌ      فَاعْلَمْ بِأَنَّ تَمَامَهَا تَعْجِيلُهَا  
أدب الدين (٣١٦).

وقال الآخر:

زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظَمًا      أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ صَغِيرٌ  
وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ      وَتَنَاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ  
عيون الأخبار ٣ / ١٧٨.

(١) شبه (لا) بـ (ليس) في نصب الخبر؛ فلهذا نصب مكسوبًا وبقيا.

يقول: إذا لم يكون الجود خالصًا من الأذى، وما يكدره من المن والتكدير، فلم يكسب فاعله حمدًا، وذهب ماله هدرًا.

(٢) نقل ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكلام وجعله من كلام ابن عباس وقال: يعني أن تعجل العطية للمُعطي، وأن تصغر في عين المُعطي، وأن تسترها عن الناس فلا تُظهرها؛ فإنَّ في إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المُعطي، واستحياءه من الناس. البداية والنهاية ٩ / ١٠٠.



\* وقال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاسترته، وإذا اصطنعت إليك فانشرته. تفسير القرطبي (٤/ ٣٦٢).

\* وكانت غلة سحنون بن سعيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤٠) في زيتونه خمسمائة دينار في السنة، فما تنقضي السنة إلا والديون عليه لكثرة صدقته ومعروفه. ترتيب المدارك (٢/ ١٠٤).

\* وقال الشاعر:

ويُظهر عيبَ المرء في الناس بخله      ويستره عنهم جميعاً سخاؤه  
تغطُّ بأثواب السخاء فإنني      أرى كلَّ عيب فالسقاء غطاؤه  
أدب الدين (٢٩٦).

\* وحكي أن أبا بكر بن دُرَيْدٍ قصَدَ بعضَ الوزراءِ في حاجةٍ فلم يَقْضِها له وظَهَرَ له منه ضَجَرٌ، فقال:

لا تَدْخُلَنَّكَ ضَجْرَةٌ مِنْ سَائِلٍ      فليخبر دهرِكَ أن تُرى مَسْئُولاً  
لا تَجْبِهَنَّ<sup>(١)</sup> بِالرَّدِّ وَجْهَ مُؤَمِّلٍ      فبقَاءُ عِزِّكَ أن تُرى مَأْمُولاً  
تَلْقَى الكَرِيمَ فَتُسْتَدِلُّ بِبِشْرِهِ      وترى العُبُوسَ عَلَى اللَّيِّمِ دَلِيلاً  
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ صَائِرٌ      خَبَرًا فَكُنْ خَبَرًا يَرُوقُ جَمِيلاً  
أدب الدين (٣١٣).

\* وكان علي بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) يُبْخَلُّ فلما مات، وجدوه يَقُوت مائة أهل بيت بالمدينة. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

\* وكان ناس من أهل المدينة يَعِيشُونَ لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ فقدوا ما كانوا يُؤْتَوْنَ به بالليل. صفة الصفوة ٢/ ٤٤٩.

\* وكان رَحْمَةُ اللَّهِ يَحْمِلُ جَرَابَ الْخَبْزِ عَلَى ظَهْرِهِ بِاللَّيْلِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّ صَدَقَةَ السَّرِّ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ عَزَّجَلَّ. صفة الصفوة ٢ / ٤٤٩.

\* ولما مات رَحْمَةُ اللَّهِ فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثارِ سُودٍ فِي ظَهْرِهِ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: كَانَ يَحْمِلُ جُرْبَ الدَّقِيقِ لِيلاً عَلَى ظَهْرِهِ يَعْطِيهِ فَقَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ. صفة الصفوة ٢ / ٤٤٩.

\* وقال الشاعر:

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه أنا السيد المُفْضَى إِلَيْهِ الْمُعَمَّمُ  
ولم يعطهم شيئاً أبوا أن يسودهم وهان عليهم زعمه وهو ألوم  
\* وقال المهلب بن أبي صفرة رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٨٢): العجب لمن يشتري الممالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. الكامل في اللغة / ٤١٣.

\* وقال بعضهم:

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه أنا السيد المُفْضَى إِلَيْهِ الْمُعَمَّمُ  
ولم يعطهم شيئاً أبوا أن يسودهم وهان عليهم زعمه وهو ألوم  
البيان والتبيين ٣ / ٤٥٦.

\* وباع عبد الله بنُ عتبة رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٩٩) أرضاً بثمانين ألفاً، فقيل له: لو اتخذت لولدك من هذا المال ذُخْراً!.

قال: أنا أجعلُ هذا المالَ ذُخْراً لي عند الله وأجعلُ الله ذُخْراً لولدي، وقسم المالَ. عيون الأخبار ٣٨٤ / ١.

\* وقال الشاعر رَحْمَةُ اللَّهِ: - عيون الأخبار ٣٩٠ / ١ -.

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ حَالِي  
فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي بِبَخْلِ وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

\* وعن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧) قال: لئن أتصدق بدرهم في حياتي، أحب إليّ من أن يُتصدق عني بعد موتي بمائة درهم. تهذيب الحلية ٥٥ / ٢.  
\* وقال بعضهم:

تراه إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً      كأنك تُعْطِيهِ الذي أنت سَائِلُهُ  
عيون الأخبار ٣٩١ / ١.

\* وقال بعضهم:

وَمِنْ تَكْرَمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ      لَا يَخْسَبُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارٌ  
عيون الأخبار ٣٩١ / ١.

\* وقال الشاعر:

فَإِنْ يَتَقَسَّمُ مَالِي بَيْنِي وَنَسَوَتِي      فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فِعْلِي  
وما وجد الأضيافُ فيما يُنوبُهُمْ      لهم عند عِلَّاتِ النفوسِ أبًا مثلي  
أُهَيِّنُ لَهُمْ مَالِي وَأَعْلَمُ أَنَّنِي      سَأُورِثُهُ الْأَحْيَاءَ سِيرَةً مِّنْ قَبْلِي  
عيون الأخبار ٣٩٣ / ١.

\* وجاء رجلٌ إلى شُريح رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٨): يَسْتَقْرِضُ دِرَاهِمَ؛ فقال له شريح: حاجتُك عندنا فأتِ منزلَكَ فإنَّها ستأتيكَ، إنِّي لأكره أن يلحقَكَ ذُلُّها. عيون الأخبار ٣ / ١٩٢.

\* وجاء سائل يسأل على باب الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) فقال: أطعموا هذا السائل سكرًا، فقال أهله: إنما يريد نطعمه كسرة، قال: أطعموه سكرًا فإن الربيع يحب السكر. الزهد لأحمد: ٥٤٩.

\* ومَرَّ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) برجلٍ يَلْبَسُ دِرْهَمًا، فقال له: أَتُحِبُّ دِرْهَمَكَ هذا؟ قال: نعم، قال: أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك. عيون الأخبار ٣ / ١٨٢.  
\* وقال أبو عبدالله المهدي (ت: ١٦٩): ما توسل أحد بوسيلة ولا تذرع

بذريعة هي أقرب إلي وأحب من أن يذكرني يداً سلفت مني إليه أتبعها أختها وأحسن ربه، لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل. (١) المنتظم ٨/٢١٠.

\* وعن عبد الله بن صالح قال: صحبت الليث بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٥) عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى وحده إلا مع الناس. تهذيب الحلية ٢/٤٤٧.  
\* وكان دخل الليث بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ في كل سنة ثمانين ألف دينار، ما أوجب الله تعالى عليه درهماً بركة قط. تهذيب الحلية ٢/٤٤٨.

\* وقام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القسري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٦)، فقال خالد: إني لأبغض هذا الرجل وما له إليّ ذنب. فقال رجل من القوم. أوله أيها الأمير معروفاً، ففعل، فما لبث أن خفّ على قلبه وصار أحد جلسائه. عيون الأخبار ٣/١٧٨.

\* وقال رجل لابن سُبرمة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا. فقال: لا خير في المعروف إذا أُحصي. عيون الأخبار ٣/١٧٩.  
\* وكان يقال: بذل الجاه زكاة الشرف. عيون الأخبار ٣/١٧٩.  
\* وقال ابن المقفع (ت: ١٤٤): الجود بالمجهود منتهى الجود. البيان والتبيين ٣/٥٠٠.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللَّهُ: أحدهم يحقر الشيء فيأتي ما هو شرُّ منه - يعني المنع -. عيون الأخبار ٣/١٨٠.  
\* وقال بعضهم:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدُمُ جَوَازِيَهُ      لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
عيون الأخبار ٣/١٨١.

(١) نسب ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في عيون الأخبار ٣/١٧٨ هذا الكلام لجعفر بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

\* وأمر الرشيد لمحمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤) بألف دينار فقبلها، فأمر الرشيد خادمه سراجًا باتباعه، فما زال يفرقها قبضة قبضة، حتى انتهى إلى خارج الدار وما معه إلا قبضة واحدة، فدفعتها إلى غلامه وقال: انتفع بها، فأخبر سراج الرشيد بذلك فقال: لهذا فرغ همه وقوي متنه. تهذيب الحلية ٣/١٣٠.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤):

وَأَحْسِنُ إِلَى الْإِخْوَانِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ      فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الرِّجَالِ اكْتِسَابُهَا  
ديوان الشافعي (٤١).

\* وصدق القائل:

أَحْسَنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ      فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ  
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً      إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَانُ  
أَحْسِنُ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ      فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِمْكَانُ  
\* وقال الشاعر:

ظِلُّ الْفَتَى يَنْفَعُ مَنْ دُونَهُ      وَمَا لَهُ فِي ظِلِّهِ حَظٌّ<sup>(١)</sup>  
أدب الدين (٣٢٩).

\* وجاء رجل إلى عبدالله بن أبي حسان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧) فأعلمه أن داره تهدمت، وشاوره في بنائها، ومن بيني عنده، فدفع ابن أبي حسان إليه ثلاثين دينارًا، وقال: استعن بها على بنائك.

---

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: من المعروف ما لا كلفة على موليه، ولا مشقة على مسديه، وإنما هو جاه يستظل به الأدنى ويرتفق به التابع. أدب الدين (٣٢٩)  
قلت: ومثال ذلك: عبارات الثناء والمدح الصادقة لمن يستحقها، فلا كلفة على قائلها، وهي جاه يستظل بها من قيلت له، تزيد همة ونشاطًا، وتدفعه للنجاح والعمل دفعًا.

فقال له بعض ولده: أتاك يشاورك فأعطيته!

قال: لست ببنّاء، وإنما تعرّض لمعروفي.<sup>(١)</sup> ترتيب المدارك (١/ ٥١٣).

\* وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْعَلَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ: دعاني الكلوزاني رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَدَّمَ إِلَيْنَا طَعَامًا كَثِيرًا، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (ت: ٢٤١)، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَجَمَاعَةٌ، فَقَدَّمَ لَوْزِينَجٍ<sup>(٢)</sup> أَنْفَقَ عَلَيْهَا ثَمَانِينَ دِرْهَمًا، فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ: هَذَا إِسْرَافٌ، فَقَالَ أَحْمَدُ: لَا، لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا جُمِعَتْ حَتَّى تَكُونَ فِي مِقْدَارِ لُقْمَةٍ، ثُمَّ أَخَذَهَا امْرَأَةٌ مُسْلِمٌ، فَوَضَعَهَا فِي فَمِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ لَمَا كَانَ مُسْرِفًا، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: صَدَقْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ. طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٩).

\* وَقَالَ حَبِيشُ بْنُ مَبْشَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَعَدْتُ مَعَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَالنَّاسُ مُتَوَافِرُونَ، فَأَجْمَعُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ رَجُلًا صَالِحًا بِخِيَالٍ. طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٢).

\* وَحَمَلُ ابْنِ الْفَرَّاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٨٠) بَذَلَ يَدَهُ، وَكَرَمَ طَبْعَهُ عَلَى أَنَّهُ اسْتَدَانَ مَا لَا يُمْكِنُهُ الْوَفَاءُ، فَغَلَبَهُ الْأَمْرُ حَتَّى بَاعَ مُعْظَمَ كُتُبِهِ، وَخَرَجَ عَنْ يَدِهِ أَكْثَرُ أَمْلاكِهِ، وَاخْتَفَى فِي بَيْتِهِ لِمَا فَدَعَهُ مِنَ الدِّيُونِ.<sup>(٣)</sup> ذيل الطبقات (٢/ ٣٣٨).

\* وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ذَهْلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٧٨) كَثِيرَ الصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُسْتَوْرِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَانَ ذَا ثَرَوَةٍ، وَمَرْوَةٍ، وَأَخْلَاقٍ جَمِيلَةٍ، وَكَانَ يُصِرُّ الدِّينَارَ الثَّقِيلَ فِي الْكَاعْدِ<sup>(٤)</sup>، وَيُدْفَعُهُ إِلَى الْفَقِيرِ، وَيَقُولُ: إِنِّي لَأَسْرُّ لَهُ إِذَا ظَنَ

(١) هذا من ذكائه وكرمه رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) اللوزينج: من الحلويات شبه القطائف، تُؤدَمُ بدهن اللوز.

(٣) وهذا حال بعض الناس، يتكَلَّفُ الكرم، فيستدين، ولا يزال كذلك حتى تتراكم عليه الديون، ثم يُبْتَلَى بالفقر، ويُطَالِبُهُ النَّاسُ بِحُقُوقِهِمْ، وَتَعْتَرِيهِ الْهَمُومُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَمِلَ مِنَ الْحَيَاةِ، وَتَعْظُمُ مَشَاكِلُهُ مَعَ النَّاسِ وَمَعَ أَهْلِهِ.

(٤) أَي: الْوَرَقِ.

أنه وَرِقٌ<sup>(١)</sup> فإذا هو ذهب.<sup>(٢)</sup> طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٢).

\* وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١):

يَدُ الْمَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيْثُ كَانَتْ      تَحْمِلُهَا شُكُورٌ أَوْ كُفُورٌ  
فَفِي شُكْرِ الشُّكُورِ لَهَا جِزَاءٌ      وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكُفُورُ  
الآداب الشرعية ١/ ٢٣٤.

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: مرض نظام الملك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٨٥) فكان يداوي نفسه بالصدقة، فيجتمع عنده خلق من الضعفاء فيتصدق عليهم، فعوفي. المنتظم ١٦/ ٢٩٨.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: كان أبو الحارس الأولاسي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٧) شاباً يغني في أول أمره وقال: بينا أنا في غفْلتي رأيت عليلاً مطروحاً على قارعة الطريق، فدنوت منه فقلت: هل تشتهي شيئاً؟ قال: نعم رَمَانًا. فجِئْتُهُ بِرَمَانٍ، فلما وضعته بين يديه رفع بصره، وقال: تاب الله عليك، فما أُمْسِيتُ حتى تَغَيَّرَ قلبي عما كنت عليه. صفة الصفوة ٤/ ٤٨٥.

\* وقال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: فعل الخير مع الأشرار تقوية لهم على الأخيار، كما لا ينبغي أن يُحَرَّمَ الخيرُ أهلُه لا ينبغي أن يُحَرَّمَ الخيرُ حقُّه، فإن وضع الخير في غير محلِّه ظلمٌ للخير، كما قيل: لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تضعوها في غير أهلها فتظلموها، كذلك البرُّ والإنعام مُفسد لقوم حسب ما يفسد الحرمان قوماً، فهو كالنار كلما أُطِيبَ لها مأكلاً سَطَّتْ فأفسدت، قال المتنبّي رَحِمَهُ اللهُ:

(١) أي: فضة.

(٢) يتفنن في إدخال السرور على قلوب الفقراء، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

ووضعُ النَّدى في موضع السيف بالعلَا مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

فالسِّياسة الكلية افتقاد محال الإنعام قبل الإنعام. الآداب الشرعية ١ / ٢٣٥.

\* وقالوا: لا تتق بشكر من تعطيه حتى تمنعه. الآداب الشرعية ١ / ٢٣٩.

\* وقال الحافظ ابن فضل الله العُمري رَحِمَهُ اللهُ: كانت تأتيه - أي: شيخ الإسلام

ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨) - القَنَاطِيرُ المَقْنَطَرَةُ من الذهب والفضة والخيلِ  
المُسَوِّمةِ والأنعامِ والحَرثِ، فَيَهَبُهُ بِأَجْمَعِهِ، وَيَضَعُهُ عند أهل الحاجةِ في موضِعِهِ،  
لا يأخذ منه شيئاً إِلَّا لِيَهَبَهُ، ولا يَحْفَظُهُ إِلَّا لِيُذْهِبَهُ كُلَّهُ في سبيل البرِّ، وطريق أهلِ  
التواضع لا أهلِ الكِبَرِ، لم يَمِلْ به حُبُّ الشهواتِ، ولا حُبُّ إِلَيْهِ من ثلاثِ الدنيا  
غير الصلاة. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٥ / ٦٩٥).

\* وكان يجيئه من المال في كلِّ سنة ما لا يكاد يُحصى، فيُنْفَقه جميعه آلافاً

ومئین، لا يلتبس منه درهماً بيده، ولا يُنْفَقه في حاجته، بل كان إذا لم يقدر يعمد  
إلى شيء من لباسه فيدفعه إلى السائل. ثلاثة كتب في ترجمة شيخ الإسلام ابن  
تيمية: ٧٤.

\* وكان الشيخ منصور البهوتي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٥١) في كل ليلة جُمعة

يجعل ضيافة ويدعو جماعته المقداسة، وإذا مرض أحدٌ منهم عادةً، وأخذه إلى  
بيته ومَرَّضه إلى أن يُشْفى، وكان الناس تأتيه بالصدقات فيُفَرِّقها على طلبته في  
المجلس، ولا يأخذ منها شيئاً. السحب الوابلة (٣ / ١١٣٣).

\* وكان الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٣٤) سخيًّا جداً،

بحيث إنه يأتيه المال الكثير فلا تغرب شمس يومه ذلك إلا وقد فرقه بين تلاميذه  
ومستحقه، لا يدخر لنفسه شيئاً من ذلك، وكان ربما يأتيه الفقير يسأله فلا يجد ما  
يعطيه، فيعطيه أحدَ ثيابه إذا كان عليه ثوبان.



ووجد يوماً فقيراً في المسجد في الشتاء في شدة البرد وهو يرتعش من البرد، فأعطاه عباءته التي على ظهره، ورجع إلى بيته بدون عباءة، وكان محباً للفقراء والمساكين، منبسطة إليهم واصلاً لهم، لئن الجانب جدًّا، لا يخلو بيته يوماً من الفقراء، ولا يأكل طعامه وحده، بل يجتمع عليه من الخمسة إلى العشرين في كل وجبة. علماء نجد (١/ ٢٦٥-٢٦٦).

\* وكان الشيخ عبدالله بن جار الله آل جار الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤١٤) متواضعاً، طليق الوجه بشوشاً، يُحادث طلابه ويُجاذبهم أطراف الحديث بما يُؤنسهم ويقلّل الهيبة منهم له، كما كان لطيفاً يُكرم زوّاره ويرحب بهم مهما كان مستواهم في مجتمعهم.

وكان كريماً جواداً طبعاً لا تطبّعاً، وسجية لا استكراها، فكان يبذل ما يستطيع من جهده وماله ووقته بلا منٍّ ولا أذى، وإنما بطيب نفس وإيثار. وكان عطوفاً رحيماً بكلّ ذي روح، لاسيما الضعاف من الصغار والكبار، والمعوزين والمحتاجين، فكان يبذل في ذلك كلّ ما يملك. علماء نجد (٤/ ٤٨).



## التواضع وذم الكبر<sup>(١)</sup>

\* خرج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) في يوم حار واضعاً رداءه على رأسه قال: فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام احملني معك، قال: فوثب الغلام عن الحمار، فقال: اركب يا أمير المؤمنين قال: لا، اركب، وأركبُ أنا خلفك، تريد أن تحملني على المكان الخشن، وتركب على المكان الوطيء؟، ولكن اركب أنت، وأكون أنا خلفك، قال: فدخل المدينة وهو خلفه، والناس ينظرون إليه. ابن أبي الدنيا ١٣٦/٥.

\* ولما أتاه الخبر بنزول رستم القادسية كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية

(١) أصل التواضع: ما كان في القلب لا ما كان في الظاهر، فليس التواضع بنزول الإنسان إلى من هو أقل وأدنى منه، ولكن بالأبصار يرى في نفسه ما يُمَيِّزها عن غيرها لتتزل إليهم، فيتعامل مع الصغير والفقير مُعاملة الأخ مع أخيه والصديق مع صديقه.

فشعوره بأنه متواضع عند تعامله مع من هو أقل منه - في الظاهر - دليل على أنه يرى نفسه أرفع منه، ومن أخبره بذلك؟ فهذا نوع من الترفع الخفي.

بل إنَّ التظاهر بالتواضع نوع من الكبر، والمتواضع حقاً لا يتصنع، والمبالغة في ذم الإنسان نفسه ليس محموداً، والغالب أنَّ صاحبه لا يسلم من الكبر، وعلامة ذلك: أنه لو نقده أحد بمثل ما نقد نفسه لَمَّا رضي بذلك، وكرهه واستثقله وربما ردَّ عليه وخاصمه!

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ها هنا نكتة دقيقة وهي: أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يري أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم، ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء. شرح حديث «ما ذُبان جائعان» ص ٨٨ مجموع رسائله.

والتواضع مع الجهل والبخل والجبن أحمد وأسلم وأحسن من الكبر مع الأدب والسخاء والشجاعة.

من حين يصبح إلى انتصاف النهار، ثم يرجع إلى أهله، فلما لقيه البشير سأله: من أين جاء؟ فأخبره، قال: يا عبد الله، أخبرني، قال: هزم الله العدو، وعمر يحث معه ويستخبره، والبشير يسير يحث ناقتة لا يعرفه حتى دخل المدينة، فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين، فقال الرجل: فهلا أخبرني رحمك الله أنك أمير المؤمنين، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لا عليك يا أخي. المنتظم ١٧٨-١٧٩/٤.

\* ولما قدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام عرضت له مخاضة<sup>(١)</sup>، فنزل عن بعيره، وأخذ بخطامه ونزع موقيه<sup>(٢)</sup> فأخذهما بيديه وخاض الماء، فقال أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض!.

فصك عمر في صدره فقال: إنه لو غيرك يقول هذا، إنكم كنتم أقل الناس وأذل الناس وأضعفه، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم. الزهد لابن المبارك (٥٣٩)، الزهد لأبي داود (٨٢).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر: إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته، فهو في نفسه صغير أو فقير وفي أنفس الناس كبير.

وإن العبد إذا تكبر وعدا طوره<sup>(٣)</sup> وضعه الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس صغير، حتى أنه أحقر وأصغر في أعين الناس من الخنزير. الزهد لأبي داود (٨٥).

\* وعن أبي المنهال رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ (ت: ٧١) وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ (ت: ٦٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الصَّرْفِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِنِّي، فَكِلَاهُمَا يَقُولُ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْوَرِقِ دَيْنًا».<sup>(٤)</sup> صحيح

(١) المَخَاضَةُ: مكان ضحل الماء يخوضه الناس مشاةً أو رُكباناً.

(٢) أي: خفيته.

(٣) أي: تجاوز حده.

(٤) من عادة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: رجوع بعضهم إلى بعض عند الفتوى، ومعرفة الواحد منهم قدره =

البخاري (٢١٨٠).

\* وَأَتَى سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) فَسَأَلَهُ عَنْ وَتَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوَتَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨)، فَأَتَاهَا، فَسَأَلَهَا، ثُمَّ أَتَيْتَنِي فَأَخْبَرَنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. صحيح مسلم (٧٤٦).

\* وَسُئِلَ أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) عَنْ رَجُلٍ مَاتَ عَنْ بِنْتٍ، وَابْنَةٍ ابْنٍ وَأَخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأَخْتِ النِّصْفُ، وَأَتِ ابْنُ مَسْعُودٍ (ت: ٣٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَيِّئَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَهْتِدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ: «لِلْابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِلْابْنَةِ ابْنِ السُّدُسِ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأَخْتِ».

فَأَتَوْا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ.<sup>(١)</sup> صحيح البخاري (٦٧٣٦).

\* وَكَانَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) أَمِيرًا عَلَى الْمَدَائِنِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَمَعَهُ حِمْلٌ ثُبْنٍ وَعَلَى سَلْمَانَ أَنْدَرَا وَرْدٌ، وَعِبَاءَةٌ، فَقَالَ لِسَلْمَانَ: تَعَالَ أَحْمِلْ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ سَلْمَانَ. فَحَمَلَ سَلْمَانُ فَرَأَهُ النَّاسُ فَعَرَفُوهُ فَقَالُوا: هَذَا الْأَمِيرُ. فَقَالَ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: لَا حَتَّى أَبْلُغَ مَنْزِلَكَ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى:

=من هو أعلم منه، والتصريح بفضلته وعلمه، والرجوع إلى قوله إذا ظهر له رجحانه، ويُحيل السائل إلى من هو أعلم منه، ويُشير عليه بأن يستفتيه إن رآه أهلاً لذلك.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي الْحَدِيثِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ مِنَ التَّوَّاضِعِ وَإِنْصَافِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَمَعْرِفَةِ أَحَدِهِمْ حَقَّ الْآخَرِ، وَاسْتَظْهَارِ الْعَالَمِ فِي الْفُتْيَا بِنَظِيرِهِ فِي الْعِلْمِ. ١٠٥ فتح الباري ٤/٤٨٣.

(١) قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْصَافِ وَالْإِعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَشَهَادَةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بِالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ. ١٠٥ شرح ابن بَطَّالٍ لِلْبُخَارِيِّ ٨/٣٥٠.

إني قد نويت فيه نيةً فلا أضعه حتى أبلغ بيتك. صفة الصفوة ١/ ٢٥٦.

\* وقال عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧): أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً، وعند الله صغيراً. صحيح مسلم (٢٩٦٧).

\* وأقبل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريقَ للأمير. صفة الصفوة ١/ ٢٥٦.

\* وخرج عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) ذات يوم، فاتَّبعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالو: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك قال: ارجعوا فإنه ذلةٌ للتابع، وفتنةٌ للمتبوع. مصنف ابن أبي شيبة (٢٦٣١٤).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من تناول تعظماً خفَّضه الله، ومن وضع نفسه خشوعاً رفعه الله عَزَّجَلَّ. الزهد لهناد (٨٣٢).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأسُ التواضع أن تبدأ من لَقِيتَ بالسَّلام، وأن تَرْضَى بالدُّون من المجلس. عيون الأخبار ٣٠٩ / ١.

\* وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: إنكم لتُغْفَلون أفضلَ العبادة: التواضع. الزهد لابن المبارك (٣٧٣)، الزهد لأحمد: ٣٠٤.

\* وقال رجل لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): يا خيرَ الناسِ وابنَ خيرِ الناسِ، فقال: ما أنا بخيرِ الناسِ، ولا ابنَ خيرِ الناسِ، ولكني عبدٌ من عبادِ الله، أرجو الله، وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تُهْلِكُوهُ. تهذيب السَّير ١/ ٣٧٣.

\* وجاءه رجل فسأله عن فريضة، فقال له: ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني. المنتظم ٧/ ٦.

\* وقدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكة فسأله، فقال: تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح؟ تهذيب الحلية ١٤ / ٢.

\* وعن مجاهد قال: كنت أصحب ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في السفر فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى ثيابي، قال مجاهد: فجاءني مرة فكأنني كرهت ذلك. فقال يا مجاهد إنك ضيق الخلق. تهذيب الحلية ٢/١١.

\* وقال أيضاً: صحبت ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإني أريد أن أخدمه، فكان هو يخدمني. تهذيب الحلية ٢/١١.

\* وسأله رجل: أطوف بالبيت وقد أحرمت بالحج؟ فقال: وما يمنحك؟ قال: إني رأيت ابن فلان يكرهه وأنت أحب إلينا منه، رأيناه قد فتنه الدنيا، فقال: وأينما لم تفتنه الدنيا؟ صحيح مسلم (١٢٣٣).

\* وعن الرباب قال: سألت ابن عباس ما (ت: ٦٨) عن شيء فقال: تسألوني وفيكم جابر بن زيد؟ تهذيب الحلية ١/٤٦٠.

\* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف..

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٩٧): فيه تنبيه على أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانهم أو قلت أقدارهم.

وقد كان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ف قيل له: تقرأ على هذا الغلام الخزرجي؟ فقال: إنما أهلكنا التكبر. كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٦٣).

\* وقال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر!. تهذيب السير ١/ ٤٥١.

\* وعن محمد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) أنه قال: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر، إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قل أو كثر. صفة الصفوة ٢/ ٤٥٨.

\* وكان بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ يشتري الشيء من السوق فيحمله، فيقال: هات نحمله فيأبى، ويقول: «إنه لا يحب المستكبرين». تهذيب الحلية ١٥١ / ٢.

\* وكان الربيع بن خيثم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٠) يكنس الحش بنفسه، فقيل له: إنك تُكفَى هذا، قال: إني أحب أن آخذ بنصيب من المهنة. الزهد لأحمد: ٥٦٥.

\* ولما دفن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) سليمان بن عبد الملك، وخرج من قبره سمع للأرض هدة أو رجّة، فقال: ما هذه؟ فقيل: هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قُربت إليك لتركبها. فقال: ما لي ولها؟ نحوها عني، قُربوا إليّ بغلتي، فقُربت إليه بغلته فركبها، فجاءه صاحب الشُرط يسير بين يديه بالحربة، فقال: تنح عني ما لي ولك؟ إنما أنا رجل من المسلمين. صفة الصفوة ٢ / ٤٦٢.

\* وعن عبد العزيز بن عمر قال: قال لي رجاء بن حيوة: ما أكمل مروءة أهلك! سمّرت عنده، فعشّي السراج، وإلى جانبه وصيفٌ نام، قلت: ألا أنبهه؟ قال: لا، دعه، قلت: أنا أقوم، قال: لا ليس من مروءة الرجل استخداؤه ضيفه، فقام إلى بطّة الزيت وأصلح السراج، ثم رجع، وقال: قُمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز. تهذيب السير ٢ / ٥٩٠.

\* وقيل لعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: جزاك الله عن الإسلام خيراً قال: بل جرى الله الإسلام عني خيراً. الزهد لأحمد: ٥٠٠.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: من كانت معصيته في الشهوة، فارج له التوبة، فإن آدم عصى مشتهياً فغفر له، فإذا كانت معصيته في كِبَرٍ، فاحش<sup>(١)</sup> على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن<sup>(٢)</sup>. صفة الصفوة ٢ / ٥٤٠.

(١) في الحلية ٢٦٦ / ٢: فاحش، ولعله تصحيف.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأكثر الناس من المتنزهين عن الكبائر الحسية والقاذورات في الكبائر مثلها أو أعظم منها أو دونها ولا يخطر بقلوبهم أنها ذنوب ليتوبوا منها فعندهم من الإزراء على =

\* وقال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): كفى بك من الكبر أن ترى لك فضلاً على من هو دونك. تهذيب الحلية ٢/ ٩٧.

\* وقال بعض السلف: من كانت ولايته فوق قدرة تكبر لها، ومن كانت ولايته دون قدرة تواضع لها. أدب الدين (٣٨٥).

\* وقال بعض البلغاء: الناس في الولاية رجلان:

١- رجل يجلّ به العمل لفضله ورياسته.

٢- ورجل يجلّ بالعمل لتقصيره ودناءته.

فمن جلّ به العمل ازداد تواضعاً وبشراً، ومن جلّ بالعمل ازداد ترفعاً وكبراً. نهاية الأرب في فنون الأدب (١١٩ / ٦).

\* وقد قيل: من تكبر في ولايته ذلّ في عزله.

\* وقال أيوب السخيتاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): إن قومًا يريدون أن يرتفعوا، فيأبى الله إلا أن يضعهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا، ويأبى الله إلا أن يرفعهم. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٩.

\* وعن ابن مسيرة رَحِمَهُ اللهُ قال ما رأيت أحدا من الناس، الشريف والوضيع عنده سواء غير طاووس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٦). مسند الدارمي (٤١٧).

\* ومَرَّ المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) متبخرًا، فقال: أما علمت أنها مشية يكرهاها الله إلا بين الصّفين؟ فقال المهلب: أما

---

= أهل الكِبائر واحتقارهم وصوله طاعتهم ومنتهم على الخلق بلسان الحال واقتضاء بواطنهم لتعظيم الخلق لهم على طاعتهم اقتضاء لا يخفي على أحد غيرهم وتوابع ذلك ما هو أبغض إلى الله وأبعد لهم عن بابه من كبائر أولئك فإن تدارك الله أحدهم بقاذورة أو كبيرة يوقعه فيها ليكسر بها نفسه ويعرفه قدره ويذله بها ويخرج بها صولة الطاعة من قلبه فهي رحمة في حقه كما أنه إذا تدارك أصحاب الكِبائر بتوبة نصوح وإقبال بقلوبهم إليه فهو رحمة في حقهم وإلا فكلاهما على خطر. مدارج السالكين ١/ ٣٤٨.



تعرفني؟ قال: بلى، أولئك نُطفة مَذَرَة، وآخِرُكَ جيفةٌ قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمِلُ العَذَرَة. فانكسر، وقال: الآن عرفتني حقَّ المعرفة. تهذيب السَّير ٧١٣/٢.

\* وكان الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) إذا أفاد إنساناً شيئاً لم يُره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً أراه بأنه استفاد منه.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: صار طوائف في زماننا بالعكس. تهذيب السَّير ٧١٣/٢.

\* وعن عبيد بن جناد قال: ما رأيت أحداً مثل ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١)، إذا ذكر أصحابه فخمهم، يقول: وأين مثل فلان؟ تهذيب الحِلْيَة ٣/٣٩.

\* وقيل لجبير بن نفير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٥): أي الكبيرين أشر؟ قال: كبر العبادة.

تهذيب الحِلْيَة ٢/١٦٥.

\* وعن الأعمش رَحِمَهُ اللهُ قال: جهدنا بإبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦) أن نجلسه إلى سارية فأبى. مسند الدارمي (٥٣٥).

\* وعن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ قال: كانوا يكرهون أن تُوطأ أعقابهم. مسند الدارمي (٥٤٣).

\* وكان محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) إذا مشى معه الرجل قام فقال: ألك حاجة؟ فإن كانت له حاجة قضأها، وإن عاد يمشي معه قام فقال: ألك حاجة؟ مسند الدارمي (٥٤٢).

\* ورأى سعيد بن جبیر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) أناسا يتبعون فنهاهم وقال: إنَّ مشيكم هذا مذلة للتابع، وفتنة للمتبوع. مسند الدارمي (٥٤٤).

\* وعن ميمون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧) أنه أتاه رجل فقال له: لا يزال الناس بخير ما كنت فيهم، قال: لا يزال الناس بخير ما اتقوا الله. تهذيب الحِلْيَة ٢/٥٦.

\* وسئل يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٩): ما غاية التواضع؟ قال: ألا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضل عليك. تهذيب السَّير ٢/٨١٤.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: يجزي قليل التواضع عن كثير الاجتهاد. تهذيب الحلية

٣/٥٩.

\* وعن سليمان الشاذكوني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٤) قال: جاءني محمد بن مسلم بن واره<sup>(١)</sup> فقعد يتقعر في كلامه قال: قلت له: من أي بلد أنت؟ قال: من أهل الري، ثم قال: أو لم يأتك خبري، أولم تسمع بنبأني؟ أنا ذو الرحلتين، قلت: مَنْ روى عن النبي ﷺ: «إن من الشعر حكمة، وإن من البيان سحراً»؟ قال: فقال: حدّثني بعض أصحابنا قال: قلت: مَنْ أصحابك؟ قال: أبو نعيم، وقبيصة قال: قلت: يا غلام، اتّني بالدرة، قال: فأتاني الغلام بالدرة فأمرته فضربه خمسين، فقلت: أنت تخرج من عندي ما آمن تقول حدّثنا بعض غلماننا. المنتظم ١٢/٢٠٥.

\* وقال أبو حازم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠): من رأى أنه خير من غيره فهو مستكبر؛ وذلك أن إبليس قال: (أنا خير منه) فكان ذلك استكباراً.<sup>(٢)</sup> ابن أبي الدنيا ٧/٥٤٤.

\* وقال أبو وهب المروزي: سألت ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١): ما الكبر؟ قال: أن تزدرى الناس، فسألته عن العُجب؟ قال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العُجب.<sup>(٣)</sup> السّير (١٥/٣٩٥).

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان معجباً بنفسه متكبراً على أبناء جنسه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلْيَحْذَرْ كُلُّ الْحَذَرِ مَنْ طُغْيَانِ «أَنَا»، «وَلِي»، «وَعِنْدِي»، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَافِ الثَّلَاثَةَ أُبْتُلِي بِهَا إِبْلِيسُ وَفِرْعَوْنُ، وَقَارُونُ، فَ«أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ» [الأعراف: ١٢] لِإِبْلِيسَ وَ«لِي مُلْكٌ مِصْرَ» [الزخرف: ٥١] لِفِرْعَوْنَ وَ«إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» [القصص: ٧٨] لِقَارُونِ وَأَحْسَنُ مَا وَضَعْتَ «أَنَا» فِي قَوْلِ الْعَبْدِ أَنَا الْعَبْدُ الْمُذْنِبُ الْمُخْطِئُ الْمُسْتَغْفِرُ الْمُعْتَرِفُ وَنَحْوُهُ. «وَلِي»، فِي قَوْلِهِ لِي الذَّنْبُ وَلِي الْجُرْمُ وَلِي الْمَسْكَنَةُ وَلِي الْفَقْرُ وَالذَّلُّ. «وَعِنْدِي» فِي قَوْلِهِ «اغْفِرْ لِي جَدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي، وَعَمْدِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي». زاد المعاد ٢/٤٣٤، طباعة مؤسسة الرسالة.

(٣) إعجاب الرجل بنفسه: هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان، مع نسيان مَنَ الله تعالى، فَإِنَّ رَفَعَهَا عَلَى الْغَيْرِ وَاحْتَقَرَهُ فَهُوَ الْكِبَرُ الْمَذْمُومُ. المفهم للقرطبي: ٥/٤٠٦.

\* وقيل لشقيق بن سلمة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٢): أيما أكبر أنت أو الربيع بن خيثم؟ فقال: أنا أكبر منه سنًا، وهو كان أكبر مني عقلاً. المنتظم ٦/٢٥٤.

\* وقال عبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٦): أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة. عيون الأخبار ٣٠٧ / ١.

\* وقال المفضل بن محمد رَحِمَهُ اللهُ: كنت آتي عاصم بن أبي النجود رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٧) أقرأ عليه، فإذا لم آته أتاني في بيتي. معرفة القراء (١/ ٢٧٦).

\* وقال الأصمعي: كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٤) يتكلم ظننت أنه لا يعرف شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلاً.<sup>(١)</sup> معرفة القراء (١/ ٢٣٣).  
\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: لَقِيتُ أَبَا عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللهُ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ لِأُقَبِّلَهَا فَسَبَقَنِي فَقَبَّلَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ أَحَقُّ بِهَذَا؛ لِأَنَّكَ خَلَفْتَ وَنَحْنُ سَلَفٌ.<sup>(٢)</sup> معرفة القراء (١/ ٢٣٣).

\* ومَرَّ رِبَاحُ بْنُ يَزِيدَ الزَاهِدِ رَحِمَهُ اللهُ وَبِيَدِهِ قَسْطٌ<sup>(٣)</sup> زَيْتٌ عَلَى ابْنِ غَانِمٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٠) وَهُوَ قَاضٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ غَانِمٍ: أَحْمِلْهُ لَكَ؟ فَقَالَ رِبَاحٌ: شَأْنُكَ، فَرَفَعَ الْقَسْطَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَشُقُّ بِهِ مَجَامِعَ النَّاسِ، فَسَلَكَ بِهِ حَوَانِيتَ الْبَزَازِينِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِهِ.

فَقَالَ رِبَاحٌ: إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِأَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تَجِدُ بِنَفْسِكَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ مِنْكَ.

---

(١) هذا وهو رأسٌ في معرفة النحو والعربية، ومع ذلك لم يكن يُباهي بذلك، بل يتحدث مع الناس بالكلام السهل الواضح الذي يفهمه كلُّ أحد، وهذا دليل على عقله وتواضعه وسلامة قلبه من العُجب والغرور وحب الظهور.

(٢) أهل القرآن من أحسن الناس خُلُقًا، وأرفعهم أدبًا، ولا يزيد العبد تواضعه إلا رفعة وشرفًا.

(٣) القِسط: وعاء من الجلد المدبوغ يحفظ فيه الزيت والدهن والعسل.

فجزاه ابن غانم خيرًا.<sup>(١)</sup> ترتيب المدارك (١/ ٣٥٨).

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤) في مقدّمة كتابه الأدب الكبير (٦٠): أنا واعظك في أشياء من الأخلاق اللطيفة، والأمور الغامضة، التي لو حنَّكَتْكَ<sup>(٢)</sup> سنُّ كنت خليفًا<sup>(٣)</sup> أن تعلّمها، وإن لم تُخبر عنها.<sup>(٤)</sup>

ولكنني قد أحببت أن أقدم إليك فيها قولاً؛ لتروّض<sup>(٥)</sup> نفسك على محاسنها، قبل أن تجري على عادة مساوئها.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: لا تكونن نزر<sup>(٦)</sup> الكلام والسلام، ولا تُفرطن بالهشاشة والبشاشة<sup>(٧)</sup>؛ فإن إحداهما من الكبر، والأخرى من السُّخف. الأدب الكبير (٧٠).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إن استطعت أن تُنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس، ومقام، ومقال، ورأي، وفعل: فافعل، فإنَّ رفعَ الناسِ إياك فوق المنزلة التي تحطُّ إليها نفسك، وتقرّيبهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه، وتعظيمهم من أمرك

(١) لا يزال الناس بخير إذا كان فيهم من ينصح ولا يُحابي، وكان العلماء والأمرء يقبلون النصيحة ولا يتكبرون.

(٢) أي: راضتك وهذبتك.

(٣) أي: جديرًا.

(٤) ما أعظم أدبه وتواضعه، حيث ذكر أنَّ كلَّ ما قاله سيعرفه من كبر سنه وكثرت تجاربه، وليس هو شيئًا انفرد به عن غيره، وعرفه بذكائه واطلاعه.

(٥) أي: تذللّها وتجعلها مطيعة منقادة.

(٦) أي: قليل.

(٧) الهشاشة، من هش له: تبسم له، والبشاشة، من بش له: أقبل عليه، وفرح به.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: الهاء والشين: أصل صحيح يدل على رخاوة ولين. والرخو اللين هش، ومنه رجل هش: طلق المحيا.

وباء والشين أصل واحد، وهو اللقاء الجميل. والضحك إلى الإنسان سرورا به. مقاييس اللغة

ما لم تُعْظَم، وتزِينهم من كلامك ورأيك وفعلك مالم تزين: هو الجمال. الأدب الكبير (١١٢).

\* وقال بعضهم:

تَوَاضِعْ وَكُنْ فِي النَّاسِ سَهْلًا مَيَّسَرًا      لَتُتَّقِيَ لَهُمْ مِنْ فَيْكِ دُرًّا وَجَوْهَرًا  
وَإِيَّاكَ يُنْسِ الطَّبَعُ فِيهِمْ تَرْفُعًا      عَلَيْهِمْ فَتُرْمَى بِالْقَبِيحِ وَتُزْدَرَى  
طبقات المفسرين للداوودي (١ / ٤٠).

\* وأقبل قوم إلى معن بن عيسى رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) بالمدينة يستأذنون عليه في داره، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم أسود ليدخل داره، فسألوه الإذن لهم، فدخل فنأدى: يا معن، فاستجاب له، فأعلمه، فأذن ودخلوا. فقالوا: عجبنا من تسمية هذا الأسود لك! قال: أما إنه مع ذلك مملوكي. قالوا: هذا أكبر.

قال: وما أردتم؟ أكان يدعوني بأفضل من اسمي الذي رضىه الله لي؟<sup>(١)</sup> ترتيب المدارك (١ / ٤٠٦).

\* وعن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤) قال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة، وقال: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله. تهذيب السَّيَر ٨٥٥ / ٢.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالُوا يَزُورُكَ أَحْمَدُ وَتَزُورُهُ      قَلْتَ الْفَضَائِلَ لَا تَفَارِقْ مَنْزِلَهُ  
إِنْ زَارَنِي بِفَضْلِهِ أَوْ زَرْتَهُ      فَلْفَضْلُهُ فَالْفَضْلُ فِي الْحَالَتَيْنِ لَهُ  
ديوان الشافعي (١٣٤).

\* وقال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١)،  
صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير. تهذيب السَّير  
٩٢٩ / ٢.

\* وقال إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: دخلت عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ  
رَحِمَهُ اللهُ أَسْلَمَ عَلَيْهِ، فمَدَدْتُ يَدِي إِلَيْهِ فَصَافِحَنِي، فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتَ قَالَ: مَا أَحْسَنَ  
أَدَبَ هَذَا الْفَتَى، لَوْ أَنْكَبَ عَلَيْنَا كُنَّا نَحْتَاجُ أَنْ نَقُومَ.<sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (١ / ٢٤١).  
\* وقيل للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: يجيئك بشر - يعنون بشر بن الحارث - فقال: لا  
تعنوا الشيخ، نحن أحق أن نذهب إليه.

قيل له: نجىء به؟ قَالَ: لا، أكره أن يُجاء به إلي، أو أذهب إليه؛ فيتصنع لي  
وأَتَصْنَعُ لَهُ؛ فَهَلْكَ. طبقات الحنابلة (١ / ٣٦٩).

\* وقال سندي رَحِمَهُ اللهُ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللهُ قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَوَاضِعِهِ، فَأَبَى  
أَنْ يَقْعُدَ فِيهِ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: ارْجِعْ إِلَى مَوْضِعِكَ، فَارْجِعِ الرَّجُلَ إِلَى مَوْضِعِهِ، وَقَعْدَ  
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيْهِ. طبقات الحنابلة (١ / ٤٥٦).

\* وقال عبد الكريم بن الهيثم: كنت مع الإمام أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ فَجَعَلَتْ أَتَاخُرُ  
عَنْهُ فِي الصَّفِّ إِجْلَالًا لَهُ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى يَدِي فَقَدَّمَنِي إِلَى الصَّفِّ. طبقات  
الحنابلة (٢ / ١٠١).

\* وقال مُحَمَّدُ بْنُ زُهَيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ: أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ -الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ- فِي  
شَيْءٍ أَسْأَلُهُ عَنْهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَهُ: جِزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا،  
فَغَضِبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنَا حَتَّى يَجْزِيَنِي اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا!!، بَلْ جَزَى  
اللَّهُ الْإِسْلَامَ عَنِّي خَيْرًا. طبقات الحنابلة (٢ / ٣٠٣).

(١) وما أعظم تواضع وأدب الإمام أحمد، حيث عقد العزم على القيام إليه لو انكب عليه يقبله.

\* وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَأَيْتُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَشْتَرِي مِنَ السُّوقِ الْخُبْزَ وَيَحْمِلُ بِنَفْسِهِ فِي الزَّنْبِيلِ، وَرَأَيْتُهُ يَشْتَرِي الْبَاقِلَا غَيْرَ مَرَّةٍ وَيَجْعَلُهُ فِي زُبْدِيَّةٍ أَوْ شَيْءٍ آخَرَ فَيَحْمِلُهُ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِهِ، وَقَالَ صَالِحٌ: كَانَ أَبِي رَبَّمَا خَرَجَ إِلَى الْبَقَالِ فَيَشْتَرِي جِرْزَةً حَطَبٍ فَيَحْمِلُهَا. الآداب الشرعية ٢/ ٢٢.

\* وَسئِلُ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧) عَنِ التَّوَاضُعِ فَقَالَ: يَخْضَعُ لِلْحَقِّ وَيَنْقَادُ لَهُ، وَيَقْبَلُهُ مِمَّنْ قَالَهُ. <sup>(١)</sup> مدارج السالكين ٣/ ١١٣.

\* وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَا الْكِبَرُ؟ قَالَ: حُمُقٌ لَمْ يَدْرِ صَاحِبُهُ أَيْنَ يَضْعُهُ. <sup>(٢)</sup> عيون الأخبار ١/ ٣١١.

\* وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عِيُونَ الْأَخْبَارِ ١٣/ ١.

يَا مُظْهَرَ الْكِبَرِ إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ      انْظُرْ خَلَاءَكَ إِنَّ التَّنَنَ تَثْرِيْبُ  
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بَطُونِهِمْ      مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبَرُ شُبَّانٌ وَلَا شَيْبُ  
يَا ابْنَ التَّرَابِ وَمَأْكُولَ التَّرَابِ غَدًا      أَقْصِرْ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبُ

\* وَقَالَ الْقَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ الْقَاضِي عَبْدِ اللَّهِ بْنُ طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٥) يَذْكُرُ تَنَازُعَ أَصْحَابِنَا فِي الْمَسَائِلِ، فَرُبَّمَا ذَكَرَ فِي الْمَسْأَلَةِ خَمْسَةَ أَقْوَالٍ أَوْ سِتَّةٍ. ثُمَّ تَسِيلُ دُمُوعَهُ، وَيَقُولُ: أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ فَقِيهٌ؟ فَهَلْ مَعَكَ عَمَلٌ صَالِحٌ تَنْجُو بِهِ مِنْ

(١) قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: التَّكْبَرُ شَرٌّ مِنَ الشَّرْكِ، فَإِنَّ الْمُتَكَبِّرَ يَتَكَبَّرُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمُشْرِكُ يَعْبُدُ اللَّهَ وَغَيْرَهُ..

وَمَنْ تَكَبَّرَ عَنِ الْإِقْيَادِ لِلْحَقِّ - وَلَوْ جَاءَهُ عَلَى يَدٍ صَغِيرٍ أَوْ مِنْ يُبَغِّضُهُ أَوْ يُعَادِيهِ - فَإِنَّمَا تَكْبَرُهُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، وَكَلَامُهُ حَقٌّ، وَدِينُهُ حَقٌّ، وَالْحَقُّ صِفَتُهُ وَمِنْهُ وَلَهُ، فَإِذَا رَدَّهُ الْعَبْدُ وَتَكَبَّرَ عَنْ

قَبُولِهِ: فَإِنَّمَا رَدَّ عَلَى اللَّهِ وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ. اهـ. بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ١٢٠

(٢) لَا يَتَكَبَّرُ أَحَدٌ إِلَّا لِشُعُورِهِ بِالنَّقْصِ فِي دَاخِلِهِ، فَالْمُتَكَبِّرُ نَاقِصٌ مَهْزُوزُ الثِّقَةِ بِنَفْسِهِ، يَرَى أَنَّ فِيهِ عَيْبًا وَنَقْصًا، لَا يُزِيلُهُ إِلَّا بِإِظْهَارِهِ لِلنَّاسِ عَكْسَ ذَلِكَ، فَيَصْنَعُ الْكِبَرَ وَالْغُرُورَ، فَيَرَى أَنَّهُ هَذَا قَدْ كُمِّلَ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ فِي غَايَةِ الْحَقَارَةِ وَالْمَقْتِ، وَعِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَحَقَرُ وَأَمَقْتُ.

عذاب الله؟ وإلا فما يُعني هذا عنك؟<sup>(١)</sup>.

وكان يقول: ربما أعجبتني نفسي فأقول: يا ابن طالب، هبك أعظم الناس قدرًا، وأكثرهم علمًا، أليس وراء ذلك كله الموت؟<sup>(٢)</sup> ترتيب المدارك (٣١٥ / ٢).

\* وقال بعضهم:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعًا      فكم تحتها قومٌ هم منك أرفعُ  
فإن كنت في عزٍّ وحرزٍ ومنعةٍ      فكم مات من قومٍ هم منك أمتعُ  
ذيل الطبقات (١ / ١٩٨).

\* وقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧): وكان ابن الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ إذا استفاد شيئًا قال: أفادنيهِ فلان، حتى إنه عرض له يوما حديث، وهو «من فاته حزب من الليل فصلاة قبل الزوال؛ كان كأنه صلى بالليل» فقال: ما أدري ما معنى هذا؟ فقلتُ له: هذا ظاهر في اللغة والفقه.

أما اللغة: فإن العرب تقول: كيف كنت الليلة، إلى وقت الزوال.  
وأما الفقه: فإن أبا حنيفة يُصحح الصوم بنية قبل الزوال، فقد جعل ذلك الوقت في حكم الليل، فأعجبه هذا القول.

وكان يقول بين الجمع الكثير: ما كنتُ أدري معنى هذا الحديث حتى عرّفنيهِ ابن الجوزي، فكنتُ أستحي من الجماعة. ذيل الطبقات (٢ / ١١٣ - ١٦٩).

\* وصدق القائل:

إِذَا أَفَادَكَ إِنْسَانٌ بِفَائِدَةٍ      مِنْ الْعُلُومِ فَأَذِمِّنْ شُكْرَهُ أَبَدًا

(١) صدق رَحِمَهُ اللهُ، فما يُعني عن طالب العلم أن يُقال عنه: حافظ، عالم، فقيه، ذكي، إن لم يكن معه عمل صالح ينجو به من عذاب الله.

(٢) بلى والله.



وقل: فلان جزاه الله صالحة<sup>(١)</sup> أفادنيها وألق الكبر والحسدا  
ذيل الطبقات (٣/ ١٨٣).

\* وكان ابن الأنباري رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> (ت: ٣٢٨) زاهدا متواضعا، حكى الدارقطني رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ حضره في مجلس يوم الجمعة، فصَحَّفَ اسماً، فأعظمتُ له أن يُحْمَلَ عنه وَهْمٌ وَهْبَةٌ، فلما انقضى المجلس عَرَّفَتْ مستمليه، فلما حضرت الجمعة الثانية قال ابن الأنباري للمستملي: عَرَّفَ الجماعة أنا صحفنا الاسم الفلاني، وَنَبَّهْنَا ذلك الشاب على الصواب. معرفة القراء (٢/ ٥٥٨).

\* وكان أبو إسحاق الجُبْنَيَانِيُّ البكري رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٣)</sup> (ت: ٣٩٩) قَلَمًا يترك ثلاث كلمات جامعة للخير، وهي: اتَّبِعْ ولا تبتدع، اتَّضَعْ ولا ترتفع، مَنْ وَرَعَ لم يقع.<sup>(٣)</sup>  
طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤).

\* وقال بعضهم:

فلا تحقرنَّ خلقاً من الناس عَـلَّه      وليُّ إله العالمين وما تدري  
فدو القدر عند الله خافٍ عن الوري      كما خفيت عن علمهم ليلة القدر  
طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣١٢).

\* وكان أبو شامة رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٤)</sup> (ت: ٦٦٥) مع فرط ذكائه وكثرة علمه، متواضعا مُطَرِّحًا للتكلف، ربما ركب الحِمار. معرفة القراء (٣/ ١٣٣٦).

\* وعيَّن الشيخ صالح بن عبدالله الزغبِي رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٥)</sup> (ت: ١٣٧٢) في إمامة المسجد النبوي الشريف وخطابته والتدريس عام (١٣٥٠)، وكان متواضعا جدا،

(١) لو قال: جَنَّتْه لكان أحسن وأبين وأبلغ.

(٢) أبو بكر ابن الأنباري المقرئ النحوي البغدادي صاحب التصانيف.

(٣) صدق رَحْمَةُ اللَّهِ، فهذه الكلمات جامعة لكل خير، ومُجَنَّبَةٌ لكل شر، فحريّ بالمسلم أن يحفظها، ويعمل بها، ويؤصي بها غيره.

وكان يقضي حوائجه من السوق بنفسه، وإذا أراد أحد أن يحمل عنه الحاجات التي معه لا يُمْكِنه، وينقلها إلى بيته بنفسه. علماء نجد (٢/ ٤١٩).

\* ولَمَّا توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم رَحِمَهُ اللهُ تَتَلَمَذَ الشيخ عبد الكريم الناصر الجربوع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٤٠) لابنه الشيخ عمر بن سليم رَحِمَهُ اللهُ، وهو أكبر منه بثلاثين سنة، وقصد رَحِمَهُ اللهُ بذلك إظهار مكانة الشيخ عمر أمام طلبة العلم والناس، فإذا قيل: إنَّ عبد الكريم الناصر يقرأ على الشيخ عمر كان لذلك شأنٌ في نفوس الخاص والعام، وأدركوا مكانة الشيخ عمر، فقد كان عمره دون الثلاثين عندما كان الشيخ عبد الكريم يقرأ عليه.<sup>(١)</sup> علماء نجد (٣/ ٤٤٣).




---

(١) انظر إلى هذا الخلق والأدب العظيم الرفيع، وتأمل كيف أداه حبه لرفعة مكانة هذا الشاب إلى أن يتلمذ عليه، ويجلس بين يديه، لا رغبة في علمه، بل رغبة في رفعته وعلو شأنه. وهكذا شأن أهل الفضل والإيمان، يحبون الخير لغيرهم كما يحبونه لأنفسهم.

## هضم النفس<sup>(١)</sup>

\* قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) في خطبته التي خطبها أول إمرته: وُلِّيت أمركم ولست بخيركم، فإن أنا أحسنت فأعينوني، وإن أنا أسأت فسدّدوني.  
قال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: بلغنا عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «بلى والله إنه لخيرهم، ولكن المؤمن يهضم نفسه». الزهد لأبي داود (٥٦).

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيتم على رأسي التراب. صفة الصفوة ١/ ١٨٦.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي لا إله غيره ما أصبح عند آل عبد الله شيء يرجون أن يعطيهم الله به خيرا، أو يدفع عنهم به سوءا إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئا. الزهد لأبي داود (١٤٥).

\* وزحم سالم بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) رجلا فقال له سالم: بعض هذا

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: مقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله تعالى في لحظة واحدة أضعاف أضعاف ما يدنو بالعمل. إغاثة اللهفان ١/ ١٥٥.  
قلت: وكلما ازدادت معرفة العبد بربه وعظمته وحقوقه عليه، ونظر إلى تقصيره في جنب الله، ونظر إلى نعم الله عليه في دينه ودنياه: ازداد هضمًا لنفسه، واستصغر ما عمل، وتعاضم تفريطه وذنوبه.

ولا يُوفَّق لهذا إلا مَنْ ائتمنَّ الله عليه، واصطفاه إليه، اللهم اجعلنا منهم.  
ومن وقف على أحوال وأقوال الأئمة العلماء الأجلاء رَحِمَهُمُ اللَّهُ الذين سادّكروا تواضعهم وهضمهم لأنفسهم: لا يمكن له أن يغترّ بشيء الناس، أو يغترّ بأعماله، وأقواله، وطاعته.

رحمك الله، فقال له الرجل: ما أراك إلا رجلاً سوء، فقال له سالم: ما أحسبك أبعدت. المنتظم ١١٤ / ٧.

\* وقال مطرّف بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥): ما مدّحني أحد قطّ إلا تصاغرتُ إليّ نفسي. صفة الصفوة ١٥٨ / ٣.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ وهو بعرفة: اللهم لا تردّ الجميع من أجلي. صفة الصفوة ١٥٨ / ٣.

\* وقال بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨): إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: هذا سبقني بالإيمان، والعمل الصالح، فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب والمعاصي، فهو خير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضلٌ أُخذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيراً، فقل: هذا ذنبٌ أحدثته. صفة الصفوة ١٧٥ / ٣، ابن أبي الدنيا ٥٢٧ / ٧.

\* وقال عبد الله بن بكر المزني رَحِمَهُ اللهُ: سمعتُ إنساناً يُحدّث عن أبي أنّه كان واقفاً بعرفة، فرقّ فقال: لولا أنّي فيهم لقلتُ: قد غُفِرَ لهم.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٨): كذلك ينبغي للعبد أن يُزريَ على نفسه ويَهْضِمَهَا. تهذيب السّير ٥٥٠ / ٣.

\* وقال محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني، من نتن ريحي. صفة الصفوة ١٩٢ / ٣.

\* ورأى رَحِمَهُ اللهُ ابناً له وهو يخطر بيده<sup>(١)</sup>، فقال: ويحك تعال، تدري من أنت؟ أمك اشتريتها بمائتي درهم، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله. تمشي هذه المشية؟. صفة الصفوة ١٩٣ / ٣.

(١) أي يتمايل ويمشي مشية المعجب.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): إذا ذكر الصالحون فأف لي وتُفّ.  
صفة الصفوة ٣ / ١٩٨.

\* وقال له رجل: يا مرأئي! فقال: متى عرفت اسمي؟ ما عَرَف اسمي غيرُك.  
الزهد للخطيب (٩٣).

\* وقال أيوب السخيتاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): إذا ذكر الصالحون كنت منهم  
بمعزل. صفة الصفوة ٣ / ٢١٠.

\* وقال أبو عمرو بن مطر: حضرت مجلس أبي عثمان الحيري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٠٠)  
فخرج، ثم قعد على موضعه الذي كان يقعد فيه للتذكير، فسكت حتى طال  
سكوته فناداه رجل: ترى أن تقول في سكوتك شيئاً؟ فأنشأ يقول:

وغير تقى يَأمر الناس بالتقى      طبيبٌ يُداوي والطبيب مريض

فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج. صفة الصفوة ٤ / ٣٥٢.

\* وقرئ على عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١) كتاب المناسك، فأنتهى  
إلى حديث وفيه: قال عبد الله وبه نأخذ، فقال: مَنْ كتب هذا من قولي؟ قيل:  
الكاتب الذي كتبه، فلم يزل يحكّه بيده حتى درَسَ، ثم قال: ومن أنا حتى يُكتب  
قولي؟. صفة الصفوة ٤ / ٣٧٢.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): لو اجتمع الخلق جميعاً على  
أن يَضْعُونِي كاتِّصَاعِي عند نفسي ما قدرُوا على ذلك. صفة الصفوة ٤ / ٤٤٥.

\* وعن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧) قال: يا مسكين، أنت مسيءٌ  
وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخُل وترى أنك كريم،  
وأحمق وترى أنك عاقل، أجلك قصير، وأملك طويل.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٨): إي والله، صدق، وأنت ظالم وترى أنك

مظلومٌ، وأكل للحرام وترى أنك متورّع، وفاسق وتعتقد أنك عدلٌ، وطالب العلم للندى وترى أنك تطلبه لله.. تهذيب السّير ٧٧٩ / ٢.

\* ومَرَّت امرأتان وبُهلول بن راشد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٣) يصلي، فقالت إحداهما للأخرى: هذا البهلول، فقالت: لئن تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه<sup>(١)</sup>، فقال البُهلول: هذه عَرَفْتَنِي.

وقال له رجل يومًا: يا مُرائي، فقال له البُهلول: قد أخبرتها بذلك -يعني نفسه- فأبت علي ولم تقبل، فاجتمع عليها شهادتك وعلمي.<sup>(٢)</sup> ترتيب المدارك (٣٦٨ / ١).

\* وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٩٨): إني لأغضب على نفسي إذا رأيتكم تأتونني، أقول: لم يأتني هؤلاء إلا من خير يظنون بي. تهذيب الحلية ٤٣٤ / ٢.

\* وقال الربيع رَحِمَهُ اللهُ: سمعت الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤) -ودخلت عليه وهو مريض - فذكر ما وضع من كتبه فقال: وددت أن الخلق تعلمه ولا يُنسب إليّ منه شيء أبدًا.<sup>(٣)</sup> طبقات الشافعيين (٤٥ / ١).

\* وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١)<sup>(٤)</sup>: ما أكثر الداعي لك! قال: أخاف أن يكون هذا استدراجًا بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طرسوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدا الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نمدد المنجنيق ونرمي عن أبي عبد الله. ولقد رُمي عنه بحجر، والعِلاج على الحصن متترس بَدَرَقَة فذهب برأسه وبالْدَرَقَة، قال: فتغير

(١) يضرب مثلًا للذي رؤيته دون السماع به.

(٢) انظر إلى هضمه لنفسه، وسلامة صدره، وصدقه مع ربه.

(٣) هذا من أعظم الدلالة على إخلاصه وصدقه، وإلا فمن يقوى على هذا؟

(٤) يعني: أحمد بن حنبل.

وجه أبي عبد الله وقال: ليته لا يكون استدراجًا. تهذيب السير ٩٢٧ / ٢.

\* وقال رجل لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: الحمد لله الذي رأيْتُكَ، قال: اقعد، أيُّ شيءٍ ذا؟ مَنْ أنا؟. تهذيب السير ٩٣٠ / ٢.

\* وعن رجل قال: رأيْتُ أثر الغمِّ في وجه أبي عبد الله<sup>(١)</sup>، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، قال: بل جرى الله الإسلام عني خيرًا. من أنا وما أنا؟! تهذيب السير ٩٣٠ / ٢.

\* وقيل له: إنِّي لأرجو أن يكون يُدعى لك في جميع الأمصار، فقال: إذا عرف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس. تاريخ الإسلام للذهبي: ١٠١٣ / ٥.

\* وَنَقَلَ الْأَثَرُ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ سَأَلَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ شَيْءٍ فَقُلْتُ: كَيْفَ هُوَ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَمَا عِنْدِي أَنَا؟ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ -يَعْنِي الْعِلْمَ- مَا جَاءَ مِنْ فَوْقِ. الآداب الشرعية ٤٥ / ٢.

\* وقال رجل للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: أريد أن أكتب هذه المسائل فإني أخاف النسيان؟.

قَالَ لَهُ أَحْمَدُ: لَا تَكْتُبْ شَيْئًا، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُكْتُبَ رَأْيِي.

وأحسن مرة بإنسان يكتب ومعه ألواح في كفه، فقال: لا تكتب رأيي، لعلِّي أقول الساعة بمسألة ثم أرجع غدا عنها. طبقات الحنابلة (١ / ٨٠).

\* وقال الميموني رَحِمَهُ اللهُ: سألت أبا عبد الله -الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ- عَنْ مَسَائِلَ، فكَتَبْتُهَا، فَقَالَ: إِيْش تَكْتُبُ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ فَلَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْكَ مَا تَرَكْتُكَ تَكْتُبُهَا، وَإِنَّهُ عَلَيَّ لَشَدِيدٌ، وَالْحَدِيثُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا.

قلت: إنما تطيب نفسي في الحمل عنك، إنك تعلم أنه منذ مضى رسول الله

(١) يعني: أحمد بن حنبل.

ﷺ قد لزم أصحابه قوم، ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمونه، ويكتبون.  
قال: مَنْ كتب؟

قلت: أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وكان عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب ولم أكتب، فحفظ وضيّعت».  
فقال لي: فهذا الحديث.

فقلت له: فما المسائل إلا الحديث، ومن الحديث تُشتق.

قَالَ لي: أعلم أن الحديث نفسه لم يكتبه القوم، إنما كانوا يحفظون ويكتبون السُّنن، إلا الواحد بعد الواحد الشيء اليسير منه، فأما هذه المسائل تدون وتكتب في ديوان الدفاتر فلستُ أعرف فيها شيئاً، وإنما هو رأي، لعله قد يدعه غداً وينتقل عنه إلى غيره، والرأي قد يخطئ.<sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (٢/ ٩٤-٩٥).

\* وقال أبو عثمان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ له يوماً: لا يزال الناس بخير ما منَّ الله عليهم ببقائك، فقال: لا تقل هذا يا أبا عثمان. طبقات الحنابلة (٢/ ٣٥١).

\* وكان موهوب بن أحمد الجواليقي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٤٠) متواضعاً في ملبسه ورئاسته، طويل الصمت، لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق والفكر الطويل، وكثيراً ما كان يقول: لا أدري. ذيل الطبقات (٢/ ٣).

\* ولَمَّا قدم عيسى بن مسكين بن منصور رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٥) إلى القيروان، أتى على حمار، فقام الناس إليه على أقدامهم، فقال: مكانكم رحمكم الله، إنما

(١) في هذا الحوار بين الإمام أحمد وتلميذه فوائد منها:

- ١- أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ كان يُشدد في الكتابة عنه أولاً، ثم سهّل بعد ذلك.
- ٢- أدب الإمام مع تلميذه، وذلك بقوله له: لولا الحياء منك، فما أجمل بالشيخ والمعلم أن يقدر تلميذه ويحسن تعامله وأدبه معه.
- ٣- تورّع الإمام، وهضمه لنفسه، وذلك بتخرجه من تدوين آرائه.
- ٤- اللطف في الحوار، واستماعه لاعتراضات تلميذه.



يقوم الناس لرب العالمين، ولَمَّا رَأَتْهُ امرأة على حمار وحوله مشايخ القيروان قالت: انظروا أي قاض وأي شكل؟.

فسمعها، فقال لهم: والله لقد قلتها لهم.<sup>(١)</sup> ترتيب المدارك (٢/ ٣٣٦).

\* ولما جلس أبو الحسن ابن القاسمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٠٣) للناس وعُزِمَ عليه في الفتوى تأبى وسدّ بابَه دون الناس، فقال لهم أبو القاسم ابن شَبْلُون رَحِمَهُ اللهُ: اكسروا عليه بابَه؛ لأنّه قد وجب عليه فرض الفتيا، هو أعلم من بقي بالقيروان، فلما رأى ذلك خرج إليهم ينشد:

لعمر أيبك ما نُسِبَ المعلّى      إلى كرم وفي الدنيا كريم  
ولكنّ البلاد إذا اقشعرت      وصوّح نبتُها رُعي الهشيم<sup>(٢)</sup>  
ترتيب المدارك (٤/ ١٦٩).

\* وسأل رجل أبا عبدالله محمد بن عتاب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٦٢) عن مسائل انتخبها وأعدّها فأجابه أحسن جواب، فأثنى عليه الرجل فقال له: يا ابن أخي لا تتخذ هذا عادة، فلولا أنّي طالعتها البارحة ما أجبتك بمثل هذا.<sup>(٣)</sup> ترتيب المدارك (٤/ ٣٨٧).

\* وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨) كثيراً يقول: مالي شيء، ولا مني شيء، ولا في شيء. وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المُكْدِي وابن المكدي      وهكذا كان أبي وجدي

(١) هذا هو هضم النفس الذي لا تصنع فيه، وما أقل من يوفق لذلك.

(٢) إذا صدق العبد مع ربه تعالى كان من أشد الناس تواضعاً وهضمًا لنفسه، وبُعْدًا عن التصدر للفتوى؛ ليقينه بخطرهما.

(٣) المؤمن الصادق الورع حريص على ألا يُعْظَمَ الناس ويرفعوه فوق منزلته، وإذا علم أنّ أحدًا فعل ذلك بيّن له أنه دون ما اعتقده به صدقًا لا تصنعًا، وحقيقة لا تكلفًا.

وكان إذا أُنْثِي عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أُجَدِّدُ إسلامي كلَّ وقت، وما أسلمت بعدُ إسلامًا جيدًا! <sup>(١)</sup>.

وقد بعث إلي في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه:

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ	أَنَا الْمُسَيِّكِينَ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
أَنَا الظَّلْمُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي	وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي
لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلَبَ مَنَفَعَةٍ	وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضَرَّاتِ
وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلَى يُدَبِّرُنِي	وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِئَاتِي
وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا	وَلَا شَرِيكَ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَاتِ
وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ	كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوَلَايَاتِ
وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَا زِمَ أَبَدًا	كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ	وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي
فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ	فَهُوَ الْجَهْلُومُ الظَّلْمُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءُ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ	مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَأْتِي

مدارج السالكين ٢/ ١٥٥-١٥٧.

\* وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَدْنِي الْفَقِيرَ الصَّالِحَ وَيُكْرِمُهُ، وَيُؤْنِسُهُ وَيَبَاسِطُهُ بِحَدِيثِهِ

(١) تأمل إلى هذا التواضع غير المتكلف، وإلى هضم النفس غير المصطنع.

ومن يستطيع أن يقول هذه العبارة ولو على جهة التواضع المتكلف!

لقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ رُؤْيَةً لِنَفْسِهِ، واعتدًا بها، ومن أشدهم تهذيبًا لها، ومن أعرَفهم بربه وما يستحقه سبحانه.

ومن كان على هذه الصفة لا شك أنه سيري أنه مُقَصِّرٌ في حق الله تعالى عبادةً ودعوةً وإسلامًا خالصًا، ويوجب عليه ذلك أن يُجَدِّدَ صدقَ إسلامه لله تعالى كلَّ وقت، ويرى من نفسه أنها لم تُسَلِّم الإسلام الكامل بعدُ.

المستحلى، زيادةً على مثله من الأغنياء، حتّى إنه رُبما خدمه بنفسه، وأعانه بِحَمْل حاجته؛ جبراً لِقَلْبِهِ، وتقرباً بذلك إلى ربه.

وكان لا يسأم ممّن يستفتيه، أو يسأله، بل يُقبل عليه ببشاشة وجه، ولين عريكة، ويقف معه حتّى يكون هو الذي يفارقه، كبيراً كان أو صغيراً، رجلاً أو امرأة، حراً أو عبداً، عالماً أو عامياً، ولا يجبهه<sup>(١)</sup>، ولا يُخرجه، ولا ينفره بكلامٍ يوحشه، بل يجيبه، ويفهمه، ويعرفه الخطأ من الصواب بلطفٍ وانبساط. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزار (٥٠).




---

(١) أي: لم يستقبله بكلام فيه غلظ وجفاء.

## الهدايا والهبات

\* عن عبد الله بن السَّعْدِيِّ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فِي خِلَافَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَمْ أَحَدِّثْ أَنَّكَ تَلِي مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعُمَالَةَ<sup>(١)</sup> كَرِهْتَهَا؟

فَقُلْتُ: بَلَى.

فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا تَرِيدُ إِلَى ذَلِكَ؟

قُلْتُ: إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبَدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ عُمَرُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أُعْطَانِي مَرَّةً مَا لَا فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أُعْطِيتَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ». صحيح البخاري (٧١٦٣)، صحيح مسلم (١٠٤٥).

قَالَ سَالِمٌ: فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَهُ. صحيح مسلم (١٠٤٥).

\* وكان المختار بن أبي عبيد يرسل إلى عبد الله بن عمر بالمال فيقبله، ويقول:

لا أسأل أحدًا شيئًا، ولا أرد ما رزقني الله تعالى. ابن أبي الدنيا ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١.

\* وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ما آتاك من هذا المال من غير إسراف ولا مسألة فكله وتموله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٤٩.

\* وسئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) عن الرجل يُهدى إليه شيء أفترى أن يقبل؟ فقال: قد «كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويشب عليها»<sup>(١)</sup>، أرى له إن هو قبل أن يُثيب. الآداب الشرعية ١/ ٢٢٣.

\* ويقال: ما ارتضي الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سُلَّت السخائم، ولا دُفعت المغارم، ولا تُوقِّي المحذور، ولا استُميل المهجور، بمثل الهدية والبر. الآداب الشرعية ١/ ٢٢٤.

\* وقال الشاعر:

هدايا الناس بعضهم لبعض	تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوىً وودًا	وتُلْبَسهم إذا حضروا جمالا

الآداب الشرعية ١/ ٢٢٤.



## المدح والثناء

أ- موقف السلف من المدح والثناء<sup>(١)</sup>:

\* عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) قال: المدح الذبح. الزهد لأحمد:

٢٢٦.

\* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إذا أثنت على الرجل بما

فيه في وجهه لم تُزكّه. عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

\* وأثنى رجل على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) في وجهه، وكان قد بلغه أنه يقع

فيه، فقال له علي: أنا دون ما قلت، وفوق ما في نفسك. ابن أبي الدنيا ٧ / ٣٣١.

(١) لا يُلام المسلم على ما يجده من محبة للذكر الحسن، والشهرة في الخير ونفع الناس. ففي صحيح مسلم أنه قيل لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ». فأخبر أن حمد الناس للمؤمن بشارة معجلة في الدنيا، فكيف لا يفرح أحدٌ ببشارة معجلة له في الدنيا؟

وعند الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم بلفظ: «يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ فَيُحِبُّهُ النَّاسُ»، وهذا القيد لا بد منه، فلو عمل أحدٌ عملاً للناس قاصداً الثناء فلا أجر له في ذلك، ولكنه يعمل لنفسه في الأصل، فينتشر ذكره عند الناس فيحمدونه.

وعلامه صدق هؤلاء: أنهم يقبلون التصح والعتاب، ويرجعون إلى الحق والصواب، ولا تضيق صدورهم بقلّة الأتباع والمحبين، ولا يُعجبون بأنفسهم ولا بأعمالهم.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا عمل العمل لله خالصاً ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره ذلك، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ، أنه سُئِلَ عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه، فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن) خرجه مسلم. جامع العلوم والحكم ٢٧ / ٢٧.

\* وعن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من صدر هذه الأمة وكان له فضل أنه كان إذا أثنى عليه أو مدح فسمع قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي ما لا يعلمون. الزهد لأحمد: ٣٦٤.

\* وسمع الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢) رجلاً يقول: ما أبالي أُمِدِّحْتُ أم هُجِّيتُ، فقال الأحنف: اسْتَرَحْتَ مِنْ حَيْثُ تَعِبَ الْكِرَامُ. عيون الأخبار ٤٤١ / ٢.

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: ذَمُّ الرجلِ نَفْسَهُ في العلانية مَدْحٌ لها في السرِّ. عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

\* وكان يقال: مَنْ أَظْهَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ فَقَدْ زَكَّاهَا. <sup>(١)</sup> عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

\* وقال الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٠) لابنه: لا يغرّنك كثرة ثناء الناس من نفسك، فإنه خالص إليك عملك. تهذيب الحلية ١ / ٣١١.

\* وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٩٨): ليس يضر المدح من عرف نفسه. ابن أبي الدنيا ٧ / ٣٣٠.

\* وكان يقال: لا يَغْلِبَنَّ جَهْلُ غَيْرِكَ بِكَ عِلْمَكَ بِنَفْسِكَ. عيون الأخبار ٣١٧ / ١.

\* وقال بعضهم:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعَالِهِ فَمَادِحُهُ يَهْذِي وَإِنْ كَانَ مُفْصِحًا

عيون الأخبار ٣١٩ / ١.

\* والعرب تقول: «لا تَهْرِفْ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ» أي لا تُطَنِّبَنَّ في الثناء قبل الاختبار.

عيون الأخبار ٣ / ١٧١.

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وها هنا نكتة دقيقة وهي: أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يري أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم، ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: كفى بالنفس إطرأ أن تذمها على الملاء، كأنك تريد بذمها زيتها، وذلك عند الله شينها. شرح حديث «ما ذُئِبَ جَائِعَان» ص ٨٨ مجموع رسائله.

\* وعن مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) قال: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَهَبَ يَمْدَحُ  
نَفْسَهُ، ذَهَبَ بِهَاؤُهُ. تهذيب السَّيَر ٢/ ٦٠٩.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: منذ عرفتُ الناسَ لم أفرح بمدحهم، ولم أكره ذمَّهم؛  
لأن حامدهم مُفْرِطٌ، وذامهم مُفْرِطٌ. تهذيب السَّيَر ٢/ ٦٠٩.

\* وكان ابن محيريز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) إذا مُدِّح في وجهه: غضب، يقول: ما  
علمك؟ ما يدريك؟. الزهد لأحمد: ٦٤٥.

\* وقال بعض الشعراء:

لا تحمدنَّ امرأً حتى تجربَه      ولا تذمَّنَّه من غير تجريب  
فحمدك المرء ما لم تبَّله خطأ      وذمُّه بعد حمدٍ شرُّ تكذيب  
أدب الدين (٢٧٣).

\* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٧): سكون النفس إلى المدح،  
وقبول المدح لها، أشد عليها من المعاصي. تهذيب الحِلْيَةِ ٩٥/ ٣.

\* وقال وهب بن منبه (ت: ١١٤) وعوف بن أبي جميلة (ت: ١٤٦) رَحِمَهُمَا اللَّهُ:  
من أخلاق المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم. (١) الزهد لأحمد: ٦١٩.

\* وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا سمعت من يمدحك بما ليس فيك، فلا تأمنه  
أن يذُمَّكَ بما ليس فيك. تهذيب السَّيَر ٢/ ٥٧٩، ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٠.

\* وعن مطرف قال: قال لي مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): ما يقول الناس في؟.  
قلت: أما الصديق فيشني، وأما العدو فيقع.

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: من علامات الزهد في الدنيا، واحتقارها، وقلة الرغبة فيها: أن يستوي  
عند العبد حامده وذامه في الحق؛ فإن من عظمت الدنيا عنده اختار المدح وكره الذم، فربما  
حمّله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم، وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح، فمن  
استوى عنده حامده وذامه في الحق: دلّ على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه، وامتلأه من  
محبة الحق، وما فيه رضا مولاه.. جامع العلوم والحكم / ٣٨٩ - ٣٩٠.



قال: ما زال الناس كذا لهم صديق وعدو، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها. تهذيب الحلية ٢/٣٥٤.

\* وقال رجل لمعاوية بن قررة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٠): إني لأحبك فقال: لم لا تحبني ولست لك بجار ولا قرابة؟<sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ١/٣٩٨.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): ما أحد إلا وله محب ومبغض، فإن كان لا بد من ذلك، فليكن المرء مع أهل طاعة الله عزَّجَلَّ. تهذيب الحلية ٣/١٢٦.

\* وقال الشاعر:

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرَّرٌ وَمُقَصَّرٌ      حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ  
أدب الدين (٣٧٢).

ب- ثناؤهم على من يستحق بلا إطرأ:

\* ترجم الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ لمجموعة من تلاميذه، فأثنى عليهم ثناءً عطرًا، منهم:

١- أبو العباس الحسامي الدميّاطي (٧٠٠-): الإمام، المفيد، الحافظ، محدث مصر.

كتب، وألف، وخرّج، وتميَّز، وصار من أعيان الطلبة، خرّج لجماعة، قدم علينا عام أربعين، واستفدنا منه، وظهرت معرفته، وحسن مشاركته، خرجت له جزءا، سمع مني وسمعت منه.

٢- الحافظ ابن كثير (٧٠٢-٧٧٤): الإمام، الفقيه، المحدث، الأوحد، البارع، فقيه متقن، ومتحدث متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة، يدري الفقه، ويفهم العربية والأصول.

(١) قصده بذلك: أنك لم تر عيوبي حيث لم تكن جارًا لي ولا قريبًا لي. فالجار في الغالب يعرف جاره ويدخله ويعرف من حاله ما لا يعرفه غيره، وكذلك القريب.

٣- صلاح الدين الصَّفديّ (٦٩٩-٧٦٤): الإمام، العادل، الأديب، البليغ، الأكمل، وجمع وصنف، والله يمدّه بتوفيقه، سمع مني وسمعت منه، له توالييف، وكتب، وبلاغة.

٤- خليل بن كليدي (٦٩٤-٧٦١) الإمام، الحافظ، الفقيه، البارع، المفتي، وحفظ كتباً، وقرأ، وأفاد، وانتقى، ونظر في الرجال والعلل وتقدم في هذا الشأن، مع صحة الذهن وسرعة الفهم.

٥- عبد العزيز بن محمد بن جماعة (٦٩٤-٧٦٠): الإمام، المفتي، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام.

وقدم علينا بولده طالب حديث، فقرأ الكثير، وسمع وعني بهذا الشأن. وكان خيراً، صالحاً، حسن الأخلاق، كثير الفضائل. سمعت منه وسمع مني، والله يحسن إليه بمنه.

٦- عبد القادر بن محمد (٧١٧-): الشيخ، الفقيه، المحدث، العالم، علقت عنه فوائد.

٧- محمد بن عبد البر (٧٠٧-٧٧٧): القاضي العلامة بهاء الدين أبو البقاء السبكي.

إمام، متبحر، مناظر، بصير بالعلم، محكم للعربية وغيرها، مع الدين والتقوى والتصوف.<sup>(١)</sup> المعجم المختص بالمحدثين (١٤، ٧٥، ٩١، ٩٢، ١٤٧، ١٤٩، ٢٣٧). \* وقال بعض الحكماء: إذا قصرت يدك عن المكافأة؛ فليطل لسانك بالشكر.

المجالسة وجواهر العلم (١٢١).

(١) وأثنى على كثير من طلابه وأقرانه، فضلاً عن شيوخه رَحْمَةُ اللَّهِ.

فانظر وتأمل كيف يفيض بالثناء العجيب على تلاميذه، الذين يكبرهم بأكثر من عشرين عاماً، وتجد بعض الناس ييخل بكلمة ثناء على أقرانه، أو طلابه الذين يكبرهم بسنوات قليلة، والقلب إذا سلم من الحسد والكبر وحظوظ النفس كرم اللسان وجاد بالثناء والمدح والشكر، وأذاع محاسن الآخرين، ولهج بذكر فضائلهم، وأحجم عن معائبهم.

## الغيرة والعفة<sup>(١)</sup>

\* عن أبي عبد الله محمد بن أحمد القاضي قال: حضرت مجلس موسى بن إسحاق القاضي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٧) بالري سنة ست وثمانين ومائتين، فتقدمت امرأة فادعى عليها زوجها خمسمائة دينار مهرًا، فأنكر، فقال القاضي: شهودك، قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي! فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أن لها عليّ هذا المهر الذي تدعيه ولا يسفر عن وجهها، فأخبرت المرأة بما كان من زوجها، فقالت: فإني أشهد القاضي أي قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة! فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق. شعب الإيمان (١٠٣١٣).

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ - في حق من لا يغار إذا انتهكت محارم الله، ولا يغضب لله، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يجاهد في سبيل الله -: فهذا فاسق مارق، بل كافر وإن أظهر الإسلام فهو منافق، وإن كان له نصيب من الزهد والعبادة ما كان فيه. ومعلوم أن المؤمن لا يخلو من ذلك بالكلية، ومن خلا من ذلك بالكلية فهو منافق محض، وكافر صريح، إذ المؤمن لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولا بد أن يترأ من الإشراك بالله وأعداء الله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ۖ﴾ [الممتحنة: ٤] الاستقامة: ٣٥٠.

## التأني والتروي، والرفق، وذم العجلة

\* شهد أعرابي عند معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): بشيء كرهه، فقال له معاوية: كذبت، فقال الأعرابي: الكاذب والله متزمل في ثيابك. فقال معاوية وتبسم: هذا جزاء من عجل. الكامل في اللغة / ٢٧٧.

\* ومن أمثال العرب: رب عجلة تهب ريثا.<sup>(١)</sup> الكامل في اللغة / ١٨٤.

\* وكان يقال: أناة في عواقبها دَرَكٌ، خير من معاجلة في عواقبها فَوْت. عيون الأخبار ٧٥ / ١.

\* وقال حاتم الأصم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٧): كان يقال: العجلة من الشيطان إلا في خمس، إطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب. تهذيب الحلية ٥٠٩ / ٢.

\* وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩١): «الْعَجَلَةُ تَمْنَعُ مِنْ إِصَابَةِ الْحَقِّ». شعب الإيمان (٦٤٧٧).

\* وعن عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: مكتوب في الحكمة: الرفق رأس الحكمة. الزهد لوكيع (٤٥٨).

(١) يُضْرَبُ مَثَلًا لِلرَّجُلِ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَلَا يَحْكُمُهُ لِلْإِسْتِعْجَالِ بِهِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعُودَ فَيَنْقِضَهُ ثُمَّ يَسْتَأْنَفُ، وَالرِّيثُ الْإِبْطَاءُ وَالتَّأَخُّرُ. الكامل في اللغة / ١٨٤

## الزهد وذم الدنيا<sup>(١)</sup>

أ- فضل الزهد:

\* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات. ابن أبي الدنيا ٢ / ٩٢.

\* وقال أبو واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): تابعنا الأعمال ولم نجد شيئاً أبلغ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا. الزهد لوكيع (٢)، الزهد لأبي داود (٣٢٢).  
\* وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) يقول: الحمد لله الذي جعل مفر الأغنياء إلينا عند الموت، ولا نحب أن نفر إليهم عند الموت، إن أحدهم ليقول: ليتني صعلوك من صعاليك المهاجرين. الزهد لابن المبارك (٦١٣).

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن الذمّ الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس هو رجوعاً إلى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة، فإن الله تعالى جعلهما خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.....

وليس الذم راجعاً إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهاداً ومسكنًا، ولا إلى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنبت فيها من الزرع والشجر، ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك، فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته، وإنما الذمّ راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا، لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته، بل يقع على ما تضرّ عاقبته، أو لا تنفع كما قال عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُحْمٌ وَأَعْيُنٌ وَزِينَةٌ وَفَخْخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَسْجُ فَرَّةًهُ مُصْفَرًّا﴾

\* وقال محمد ابن الحنفية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٠): من كرمَت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قَدْر. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٥.

\* وقال رجل لمحمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): أوصني قال: أوصيك أن تكون ملكًا في الدنيا والآخرة قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا. تهذيب السَّير ٢/ ٦٣٨.

\* وقال ابن السَّمَّاء رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٣): الدُّنيا كلها قليلٌ، والذي بقي منها قليلٌ، والذي لك من الباقي قليلٌ، ولم يبقَ من قليلِك إلا قليلٌ<sup>(١)</sup>.  
وقد أصحبتَ في دار العزاء، وغدًا تصير إلى دار الجزاء، فاشترِ نفسك لعلَّك تنجو. تهذيب السَّير ٢/ ٧٦٢.

(١) لو قارن العاقل حياته الدنيويَّة بالحياة البرزخية لعلم أنه مغبونٌ ظالمٌ لنفسه إن سَخَّرَ اهتماماته في تحصيل لذائذه الدنيويَّة فحسب.

وحياته الدنيويَّة الحقيقية ليست هي كلُّ عمره، فلو فرضنا رجلًا عُمِّرَ ثمانين سنة، فإن معدل عمره الحقيقي ما بين (١٥ - ٢٠) سنةً، وتفصيل ذلك: أننا لن نحسب (١٥) عامًا من عمره؛ لأنه زمن لا يُكَلَّف فيه غالبًا، والناس كلهم متشابهون في قضاء أوقات هذا العمر.

وسيقضي ثلث عمره نائمًا، إضافة إلى جزء من يومه يخلد فيه إلى الراحة بعد عناء التعب والإرهاق من العمل، أي حوالي (٢٥) سنة، وهذه الأوقات لا تُحسب عمره - في الأغلب الأعم -؛ لأنَّ النوم أخو الموت، ويشترك الناس فيها. فبقي من عمره (٤٠) عامًا.

وسيقضي أكثر من نصف عمره المتبقي في العمل، والسفر، والتنقل، وفي أكله وشربه، وقضاء حاجته.

فغالب الناس يعملون من الصباح إلى الظهر، وفترة الظهر يقضونها في الأكل والراحة والنوم. فبقي من عمره الحقيقي في أعلى تقدير: (٢٠) عامًا.

فهل يليق بعاقلٍ أن يُفني هذا العمر القصير في اللهو واللعب، وفعلِ الحرام، وهو يعلم أنَّ ضياعه يعني خسارته في الآخرة وندامته الشديدة؟ وهل يُقدِّم التمتع في هذا العمر القصير، ويخسر الحياة الباقية التي لا حدَّ لها ولا عدَّ؟

\* وعن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): حرامٌ على قلوبكم أن تُصيبَ حلاوةَ الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا. تهذيب السَّير ٧٧٧/٢.

\* وعن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١) قال: إذا زهد العبد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها. تهذيب الحلية ٣٧٢/٢.

ب- معنى الزهد، وأنواعه، وبيان أخطاء بعض الناس في الزهد: <sup>(١)</sup>

\* قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١): ليس الزُّهْدُ بِأَكْلِ الْعَلِيْظِ، وَلبس الخشن، ولكنه قِصْرُ الْأَمَلِ، وارتقَابُ الموت. تهذيب السَّير ٦٩٦/٢.

\* وقيل له رَحِمَهُ اللهُ: أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال؟ قال: نعم! إن كان إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. <sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ٣٧١/٢.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: يَفْعُ الْغَلَطُ فِي الزُّهْدِ مِنْ وُجُوهِ كَمَا وَقَعَ فِي الْوَرَعِ: أَحَدُهَا: أَنْ قَوْمًا زَهَدُوا فِيمَا يَنْفَعُهُمْ بِلَا مَضَرَّةٍ، فَوَقَعُوا بِهِ فِي تَرْكِ وَاجِبَاتٍ أَوْ مُسْتَحَبَّاتٍ، كَمَنْ تَرَكَ النَّسَاءَ وَاللَّحْمَ وَنَحْوَ ذَلِكَ..

وَالثَّانِي: أَنْ زُهِدَ هَذَا أَوْفَعَهُ فِي فِعْلِ مَحْظُورَاتٍ، كَمَنْ تَرَكَ تَنَاوُلَ مَا أُبِيحَ لَهُ مِنَ الْمَالِ وَالْمَنْفَعَةِ وَاحْتِاجَ إِلَى ذَلِكَ فَأَخَذَهُ مِنْ حَرَامٍ، أَوْ سَأَلَ النَّاسَ الْمَسْأَلَةَ الْمُحَرَّمََةَ، أَوْ اسْتَشْرَفَ إِلَيْهِمْ، وَالْإِسْتِشْرَافُ مَكْرُوهٌ.

وَالثَّلَاثُ: مَنْ زَهَدَ زُهْدَ الْكَسَلِ وَالْبَطَالَةِ وَالرَّاحَةِ، لَا لَطَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ زَاهِدًا بَطُلًا فَسَدَ أَغْظَمَ فَسَادٍ، فَهُوَ لَا يَلْزَمُ الدُّنْيَا وَلَا الْآخِرَةَ. مجموع الفتاوى (١٥٠/٢٠).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: الزُّهْدُ لَا يَدُلُّ عَلَى صَلَاحٍ، فَإِنَّ بَعْضَ الرِّهْبَانِ قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الزُّهْدِ مَا لَا يَطِيقُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. البداية والنهاية ١٤١/١٠.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الأصل هو قطع علائق الباطن، فمتى قطعها لم تضره علائق الظاهر. فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك: لم يضررك ولو كثر، ومتى كان في قلبك: ضررك ولو لم يكن في يدك منه شيء.

وإنما يحمد قطع العلائق الظاهرة في موضعين: حيث يخاف منها ضرراً في دينه أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجحة. اهـ. بتصرف. مدارج السالكين ٥٨/٢

وقال رَحِمَهُ اللهُ: سمعت شيخ الإسلام يقول: الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما =

\* وقال أيوب السخيتاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء؛ أحبها إلى الله وأعلاها عند الله وأعظمها ثواباً عند الله تعالى، الزهد في عبادة من عبد دون الله من كل ملك، وصنم، وحجر، ووثن.

ثم الزهد فيما حرم الله تعالى من الأخذ والإعطاء.

ثم يقبل على القراءة فيقول: زهدكم هذا يا معشر القراء فهو والله أخسه عند الله؛ الزهد في حلالا الله عَزَّجَلَّ. تهذيب الحلية ١ / ٤٣٢.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن زهد رجل فلا يجعلن زهده عذاباً على الناس. ابن أبي الدنيا ١٩١ / ٥.

\* وسأل رجل ربيعة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦) فقال: يا أبا عثمان ما رأس الزهادة؟ قال: جمع الأشياء من حلها، ووضعها في حقها. الزهد لابن أبي الدنيا ١٢٩ / ٢، تهذيب الحلية ١ / ٥٣٣.

\* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قلت لأبي حازم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠) يوماً: إني لأجد شيئاً يحزنني قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حبي الدنيا. فقال لي: اعلم يا ابن أخي أن هذا الشيء ما أعاتب نفسي على حب شيء حبه الله تعالى إلي؛ لأن الله عَزَّجَلَّ قد حب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا

= يخاف ضرره في الآخرة..

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداد عَالِيَهُمَا السَّلَام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة، وكان عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَنْهُمْ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وكذلك كان ابن المبارك والليث بن سعد. اهـ بتصرف. مدارج السالكين ١٧٨ / ٢ - ١٨٢

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في مسألة: ما الأفضل: الزهد فيما أباحه الله من هذه النعم أم التزود بها واستعمالها، قال: التحقيق: أنه إن شغلته هذه النعم عن الله فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله عن الله وكان شاكر الله فيها: فحاله أفضل، والزهد فيها: تجريد القلب عن التعلق بها والطمأنينة إليها. مدارج السالكين ١٨٤ / ٢.



أنفسنا في غير هذا، أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئاً من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً من شيء أحبه الله، فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها. تهذيب الحلية ٥٢٧ / ١.

\* وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤): متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

\* وقال يحيى بن معاذ الرازي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٨): كيف لا أحبّ دنيا قدّر لي فيها قوتٌ، أكتسب بها حياةً، أدركُ بها طاعةً أنالُ بها الآخرة. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

\* وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه ضيّع لئاليه، وكان زاده منها إلى النار. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

\* وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨): ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لا بد منه. تهذيب الحلية ٤٢٧ / ٢.

\* وقيل له: أي شيء الزهد في الدنيا؟.

قال: من إذا أنعم الله عليه بنعمة فشكرها، وابتلي ببلية فصبر، فذلك الزهد.

قيل له: فإن أنعم عليه بنعمة فشكر، وابتلي فصبر وهو ممسك للنعمة، كيف يكون زاهداً؟.

قال: من لم تمنعه البلوى من الصبر والنعمة من الشكر فذلك الزاهد. تهذيب الحلية ٤٢٧ / ٢.

\* وسئل ابن عيينة رَحِمَهُ اللهُ عن الزهد ما هو؟ قال: الزهد فيما حرم الله، فأما ما

أحل الله فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا وركبوا وأكلوا، ولكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه وكانوا به زهاداً.<sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٤٤١ / ٢.

\* وقيل لأبي صفوان الرعيني رَحِمَهُ اللهُ - وكان سفيان بن عيينة يجيء فيسلم عليه ويقف عليه - : ما الدنيا التي ذمها الله عَزَّجَلَّ في القرآن التي ينبغي للعاقل أن يجتنبها؟ قال: كل ما أصبت من الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها. ابن أبي الدنيا ١٨٥ / ٥، جامع العلوم والحكم / ٣٩٦.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): اختلفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس، ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع، وكلامهم قريب بعضه من بعض، قال: وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله عَزَّجَلَّ.<sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ١٨٣ / ٣.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: لا تشهد لأحد بالزهد، فإن الزهد في القلب. جامع العلوم والحكم / ٣٨٩.

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: ومن تلبسه عليهم: أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات، فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير، ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى يبيس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد، وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم، وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً فإذا وجدوا أكلوا، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فإن الماء الجاري يؤدي المعدة ولا يروي..

وينبغي للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود، فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط في تناول الشهوات فإن ذلك يؤدي البدن والدين. تلبس إبليس: ١٧١.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وهذا الذي قال أبو سليمان حسن، وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه. جامع العلوم والحكم / ٣٩٢.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح فيها، إنما الزاهد من ألقى غمها وتعب فيها لآخرته. تهذيب الحلية ١٩٤ / ٣.

\* وسئل فضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): ما الزهد في الدنيا؟ قال: القُنوع هو الزهد، وهو الغنى. ابن أبي الدنيا ١٣٧ / ٥.

\* وقال يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٩): الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.<sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٥٧ / ٣.

\* وجاء رجل إلى وهيب بن الورد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٠)، فجعل كأنه يذكر الزهد، فأقبل عليه وهيب فقال: لا تحمل سعة الإسلام على ضيقة صدرك. تهذيب الحلية ٣٥ / ٣.

\* وقال عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١): الزاهد الذي إذا أصاب الدنيا لم يفرح، وإذا فاتته لم يحزن. ترتيب المدارك (١ / ٣٣٨).

\* وقال ابن القاسم رَحِمَهُ اللهُ: مات مالك بن أنس (ت: ١٧٩) عن مائة عمامة، فضلاً عن سواها.

وقال ابن أبي أويس رَحِمَهُ اللهُ: جميع ما في منزله يوم مات من منصات وبرادع وبُسط ومخادد محشوة بريش وغير ذلك، بنيّف على خمسمائة دينار.

قال محمد بن عيسى بن خلف رَحِمَهُ اللهُ: خلف مالك رَحِمَهُ اللهُ خمسمائة زوج من النعل، وقد انتهى يوماً كساء قومسيّاً<sup>(٢)</sup>، فما بات إلا وعنده منه سبعة بُعثت إليه.

(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إن للرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة القهوة بكثير، ومحال أن يرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه، ولهذا أمر الله تعالى أكرم خلقه عليه بمخاطبة رئيس القبط بالخطاب اللين، فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعاً وعقلاً وعرفاً. بدائع الفوائد: ٣ / ١٣٢.

(٢) القومسي: نسبة إلى قومس، وهي مدينة كبيرة واسعة في ذيل جبال طبرستان. معجم البلدان ٤ / ٤١٤.

فاجتمع في تركته ثلاثة آلاف وثلاثمائة ونيّف. <sup>(١)</sup> ترتيب المدارك (١/ ٢٤٧).

(١) الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون والعلماء والصالحون ينقسمون إلى

قسمين:

قسم لا يرون بأساً في انبساط الدنيا عليهم، بل إنّ بعضهم يسعى في التجارة واكتساب المال والمتاع الحلال كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن المبارك والليث بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبعضهم يقبل هبات وعطايا الحكام، كالإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره. وهؤلاء يرون التوسعة على أنفسهم وأهلهم وأكل الطيب من الطعام والشراب ولبس حسن الثياب.

وقسم يرون في ذلك بأساً وحرّجاً، ويرون التضييق على أنفسهم والتقشف والزهد في كثير من الحلال.

ويقنعون بأقل القليل من الدنيا والطعام والشراب والمتاع والمسكن. ومنهم من لا يقبل هبات وعطايا الحكام، كالفضيل بن عياض وسفيان الثوري وبشر الحافي والإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد اختلفوا في سياساتهم للحياة، وتعددت آراؤهم في التعامل مع النفس والناس، كاعتزال الحكام والدخول عليهم، ولزوم بعض العبادات أكثر من غيرها، ولازال الصالحون على هذا الاختلاف إلى يومنا هذا.

ومن المصيب منهم؟

كلهم مصيب في ذلك؛ لأنّ كلّ واحد منهم أخذ بما هو الأصح أو الأصلح له ديانةً أو دنيا. ولكنهم اتفقوا على شيء واحد، وهو طلب رضا الله تعالى، والصدق والإخلاص في العلم والعمل والدعوة إليه.

وقد ذكر العلامة ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الزهد ليس برفض الدنيا من الملك، بل رفضها من تعلق القلب بها، وتقديم محبتها على محاب الله، وعلامة ذلك: أنه لو تعارض شيء منها مع أوامر الله: تُقدّم أوامر الله عليها وعلى كل شيء.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مدارج السالكين عند منزلة الزهد: فقد كان سليمان وداود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة، وكان عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزيبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وكذلك كان ابن المبارك والليث بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وما الأفضل: الزهد فيما أباحه الله من هذه النعم أم التزود بها واستعمالها؟ قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التحقيق: أنه إن شغلته هذه النعم عن الله فالزهد فيها أفضل، وإن لم تشغله =

\* وسئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): ما الزهد في الدنيا؟.

قَالَ: قصر الأمل، والإياس مما في أيدي الناس. طبقات الحنابلة (١/ ٨٢).

\* وقيل لأبي الحسين بن سمعون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٨٧): أيها الشيخ تدعو الناس إلى الزهد في الدنيا، والترك لها، وتلبس أحسن الثياب، وتأكل أطيب الطعام، فكيف هذا؟.

فَقَالَ: كُلُّ ما يُصْلِحُكَ اللهُ فافعله، إِذَا صَلَحَ حَالُكَ مَعَ اللهِ بلبس لَيِّنِ الثياب وأكل طَيِّبِ الطعام فلا يُضُرُّكَ. <sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (٣/ ٢٧٩).

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): إِنْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَصَاغَرَتْ إِلَيْهَا الدنيا، أَوْ دَعَتْكَ إِلَى الزَّهَادَةِ فِيهَا عَلَى حَالٍ تَعَذَّرَ مِنْهَا عَلَيْكَ، فَلَا يَغْرَنُكَ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِزَهَادَةٍ، وَلَكِنَّهَا ضَجْرٌ، وَاسْتِخْذَاءٌ <sup>(٢)</sup>، وَتَغْيِيرُ نَفْسٍ عِنْدَمَا أَعْجَزَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَغَضَبٌ مِنْكَ عَلَيْهَا مِمَّا أَلْتَوَى <sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ مِنْهَا.

وَلَوْ تَمَمَّتْ <sup>(٤)</sup> عَلَى رَفْضِهَا، وَأَمْسَكَتَ عَنْ طَلِبِهَا: أَوْشَكَتَ أَنْ تَرَى مِنْ نَفْسِكَ مِنَ الضَّجْرِ وَالْجَزَعِ أَشَدَّ مِنْ ضَجْرِكَ الْأَوَّلِ بِأَضْعَافٍ.

وَلَكِنْ إِذَا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى رَفْضِ الدُّنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ عَلَيْكَ: فَاسْرِعْ إِلَى إِبْجَابَتِهَا. الأدب الكبير (١٢٣).

---

= عن الله وكان شاكرًا لله فيها: فحاله أفضل، والزهد فيها: تجريد القلب عن التعلق بها والطمأنينة إليها. أ. هـ.

(١) صدق رَحِمَهُ اللهُ، وهذا هو الصحيح في فهم معنى الزهد، فالمعنى الحقيقي للزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، وتجريد القلب عن التعلق بالدنيا والطمأنينة والركون إليها.

(٢) أي: خُضُوعٌ، وَذُلٌّ، وَانْقِيَادٌ.

(٣) أي: صعب عليك الوصول إليه.

(٤) أي: أَمْضِيَتْ وَأَنْفَذَتْ.

## ج- ذم الركون إلى الدنيا والفرح بمتاعها<sup>(١)</sup>:

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عدة أمثلة تبين حقيقة الدنيا، أكتفي بأربعة أمثلة:

١- رجل هياً داراً وزينها ووضع فيها من جميع الآلات ودعا الناس إليها: فكلما دخل داخل أجلسه على فراش وثير وقدم إليه طبقاً من ذهب عليه لحم، ووضع بين يديه أوان مفتخرة فيها من كل ما يحتاج إليه وأخدمه عبيده فاستمتع بتلك الآلات والضيافة مدة مقامه في الدار، ولم يعلق قلبه بها ولا حدث نفسه بتملكها، بل اعتمد مع صاحب الدار ما يعتمد الضيف يجلس حيث أجلسه، ويأكل ما قدمه له ولا يسأل عما وراء ذلك اكتفاء منه بعلم صاحب الدار وكرمه وما يفعله مع ضيوفه، فدخل الدار كريماً وتمتع فيه كريماً وفارقها كريماً، ورب الدار غير ذام له. وأما الأحق، فحدث نفسه بسكني الدار وحوز تلك الآلات إلى ملكه وتصرفه فيها بحسب شهوته وإرادته، فتخير المجلس لنفسه وجعل ينقل تلك الآلات إلى مكان في الدار يخبئها فيه، وكلما قدم إليه ربه شيئاً أو آلة حدث نفسه بملكه واختصاصه به عن سائر الأضياف، ورب الدار يشاهد ما يصنع وكرمه يمنعه من إخراجها من داره حتى إذا ظن أنه قد استبد بتلك الآلات وملك الدار وتصرف فيها وفي آلتها تصرف المالك الحقيقي واستوطنها واتخذها داراً له أرسل إليه مالكة عبيده فأخرجوه منها إخراجاً عنيفاً وسلبوه كل ما هو فيه ولم يصحبه من تلك الآلات شيء وحصل على مقت رب الدار له وافترضه عنده وبين ممالিকে وحشمه وخدمه.

فليتأمل اللبيب هذا المثل حق التأمل، فإنه مطابق للحقيقة، والله المستعان.

٢- قوم سلكوا مفازة فاجأهم العطش فانتبهوا إلى البحر وماؤه أمر شيء وأملحه فلشدة عطشهم لم يجدوا طعم مرارته وملوحته فشربوا منه فلم يرووا، وجعلوا كلما ازدادوا شرباً ازدادوا ظمأً حتى تقطعت أمعاؤهم وماتوا عطشاً، وعلم عقلاؤهم أنه مر مالح وأنه كلما ازداد الشارب منه ازداد ظمؤه فتباعدهوا عنه مسافة حتى وجدوا أرضاً حلوة فحفروا فيها قليلاً فنبع لهم ماء عذب فرات فشربوا وعجنوا وطبخوا ونادوا إخوانهم الذين على حافة البحر: هلموا إلى الماء الفرات، وكان منهم المستهزئ، ومنهم المعرض الراضي بما هو فيه، وكان المجيب واحداً بعد واحد. وهذا المثل بعينه قد ضربه المسيح عَلَيْهِ السَّلَام فقال: (مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله).

٣- مثل الإنسان ومثل ماله وعشيرته وعمله مثل رجل له ثلاثة إخوة فقضى له سفر بعيد طويل لا بد له منه، فدعا إخوته الثلاثة وقال: قد حضر ما ترون من هذا السفر الطويل وأحوج ما كنت إليكم الآن، فقال أحدهم: أنا كنت أخاك إلى هذه الحال، ومن الآن فلست بأخ ولا صاحب وما عندي غير هذا، فقال له: لم تغن عني شيئاً، فقال للآخر: ما عندك؟ فقال: كنت أخاك وصاحبك إلى الآن وأنا معك حتى أجهزك إلى سفرك وتركب راحلتك ومن هنالك لست لك بصاحب، =

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): يا معشر المهاجرين، لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا، فإنه مسخطة للرزق. ابن أبي الدنيا ٩٣/٤.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٢٥/٥.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن. ابن أبي الدنيا ٨٧/٥.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من أراد الآخرة أَضَرَّ بالدُّنيا، ومن أراد الدنيا أَضَرَّ بالآخرة، فَأَضِرُّوا بالفاني للباقي. الزهد لهناد (٦٦٤)، الزهد لوكيع (٧٠).

\* وقيل لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): يا أبا الحسن صف لنا الدنيا؟

= فقال له: أنا محتاج إلى مرافقتك في مسيري، فقال: ما عندك أنت؟ فقال: كنت صاحبك في صحتك ومرضك وأنا صاحبك الآن وصاحبك إذا ركبت راحلتك وصاحبك في مسيرك فإن سرت سرت معك وإن نزلت نزلت معك وإذا وصلت إلى بلدك كنت صاحبك فيها لا أفارقك أبداً، فقال: إن كنت لأهون الأصحاب علي وكنت أؤثر عليك صاحبك فليتنى عرفت حقك وآثرتك عليهما.

فالأول: ماله، والثاني: أقرابه وعشيرته وأصحابه، والثالث: عمله.

٤- وهو من أحسن الأمثلة: ملك بنى دارا لم ير الراؤون ولم يسمع السامعون أحسن ولا أوسع ولا أجمع لكل ملاذ النفوس منها، ونصب إليها طريقاً وبعث داعياً يدعو الناس إليها وأقعد على الطريق امرأة جميلة قد زينت بأنواع الزينة وألبست أنواع الحلبي والحلل، وممر الناس كلهم عليها، وجعل لها أعواناً وخدماء، وجعل تحت يدها ويد أعوانها زاداً للمارين السائرين إلى الملك في تلك الطريق، وقال لها ولأعوانها: من غرض طرفه عنك ولم يشتغل بك عني وابتغى منك زاداً يوصله إلي فاخدميه وزوديه ولا تعوقيه عن سفره إلي، بل أعينه بكل ما يبلغه في سفره، ومن مد إليك عينيه ورضى بك وآثرك على وطلب وصالك فسوميه سوء العذاب وأوليه غاية الهوان، واستخدميه واجعليه يركض خلفك ركض الوحش، ومن يأكل منك فاخدميه به قليلاً ثم استرده منه واسلبه إياه كله وسلطي عليه أتباعك وعبيدك، وكلما بالغ في محبتك وتعظيمك وإكرامك فقابليه بأمثاله، قلى وإهانةً وهجراً، حتى تتقطع نفسه عليك حسرات. عدة الصابرين/ ٢٧٦-٢٧٧.

(١) أي كوثبته من مكانه، يريد تقليل مدتها.

قال: أطيل أم أقصر؟ قالوا: بل أقصر قال: حلالها حساب، وحرامها النار. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٦.

\* وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): ما من أحد إلا وفي عقله نقص عن علمه وحلمه، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة في مال، ظل فرحًا مسرورًا، والليل والنهار دائبان في هدم عمره، ثم لا يُحْزِنُهُ<sup>(١)</sup> ذَلِكَ، ضل ضلاله، ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص؟. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٣.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنون أنهم مثلنا عند الموت، ولا نتمنى أننا مثلهم عند الموت، ما أنصفنا إخواننا الأغنياء: يحبونا على الدين، ويعادونا على الدنيا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥١٤.

\* وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: لا يصيب عبدٌ شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عَرَجَلٌ، وإن كان عليه كريماً. الزهد لابن أبي الدنيا: ٢٩٧.

\* وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: مررت مع عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخربة فقال: يا مجاهد، ناده: يا خربة، أين أهلك؟ قال: فناديت، فقال ابن عمر: ذهبوا، وبقيت أعمالهم. الزهد لابن المبارك (٥٩٣).

\* وقال الشاعر:

يُؤَمِّلُ دُنْيَا لَتَبْقَى لَهُ      فَمَاتَ الْمُؤَمِّلُ قَبْلَ الْأَمَلِ  
يُرَبِّي فُسَيْلًا وَيُعْنَى بِهِ      فَعَاشَ الْفُسَيْلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ

\* وقال الآخر:

وَكَمْ نَائِمٍ نَامَ فِي غِبْطَةٍ      أَتَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي نَوْمِهِ

(١) في الأصل: يجزيه، والصواب المثبت.



وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ عَلَى لَذَّةٍ      دَهَتْهُ الْحَوَادِثُ فِي لَذَّتِهِ  
وَكُلُّ جَدِيدٍ عَلَى ظَهَرِهَا      سَيَأْتِي الزَّمَانُ عَلَى جِدَّتِهِ  
\* وقال الآخر:

هي الدُّنْيَا تُعَذِّبُ مَنْ هَوَاهَا      وَتُورِثُ قَلْبَهُ حُزْنًا وَدَاءً  
المجالسة وجواهر العلم (٦٨).

\* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): يُوْتَى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية، مشوهة خلقها، فتشرف على الخلائق، فيقال: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم، واغتررتم، ثم تقذف في جهنم، فتنادي: أي رب أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عَزَّجَلَّ: أَلْحِقُوا بها أتباعها وأشياعها. ابن أبي الدنيا ٥ / ٧٢.

\* وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: جاء ملك الموت إلى نوح، فقال: يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها؟ قال: كرجل دخل بيتا له بابان، فقام وسط البيت هُتِيَّةً، ثم خرج من الباب الآخر. ابن أبي الدنيا ٥ / ١١٧.

\* ولما كبر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) خرجت له قرحة في ظهره، فكان إذا لبس دثارا ثقيلا - والشام أرض باردة - أثقله ذلك وغمَّه، فقال: اصنعوا لي دثارا خفيفا دفيئا، فصُنع له، فلما ألقى عليه تسار إليه ساعة ثم غمَّه، فقال: جافوه عني، ثم لبسه، ثم غمَّه، فألقاه، ففعل ذلك مرارا، ثم قال: قبحك الله من دار! ملكتك أربعين سنة؛ عشرين خليفة، وعشرين أميرا، ثم صيرتني إلى ما أرى؟! قبحك الله من دار. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٧٢.

\* وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥): إِنَّ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَانِي فَأَجَبْتُهُ،

فَقَالَ: «أَتَرَى أَحَدًا؟» فَقُلْتُ: أَرَاهُ، فَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي مِثْلَهُ ذَهَبًا أَنْفَقُهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرٍ».

قال أبو ذر: ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا، لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا.

فَقِيلَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْعَطَاءِ؟

قَالَ: خُذْهُ؛ فَإِنَّ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةً، فَإِذَا كَانَ ثَمَنًا لِدِينِكَ فَدَعُهُ. صحيح مسلم (٩٩٢).

\* وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: مَا يُنْتَظَرُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا كُلُّ مُحْزَنٍ أَوْ فِتْنَةٍ تُنْتَظَرُ. الزهد لوكيع (٦٦).

\* وقال عمرو بن حريث رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٥) وغيره: إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَصْحَابِ الصُّفَّةِ<sup>(١)</sup>: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشور: ٢٧]، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَوْ أَنَّ لَنَا الدُّنْيَا، فَتَمَنَّا الدُّنْيَا.<sup>(٢)</sup> الزهد لابن المبارك (٥٠٩).

\* وَكَتَبَ زُرَّابُ بْنُ حَبِيشٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٣) إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كِتَابًا يَعِظُهُ فِيهِ، وَكَانَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ:

وَلَا يُطْمَعُنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَوْلِ الْحَيَاةِ مَا يَظْهَرُ مِنْ صِحَّةِ بَدَنِكَ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ، وَادْكُرْ مَا تَكَلَّمُ بِهِ الْأَوَّلُونَ:

إِذَا الرِّجَالُ وُلِدَتْ أَوْ لَادَهَا      وَبَلَّيْتُ مِنْ كِبَرِ أَجْسَادِهَا  
وَجَعَلْتُ أَسْقَامَهَا تَعْتَادَهَا      تِلْكَ زُرْعٌ قَدْ دَنَا حَصَادَهَا

فلما قرأ عبد الملك الكتاب، بكى حتى بل طرف ثوبه، ثم قال: صدق زر،

(١) الصفة: موضع في مؤخر مسجد النبي ﷺ، كان يأوي إليه من فقراء أصحاب النبي ﷺ الذين ليس لهم أهل ولا مكان يأوون إليه، فسموا أهل الصفة.

(٢) فيأياك أن تسأل الله أن يبسط لك الدنيا، وأن يُكثر مالك، وربما طغيت وبغيت، كما هو حال أكثر من بسط الله له الدنيا، واسأل الله رزقا يكفيك، وأن يبارك لك فيه.

ولو كتب إلينا بغير هذا لكان أرفق. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٣.

\* وقال أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠): عجباً لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كلَّ يومٍ مرحلة، ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كلَّ يومٍ مرحلة!.. صفة الصفة ٢/ ٤٩٤.

\* وكان يُقال: مثل الذي يريد أن تجتمع له الدنيا والآخرة كمثل عبد له ربَّان، لا يدري أيهما يرضي. الزهد لهناد (٦٦٢).

\* وكان عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية (ت: ٨٩) خِلاً لعبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللهُ، فلما مات عبد الملك وتصدع الناس عن قبره، وقف<sup>(١)</sup> عليه، فقال له: أنت عبد الملك الذي كنت تعدني فأرجوك، وتوعدني فأخافك؟ أصبحت وليس معك من مُلكك غير ثوبك، وليس لك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين!. ثم انكفاً إلى أهله، واجتهد في العبادة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٧٣.

\* وكان بشير بن كعب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨١) يقول: انطلقوا حتى أريكم الدنيا!، فيجيء بهم إلى السوق -وهي يومئذ مزبلة- فيقول: انظروا إلى دجاجهم، وبطهم، وثمارهم. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٦٧.

\* وقال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠): كم بينكم وبين القوم؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها، وأدبرت عنكم فاتبعتموها. الزهد لابن المبارك (٥٠٦).  
\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): فرحك بالدنيا يذهب بحلاوة العبادة، وهمك بالدنيا يذهب بالعبادة كلها.<sup>(٢)</sup> ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٦٤.

(١) في المطبوع: قل، ولعله خطأ مطبعي.

(٢) وإذا كان المريض ينظر إلى طيّب الطعام فلا يشتهي من شدة الوجع، ولو أكله ما تلذّذ به: =

\* وقال الشاعر:

رأيت أخوا الدنيا وإن بات آمنا      على سفر يسري به وهو لا يدري  
ابن أبي الدنيا ٥٦٣ / ٧.

\* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

أشدَّ الغمِّ عندي في سُرورٍ      تيقنَ عنه صاحبُه انتقالاً<sup>(١)</sup>  
ديوان المتنبي (١٨٢).

\* وعن مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) قال: مات بشر بن مروان فدفن، ثم مات أسود فدفن إلى جنبه، فمررت بقبرهما بعد ثلاثة فلم أعرف أحدهما من قبر صاحبه، فذكرت قول الشاعر:

والعطياتُ خساس بينهم      وسواء قبر مُثَرٍّ ومُقِلٍّ  
ابن أبي الدنيا ٣٣١ / ٥.

\* وقال الشاعر:

جهول ليس تنهاه النواهي      ولا تلقاه إلا وهو ساهي  
يُسَرُّ بيومه لعباً ولهواً      ولا يدري وفي غده الدواهي  
مررت بقصره فرأيت أمراً      عجباً فيه مزدجرٌ وناهي  
بدا فوق السرير فقلت: من ذا      فقالوا: ذلك الملك المباهي  
رأيت الباب سُودَّ والجواري      ونحن وهن يكسرن الملاهي  
تبينُ أي دار أنت فيها      ولا تسكن إليها وادر ماهي

= فكذلك صاحب الدنيا، الذي صرف جلَّ همَّه لها، لا يلتذُّ بالعبادة، ولا يجد حلاوتها، وليس في الدنيا وأحلى ولا ألذَّ منها.

(١) يقول: السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه فهو عندي أشد الغم لأنه يراعي وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور. شرح ديوان المتنبي للواحدي (١١١).

ابن أبي الدنيا ٥ / ٥٤٢ .

\* وقال أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ: ما في الدنيا شيء يسرّك، إلا وقد ألزق به شيء يسوءك. صفة الصفوة ٢ / ٤٩٣ .

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقي فأمني. المنتظم ٨ / ٣٢ .

\* وقال أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ: إن قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة، وإن كثيرها ينسيك قليلها، وإن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يجزيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس فيها شيء يغنيك. تهذيب الحلية ١ / ٥٢٠ .

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: نعمة الله فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، لأنّي رأيتُه أعطاهما قومًا فهلكوا. تهذيب السّير ٢ / ٦٣٧ .

\* وقال بعض السلف: ما أدري أنعمة الله عليّ فيما بسط أعظم، أو نعمته عليّ فيما زوى عني؟ الزهد لابن المبارك (٤٠٤) .

\* وقد قيل: إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلّبتُه محاسن نفسه<sup>(١)</sup> درر الحكم لأبي منصور الثعالبي (٣٣) .

\* وقال محمد بن كعب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨): الدنيا دار فناء ومنزل بُلغة، رَغبت عنها السعداء، وأسرعت من أيدي الأشقياء، فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها، وأسعد الناس فيها أزهد الناس بها، هي المعذّبة لمن أطاعها، المهلكة لمن اتّبعتها، الخائنة لمن انقاد لها، علّمها جهل، وغناؤها فقر، وزيادتها نقصان، وأيامها دول .

(١) صدق وأحسن من قال: متاع الدنيا من الزينة والجاه والغنى إنما هو لباسٌ لغيرك تُخلع منه وأُلْبِسَتْ إِيَّاه .

فلا تغترّ به فسوف يُخلع منك كما تُخلع من غيرك .

تهذيب الحلية ١٦ / ٥١.

\* ومر بعض السلف على قوم فقيل: هؤلاء زهاد، فقال: ما قدر الدنيا حتى يُحمد من زهد فيها؟ أدب الدين (١٩٨).

\* وقال الشاعر:

لَوْ كَانَ عُمْرُكَ أَلْفَ حَوْلٍ كَامِلٍ      لَمْ تَذْهَبِ الْإِيَّامُ حَتَّى تَنْقَطِعَ  
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَزَالُ مُلِحَّةً      حَتَّى تُشَتَّتَ كُلَّ أَمْرٍ مُجْتَمِعٍ  
لَعِبْتَ بِنَا الدُّنْيَا وَكَيْفَ تَغُرُّنَا      أَمْ كَيْفَ تَخْدَعُ مِنْ تَشَاءٍ فَيَخْدَعُ  
وَالْمَرءُ يُوطِنُهَا وَيَعْلَمُ أَنَّه      عنها إِلَى وَطَنِ سِوَاهَا مُنْقَلِعُ  
المجالسة وجواهر العلم (٣٩٨).

\* وأخذ مسروق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٣) بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة قال: ألا أريك الدنيا، هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فأنضوها<sup>(١)</sup>، سفكوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم، وقطعوا فيها أرحامهم. تهذيب الحلية ٣٠٥ / ١.

\* وقال أبو العتاهية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٣):

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ      عَذَابًا كَلِمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ  
تَهِينُ الْمَكْرَمِينَ لَهَا بِصُغُرٍ      وَتَكْرُمُ كُلِّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ  
إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَهُ      وَخَذَ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

\* وبعث إلي هارون الرشيد، وقد زخرف مجالسه، وبالع فيها وفي بنائها، ووضع فيها طعامًا كثيرًا، ثم وجه إلى أبي العتاهية رَحِمَهُ اللهُ فأتاه، فقال: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا؟ فأنشأ يقول:

(١) أنضى البعير: أي هزله.

عش ما بدا لك سالمًا في ظل شاهقة القصور.

فقال: أحسنت! ثم ماذا؟ فقال:

يُسعى عليك بما اشتهيت مع الغدوّ وفي البكور.

فقال: أحسنت أيضًا! ثم ماذا؟ فقال:

فإذا النفوس تقعّقت في ضيق حشرجة الصدور.

فهناك تعلم موقنًا ما كنت إلا في غرور.

فبكى هارون، فقال: الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره، فأحزنه!

فقال هارون: دعه، فإنه رآنا في عمى، فكره أن يزيدنا عمى. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٢٢.

\* وقال بعضهم: ترك التلبس بالدنيا قبل التثبث بها أهون من رفضها بعد

ملاستها. أدب الدين (١٩١).

\* ووجد في حجر مكتوب: يا بن آدم، لو إنك رأيت يسير ما بقي من أجلك

لزهدت في طول ما ترجو من أملك، ولرغبت في الزيادة في عملك، ولقصّرت

في حرصك وحيلك، وإنما يلقاتك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك

أهلك وحشمك، وتبرأ منك القريب، وانصرف عنك الحبيب، فلا أنت إلى أهلك

بعائد، ولا في عملك بزائد. البيان والتبيين (٣/ ١١٤).

\* وقال بعض السلف: ابن آدم، إنما أنت جيفة متنتة، طيّب نسيَمك ما رُكّب فيك

من روح الحياة، فلو قد نزع منك روحك أُلقيت جثّةً ملقاه، وجيفةً متنتة، وجسدًا

خاويًا، وقد جَيّف بعد طيب ريعه، واستوحش منه بعد الأنس بقربه، فأئي الخليفة

ابن آدم منك أجهل؟ وأي الخليفة منك أعجب؟ إذا كنت تعلم أنّ هذا مصيرك، وأن

التراب مقيلك، ثم أنت بعد هذا لطول جهلك تَقَرُّ بالدنيا عينًا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٤٧.

\* وقال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): إنّ مَنْ كان قبلنا كانوا يجعلون

للدنيا ما فضل من آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم. صفة الصفوة ٣ / ٧١.

\* واحتضر رجل بالمدينة فقال: لا تغرنكم الدنيا فقد غرتني!. ابن أبي الدنيا ٣٨٦ / ٥.

\* ودخلوا على رجل وهو في الموت فقال: سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي!. ابن أبي الدنيا ٣٨٦ / ٥.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء - يعني الدنيا-. تهذيب الحلية ١ / ٤٢١.

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): يابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً. صفة الصفوة ٣ / ١٦٥.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: والله لقد أدركت أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم، ولقد كانوا أشفق من حسناتهم أن لا تقبل منهم منكم أن تؤاخذوا بسيئاتكم. الزهد لأحمد: ٤٤٤.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: والله لقد أدركت أقواماً وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها، فما زالوا كذلك على ذلك فوالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم في أجل منقوص، والعمل محفوظ، والموت والله في رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عَزَّجَلَّ في كل يوم وليلة. الزهد لأحمد: ٤٨١.



\* وكان رَحِمَهُ اللهُ إِذَا ذَكَرَ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ لَهُ وَلَا بَقِيَ لَهَا، وَلَا سَلِمَ مِنْ تَبِعَتِهَا وَلَا شَرَّهَا وَلَا حِسَابَهَا، وَلَقَدْ أُخْرِجَ مِنْهَا فِي خِرْقَةٍ! تَهْذِيبُ الْحِلْيَةِ ٣٣٠ / ١.

\* وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بَسَطَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ لَهُ دُنْيَا فَلَمْ يَخَفْ أَنْ يَكُونَ قَدْ مُكْرَبٌ فِيهَا إِلَّا كَانَ قَدْ نَقَصَ عِلْمُهُ وَعَجَزَ رَأْيُهُ، وَمَا أَمْسَكَهَا اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنْ عَبْدٍ فَلَمْ يَظُنْ أَنَّهُ قَدْ خَيْرَ لَهُ فِيهَا إِلَّا كَانَ قَدْ نَقَصَ عِلْمُهُ وَعَجَزَ رَأْيُهُ. <sup>(١)</sup> الزهد لأحمد: ١٠٤.

\* وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَغْنَى﴾ [الليل: ٨]: بخل بما لا يَبْقَى، وَاسْتَغْنَى بِغَيْرِ غَنَاءٍ. <sup>(٢)</sup> الزهد لابن المبارك (١١٩٣).

\* وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مِنْهُمَا <sup>(٣)</sup> لَا يَشْبَعَانِ: مِنْهُمَا فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ، وَمِنْهُمَا فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهَا.

فَمَنْ تَكُنَ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، وَبَثَّ <sup>(٤)</sup>، وَسَدَمَهُ <sup>(٥)</sup>: يَكْفِيهِ اللَّهُ ضِيعَتَهُ <sup>(٦)</sup>، وَيَجْعَلُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ.

وَمَنْ تَكُنَ الدُّنْيَا هَمَّهُ، وَبَثَّ، وَسَدَمَهُ: يُفْشِي <sup>(٧)</sup> اللَّهُ عَلَيْهِ ضِيعَتَهُ، وَيَجْعَلُ فَقْرَهُ

(١) قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ: الْأَثَارُ عَنِ السَّلَفِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي فَضْلِ الصَّبْرِ عَلَى الدُّنْيَا وَالزُّهْدِ فِيهَا، وَفَضْلِ الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا بِالْكَفَافِ، وَالِاقْتِصَارِ عَلَى مَا يَكْفِي دُونَ التَّكَاثُرِ الَّذِي يُلْهِمِي وَيُطْغِي: أَكْثَرُ مَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا كِتَابٌ، أَوْ يَشْتَمِلَ عَلَيْهَا بَابٌ، وَالَّذِينَ رَوَى اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنْهُمْ الدُّنْيَا مِنَ الصَّحَابَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً. جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلُهُ ١ / ٧٢٧.

(٢) بخل بما لا يَبْقَى، وَهِيَ الدُّنْيَا الْفَانِيَّةُ، وَاسْتَغْنَى بِغَيْرِ غَنَاءٍ، أَي: بِغَيْرِ نَفْعٍ، وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ فَلَيْسَ غِنَاءً وَلَوْ كَانَ مَلَأَ الْأَرْضَ، وَمَنْ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ فَهُوَ الْغَنِيُّ وَلَوْ كَانَ لَا يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا ثَوْبَهُ.

(٣) التَّهْمُ: الْوَلُوعُ بِالشَّيْءِ وَمَحَبَّتُهُ وَالْمِيلُ إِلَيْهِ.

(٤) أَي: أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ وَنَشْرِهِ وَالتَّحَدُّثِ بِهِ.

(٥) أَي: لَهَجَهُ وَهَمَّهُ وَوُلُوعَهُ بِهِ.

(٦) ضِيعَةُ الرَّجُلِ: مَا يَكُونُ مِنْهُ مَعَاشُهُ، كَالصَّنْعَةِ وَالتَّجَارَةِ وَالزَّرَاعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(٧) أَي: يُكْثِرُ مَعَاشَهُ وَأَشْغَالَهُ وَهَمُّومَهُ.

بين عينيه، ثم لا يصبح إلا فقيراً، ولا يمسي إلا فقيراً. مسند الدارمي (٣٤٣).

\* وعن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١) قال: إن هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة، فاتركوا لهم الدُّنيا. تهذيب السَّير ٧٠٠ / ٢.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: كان يقال: إنما سميت الدنيا لأنها دنية، وإنما سمي المال لأنه يميل بأهله. ابن أبي الدنيا ٤٣ / ٥.

\* وكان رَحِمَهُ اللهُ ينشد من قول ابن حطان:

أرى أشقياء الناس لا يسمونها      على أنهم فيها عراة وجوع  
أراها وإن كانت قليلاً كأنها      سحابة صيف عن قليل تقشع  
ابن أبي الدنيا ١٢٠ / ٥.

\* وقال له رجل: أوصني، قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها، والسلام. تهذيب الحلية ٢ / ٤٠٠.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا؛ فانظر عند من هي! <sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ١٥١ / ٥.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: ما ازداد عبداً علماً، فازداد في الدنيا رغبة، إلا ازداد من الله بعداً. مسند الدارمي (٤٠٠).

\* وسئل سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٣): بِمَ يَسْهُلُ عَلَى الْعَبْدِ تَرْكُ الدُّنْيَا وَكُلِّ الشَّهَوَاتِ؟ قال: بِتَشَاغُلِهِ بِمَا أُمِرَ بِهِ. <sup>(٢)</sup> تفسير القرطبي (٥٧ / ٥).

(١) عند أهل الغفلة والشره والجهل والطمع - غالباً -، فهل يليق بالمؤمن اللبيب أن يكون في صفِّهم، ويتمنى أن يكون مثلهم؟

(٢) صدق رَحِمَهُ اللهُ، فبقدر انشغال المؤمن بما أُمِرَ به وجوباً واستحباباً انصرف قلبه عن الدار الدنيا وملذاتها إلى الدار الآخرة، وسهلت عليه الطاعات، وعافت نفسُ مقارفة المعاصي واللهو، وعلت همُّته، وزكت نفسه.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): رَهْبَةُ الْعَبْدِ مِنْ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِاللَّهِ، وَزَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِ فِي الْآخِرَةِ. تهذيب السَّيَر ٢/ ٧٧٤.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالًا، لا أحاسب بها في الآخرة، لكنك أتقذرها، كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه. ابن أبي الدنيا ٢/ ٥٥١، تهذيب الحِلْيَةِ ٣/ ٩.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: ليست الدار دار إقامة، وإنما أهبط آدم إليها عقوبة. تهذيب الحِلْيَةِ ٣/ ١٠.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: مالكم وللملوك؟ ما أعظم مَتَّهِمَ عليكم، قد تركوا لكم طريق الآخرة، فاركبوا طريق الآخرة، ولكن لا ترضون، تبيعونهم بالدنيا ثم تزاحمونهم على الدنيا، ما ينبغي لعالم أن يرضى هذا لنفسه. تهذيب الحِلْيَةِ ٣/ ١٩.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: الدخول في الدنيا هين، لكن التخلص منها شديد. ابن أبي الدنيا ٥/ ١١٥.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: ما رأيت أحدا عظم الدنيا فقرت عينه فيها، ولا انتفع بها، وما حقَّرها أحد إلا تمتَّع بها. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٤٤.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: علامة الزهد في الناس إذا لم يحبَّ ثناء الناس عليه، ولم يبالي بمذمتهم، وإن قدرت أن لا تعرف فافعل، وما عليك ألا يثنى عليك؟ وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت محمودًا عند الله عَزَّوَجَلَّ؟ الآداب الشرعية ٢/ ١٦٧.

\* وعن جعفر بن محمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٨): قال: أوحى الله تعالى إلى الدنيا أن أخدمني من خدمني، وأتعبني من خدمك. تهذيب الحِلْيَةِ ١١/ ٥١.

\* وكان عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠) إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفاً، فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار، قرأ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٣) وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣١-١٣٢].

قال: الصلاة الصلاة رحمكم الله.

وكان يقول: إذا رأى أحدكم من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله فليأمرهم بالصلاة وليصطر عليها، فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ..﴾ ثم قرأ إلى آخر الآية الزهد لأبي داود (٣٥٦-٣٥٧).

\* وقال أحمد بن أبي الحواري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٠): من نظر إلى الدنيا نظراً إرادة وحبٍّ أخرج الله نورَ اليقين والزهد من قلبه. تهذيب السَّير ٣ / ٩٨٥.

\* وقال شقيق البلخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٠): عملت في القرآن عشرين سنة، حتى ميزت الدنيا من الآخرة، فأصبته في حرفين وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: ٦٠] تهذيب الحلية ٤٩٧ / ٢.

\* وقال بعض الحكماء رَحِمَهُ اللهُ: أما يكفي أهل الدنيا ما يعانون من كثرة الفجائع، وتتابع المصائب في المال والإخوان، والنقص في القوى والأبدان. ابن أبي الدنيا ٨٣ / ٥.

\* وقال بعضهم:

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه	فما فات من شيءٍ فليس بضائر
فما تعدل الدنيا جناحَ بعوضةٍ	ولا وزن ريشٍ من جناحٍ لطائر
فما رضي الدنيا ثواباً لمؤمنٍ	وما رضي الدنيا عقاباً لكافر

البيان والتبيين ٣ / ٥٠٠.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٨): ألا إن العاقل المصيب من عمل ثلاثاً: ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى ربه قبل أن يلقاه. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٣.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: الدنيا أمير من طلبها، وخادم من تركها، الدنيا طالبة ومطلوبة فمن طالبها رفضته ومن رفضها طلبته، الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها، ليس من العقل بنیان القصور على الجسور، وخذ من الدنيا ما يبلغك الآخرة، ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة. تهذيب الحلية ٢٦٠/ ٣.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: فكرتك في الدنيا تلهيك عن ربك وعن دينك فكيف إذا باشرتها بجميع جوارحك. تهذيب الحلية ٢٦١/ ٣.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: أيها المريدون إن اضطررتم إلى طلب الدنيا، فاطلبوها ولا تحبّوها، وأشغلوا بها أبدانكم وعلّقوا بغيرها قلوبكم، فإنّها دار ممرّ وليست بدار مقرّ، الزاد منها والمقيل في غيرها. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٣.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لا يُفِيق إلا في عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١.

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: يا ابن آدم لا يزال دينك متمزّقاً ما دام قلبك بحب الدنيا مُتعلّقاً. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٢.

\* وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤): إن الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل، وأنزل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها، ووضعها في غير سبيلها. تهذيب الحلية ٣٤٦/ ١.

\* وعن بلال بن سعد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠) قال: والله لكفى به ذنباً أن الله يزهدنا

في الدنيا ونحن نرغب فيها. ابن أبي الدنيا ٣٦/٥، تهذيب الحلية ٢/١٩٠.

\* وقال بعض السلف: ألا صابر كريم لأيام قلائل، حرام على قلوبكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا. تهذيب الحلية ٢/٣٠٩.

\* وقال الشاعر:

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة      لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

ابن أبي الدنيا ٦/٩٨.

\* وعن محمد بن سوقة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠) قال: أمران لو لم نعذب إلا بهما، لكننا مستحقين بهما العذاب، أحدهما يزداد في دنياه فيفرح فرحًا، ما علم الله منه قط أنه فرح بشيء قط زيد في دينه مثله، وأحدنا ينقص من دنياه، فيحزن حزنًا ما علم الله منه قط أنه حزن على شيء نقصه من دينه مثله. تهذيب الحلية ٢/١٢٧.

\* وقال بعض السلف: كما لا تنظر الأبصار إلى شعاع الشمس، كذلك لا تنظر قلوب محبي الدنيا إلى نور الحكمة أبدًا. تهذيب الحلية ٢/٣١٣.

\* وأتى رجلٌ بعضَ الزهاد فقال له الزاهد: ما جاء بك؟ قال: بلغني زهدك، قال: أفلا أدلك على من هو أزهد مني؟ قال: ومن هو؟ قال: أنت! قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك زهدت في الجنة وما أعد الله فيها، وزهدت أنا في الدنيا على فنائها وذم الله إياها، فأنت أزهد مني!! تهذيب الحلية ٢/٣٤٤.

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠): ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك، ذمّ مولانا الدنيا فمدحناها، وأبغضها فأحببناها، وزهدنا فيها فأثرناها ورغبنا في طلبها، وعدكم خراب الدنيا فحصنتموها، ونهيتهم عن طلبها فطلبتموها، وأنذرتهم الكنوز فكنزتموها. تهذيب الحلية ٢/٤٨٧.

\* وقال أبو معاوية الأسود رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٨): الخلق كلهم برهم وفاجرهم، يسعون في أقل من جناح ذباب.

فقال له رجل: ما أقل من جناح ذباب؟

قال: الدنيا. <sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٣/٦٧.

\* وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٤): قال عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ للحواريين: بحق أقول لكم - وكان عيسى كثيرًا ما يقول بحق أقول لكم -: أن أشدكم حبًا للدنيا أشدكم جزعًا على المصيبة. الزهد لأحمد: ١٤٤.

\* وعن يونس بن عبيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٩) قال: ما شبهت الدنيا إلا كرجل نائم فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك إذ انتبه. ابن أبي الدنيا ٢٨/٥.

\* وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم. ابن أبي الدنيا ٢٨/٥.

\* ونزل أعرابي بقوم، فقدموا له طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك، فاقتلعوا الخيمة، فأصابته الشمس، فانتبه وقام وهو يقول:

ألا إنما الدنيا كظلّ بنيته ولا بدّ يوماً أن ظلك زائل  
ابن أبي الدنيا ٢٩/٥.

\* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧): من سأل الله تعالى الدنيا، فإنما يسأله طول الوقوف. <sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ٣/٩٠.

(١) صدق رَحِمَهُ اللهُ، فقد روى الترمذي وصحّحه (٢٣٢٠) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ».

وثبت في صحيح مسلم (٢٩٥٧) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِجَذِيٍّ مَيِّتٍ مَقْطُوعِ الْأُذْنَيْنِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «وَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ».

فكيف يركن عاقل إلى الدنيا، ويجعل أكثر همّه بها، وجلّ شغلها لها!

(٢) صدق رَحِمَهُ اللهُ، فقد ثبت في صحيح مسلم (٣٧) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْأَلُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا».

وإذا كان هذا حال أغنياء الصحابة المهاجرين الفضلاء، فكيف بغيرهم؟

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: ينبغي لنا أن لا نحبّ هذه الدار؛ لأنها دار يُعصى الله فيها، والله لو لم يكن منا إلا أنا أحببنا شيئاً أبغضه الله تعالى لكفانا. الزهد للخطيب (١٣١).  
 \* وعن أبي بكر بن عياش رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٣) قال: رأيت في النوم عجوزاً شمطاء، مشوهة، تصفق بيديها، وخلفها خلق يتبعونها، ويصفقون ويرقصون، فلما كانت بحذائي أقبلت علي، فقالت: لو ظفرت بك صنعت بك ما صنعت بهؤلاء. ابن أبي الدنيا ٣١ / ٥.

\* وقال مُطَرِّف بن الشَّخِير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥): لَوْ كَانَتْ لِي الدُّنْيَا كَمَا هِيَ، ثُمَّ سُئِلْتُهَا بِشَرْبَةِ أُسْقَاهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَفْتَدَيْتُ بِهَا. تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨ / ٣١٨).

\* وقال الشاعر:

أَتَه المنيّة في نومته	وكم نائم نام في غبطة
دهته الحوادث في لذته	وكم من مقيم على لذة
سيأتي الزمان على جدّته	وكل جديد على ظهرها

ابن أبي الدنيا ٨٢ / ٥.

\* وقال الشاعر:

صفين بأن تُعَيْنَهَا	وحَسْبُكَ من صفاتِ الوا
ويفني الموتُ ساكنَهَا؟	أليس جديدها يلى

ابن أبي الدنيا ٥٢٢ / ٥.

\* وقال الشاعر:

وانظر إليه بعين الماقت القالي	لا تغبطن أخا حرصٍ على سعة
-------------------------------	---------------------------



إن الحريص لمشغول لشقوته      عن السرور بما يحوي من المال  
ابن أبي الدنيا ٨٥ / ٥.

\* وعن عبيد بن عمير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٧)، قال: الدنيا أمد، والآخرة أبد. ابن أبي  
الدنيا ٨٩ / ٥.

\* وخطب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) هذه الخطبة، وكان آخر  
خطبة خطبها: حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولم تتركوا سُدى، وإن لكم معادًا ينزل الله فيه، ليحكم  
بينكم ويفصل بينكم، وخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحرم جنة عرضها  
السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدًا إلا من حذر الله اليوم وخافه،  
وباع نافدًا بباق، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان؟ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين،  
وستصير من بعدكم للباقيين، وكذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين.

ثم إنكم تُشيعون كل يوم غاديًا ورائحًا، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتى  
تغيبوه في صدع من الأرض، ثم في شقِّ صدع، ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد،  
فارق الأحباب، وباشر التراب، ووجه للحاسب، مرتَهَنٌ بما عمل، غنيٌّ عما ترك،  
فقير إلى ما قدم.

فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم، أما والله إنِّي لأقول هذا وما أعلم عند  
أحد من الذنوب أكثر مما عندي، وأستغفر الله، وما منكم من أحد يبلغنا حاجته لا  
يسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي، حتى يكون عيشنا وعيشه واحدًا،  
أما والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولًا، وكنتُ بأسبابه  
عالمًا، ولكن سبق من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة، دل فيها على طاعته، ونهى فيها  
عن معصيته ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله. تهذيب الحلية ٢٢٢ / ٢.

\* وخطب رَحْمَةُ اللَّهِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ خَلَقْتُمْ لِأَمْرٍ إِنْ كُنْتُمْ تَصْدُقُونَ بِهِ  
إِنَّكُمْ لِحَمَقَى، وَإِنْ كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ بِهِ إِنَّكُمْ لَهَلَكَى، إِنَّمَا خَلَقْتُمْ لِلْأَبَدِ، وَلَكِنْكُمْ مِنْ  
دَارٍ إِلَى دَارٍ تَنْقَلُونَ.

عَبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ فِي دَارٍ لَكُمْ فِيهَا مِنْ طَعَامِكُمْ غُصَصٌ، وَمِنْ شَرَابِكُمْ شَرَقٌ، لَا  
تَصْفُو لَكُمْ نِعْمَةً تَسْرُونَ بِهَا إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى تَكْرَهُونَ فِرَاقَهَا، فَاعْمَلُوا لِمَا أَنْتُمْ  
صَائِرُونَ إِلَيْهِ، وَخَالِدُونَ فِيهِ، ثُمَّ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ فَنَزَلَ. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ١١٨/٥.

\* وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٠٠): إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَتِ الدُّنْيَا مُقْبَلَةً  
عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَفْرُونَ مِنْهَا، وَلَهُمْ مِنَ الْعِزِّ مَا لَهُمْ، وَإِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ الدُّنْيَا وَهِيَ مَدْبِرَةٌ  
عَنْكُمْ، وَلَكُمْ مِنَ الْأَحْدَاثِ مَا لَكُمْ، فَاقْسُوا أَمْرَكُمْ وَأَمْرَهُمْ. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٩٥/٥.

\* وَقَالَ الشَّاعِرُ:

هَذِهِ الدَّارُ مُلْكُهَا قَبْلَنَا	عَصْبَةٌ بَادُوا وَخَلَوْهَا لَنَا
فَمَلَكْنَاهَا كَمَا قَدْ مَلَكُوا	وَسَيَمْلِكُهَا أَنْاسٌ بَعْدَنَا
ثُمَّ تَفْنِيهِمْ وَتَفْنَى بَعْدَهُمْ	لَيْسَتْ الدُّنْيَا لِحَيِّ وَطْنَا
عَجَبًا لِلدَّارِ كَمْ تَخْدَعُنَا	حَسْرَةً يَا حَسْرَةً يَا حَزْنَا

ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ١٠٠/٥.

\* وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: صِفْ لَنَا قَدْرَ الدُّنْيَا وَمُدَّةَ الْبَقَاءِ؟.

فَقَالَ: الدُّنْيَا وَقْتُكَ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْكَ فِيهِ طَرَفُكَ؛ لِأَنَّ مَا مَضَى عَنْكَ فَقَدْ  
فَاتَكَ إِدْرَاكَهُ، وَمَا لَمْ يَأْتْ فَلَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، الدَّهْرُ يَوْمٌ مُقْبِلٌ تَنْعَاهُ لَيْلَتُهُ، وَتَطْوِيهِ  
سَاعَتُهُ، وَأَحْدَاثُهُ تَنْتَصِلُ فِي الْإِنْسَانِ بِالتَّغْيِيرِ وَالنَّقْصَانِ، وَالدَّهْرُ مُوَكَّلٌ بِتَشْتِيتِ  
الْجَمَاعَاتِ، وَانْخِرَامِ الشُّمْلِ، وَتَنْقُلِ الدُّوَلِ، وَالْأَمَلُ طَوِيلٌ، وَالْعُمُرُ قَصِيرٌ، وَإِلَى  
اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ١٠٣/٥.

\* وقال بعض الحكماء: عجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة إليه، يشتغل بالمدبرة، ويعرض عن المقبلة.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٥ / ١٢٠.

\* وقال داود الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك، وإنما بُلُغَتُهُ بانقضاء مدة أجلك، ثم سَوِّفَ بعملك، كأنَّ منفعته لغيرك. ابن أبي الدنيا ٥ / ١٢١.

\* وكتب رجل عالم إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد: فإن الدنيا ليست بدار مقامة، وإنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة، ومثلها مثل الحية مسها لين وفيها الموت، فكن فيها كالمریض الذي يُكره نفسه على الدواء رجاء العافية، وتدع ما تشتهي من الطعام رجاء العافية. ابن أبي الدنيا ٥ / ١٢٣.

\* وقال الشاعر:

عجبا لأمنك والحياة قصيرة	وبفقدِ إلفٍ لا تزال تُرَوِّع
أفقدُ رضىً بأنَّ تُعلِّلَ بالُمْنَى	وإلى المنية كلَّ يوم تُدْفِع
لا تخدعَنَّك بعد طول تجاربٍ	دنیا تَكْشِفُ للبلاء وتَضْرَع
أحلام نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ	إنَّ اللیب بمثلها لا يُخْذَع
وتزودنَّ لیوم ففرك دائباً	ألغيرِ نفسك لا أبالك تجمَع؟

ابن أبي الدنيا ٥ / ٥٢٤.

\* وكان ابن السماك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٣) يقول: من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها: جرعتة الآخرة مرارتها بتجافيه عنها. ابن أبي الدنيا ٥ / ١٣٢.

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): إنما زهد الزاهدون في الدنيا اتقاء أن يشاركوا الحمقى والجهال في جهلهم. ابن أبي الدنيا ٥ / ١٥٢.

(١) صدق رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا الكلام يُكتب بماء الذهب، ولكن أين المتعظ؟

\* وقال بعض الحكماء: كل شيء فاتك من الدنيا غنيمه. ابن أبي الدنيا ١٥٢/٥.

\* وقال الشاعر:

أرى الدنيا لمن هي في يديه      عذابا كلما كثرت لديه  
تُهين المكرمين لها بصُغر      وتكرم كلَّ من هانت عليه  
إذا استغنيت عن شيء فدعه      وخذ ما كنت محتاجا إليه  
ابن أبي الدنيا ١٨٣/٥.

\* وقال الشاعر:

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا      ولا أراهم رضوا في العيش بالدُّون  
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما      استغنى الملوك بدنياهم عن الدين  
ابن أبي الدنيا ١٨٥/٥.

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) أنه كان إذا تلى هذه الآية: ﴿فَلَا تَعْرِضْكُمْ لِحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرِّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥] قال: من قال ذا؟  
من خلقها، ومن هو أعلم بها.

قال: إياكم وما شغل من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل على نفسه بابَ شغل، إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب. ذم الدنيا: (٦٠).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب، وحرامها عذاب، إن أخذه من حله حوسب بنعيمه، وإن أخذه من حرام عذب به، ابن آدم يستقل ماله، ولا يستقل عمله. ابن أبي الدنيا ١١٠/٥.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم

يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه. ابن أبي الدنيا ١٣٢/٥.

\* وقال رحمه الله: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافس في الآخرة. ابن أبي الدنيا ١٩٠/٥.

\* وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله (ت: ٢٠٥): لو أن رجلاً دخل على ملك من ملوك الدنيا، فقال: سلني، فقال: أسألك جزرة بقل! أكان حازماً؟ فوالله للدنيا أهون على الله عز وجل من جزرة البقل على الملك.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ١٩٢/٥.

\* وقال رحمه الله: لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله من الآخرة. ابن أبي الدنيا ١٣٥/٥.

\* وقال بعض العلماء: من زهد في الدنيا ملكها، ومن رغب فيها عبدها، فمن شاء فليعيش فيها ملكاً، ومن شاء فليعيش فيها عبداً. الزهد للخطيب (١٣٤).

\* وقال الإمام مالك رحمه الله (ت: ١٧٩): إن بُغيتك منها ما يكفيك، فأقل عيشها يُغنيك، وما قل وكفى خير مما أكثر وألهى. ترتيب المدارك (١/ ١٨٠).

\* وسئل ابن المبارك رحمه الله (ت: ١٨١) ف قيل له: من الناس؟ قال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد.

قيل: من السفلة؟ قال: من باع آخرته بدنياه غيره.

وقيل له: من أحسن الناس حالاً؟ فقال: من انقطع إلى ربه. ترتيب المدارك (٣٤٣/١).

---

(١) فلا يليق بالمؤمن أن يُكثر من سؤال الله تعالى من متاع الدنيا الزائل، ويُكثر من سؤال ما ينفعه في آخرته، كالهداية والعلم والثبات على الدين، وسؤال الجنة ورضا الرب جلَّ وعَلا.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤):

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طِعْمَتُهَا      وَسِيقَ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا  
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا      كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاحِ سَرَابُهَا  
وَمَا هِيَ إِلَّا جِنْفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ      عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُمْ اجْتِنَابُهَا  
إِنْ تَجَنَّبَهَا كُنْتَ سَلَمًا لِأَهْلِهَا وَ      إِنْ تَجَنَّبَهَا نَارَ عَتِكَ كِلَابُهَا

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنَا      تَرَكَوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا  
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا      أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطْنَا  
جَعَلُوهَا بُجَّةً<sup>(١)</sup> وَاتَّخَذُوا      صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفْنَا

ديوان الشافعي (٤٠، ١٦٣).

\* وَقَالَتْ أُمُّ وَلَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): لَمَّا وَلَدْتُ حَسَنًا أُعْطِيَ

مولاي كرامته امرأةً درهمًا وقال لها: اذهبي إلى ابن شجاع - جَارٍ لَنَا قَصَابٌ -  
يَشْتَرِي لَكَ هَذَا رَأْسًا، قَالَتْ: فَاشْتَرَى لَنَا رَأْسًا وَجَاءَتْ بِهِ فَأَكَلْنَا، فَقَالَ لِي: يَا  
حُسْنُ: مَا أَمْلَكَ غَيْرَ هَذَا الدَّرْهَمِ.

وقالت أيضًا: كَانَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ مُوَلَايَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ شَيْءٌ فَرِحَ. طَبَقَاتُ

الْحَنَابِلَةِ (٢/ ٥٨٥-٥٨٦).

\* وقال أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٦٤): تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ الدُّنْيَا وَهُوَ وَاجِدٌ

لَهَا، وَقَدْ ذَمَّهَا، وَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدُ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةُ، فَأَبَى  
ذَلِكَ ﷺ. طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ (٢/ ٦١).

\* وقال أَبُو الْحَسَنِ الْبِزَارُ الْمُحَدِّثُ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤١٢): وَاللَّهُ مَا أَحَبَّ الْحَيَاةَ

(١) اللجة: الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه.

للكسب ولا لتجارة، ولكن لذكر الله وللتحديث.<sup>(١)</sup> طبقات الشافعيين (١/ ٢٩٢).

\* وقال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٣): من عجيب ما نقدت أحوال الناس كثرة ما ناحوا على خراب الديار، وموت الأقارب والأسلاف، والتحسر على الأرزاق بدم الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، وقد رأوا من انهدام الإسلام، وتشعث الأديان، وموت السنن، وظهور البدع، وارتكاب المعاصي، وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يُجدي، فلا أحد منهم ناح على دينه ولا بكى على فارط عمره ولا تأسى على فائت دهره، ولا أرى لذلك سبباً إلا قلة مبالاتهم بالأديان وعظم الدنيا في عيونهم، ضد ما كان عليه السلف الصالح: يرضون بالبلاغ<sup>(٢)</sup> وينوحون على الدين. الآداب الشرعية ١٦٧/٢.

\* وقال القاضي عبدالله بن طالب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٧٥): لَمَّا وُلِّيتُ وخرجت: وجدت أهل الأرض وقوفاً ينتظروني على الباب، فعلمت هوى الناس للدنيا.<sup>(٣)</sup> ترتيب المدارك (٣٠٩/٢).

\* وقال الشاعر:

وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ نَعْرِفُهُ      وَمِثْلُ ذَلِكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ

الآداب الشرعية ١٠٢/٢.

\* وقال الجنيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٧): ما أخذنا التَّصَوُّفَ عن القال والقال، بل عن الجوع، وتَرْكِ الدُّنْيَا، وقطعِ المألوفات.

(١) كل من كان صادقاً مع الله تعالى مُقبلاً عليه: قال مثل ذلك بلسان حاله أو مقال.

(٢) أي الشيء اليسير الذي يتبَلَّغون به في هذه الحياة القصيرة الفانية.

(٣) فعلى كل من تولى منصباً مهما كان كبيراً أن يوقن أن الناس إنما عَظَّموه ومدحوه واحترموه — بعدما تولى منصبه — لأجل منصبه، ولو تركه لَنَسُوهُ وهجروه، فلا ينبغي له أن يغتر بشنائهم، ولا يركن إلى تعظيمهم له.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذا حسن، ومُرَادُهُ: قطع أكثر المألوفات، وترك فضول الدنيا وجوعٌ بلا إفراط، أمّا من بالغ في الجوع كما يفعله الرُّهبان، ورفض سائر الدنيا، ومألوفاتِ النَّفس، من الغذاء، والنوم والأهل، فقد عَرَّض نفسه لبلاء عريض، وربما خُوِلَطَ في عقله، وفاته بذلك كثير من الحنيفيّة السَّمَحَةِ، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا، والسَّعادة في متابعة السُّنَنِ. فِرْنَ الْأُمُورَ بِالْعَدْلِ، وَصُمِّمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، والزَّمِ الْوَرَعَ في القوت وارضَ بما قسم الله لك، واصمُتْ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، فرحمة الله على الجُنُودِ وأين مثلُ الجنيد في علمه وحاله؟<sup>(١)</sup> تهذيب

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا يُنكر على من يتقَرَّب إلى الله بترك جنس اللذات، كما قال النبي ﷺ للذين قال أحدهم: أمّا أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر: أمّا أنا فأقوم لا أنام، وقال الآخر: أمّا أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أمّا أنا فلا أكل اللحم. فقال النبي ﷺ: «لَكُنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، وَأَكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».. والتحقيق: أَنَّ الْعَمَلَ لَا يُمْدَحُ وَلَا يُذَمُّ لمجرد كونه لَذَّةً، بل إِنَّمَا يُمْدَحُ مَا كَانَ اللَّهُ أَطْوَعَ وَلِلْعَبْدِ أَنْفَعُ، سواء كان في لَذَّةٍ أَوْ مُشَقَّةٍ، فربّ لذيذ هو طاعة ومنفعة، وربّ مُشَقٌّ هو طاعة ومنفعة، وربّ لذيذ أَوْ مُشَقٌّ صار منهياً عنه. الاستقامة / ٢٤٨

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا، فاعلم أَنَّ اللَّذَّةَ والسُّرُورَ أمرٌ مطلوب، بل هو مقصود كل حيٍّ، وكونه أمرًا مطلوبًا ومقصودًا أمرٌ ضروريٌّ من وجود الحي، وهو في المقاصد والغايات بمنزلة الحس والعلوم البديهية في المبادئ والمقدمات..

وإذا كانت اللَّذَّةُ مطلوبة لنفسها، فهي إِنَّمَا تُذَمُّ إِذَا أعقبت أَلَمًا أعظم منها، أو منعت لَذَّةً خَيْرًا منها، وتُحمد إِذَا أعانت على اللَّذَّةِ المستقرّة، وهو نعيم الآخرة التي هي دائمة عظيمة).. وإذا عُرِفَ أَنَّ لَذَاتِ الدُّنْيَا ونعيمها إِنَّمَا هي متاع ووسيلة إلى لذات الآخرة، وكذلك خُلِقَتْ، فكل لَذَّةٍ أعانت على لَذَاتِ الآخرة فهو مما أمر الله به ورسوله، ويُثَاب على تحصيل اللَّذَّةِ بما يثوب إليه منها من لَذَاتِ الآخرة التي أعانت هذه عليها، ولهذا كان المؤمن يُثَاب على ما يقصد به وجه الله من أكله وشربه، ولباسه ونكاحه، وشفاء غيظه بقهر عدوه في الجهاد في سبيل الله، ولَذَّةِ علمه وإيمانه وعبادته وغير ذلك، وَلَذَاتِ جسده ونفسه وروحه من اللَّذَاتِ الحسِّيَّةِ والوهمية والعقلية.

وكل لَذَّةٍ أعقبت أَلَمًا في الدار الآخرة، أو منعت لَذَّةً الآخرة، فهي محرّمة. وأمّا اللَّذَّةُ التي لا تعقب لَذَّةً في دار القرار ولا أَلَمًا، ولا تمنع لَذَّةً دار القرار، فهذه لَذَّةٌ باطلة؛ إذ=



السَّيَر ٣ / ١١٣٣ .

\* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ركب - أي: الملك نور الدين محمود زنكي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٨) - يوماً مع بعض أصحابه والشمس في ظُهورِهما، وظلُّها بين أيديهما لا يدرِكانه، ثم رجعا فصار الظل وراءهم، فساقَ الملكُ نور الدين وجعلَ يَلْتَقِئُ وظلَّهُ يَتَّبِعُهُ، ثم قال لصاحبه: قد شَبَّهْتُ ما نحنُ فيه بالدنيا، تَهْرُبُ مِمَّنْ يَطْلُبُها، وتَطْلُبُ مَن يَهْرُبُ منها. وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى:

مَثَلُ الزَّرْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ      مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ  
أَنْتَ لَا تُدْرِكُهُ مُتَّبِعًا      فَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ تَبِعَكَ  
البداية والنهاية ١٢ / ٣٦١ .

\* وقال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٠):

يَلْذُ بِهَذَا الْعِيشِ مَنْ لَيْسَ يَعْقِلُ      وَيَزْهَدُ فِيهِ الْأَلْمَعِيُّ الْمُحْصِلُ  
ذيل الطبقات (٢ / ١٦٦) .

د- قصص الزاهدين:

\* عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: صليت مع أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣) العصر، ثم انكفأت معه إلى منزله، فقال لامرأته أسماء بنت عميس: هل عندك طعام؟ قالت: لا والله ما من شيء، قال انظري، قالت: لا والله ما من شيء، فاعتقل شاة كانت وضعت من يومها، - وكان ذا شاة - فحلب من لبنها، ثم أفرغه في برمة، ثم أمر

= لا منفعة فيها ولا مضرة، وزمانها يسير، ليس لمتع النفس بها قَدْر، وهي لا بد أن تشغل عَمَّا هو خير منها في الآخرة، وإن لم تشغل عن أصل اللذة في الآخرة..

ومحبة النفوس للباطل نقص، لكن ليس كل الخلق مأمورين بالكمال، ولا يمكن ذلك فيهم، فإذا فعلوا ما به يدخلون الجنة، لم يحرم عليهم ما لا يمنعهم من دخولها. الاستقامة / ٤١٧ - ٤٢١ .

جاريته فطبخت، ثم أتيناه، فأكل وأكلنا، ثم صلى وصلينا، ما تَوْضَأُ ولا تَوْضَأُنَا.  
ابن أبي الدنيا ٩٢ / ٤.

\* وعن عتبة بن فرقد السلمي قال: قدمت على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)،  
وكان ينحر جزورا<sup>(١)</sup> كل يوم أطايبها للمسلمين وأمهات المؤمنين، ويأمر بالعنق  
والعلاء<sup>(٢)</sup> فيأكله هو وأهله، فدعا بطعام، فأتي به، فإذا هو خبز خشن، وكسور من  
لحم غليظ، فجعل يقول: كل، فجعلت أكل البضعة<sup>(٣)</sup> فألوکها فلا أستطيع أن  
أسيغها. ابن أبي الدنيا ٩٣ / ٤.

\* وعن سعد بن أبي وقاص قال: قالت حفصة بنت عمر لعمر: يا أمير  
المؤمنين لو لبست ثوبًا هو ألين من ثوبك، وأكلت طعامًا هو أطيب من طعامك،  
فقد وسع الله عَزَّوَجَلَّ من الرزق، وأكثر من الخير؟! فقال: إني سأخصمك إلى  
نفسك، أما تذكرين ما كان يلقي رسول الله ﷺ من شدة العيش، فما زال يذكرها  
حتى أبكاها فقال لها: والله إن قلت ذلك، أما والله لئن استطعت لأشارككما<sup>(٤)</sup>  
بمثل عيشهما الشديد، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي. تهذيب الحلية ١ / ٧٠،  
ابن أبي الدنيا ٤٨٥ / ٧.

\* وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يومئذ أمير  
المؤمنين وقد رَقَّع بين كتفيه أربع رقاع بعضها فوق بعض. الزهد لابن المبارك  
(٣٣٣)، الزهد لأبي داود (٧٤).

\* وعن الحسن قال: رأيت عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) نائمًا في المسجد في

(١) الجُزُور: البعير.

(٢) وهي العصبه الممتدة في العنق.

(٣) أي: القطعة من اللحم.

(٤) يعني: النبي ﷺ وأبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ملحفة ليس حوله أحد، وهو أمير المؤمنين. تهذيب الحلية ١/٧٧.

\* وعن عبد الملك بن شداد بن الهاد قال: رأيت عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ، ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم. تهذيب الحلية ١/٧٨.

\* وعن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) وهو يرعد تحت سَمَلِ قطيفة<sup>(١)</sup>، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع! فقال: والله ما أرزأكم<sup>(٢)</sup> من مالكم شيئاً، وإنما لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي. تهذيب الحلية ١/٨٧.

\* وعن علي بن الأرقم عن أبيه قال: رأيت علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يبيع سيفاً له في السوق، ويقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته. تهذيب الحلية ١/٨٨.

\* وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) تقسم في اليوم سبعين ألفاً، وإنما لترقع درعها. الزهد لابن المبارك (٧٠٥)، الزهد لأبي داود (٢٨٣).

\* وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: كان قوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعاً، فلا أزيد عليه حتى ألقى الله عزَّجَلَّ. تهذيب الحلية ١/١٣٨.

\* وجاء رجل إلى أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعرض عليه نفقة، فقال أبو ذر: عندنا أعز نحلبها، وحر تنقل، ومحررة تخدمنا، وفضل عبادة من كسوتنا، إني أخاف أن أحاسب على الفضل. تهذيب الحلية ١/١٣٩.

(١) السمل: القديم البالي من الثياب، والقطيفة: نسيج من القطن.

(٢) أي: ما أخذ.

\* وبيع متاع سلمان (ت: ٣٣) فبلغ أربعة عشر درهماً. تهذيب الحلية ١/١٥٩.

\* وعن ميمون بن مهران قال: دخلت منزل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، فما كان فيه ما يسوي طيلسان<sup>(١)</sup> هذا. تهذيب الحلية ١/٢١٦.

\* وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الْمُصْلِحِ أَجْرَانِ»، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ.<sup>(٢)</sup>

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَبَلَّغْنَا أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَمْ يَكُنْ يَحُجُّ حَتَّى مَاتَتْ أُمُّهُ لِصُحْبَتِهَا. صحيح البخاري (٢٥٤٨)، صحيح مسلم (١٦٦٥).

\* وقيل للأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): أَلَا تَأْتِي الْأَمْرَاءُ؟ فَأَخْرَجَ جَرَّةً مَكْسُورَةً فَكَبَّهَا إِذَا كَسَرُ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ يُجْزئه مثلُ هذا ما يصنع بإتيانهم؟. صفة الصفوة ٣/١٤٠.

\* ودخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦)، فقال له: يا سالم سَلْنِي حَاجَةً، فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله.

فلما خرج في أثره، قال له: الآن قد خرجتُ، فسَلْنِي حَاجَةً، فقال له سالم: حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟ فقال: بل حوائج الدنيا، فقال له سالم: ما سألت من يملكها<sup>(٣)</sup>، فكيف أسأل من لا يملكها؟. صفة الصفوة ٢/٤٤٦.

(١) الطَيْلَسَان: كساء يضعه بعض العلماء والمشايخ على الكتف.

(٢) لأنَّ المملوك له أجران، ولأنَّه سيُحاسب عن نفسه وعن سيِّده فقط، فيرد يوم القيامة خفيف الظهر، وفقراء المسلمين يسبقون أغنياءهم في دخول الجنة.

(٣) وليس ذلك لأنه لا يرى سؤال الله تعالى مصالح الدنيا التي يحتاجها كالصحة وصلاح الأهل =

\* وعن مسلمة بن عبد الملك، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل إن شاء الله ثم عُدْتُ، فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة أَلَمْ أَمُرْكم أَنْ تَغْسِلُوا قميص أمير المؤمنين، فإن الناس يعودونه؟ قالت: والله ماله قميصٌ غيره. صفة الصفوة ٢/٤٦٥.

\* وعن مالك بن دينار قال: الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد. إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. تهذيب الحلية ١٩٨/٢.

\* ودخل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ على امرأته فقال: يا فاطمة عندك درهم أشترى به عنبًا؟ قالت: لا، فأقبلت عليه فقالت: أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري بها عنبًا!!.

قال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدًا في نار جهنم. تهذيب الحلية ١٩٩/٢.

\* وعن سهل بن صدقة، مولى عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ قال: حدثني بعض خاصة آل عمر: أنه حين أفضت إليه الخلافة سمعوا في منزله بكاء عاليًا، فسألوا عن البكاء فقالوا: إن عمر خير جواريه فقال: قد نزل بي أمر قد شغلني عنكن<sup>(١)</sup>، فمن أحب أن أعتقه أعتقه، ومن أحب أن أمسكه أمسكته إن لم يكن مني إليها شيء، فبكين إياسًا منه. تهذيب الحلية ١٩٩/٢.

---

=والمعاش، فإن ذلك خلاف السنة كما سيأتي في آداب الدعاء، ولكنه كان في أتم الصحة والعافية والغنى، فلم تكن به حاجة لسؤال الله المزيد على ما أعطاه.

(١) لأنه اتخذ الإمارة تكليفًا لا تشريفًا، وشغلًا في مصالح المسلمين، ومن كانت هذه نيته فلن يشغل بالمتع والشهوات واللذات.

\* وعن عبد الله بن مسلم، يحدث عن أبيه قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ، وعنده كاتب يكتب، قال: وشمعة تزهو وهو ينظر في أمور المسلمين، قال: فخرج الرجل، وأطفئت الشمعة وجيء بسراج إلى عمر، فدنوت منه فرأيت عليه قميصاً فيه رقعة، قد طبق ما بين كتفيه قال: فنظر في أمري. تهذيب الحلية ٢/٢٣٢.

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): أدركت أقواما كانت الدنيا تعرض لأحدهم حلالها فيدعها، فيقول: والله ما أدري على ما أنا من هذه إذا صارت في يدي. الزهد لابن المبارك (٤٧١).

\* وقال رجل لسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١): يا أبا عبد الله إن فيك لَعَجَبًا، قال: يا ابن أخي ما الذي بان لك مني حتى عجبت؟ قال: تنقلك من بلد إلى بلد، إن للناس مأوى، وللسبع مأوى، ومالك مأوى تأوي إليه! فقال له سُفْيَان: أي رجل كان المغيرة بن مقسم الضبي؟ قال: رجل صالح إن شاء الله، قال: وأي الرجال كان إبراهيم النخعي؟ قال: بخ، بخ، قال: فأَيُّ الرجال كان علقمة؟ قال: لا تسأل، قال: فأَيُّ الرجال كان عبد الله بن مسعود؟ قال: الثقة الصدوق، فقال سُفْيَان: حدثنا المغيرة بن مقسم عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: اقتحم على أهل الجنة نور في قباهم كاد أن يخطف نوره أبصار القوم، فإذا نور سن حوراء ضحكت في وجه وليها، فما كنت أدع هذا الخير أبدًا لقولك، ثم أنشأ سُفْيَان يقول:

ما ضر من كانت الفردوس مسكنه      ماذا تجرّع من بؤسٍ وإقتار  
تراه يمشي كئيبًا خائفًا وجلًّا      إلى المساجد يمشي بين أطمار  
ثم أقبل على نفسه فقال:

يا نفس مالك من صبر على النار      قد حان أن تُقبلي من بعد إدبار  
تهذيب الحلية ٢/٣٦٦.

\* وَحَجَّ الْحَجَّاجَ فَنَزَلَ بَعْضَ الْمِيَاهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَدَعَا بِالْغَدَاءِ، فَقَالَ لِحَاجِبِهِ: انْظُرْ مَنْ يَتَغَدَّى مَعِيَ وَأَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْأَمْرِ، فَنَظَرَ نَحْوَ الْجَبَلِ، فَإِذَا هُوَ بِأَعْرَابِيٍّ بَيْنَ شِمْلَتَيْنِ مِنْ شَعْرٍ، نَائِمٍ، فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: إِيْتَ الْأَمِيرَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: اغْسِلْ يَدَيْكَ وَتَغَدَّ مَعِيَ، فَقَالَ: إِنَّهُ دَعَانِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، دَعَانِي إِلَى الصَّوْمِ فَصُمْتُ قَالَ: فِي هَذَا الْحَرِّ الشَّدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ صُمْتُ لِيَوْمٍ أَشَدَّ حَرًّا مِنْ هَذَا الْيَوْمِ قَالَ: فَأَفْطِرْ وَصُمْ غَدًا قَالَ: إِنْ ضَمِنْتُ لِي الْبَقَاءَ إِلَى غَدٍ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيَّ قَالَ: فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ، قَالَ: لَمْ تَطْيِّبْهُ أَنْتَ وَلَا الطَّبَاخُ، إِنَّمَا طَيَّبْتَهُ الْعَافِيَةَ. صِفَةُ الصَّفْوَةِ ٤ / ٥٥٢.

\* وَحَكَى حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَنَّ سَفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٩٨) قَالَ لَهُ - وَأَرَاهُ خَبَزَ شَعِيرَ - : هَذَا طَعَامِي مِنْذُ سِتِينَ سَنَةً. تَهْذِيبُ السَّيَرِ ٢ / ٧٨٣.

\* وَعَنْ شَيْخٍ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ كِتَابٌ بِخَطِّ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١)، فَقَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ سَنَةً، فَفَقَدْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ أَيَّامًا، فَذُلِّتَ عَلَى مَوْضِعِهِ، فَجِئْتُ إِذَا هُوَ فِي شَبِيهِ بِكَهْفٍ فِي جِيَادٍ<sup>(١)</sup>. فَقُلْتُ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَقَالَ: لَا ثُمَّ قَالَ: ادْخُلْ، فَدَخَلْتُ، وَإِذَا عَلَيْهِ قِطْعَةٌ لِبَدٍ خَلِقَ، فَقُلْتُ: لَمْ حَجَبْتَنِي؟ فَقَالَ: حَتَّى اسْتَرْتِ. فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: سُْرِقْتُ ثِيَابِي قَالَ: فَبَادَرْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَجِئْتُهُ بِمِئَةِ دِرْهَمٍ، فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، فَامْتَنَعَ، فَقُلْتُ: قَرْضًا، فَأَبَى، حَتَّى بَلَغَتْ عِشْرِينَ دِرْهَمًا، وَيَأْبَى، فَقُمْتُ، وَقُلْتُ: مَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَكَ قَالَ: ارْجِعْ، فَارْجَعْتُ، فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ سَمِعْتَ مَعِيَ ابْنَ عُيَيْنَةَ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: تَحِبُّ أَنْ أُنْسَخَ لَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: اشْتَرِ لِي وَرَقًا قَالَ: فَكُتِبَ بِدِرَاهِمٍ اِكْتَسَى مِنْهَا ثَوْبَيْنِ. تَهْذِيبُ السَّيَرِ ٢ / ٩٢٥.

(١) قَالَ فِي الْحَاشِيَةِ: مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ يَلِي الصَّفَا.

\* وكان أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ يَصْلِي بَعْدَ الرِّزَاقِ، فَسَهَا، فَسَأَلَ عَنْهُ عَبْدُ الرِّزَاقِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ شَيْئًا. تَهْذِيبُ السَّيَرِ ٢ / ٩٢٥.

\* وقال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ قال: ربما رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ الْكِسْرَ، يَنْفُضُ الْغُبَارَ عَنْهَا، وَيُصَيِّرُهَا فِي قِصْعَةٍ، وَيَصُبُّ عَلَيْهَا مَاءً ثُمَّ يَأْكُلُهَا بِالْمَلَحِ. وَمَا رَأَيْتُهُ اشْتَرَى رَمَانًا وَلَا سَفَرَجَلًا وَلَا شَيْئًا مِنَ الْفَاكِهِةِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِطِيخَةٍ فَيَأْكُلُهَا بِخَبْزٍ وَعِنَبًا وَتَمْرًا. تَهْذِيبُ السَّيَرِ ٢ / ٩٢٦.

\* وعن عبد الملك الميموني أنه قال: حَدَّثْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: لَمَّا رَأَيْتُ قَدْرَ عَمِي -عَمْرُو بْنِ مَيْمُونٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٥)- عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ قُلْتُ: يَا عَمُّ، لَوْ سَأَلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْطَعَكَ قِطْعَةً، فَسَكَتَ عَنِّي، فَلَمَّا أَلْحَحْتُ عَلَيْهِ قَالَ: يَا بَنِي، إِنَّكَ لَتَسْأَلُنِي أَنْ أَسْأَلَهُ شَيْئًا قَدْ ابْتَدَأَنِي بِهِ هُوَ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَقَدْ قَالَ لِي يَوْمًا: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَكَ قِطْعَةً وَأَجْعَلَهَا لَكَ طِيخَةً، وَإِنْ أَحْبَابِي وَوُلْدِي وَأَهْلِي يَسْأَلُونِي ذَلِكَ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَقْبَلَهَا؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي رَأَيْتُ لَهُمُ الرَّجُلَ عَلَى قَدَرِ انْتِشَارِ ضِيعَتِهِ<sup>(١)</sup>، وَإِنِّي يَكْفِينِي مِنْ هَمِّي مَا أَحَاطَتْ بِهِ دَارِي، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْنِينِي فَعَلَ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: أَعَدَّهُ عَلِيٌّ. فَأَعَدَّتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى حَفَظَهُ. الْمُنْتَظَمُ ٩٣-٩٤ / ٨.

\* وقال البزار رَحِمَهُ اللهُ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨): أَمَّا زَهْدُهُ فِي الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذَلِكَ لَهُ شَعَارًا مِنْ صَغَرِهِ.. وَلَقَدْ اتَّفَقَ كُلُّ مَنْ رَأَاهُ خُصُوصًا مِنْ أَطَالٍ مَلَازِمَتِهِ أَنَّهُ مَا رَأَى مِثْلَهُ فِي الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى لَقَدْ صَارَ ذَلِكَ مَشْهُورًا بِحَيْثُ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي قَلْبِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ مِنْ كُلِّ مَنْ سَمِعَ بِصِفَاتِهِ عَلَى وَجْهِهَا، بَلْ لَوْ سُئِلَ عَامِي مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ بَعِيدٍ مِنَ الشَّيْخِ: مَنْ كَانَ أَزْهَدَ

(١) فِي الْأَصْلِ: صَيْتُهُ، وَهُوَ تَصْخِيفٌ، وَالْمُثْبِتُ مِنْ كِتَابِ: تَارِيخِ الرِّقَّةِ لِأَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْقَشِيرِيِّ الْحَرَانِيِّ.



أهل هَذَا الْعَصْرِ وَأَكْمَلَهُمْ فِي رَفْضِ فَضُولِ الدُّنْيَا وَأَحْرَصَهُمْ عَلَى طَلْبِ الْآخِرَةِ؟  
لَقَالَ: مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَمَا اسْتَهْرَلَهُ ذَلِكَ إِلَّا لِمَبَالِغَتِهِ فِيهِ مَعَ تَصْحِيحِ النِّيَّةِ، وَإِلَّا فَمَنْ رَأَيْنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ  
قَنَعَ مِنَ الدُّنْيَا بِمِثْلِ مَا قَنَعَ هُوَ مِنْهَا أَوْ رَضِيَ بِمِثْلِ حَالَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا؟.

لَمْ يَسْمَعْ أَنَّهُ رَغِبَ فِي زَوْجَةٍ وَلَا سُرِّيَّةٍ وَلَا دَارٍ وَلَا مَمَالِيكَ وَلَا بَسَاتِينَ وَلَا  
عَقَارٍ وَلَا شَدَّ عَلَى دِينَارٍ وَلَا دِرْهَمٍ، وَلَا رَغِبَ فِي دَوَابٍ وَلَا نَعَمٍ، وَلَا ثِيَابٍ نَاعِمَةٍ  
فَاخِرَةٍ، وَلَا حَشَمٍ، وَلَا زَاخِمٍ فِي طَلْبِ الرِّئَاسَاتِ، وَلَا رِئْيِ سَاعِيَا فِي تَحْصِيلِ  
الْمُبَاهَاتِ، مَعَ أَنَّ الْمُلُوكَ وَالْأُمَرَاءَ وَالتَّجَارَ وَالْكَهْرَاءَ كَانُوا طَوَّعَ أَمْرِهِ، خَاضِعِينَ  
لِقَوْلِهِ وَفَعْلِهِ، وَادَّيْنُ أَنْ يَتَقَرَّبُوا إِلَى قَلْبِهِ مَهْمَا أَمَكْنَهُمْ، مَظْهَرِينَ لِإِجْلَالِهِ. الْأَعْلَامُ  
الْعَلِيَّةُ فِي مَنَاقِبِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ (٤٥-٤٦).

هـ- أقوال وحكم في القناعة<sup>(١)</sup>:

\* قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) لِابْنِهِ عُمَرُ: يَا بَنِيَّ إِذَا طَلَبْتَ  
الْغِنَى فَاطْلُبْهُ بِالْقَنَاعَةِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ قَنَاعَةٌ فَلَيْسَ يُغْنِيكَ مَالٌ. عَيُونُ الْأَخْبَارِ  
١٨٧/٣.

\* وَسَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) فَقَالَ: أَلَسْنَا  
مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: «أَلَكِ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:  
«أَلَكِ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ»، قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا،  
قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ». <sup>(٢)</sup> صحيح مسلم (٢٩٧٩).

(١) ما بين المؤمن وبين عيشة وسعادة الملوك والأغنياء إلا القناعة! بل إنه بالقناعة يزيد عليهم أنسا وسعادة وراحة.

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنْتَ ومالك الدنيا سواء

(٢) لأنه بالزوجة والخادم مطاع في أمره، وفي الدار محجوب إلا عن إذنه. أدب الدين (٣٤٣).

\* وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): أهل الأموال يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ويركبون ونركب، لهم فضولُ أموالٍ ينظرون إليها، وننظر إليها معهم، عليهم حسابها، ونحن منها براء. الزهد لابن المبارك (٥٤٧).  
 \* وقال علي بن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٠٧): اِلْتَمَسْتُ الراحة فوجدتها في اليأس. ذم الهوى: ٣٨٨.

\* وقال بعضهم:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا      وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ  
 \* وقال الآخر:

إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ      فَكُلْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ  
 عيون الأخبار ٣/ ١٨٦ - ١٨٧.  
 \* وقال الآخر:

غَنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ فَاقَةٍ      فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغَنَى فَقَرًّا  
 المجالسة وجواهر العلم (٥٨٧).

\* وقيل لبعض العباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد نلت الغناء؟ قال: إنما نال الغناء من أعتق من رق الدنيا. ابن أبي الدنيا ٥/ ١٣٢.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠٥): القناعة أول الرضا. تهذيب الحلية ٣/ ١٨٣.

\* وقال بعض السلف: الناس ثلاثة أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط.  
 فالفقراء موتى إلا من أغناه الله بعز القناعة.

والأغنياء سُكَّارَى إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَوَقُّعِ الْغَيْرِ<sup>(١)</sup>.

(١) أي: تغيّر الزمان، وتقلّب الأحوال.

مأخوذ من قولك: غيّرت الشيء فتغيّر، فغيّر الزمان: تغيّره وتقلّبه بقدرة الله.

وأكثر الخير مع أكثر الأوساط، وأكثر الشر مع أكثر الفقراء والأغنياء؛ لسخف الفقر وبطّر الغني. <sup>(١)</sup> عيون الأخبار (١ / ٤٥٣).

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤):

إِذَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ      فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ  
\* وقال رَحِمَهُ اللهُ:

رَأَيْتُ الْقَنَاعَةَ رَأْسَ الْغِنَى      فَصُرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِّكٌ  
فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ      وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكٌ  
فَصُرْتُ غَنِيًّا بِلَا دَرَاهِمٍ      أُمُرٌّ عَلَى النَّاسِ شَبَهُ الْمَلِكِ  
ديوان الشافعي (٣٢، ١٣٣).

\* وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): أتدري إذا سألك أهلك حاجة لا تقدر عليها، أي شيء لك من الأجر؟ ما قلّ من الدنيا كان أقلّ للحساب. وقال: لو ترك الناس التزويج من كان يدفع العدو؟.

لبكاء الصبي بين يدي أبيه متسخطاً يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا. الآداب الشرعية ١٧٢ / ٢ - ١٧٣.

\* وقال الشاعر:

قَنَّعَ النَّفْسَ بِالْكَفَافِ وَإِلَّا      طَلَبْتُ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا  
أدب الدين (١٩٩).

\* وقال ابن الأنباري رَحِمَهُ اللهُ: أنشدنا إسماعيل بن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٠):

لَا تَعْتَبِنِ عَلَى النَّوَائِبِ      فَالْدَهْرُ يَرْغَمُ كُلَّ عَاتِبٍ  
وَاصْبِرْ عَلَى حَدَثَانِهِ      إِنَّ الْأُمُورَ لَهَا عَوَاقِبُ

فلكل صافية قذى      ولكل خالصة شوائب  
كم نعمة مطوية      لك تحت أنياب النوائب

قال القاضي إسماعيل: ما عرض لي همٌّ فادح فذكرت هذه الأبيات إلا رجوت من رَوْح الله ما يحلُّ عقالي وينعم بالي، ثم تؤول عاقبة ما أحذره إلى فاتحة ما أوثره. ترتيب المدارك (٢/ ٢٨٤).

\* ومر فتح الموصلي رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٢٢٠) بصيين مع أحدهما كسرة عليها عسل، ومع الآخر كسرة عليها كامخ<sup>(١)</sup>، فقال الذي معه الكامخ للذي معه العسل: أطعمني من خبزك، قال: إن كنت كلبًا لي أطعمتك، قال: نعم! فأطعمه من خبزه وجعل في فمه خيطًا وجعل يقوده.

فقال فتح: لو رضيت بخبزك، ما كنت كلبًا لهذا.  
قال أبو موسى: فهكذا الدنيا. تهذيب الحلية ٣/ ٧٥.

\* وقال الشاعر:

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافيًا      فإذا اقتنعت فكلُّ شيء كافي  
نهاية الأرب ٣/ ٦٨.

\* وقال الفتح بن خاقان رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> (ت: ٢٤٧): دخلت يومًا على المتوكل<sup>(٣)</sup> (ت: ٢٤٧) فرأيتَه مطرقًا يتفكر فقلت له: ما هذا الفكر يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشًا ولا أنعم منك بالًا، فقال: أطيب عيشًا مني رجل له دار واسعة، وزوجة صالحة، ومعيشة حاضرة، لا يعرفنا فنؤذيه، ولا يحتاج إلينا فنزدريه. المنتظم ١٨٢/ ١١.

(١) نوع من الطعام، وهو لفظ غير عربي، ويُطلق على المخللات.

(٢) وزير المتوكل.

(٣) هو الخليفة جعفر بن محمد بن هارون.

\* وقيل بعض السلف: متى يكون العبد عبدا؟ فقال: إذا رضي بالله وباختياره له. الزهد للبيهقي (٢٨٧).

\* وقال الشاعر:

وَمَنْ كَلَّفَتْهُ النَّفْسُ فَوْقَ كِفَافِهَا      فَمَا يَنْقُضِي حَتَّى الْمَمَاتِ عَنَاؤُهُ  
وقال الآخر:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا غَنِيًّا فَلَا تَكُنْ      عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا  
\* وقال بعض الأدباء: ربّ ضيق أفضل من سعة، وعناء خير من دعة. أدب الدين (٣٥٤، ٣٦١).

\* وقال الشاعر:

أَفَادَنْتَنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ      وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ؟  
فَصَيَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ      وَصَيَّرَ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَهُ  
الزهد الكبير للبيهقي (١١٦).

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٩٧): من قنع طاب عيشه، ومن طمع طال طيشه.

وقال الناظم:

إِنْ شِئْتَ عَيْشًا طَيِّبًا      صَفَوَا بِلَا مُتَّازِعٍ  
فَاقْنَعْ بِمَا أُوتِيَتْهُ      فَالْعَيْشُ عَيْشُ الْقَانِعِ

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٧٩، ٢٩٦).

و- ترك ما في أيدي الناس:

\* قال عبدالرزاق بن همام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١١) - وذكر أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) - فدمعت عيناه، فقال: بلغني أَنَّ نفقته نفدت، فأخذتُ

بيده فأقمته خلف هذا الباب - وأشار إلى بابه -، وما معي ومعه أحد، فقلت: إنه لا يجتمع عندنا الدنانير، وإذا بعنا الغلّة شَعَلْنَاها في شيء، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها، فأرجو أن لا تُنفَقها حتى يتهياً عندنا شيء، قال: فقال لي: يا أبا بكر لو قَبِلْتُ شيئاً من الناس قَبِلْتُ منك. طبقات الحنابلة (٢ / ٨٤).

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: كان الشريف أَبُو جعفر عبد الخالق بن أبي موسى الهاشمي العباسي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٧٠): عالماً فقيهاً، ورعاً عابداً، زاهداً، قوَّالاً بالحق، لا يحابي، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

قال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ: كان عند الإمام -يعني الخليفة- معظماً، حتى إنه وصَّى عند موته بأن يُغسَّله، تبرّكاً به.

وكان حول الخليفة ما لو كان غيره لأخذه، وكان ذلك كفاية عُمره، فوالله ما التفت إلى شيء منه، بل خَرَجَ ونَسِيَ مئزره حتى حُمِلَ إليه. قال: ولم يُشَهِد منه أنه شرب ماءً في حلقة على شدة الحر، ولا غمس يده في طعام أحدٍ من أبناء الدنيا.

قال أَبُو الحسين ابن أبي يعلى وابن الجوزي رَحِمَهُمَا اللهُ: لما احتَضِرَ القاضي أَبُو يعلى أوصى أن يُغسَّله الشريف أَبُو جعفر، فلما احتضر القائم بأمر الله قال: يغسلني أَبُو جعفر، ففعل، ولم يأخذ مما هُناك شيئاً.

ف قيل له: قد وصى لك أمير المؤمنين بأشياء كثيرة، فأبى أن يأخذ.

ف قيل له: فقميص أمير المؤمنين تبرك به، فأخذ فوطة نفسه، فنشفه بها، وقال:

قد لَحِقَ هذه الفوطة بركة أمير المؤمنين، ولم يأخذ القميص.

قال أبو محمد التميمي رَحِمَهُ اللهُ: ما حسدتُ أحداً إلاَّ الشريف أبا جعفر في ذلك

اليوم، وقد نلتُ مرتبة التدريس والتذكير والسفارة بين الملوك، ورواية الأحاديث،

والمنزلة اللطيفة عند الخاص والعام، فلمَّا كان ذلك اليوم خرج الشريف علينا، وقد غسل القائم عن وصيته بذلك، ثم لم يقبل شيئاً من الدنيا، ثم انسلَّ طالباً لمسجده، ونحنُ كلُّ منا جالسٌ على الأرض متَّحَفٌ، متغيِّرٌ لونه، مخرَّقٌ لثوبه، يهوله ما يحدث به بعد موت هذا الرجل على قدر ما له تعلق بهم، فعرفتُ أن الرجل هو ذلك.

ورآه بعضهم في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قَالَ: لما وُضعتُ في قبري رأيتُ قبة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب، وقائل يقول: هذه لك، أدخل من أي أبوابها شئت.

ورآه آخر في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قَالَ: التقيتُ بأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ فقال لي: يا أبا جعفر، لقد جاهدتَ في الله حق جهاده، وقد أعطاك الله الرضى. ذيل الطبقات ١/ ٢٩-٤٧.

\* وكان أبو الحسن بن داود المقرئ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٠٢) إمام دارياً، فمات إمام الجامع، فخرج أهل البلد إلى دارياً ليأتوا به، فلبس أهل داريا السلاح وقالوا: لا نمكنكم من أخذ إمامنا، فقال أبو محمد عبدالرحمن بن أبي نصر رَحِمَهُ اللهُ: يا أهل داريا ألا ترضون أن يُسمع في البلاد أن أهل دمشق احتاجوا إليكم في إمام؟ فقالوا: قد رضينا، فقدِّمت له بغلة القاضي فأبى وركب حماره، ودخل معهم، فسكن في المنارة الشرقية، وكان يُقرئ، ولا يأخذ على الإمامة رزقاً، ولا يقبل ممن يقرأ عليه برّاً. معرفة القراء (٢/ ٦٩٣).

\* وكان الحسن بن الفضل أبو علي المقرئ المؤدّب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٥١) من العالمين بالقراءات ووجوهها.

رآه ابن العلاف رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup> (ت: ٤٤٢) يأكل الورق، فأخبر الوزير ابن المسلمة<sup>(٢)</sup>

(١) العالم، الواعظ، أبو طاهر محمد بن علي.

(٢) وزير القائم بأمر الله، الصدر المعظم، رئيس الرؤساء، أبو القاسم، علي بن الحسن بن الشيخ أبي الفرج ابن المسلمة.

(٣٩٧-٤٥٠) فقال: أرسل إليه شيئاً، قال: ما يقبله، قال: فتحيل، وأمر غلاماً له أن يعمل لذلك المسجد مفتاحاً آخر، وقال: احمل إليه كل يوم رغيفاً ودجاجة وقطعة حلاوة، فكان أبو علي يجيء فيفتح فيجد ذلك فيعجب، ويقول: لعل هذا من الجنة، وكنتم أمره، فأخصب جسمه وسمن، فقال له ابن العلاف: ما لك قد سمت؟ فتمثل بهذا الشعر:

من أطلعوه على سرِّ فباح به      لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا  
ثم أخذ يُوري ولا يُصرِّح، فما زال به العلاف حتى أخبره بالكرامة، فقال له: ينبغي أن تدعو للوزير، ففهم القضية، وانكسر قلبه، ولم تطل بعدها مدته.<sup>(١)</sup>  
معرفة القراء (٧٨٧/٢).

\* وكان أبو الفضل الرازي المقرئ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٥٤) من أفراد الدهر علماً وورعاً.

قال عبد الغافر الفارسي رَحِمَهُ اللهُ في تاريخه: كان لا ينزل الخوانق، بل يأوي إلى مسجدٍ خراب، فإذا عُرف مكانه تركه، وإذا فُتح عليه بشيء أثر به.

قال أبو عبدالله الخلال رَحِمَهُ اللهُ: خرج الإمام أبو الفضل الرازي من أصبهان متوجهاً إلى كرمان، فخرج الناس يشيعونه، فصرهم وقصد الطريق وحده، وقال:

إذا نحنُ أذلَّجْنَا وأنتَ أماننا      كَفَى لِمَطايانا بذكراك حاديا

قال الخلال: كان أبو الفضل في طريقٍ ومعه خبز، فقصده قُطَاع الطريق، وأرادوا أن يأخذوا ذلك، فدفعهم بعصاه، فقبل له في ذلك، فقال: إنما منعتم منه لأنه كان حلالاً، وربما كنت لا أجد حلالاً مثله.

ودخل كرمان في هيئة رثة، فحُمِل إلى الملك وقالوا: هو جاسوس، فسأله

(١) كان ينبغي لابن العلاف حينما صنع له المعروف ألا يُخرجه بالسؤال، وألا يخبره عن مصدر الطعام.



الملك ما الخبر؟ فقال: إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ خَبَرِ الْأَرْضِ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ﴾ ﴿٢٦﴾ [الرحمن: ٢٦]، وَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٦﴾ [الرحمن: ٢٩] فتعجب الملك من كلامه وهابه وأكرمه، وعرض عليه ما لا فلم يقبله<sup>(١)</sup>. معرفة القراء (٢/ ٧٩٥-٧٩٨).

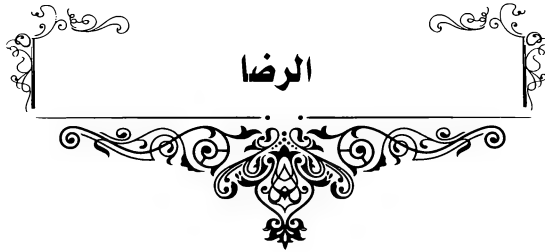
\* وقال الفرغاني صاحب ابن جرير الطبري رَحِمَهُمُ اللَّهُ: كتب ابن جرير (ت: ٣١٠) إلى المراغي رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر أن المكتفي<sup>(٢)</sup> قال: إني أريد أن أوقف وقفًا، تجتمع أقاويل العلماء على صحته، ويسلم من الخلاف، قال: فأحضر ابن جرير فأملى عليهم كتابًا لذلك، فأخرجت له جائزة سنّة فأبى أن يقبله، فقيل له: لا بُدَّ من جائزة، أو قضاء حاجة، فقال: نعم الحاجة أسأل أمير المؤمنين أن يتقدّم إلى الشرط أن يمنعوا السُّؤال من دخول المقصورة يوم الجمعة فتقدم بذلك، وعظم في نفوسهم.

قال الفرغاني: وأرسل إليه العباس بن الحسن الوزير: قد أحببتُ أن أنظر في الفقه، وسأله أن يعمل له مختصرًا، فعمل له كتاب «الخفيف»، وأنفذه، فأرسل ألف دينار فلم يقبلها، فقيل له: تصدق بها، فلم يفعل. طبقات الشافعيين (١/ ٢٠٩-٢١٠).



(١) أهل القرآن العاملون به من أشد الناس بحثًا عن أكل الحلال، وبعدا عن حظوظ النفس، وحبّ العلو والظهور.

(٢) الخليفة أبو محمد علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل العباسي (٢٦٤-٢٩٥).



## أ- رضا العبد عن الله وعن أقداره، وعدم الشكوى للمخلوق<sup>(١)</sup>:

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ يُمْكِنُ لِلْعَبْدِ أَنْ تَسْتَوِيَ النِّعْمَةُ وَالْبَلِيَّةُ عِنْدَهُ فِي الرِّضَا، إِذَا اسْتَحْضَرَ هَذِهِ الْأُمُورَ:

- ١- أَنَّهُ مُفَوَّضٌ، وَالْمَفَوَّضُ رَاضٍ بِكُلِّ مَا اخْتَارَهُ لَهُ مَنْ فَوَّضَ إِلَيْهِ، وَلَا سِيَمَا إِنْ عِلْمُ كَمَالِ رَحْمَتِهِ وَلَطْفِهِ، وَحَسَنَ اخْتِيَارِهِ لَهُ.
- ٢- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْبَلِيَّةِ وَالنِّعْمَةِ بِقَضَاءِ سَابِقٍ وَقَدَرٍ حَتْمٍ.
- ٣- أَنَّهُ عَبْدٌ مُحَضَّضٌ، وَالْعَبْدُ الْمُحَضَّضُ لَا يَسْخَطُ جَرِيَانُ أَحْكَامِ سَيِّدِهِ الْبَارِ النَّاصِحِ الْمُحْسَنِ، بَلْ يَتَلَقَّاها كُلُّهَا بِالرِّضَا بِهِ وَعَنهُ.
- ٤- أَنَّهُ مُحِبٌّ، وَالْمُحِبُّ الصَّادِقُ مِنْ رَضِيَ بِمَا يَعَامَلُهُ بِهِ حَبِيبِهِ.
- ٥- أَنَّهُ جَاهِلٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَسَيِّدُهُ أَعْلَمُ بِمُصْلَحَتِهِ وَبِمَا يَنْفَعُهُ.
- ٦- أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ قَدْ سَلَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهِ فِي جَرِيَانِ أَحْكَامِهِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْخَطْ ذَلِكَ.
- ٧- أَنَّهُ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ، فَحَسَنَ ظَنَّهُ بِهِ يُوْجِبُ لَهُ اسْتِوَاءَ الْحَالَاتِ عِنْدَهُ، وَرِضَاهُ بِمَا يَخْتَارُهُ لَهُ سَيِّدُهُ سُبْحَانَهُ.
- ٨- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا رَضِيَ: انْقَلَبَ فِي حَقِّهِ نِعْمَةٌ وَمِنْحَةٌ، وَخَفَّ عَلَيْهِ حَمْلُهُ وَأُعِينَ عَلَيْهِ، وَإِذَا سَخَطَهُ: تَضَاعَفَ عَلَيْهِ ثِقَلُهُ، وَلَمْ يَزِدْ إِلَّا شِدَّةً وَهَمًّا وَغَمًّا.
- ٩- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ رِضَاهُ عَنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ يُثْمِرُ رِضَاهُ بِهِ عَنْهُ.
- ١٠- أَنَّ السَّخَطَ يُوْجِبُ تَلَوْنَ الْعَبْدِ وَعَدَمَ ثَبَاتِهِ مَعَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَرْضَاهُ إِلَّا بِمَا يَلَائِمُ طَبْعَهُ وَنَفْسَهُ، وَالْمَقَادِيرُ تَجْرِي دَائِمًا بِمَا يَلَائِمُهُ وَبِمَا لَا يَلَائِمُهُ.
- ١١- أَنَّ السَّخَطَ يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ الشَّكِّ فِي اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقُدْرَةِ وَحُكْمَتِهِ، فَقُلَّ أَنْ يَسْلُمَ السَّاخِطُ مِنْ شَكِّ يَدْخُلُ قَلْبُهُ وَيَتَغَلَّغِلُ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يَشْعُرُ بِهِ.
- ١٢- أَنَّ الرِّضَا يَنْفِي عَنْهُ آفَاتَ الْحَرَصِ عَلَى الدُّنْيَا، وَذَلِكَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ =

\* مرض أبو بكر (ت: ١٣) فعادوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رأي قالوا: فأى شيء قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد. مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٤٤٠).

\* وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): ما أبالي على أي حال أصبحت، على ما أحب، أو على ما أكره؛ لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره. ابن أبي الدنيا ١/ ٤١٤.

\* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: إن الرجل ليستخير الله فيختار له فيتسخط على ربه، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو خير له. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٣٢.

\* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن الرجل ليشرف على الأمر من التجارة أو الإمارة، حتى يرى أنه قد قدر عليه، ذكره الله فوق سبع سموات، فيقول للملك: اذهب فاصرف عن عبدي هذا، فإني إن أيسره له أدخله

= ١٣- أن المخالفات كلها أصلها من عدم الرضا، والطاعات كلها أصلها من الرضا.

١٤- أن كل قدر يكرهه العبد ولا يُلائمه لا يخلو من أمرين:

أ- إما أن يكون عقوبة على الذنب، فهو دواء لمرض لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لترامى به المرض إلى الهلاك.

ب- وإما أن يكون سبباً لنعمة لا تُنال إلا بذلك المكروه.

١٥- أن الرضا يقوم مقام كثير من التعبادات التي تشق على البدن، فيكون رضاه أسهل عليه وألذ له وأرفع في درجته.

١٦- أن الرضا يفتح باب حسن الخلق مع الله ومع الناس، فإن حسن الخلق من الرضا، وسوء الخلق من السخط، وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

١٧- أن الرضا يفرغ قلب العبد، ويُقلل همه وغمه، فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغموها. ١. هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٥٠٧-٥١١.

جهنم، فيجيء الملك فيعوقه فيصرف عنه، فيظل يتطير بجيرانه: إنه دهاني فلان، سبقني فلان، وما صرفه عنه إلا الله. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٣٣.

\* وقال عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) لما مرض: والله إن أحبه إليّ أحبه إلى الله تعالى. الزهد لابن المبارك (٤٣٦).

\* وقيل للحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠): إن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول (ت: ٢٥): الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة. فقال: رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء. البداية والنهاية ٨/ ٢٠٤-٢٠٥.

\* واشتكى ابن أخي الأحنف إلى الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) وجع ضرسه، فقال له الأحنف: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد. صفة الصفوة ٣/ ١٤٠.

\* وطعن عبد الرحمن بن معاذ بن جبل رَحِمَهُ اللَّهُ -أي أصيب بمرض الطاعون- فدخل عليه أبوه فقال له: كيف تجدك أي بني؟ قال له: يا أبة: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] فقال له معاذ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [١٠٢]. [الصفات: ١٠٢]. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤١.

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: عاد نفرٌ من الصدر الأول رجلاً، فوجدوه في الموت، فقال له بعض القوم: ما عندك في مصرعك هذا؟ قال: الرضا والتسليم لأمر الله، قال: فما برح القوم حتى قضى، قال الحسن: عرف والله وأن مؤثلهما إلى خير. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣٩.

\* وقال ابن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨): ما يكره العبد خير له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيجه الدعاء، وما يحبه يلهيه. ابن أبي الدنيا ٩٧/٢.

\* وقال محمد بن علي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨): ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع الذي نكره لم نخالف الله عَزَّجَلَّ فيما أحب. تهذيب الحلية ١/٥١٠.

\* وقال عبد الله بن عمر الكوفي: كان عندنا بالكوفة رجل قد خرج عن دنيا واسعة وتعبّد، قال: وكان الفضيل بن عياض بالكوفة في أيامه، قال: فقدم ابن المبارك، فقال له الفضيل: إن ها هنا رجلاً من المتعبدين قد خرج عن دنيا فامض بنا إليه ننظر عقله.

قال: فجاؤوا إليه وهو عليل، وعليه عباء، وتحت رأسه قطعة لبننة، قال: فسلم ابن المارك عليه، ثم قال: يا أخي بلغنا أنه ما ترك عبداً شيئاً لله، إلا عوّضه الله ما هو أكثر منه، فما عوّضك؟ قال: الرضا بما أنا فيه. فقال ابن المبارك: حسبك، وقاما على ذلك. صفة الصفوة ٣/١٢٩.

\* وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال: رأيت في يد محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): قرحة، فكانه رأى ما شقّ عليّ منها، فقال: تدري ما لله عليّ في هذه القرحة من نعمة؟ قال: فسكت، فقال: حيث لم يجعلها على حدّقتي، ولا طرّف لساني، ولا على طرّف ذكّري قال: فهانت عليّ قرحته. صفة الصفوة ٣/١٩٢.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): إني لأغبط الرجل يكون عيشه كفافاً فيقنع به، فقال محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ: أغبط والله عندي من ذلك أن يصبح جائعاً، ويمسي جائعاً وهو عن الله عَزَّجَلَّ راضٍ. صفة الصفوة ٣/١٩٣.

\* وقال عبد الله بن عون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٠): لن يصيب العبد حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى، كيف تستقضي<sup>(١)</sup> الله في أمرك، ثم

(١) أي تطلب من الله أن يقضي لك.

تسخط إن رأيت قضاءه مخالفاً لهواك، ولعل ما هويت من ذلك لو وُفق لك فيه هُلكك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك؟ ما أنصفت من نفسك، ولا أصبت باب الرضا. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٣، ابن أبي الدنيا ١/ ٤٤١.

\* وقال أيوب السخيتاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): إذا لم يكن ما تريد، فأرد ما يكون. تهذيب الحلية ١/ ٤٣٤.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٨): إذا كنت لا ترضى عن الله كيف تسأله الرضا عنك. صفة الصفوة ٤/ ٣٤١.

\* وعن الربيع قال: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١) رَحِمَهُ اللهُ، وسهل بن عبد العزيز، ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة، دخل الربيع بن سبرة عليه وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحداً أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة، والله ما رأيت مثل ابنك ابناً، ولا مثل أخيك أخاً، ولا مثل مولاك مولى قط، فطأطأ عمر رأسه، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع فأعدت عليه ما قلت أولاً قال: لا والذي قضى عليه بالموت ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن. تهذيب الحلية ٢/ ٢٣٧.

\* ولما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز قال عمر رَحِمَهُ اللهُ: أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله، فإن ذلك لا يصلح لي في بلائه عندي وإحسانه إلي. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٤٨.

\* ودخل رجل على أبي العالية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٣) في مرضه الذي مات فيه فقال: إن أحبه إلي، أحبه إلى الله عَزَّجَلَّ. ابن أبي الدنيا ١/ ٤١٨-٤١٩.

\* وعن سفيان قال: كنا نعود زبيد الياامي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٢) فنقول: استشف الله؟ فيقول: اللهم خِر لي، اللهم خِر لي.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ١/ ٤١٩.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: اخذَ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ تَسْأَلَهُ - سبحانه - شَيْئاً مُعَيَّناً خَيْرُتَهُ وَعَاقِبَتُهُ مُعَيَّنةٌ =

\* وقال أبو معاوية الأسود رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٨) في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] قال: الرضا والقناعة. ابن أبي الدنيا ١ / ٤٢٤.

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): من رضي بما قسم الله له وَسِعَهُ، وبارك الله له فيه، ومن لم يرض لم يَسْعُهُ ولم يبارك له فيه. ابن أبي الدنيا ١ / ٤٥٦.

\* وقال بعض الحكماء: اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لا يخطر ببالك فلم تنله.

وقال بعض الشعراء:

إذا مَلَكَ القضاءُ عليك أمرا      فليس يَحُلُّهُ غيرُ القضاء  
فما لك والمُقامَ بدارٍ ذلٍّ      ودارُ العزِّ واسعةُ الفضاء

وقال بعض الحكماء: إن كنت تجزع على ما فات من يدك فاجزع على ما لا يصل إليك. أدب الدين (٤٦٥).

ب- رضا الله عن العبد، وأسباب ذلك:

\* قال أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٠٤): إذا كان رضى الخلق معسورا لا يُدرك، كان رضى الله ميسورا لا يُترك. تهذيب السيِّر ٣ / ١٣٣٧.

\* وقال حاتم الأصم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٧): من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله، أولها: الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة. تهذيب الحلية ٤ / ٥٠٢.

---

= عَنْكَ، وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنْ سُؤَالِهِ بَدَأَ فَعَلَّقَهُ عَلَى شَرْطِ عِلْمِهِ تَعَالَى فِيهِ الْخَيْرَةُ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِكَ الْإِسْتِخَارَةَ، وَلَا تَكُنْ اسْتِخَارَةً بِاللِّسَانِ بَلَا مَعْرِفَةٍ، بَلْ اسْتِخَارَةُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَصَالِحِهِ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهَا، وَلَا اهْتِدَاءَ لَهُ إِلَى تَفَاصِيلِهَا، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، بَلْ إِنْ وَكَّلَ إِلَى نَفْسِهِ هَلَكَ كُلُّ الْهَلَاكِ، وَانْفَرَطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ. مدارج السالكين ١ / ١٠١.

## فضل الذكر وبيان أثره<sup>(١)</sup>

\* كان عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨) يأخذ بيد بعض أصحابه ويقول: تعال نُؤْمِنُ ساعة<sup>(٢)</sup>، إن القلب أسرعُ تقلُّبًا من القدر إذا استَجْمَعْتَ غليانًا. الزهد لابن المبارك (١٠٨٧).

\* وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) لأصحابه وهم يمشون: اجلسوا بنا نُؤْمِنُ ساعة. صفة الصفوة ١ / ٢٣٢.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأن أذكر الله تعالى من بكرة حتى الليل، أحب إلي من أن أحمل على جياذ الخيل في سبيل الله من بكرة حتى الليل. تهذيب الحلية ١٨٤ / ١.

\* وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لأن أكبر مائة مرة أحب إلي من أن أتصدق بمائة دينار. الزهد لأحمد: ٢٥٩.

---

(١) اعلم أنَّ تدبّر الأذكار وفهمها هو المقصود من مشروعاتها، وفضل الذكر الذي جاء على لسان السلف الصالح إنما الذكر بالقلب واللسان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكلُّ قولٍ رَتَّبَ الشارع ما رتب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام، كقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مائة مرة، حُطَّتْ عَنْهُ خطاياهُ ولو كانت مثل رَيد البحر»، وليس هذا مُرْتَبًا عَلَى مجرد قول اللسان». ١. همدارج السالكين ١ / ٣٣١.

وواقعٌ كثيرٌ مِمَّنْ يقول الأذكار على خلاف ذلك، حيث يقولونها بعجلةٍ وعدم تأمُّلٍ بمعانيها ومدلولاتها، وهذا سببٌ في عدم حصول الأجر الوافر للذاكر، وعدم تأثير الذكر عليه، فللذكر لَذَّةٌ وحلاوةٌ وبركةٌ على الذاكر الذي يذكر الله بقلبه قبل لسانه.

(٢) أي: تعال نجلس نذكر الله تعالى حتى نزداد إيمانًا.



\* وقال أبو بردة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٢): لو أن رجلاً في حجره دنائير يعطيها وآخر ذاكرًا لله لكان الذاكر أفضل. الزهد لأحمد: ٣٣٨.

\* وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) في قوله تعالى: ﴿لَوْ سَاسَ الْخَنَاسِ﴾ [الناس: ٤]: الشيطان جائم على قلب ابن آدم، فإذا سهى وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس. الزهد لأبي داود (٢٩٥).

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من ضمن منكم بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وخاف الليل أن يكابده فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.<sup>(١)</sup> الزهد لأبي داود (١٤٩).

\* وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) قال: ما اجتمع ملأ يذكر الله إلا ذكرهم الله في ملأ أعز منهم وأكرم، وما تفرق قوم لم يذكروا الله عَزَّوَجَلَّ في مجلسهم إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة. الزهد لأحمد: ٢٧٨.

\* وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: الحمد لله كثيرًا، قال: فأعظمها الملك أن يكتبها حتى راجع فيها ربه عَزَّوَجَلَّ، قال: اكتبها كما قال عبدي كثيرًا. الزهد لأحمد: ٢٨١.

\* وقال كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠): من أكثر ذكر الله برئ من النفاق.<sup>(٢)</sup> جامع العلوم والحكم / ٥٧٨.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الكلام الطيب حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر صاحبه. الزهد لأحمد: ٤١٩.

(١) قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الأدب المفرد (٢٧٥): صحيح موقوف في حكم المرفوع.  
(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: ويشهد لهذا المعنى أن الله وصف المنافقين بأنهم لا يذكر الله إلا قليلاً، فمن أكثر ذكر الله، فقد باينهم في أوصافهم، ولهذا ختمت سورة المنافقين بالأمر بذكر الله، وأن لا يُلهي المؤمن عن ذلك مال ولا ولد، وإن من ألهاه ذلك عن ذكر الله فهو من الخاسرين. جامع العلوم والحكم / ٥٧٨.

\* وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ: فقد أبي رَحِمَهُ اللهُ (ت):  
 (١١٤) بغلة له، فقال: لئن ردها الله عَزَّجَلَّ لأحمدنه محامدَ يرضاهها، فما لبث أن أُتِيَ  
 بها بسرَّجها ولجامها، فركبها، فلما استوى عليها وضمَّ عليه ثيابه رفع رأسه إلى  
 السماء، وقال: الحمد لله، لم يزد عليها!.  
 فقيل له في ذلك فقال: وهل تركتُ أو أبقيت شيئاً؟ جعلتُ الحمد كله لله  
 عَزَّجَلَّ. صفة الصفوة ٢/ ٤٦٠.

\* وعن الحسن البصري (ت: ١١٠) وقيس بن عبادة رَحِمَهُمَا اللهُ - وهما من  
 كبار التابعين - قالاً: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّونَ خَفْضَ الصَّوْتِ عِنْدَ  
 الْقِتَالِ، وَعِنْدَ الْقُرْآنِ، وَعِنْدَ الْجَنَائِزِ». <sup>(١)</sup> مصنف عبدالرزاق (٦٢٨١).

\* وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤): الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله، فقد  
 ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكرٍ، وإن أكثر التسييح وتلاوة القرآن. صفة الصفوة  
 ٣/ ٥٥.

\* وعن بكر بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨): أنه لحق حمالاً عليه حملة وهو  
 يقول: الحمد لله وأستغفر الله، قال: فانتظرتَه حتى وضع ما على ظهره، وقلت له:  
 أما تحسن غير ذي؟ قال: بلى، أحسن خيراً كثيراً؛ أقرأ كتاب الله، غير أن العبد بين  
 نعمة وذنوب، فأحمد الله على نعمائه السابعة، وأستغفره لذنوبي. فقلت: الحمال  
 أفقه من بكر. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٦.

\* وعن أبي سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ قال (ت: ٢٠٥): ما يسرني أن لي من أول

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وكذلك سائر الآثار تقتضي أنهم كانت عليهم السكينة في  
 هذه المواطن، مع امتلاء القلوب بذكر الله، وإجلاله وإكرامه، كما أنَّ حالهم في الصلاة كذلك.  
 وكان رفع الصوت في هذه المواطن الثلاثة من عادة أهل الكتاب والأعاجم، ثم قد ابتلي بها كثيرٌ  
 من هذه الأمة. اقتضاء الصراط المستقيم: ٣٥٨.

الدنيا إلى آخرها أنفقه في وجوه البر وأني أغفل عن الله طرفة عين. ابن أبي الدنيا ٣٩٧ / ٢.

\* وقال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): الذّاكر الله في الغافلين كالْمقاتل خلف الفارين. الزهد لابن المبارك (٣٢٥).

قال: ولولا ذلك الرجل هُزمت الفُتة، ولولا مَنْ يذكر الله في غفلة الناس هلك الناس. صفة الصفوة ٧٠ / ٣.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: إن لكل رجل سيّدًا من عمله، وإن سيد عملي الذّكر. تهذيب الحليّة ٢ / ٩٤.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: مجالس الذّكر شفاء القلوب. تهذيب الحليّة ٢ / ٩٤.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: كانوا يتلاقون فيتساءلون وما يريدون بذلك؛ إلا أن يحمّدوا الله عزَّ وجلَّ. تهذيب الحليّة ٢ / ٩٥.

\* دخل أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٢) المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا جلوسًا، فرجا أن يكونوا على ذكّر، على خير، فجلس إليهم، فإذا بعضهم يقول: قدم غلام لي، فأصاب كذا وكذا، وقال الآخر: قد جهزت غلامي، فنظر إليهم.

فقال: سبحان الله! هل تدرون يا هؤلاء ما مثلي ومثلكم؟ كمثّل رجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصرّاعين عظيمين، فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني أذى هذا المطر، فدخل فإذا بيت لا سقف له.

جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير، على ذكّر، فإذا أنتم أصحاب دنيا!.

فقام عنهم. الزهد لابن المبارك (٨٩٤).

\* وقال رجل من العباد يوماً لإخوانه: إني لأعلم متى يذكرني ربي عزَّ وجلَّ؟ قال: ففرعوا من ذلك، فقالوا: تعلم حين يذكرك ربك؟ قال: نعم، قالوا: متى؟ قال: إذا ذكرته ذكرني. شعب الإيمان (١٠٩٩).

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى. صفة الصفوة ٣/ ١٩٥.

\* وكان الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٠) إذا أصبح قال: مرحباً بملائكة الله، اكتبوا، بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. صفة الصفوة ٣/ ٤٥.

\* وعن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨١) قال: ما دام قلب الرجل يذكر الله فهو في الصلاة، وإن كان في السوق فإن يحرك به شفتيه فهو أعظم تهذيب الحلية ٨٦/ ٢.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: لو أن رجلاً جلس على ظهر الطريق ومعه خرقة فيها دنانير لا يمر إنسان إلا أعطاه دنانير وآخر إلى جانبه يكبر لكان صاحب التكبير أعظم أجراً. الزهد لأحمد: ٦٥١.

\* وقال عبيد الله بن عمير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٧): إن بخلتم بالمال أن تنفقوه وجبتكم عن العدو أن تقاتلوه وأعظمكم الليل أن تساهروه فاستكثروا من قول سبحان الله وبحمده، فوالذي نفسي بيده هذا أوجه عند الله من جبلي ذهب وفضة.<sup>(١)</sup> الزهد لأحمد: ٦٢٨.

\* وعن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤) قال: لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً. تهذيب الحلية ١١/ ٢.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: مِمَّا هُوَ كَالِإِجْمَاعِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرِهِ: أَنَّ مَلَازِمَةَ ذِكْرِ اللَّهِ دَائِمًا هُوَ أَفْضَلُ مَا شَغَلَ الْعَبْدُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْجُمْلَةِ. مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦٠).

\* وعن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧) قال: كان يقال: الذكر ذكران، ذكر الله باللسان، وأفضل من ذلك أن تذكره عند المعصية، إذا أشرفت عليها. تهذيب الحلية ٥٥ / ٢.

\* وعن حسان بن عطية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠): قال: ما عادي عبد ربه بأشد من أن يكره ذكره ومنْ ذَكَرَهُ. تهذيب الحلية ٢٦٦ / ٢.

\* وعن ابن عون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٠) قال: ذَكَرُ النَّاسِ دَاءٌ، وَذَكَرُ اللَّهِ دَوَاءٌ. قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٨): إِي وَاللَّهِ، فَالْعَجَبُ مِنَّا وَمِنْ جَهْلِنَا كَيْفَ نَدْعُ الدَّوَاءَ وَنَقْتَحِمُ الدَّاءَ؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ولكن لا يتهيا ذلك إلا بتوفيق الله. ومن أدمن الدعاء ولازم قَرَعَ الباب فُتِحَ له. تهذيب السَّير ٦٥٧ / ٢.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: إذا أراد الله بعبده خيراً حبب إليه ذكره. تهذيب الحلية ٤٦٨ / ١.

\* وكان حجام يأخذ من شارب معروف الكرخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤)، وكان معروف يسبح فقال الحجام: لا يتهيا أخذ الشارب وأنت تسبح، فقال معروف: أنت تعمل وأنا لا أعمل؟ تهذيب الحلية ١٠٢ / ٣.

\* وقيل لمحمد بن النضر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨١) كأنك تكره أن تزار؟ قال: أجل، قيل: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: «أنا جليس من ذكرني»؟<sup>(١)</sup> المنتظم ٢٦٩ / ٨.

---

(١) روى البيهقي في شعب الإيمان (٦٧٠) عن كعب الأحبار رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: قال موسى عَلَيْهِ السَّلَام: يا رب أقرِّب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فقال له: يا موسى، أنا جليس من ذكرني.

\* وكان أبو يعقوب البويطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣١) أبداً يُحرِّكُ شفّيته بذكر الله. طبقات الشافعيين (١/١٥٩).

\* وقال ابن القيم: رَحِمَهُ اللهُ: الحادية والستون<sup>(١)</sup> أن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه.

وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨) في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمراً عجيباً، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً.

وقال: وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد هذا الغداء لسقطت قوتي، أو كلاماً قريباً من هذا.

وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحته لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلاماً هذا معناه. الوابل الصيب / ٤٢، ٧٧.



(١) من فضائل الذكر التي عددها ابن القيم.

## الدعاء

أ- أهمية الدعاء، والتضرع إلى الله والتذلل له، وما قيل في ذلك:

\* جاء رجل إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فقال: يا أمير المؤمنين احملني فإني أريد الجهاد، فقال عمر لرجل: خذ بيده فأدخله بيت المال يأخذ ما شاء، فدخل فإذا هو بيضاء وصفراء، فقال: ما هذا؟ مالي في هذا حاجة إنما أردت زادا وراحلة، فردوه إلى عمر فأخبروه بما قال، فأمر له بزاد وراحلة وجعل عمر يرحل له بيده، فلما ركب رفع الرجل يده فحمد الله وأثنى عليه بما صنع به وأعطاه. وعمر يمشي خلفه يتمنى أن يدعو له، فلما فرغ قال: اللهم وعمر فاجزه خيرا، وأوماً بيده إلى رحله. <sup>(١)</sup> الزهد لهناد (٥٦٠).

\* وعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: «إِذَا كَانَ الْعَبْدُ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَيَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضُرٌّ فَدَعَا اللَّهَ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتُ مَعْرُوفٍ مِنْ أَمْرٍ ضَعِيفٍ فَيَشْفَعُونَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَلَا يَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ فَأَصَابَهُ ضُرٌّ فَدَعَا اللَّهَ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتُ مُنْكَرٍ فَلَمْ يَشْفَعُوا لَهُ». مصنف بن أبي شيبة (٣٤٦٦٤).

\* وقال: إن الله حيي كريم يستحي من عباده أن يرفع إليه يده يدعوهم فيردها صفرا ليس فيها شيء. الزهد لهناد (١٣٦١).

(١) اختبر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلاح الرجل وصدقه، فلما تحقق ذلك طمع أن يدعو له؛ لأنّ دعاء الصالحين أقرب للإجابة من غيرهم، ولم يطلب منه صراحة ذلك؛ لأنه قد جاء النهي عن سؤال الناس الدعاء وغيره.

\* وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق. صفة الصفوة ١ / ٢٩٠.

\* وقال أبو الدرداء (ت: ٣٢): ادْعَ الله تعالى في يوم سَرَّائِكَ، لعله أن يستجيب لك في يوم ضرائك. تهذيب الحلية ١٧٨ / ١.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن العبد المسلم ليُغفر الله له وهو نائم.

قل له: وكيف ذاك يا أبا الدرداء؟.

قال: يقوم أخوه من الليل فيتهجد فيدعو الله فيستجيب له، ويدعو لأبيه فيستجيب له. الزهد لأحمد: ٢٦٤.

\* وقال عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢): لَا يَسْمَعُ اللهُ مِنْ مُسْمِعٍ<sup>(١)</sup>، وَلَا مِنْ مُرَاءٍ، وَلَا لَاِعِبٍ، وَلَا مِنْ دَاعٍ إِلَّا دَاعٍ دَعَاءٌ ثَبَتًا مِنْ قَلْبِهِ. الزهد لأحمد: ٢٩٤، الأدب المفرد (٦٠٧) وصححه الألباني.

\* وعن ثابت البناني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رجل من العُباد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه قال يوماً لإخوانه: إني لأعلم حين يستجيب لي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، فعجبوا من قوله وقالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قال: إِذَا وَجَلَ قَلْبِي، وَاقْشَعَرَ جُلْدِي، وَفَاضَتْ عَيْنِي، وَفُتِحَ لِي فِي الدَّعَاءِ، فَثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ قَدْ اسْتَجِيبَ لِي. شعب الإيمان (١٠٩٩).

\* وقال طاووس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٦): إِيَّاكَ أَنْ تَرْفَعَ حَوَائِجَكَ إِلَى مَنْ أَغْلَقَ دُونَكَ بَابَهُ، وَجَعَلَ دُونَكَ حِجَابًا، وَعَلَيْكَ بِطَلَبِ حَوَائِجِكَ إِلَى مَنْ بَابُهُ مَفْتُوحٌ لَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، طَلَبِ مِنْكَ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعْدُكَ الْإِجَابَةِ. تهذيب الحلية ٣٠ / ٢.

\* وقال أبو العتاهية (ت: ٢١٣):

لَا تَسْأَلَنَّ أَخَاكَ يَوْمًا حَاجَةً      وسل الذي أبوابه لا تحجب

(١) أي من فعل فعلا أراد به التسميع للناس والاشتهار.



الله يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهٗ      وبني آدم حين يسأل يغضب  
فاجعل سُؤَالَكَ لِلإِلهِ فَإِنَّمَّا      في فضل نعمة ربنا نتقلب  
الجامع المنتخب / ١٥٨ .

\* وقال مطرف رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥): نظرت في بدء هذا الأمر ممن هو؟ فإذا هو  
من الله تعالى، قلت: فعلى من تمامه؟ فإذا هو على الله تعالى، ونظرت ما ملاكه؟  
فإذا ملاكه الدعاء. تهذيب الحلية ٣٦٣ / ١ .

\* وقال بعضهم:

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرُمُوهُ      وسأئل الله لا يخيبُ  
عيون الأخبار ٥٨٩ / ٢ .

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠): ما بالنا نشكو فقرنا إلى مثلنا،  
ولا نطلب كشفه من ربنا. تهذيب الحلية ٤٨٩ / ٢ .

\* وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٤): تعبد رجل زماناً، ثم بدت له إلى  
الله حاجة، فصام سبعين سبباً، يأكل في كل سبت إحدى عشرة ثمرة، ثم سأل الله  
حاجته فلم يعطها، فرجع إلى نفسه فقال: منك أتيت، لو كان فيك خير أُعْطِيت  
حاجتك، فنزل إليه عند ذلك ملك فقال: يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك  
التي مضت، وقد قضى الله حاجتك. الزهد لأحمد: ٦٢١ .

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): والله لو يئست من الخلق حتى  
لا تريد منهم شيئاً، لأعطاك مولاك كل ما تريد.<sup>(١)</sup> جامع العلوم والحكم / ٢٦٤ .

---

(١) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ما السبب في أن الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق؟  
فقال: سبب هذا تحقيق التوحيد: «توحيد الربوبية» و«توحيد الإلهية». مجموع الفتاوى (١٠) /  
(٣٣١)

وذلك بأن تُوقن حقّ اليقين وتشهد بقلبك انفراد الله تعالى بالخلق، وأنّ ما يحصل من خير وشر، =

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: إن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرّعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة يرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما

= ونفع وضرّ، إنما هو بمشيئة الله وتقديره وعلمه، وجرى به قلمه، وأن كل مصيبة وبلية وقعت عليك فالله الرحيم العليم الحكيم قَصَدَهَا وساقها إليك، واختارك لها من بين الناس؛ ابتلاء واختبارًا لك؛ لينظر صبرك عليها، ورضاكَ به، وتوجّهك والتفات قلبك حينها يكون لمن؟ وبهذا تكون قد حقّقت توحيد الربوبية.

وهذا يفتح لك باب الاستعاذة به في كلّ أمورك، ودوام الالتجاء إليه والافتقار إليه في كلّ شؤونك.

وبهذا تكون قد حقّقت توحيد الألوهية.

فإذا أُصِبت بمصيبة، أو تسلّط عليك عدوّك، أو جفاك صديقك، أو عَقَّك ولدك، أو كرهك حبيبك: شهدت بقلبك تسلّط عدوّك الشيطاني أو الإنسيّ عليك، وأنت مع ذلك ملتفتٌ إلى ربك وناصرك ووليّك، عالمٌ بأنّ نجاتك بيديه، وناصيته بين يديه، وأنه لو شاء لأعانك وخلّصك من يديه، فتتضرّع إليه وتتذلّل بين يديه وحده.

ومثلك في هذه الحالة كمثّل عبد مملوكٍ لدى سيّد غنيّ كريم محبّ له، مُشْفِق عليه، فأخذه بنفسه، وقَدَّمه ليضرب عنقه بيده، فأخكم رَبطه وأَعْمَض عينيه، وقد أيقن العبد أنه في قبضته، وأنه هو قاتله لا غيره، وقد علم مع ذلك برّه به ولطفه ورحمته ورأفته وجوده وكرمه، فجعل يناشده ويتوسّل إليه بأوصافه، ويدخل عليه به: يا سيدي، أنت المشفق عليّ، والرؤوف بي، والكريم عليّ، والمحسن إليّ، قد أغلقت عليّ الأبواب إلّا بابك.

قد انْقَطَعَتْ كُلُّ السُّبُلِ لنجاته إلّا السبيل إليه، وتلاشت فرص الحياة إلّا من قبّله، وذهب عن خاطره وفكره كلُّ سبب، فانقطع تعلّقه بكلّ شيء إلّا به، فهو مُعرض عن عدوّه الذي سلّطه سيّده عليه عقوبةً أو ابتلاءً واختبارًا لصبره وقوة محبته له، وتعلّقه ورضاه به.

فحاله كحال من جاءته مصيبةٌ ومحنةٌ على يد عدوّ من الإنس أو الجنّ، فهو يعلم أنّ الله تعالى هو الذي سلّط ذلك العدو، فهو مشغول بالتوبة والرجوع إلى الله، وطلّب العون منه، ولم ينشغل بالظعن في عدوه، وسبّه وعيبه.

ومتى فعلت ذلك: قربك ربك الرحيم الودود من عتبة العبودية، وطرحك عند بابه فقيرًا عاجزًا مسكينًا، لا تملك لنفسك ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فقربك وأجاب دعاءك وقضى حاجتك.

ينظر: طريق الهجرتين لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (٣٨٢-٣٨٤)

أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأُجبت.<sup>(١)</sup> جامع العلوم والحكم / ٢٦٥.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤):

أَتَهَرَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ      وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ  
سَهَامُ اللَّيْلِ نَافِذَةٌ وَلَكِنْ      لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ  
فِيْمَسْكُهَا إِذَا مَا شَاءَ رَبِّي      وَيُرْسِلُهَا إِذَا نَفَذَ الْقَضَاءُ

ديوان الشافعي (٣٢).

\* وسُئِلَ الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): كم بيننا وبين عرش ربنا؟

قَالَ: دعوة مسلم يجيب الله دعوته. طبقات الحنابلة (١/ ١٢٠).

\* وقيل لأبي إسحاق الجُبَيْنَانِي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٩٩): عندي دعاء الخليل حين

ألقي في النار، ودعاء يونس حين التَّقَمَهُ الحوت، فقال له: يا مسكين، إن كنت

تدعو دعاء الأنبياء وتفعل فعل الفراعنة فمن تُخَادِعُ؟<sup>(٢)</sup> ترتيب المدارك (٤/ ٥١).

ب- الحذر من دعاء المظلوم، وذكر بعض القصص في ذلك:

\* عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: شَكَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ (ت: ٦٠)

إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَدْعُ

مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ

مِنْهُمْ فَقَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا

يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ!.

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد

لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه

حيثنَّ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله. جامع العلوم

والحكم / ٢٦٥.

(٢) فليست العبرة بصيغة الدعاء، مهما كان عظيما وبليغا، بل العبرة بصدق وإخلاص الداعي، وقوة

يقينه وإيمانه، وصلاح سريرته وعلايته، ومن كان كذلك أجاب الله دعاءه.

قَالَ سَعْدٌ: أَمَّا وَاللَّهِ لَأَدْعُونَ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ، فَأُطِلَ عُمُرُهُ، وَأُطِلَ فَقْرُهُ، وَعَرَّضَهُ بِالْفِتَنِ.

وَكَانَ بَعْدَ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدَ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطَّرِيقِ يَغْمِزُهُنَّ.<sup>(١)</sup> صحيح البخاري (٧٥٥).

\* وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إياكم ودعوة اليتيم، ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام. صفة الصفوة ١ / ٣٠١.

\* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياك ودعواتِ المظلوم، فإنهنَّ يصعدنَّ إلى الله كأنهنَّ شرارتٌ من نار. تهذيب السَّير ١ / ٢٧٢.

\* وادَّعت أروى بنت أويس أن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥١) أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ قال سمعته يقول: «من أخذ شيئًا من الأرض طَوْقَهُ إلى سبع أرضين» قال مروان: لا أسألك بِنَتِّه بعد هذا، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبةً، فأعم بصرها، واقتلها في أرضها.

قال الراوي: فرَأَيْتُهَا عَمِيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدْرَ تقول: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بئرٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا. صحيح مسلم: (١٦١٠)، (٣٠٢٢).

\* وكان أبو مسلم الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٢) إذا انصرف من المسجد إلى

(١) قال الحافظ ابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ سَعْدًا مَعَ كَوْنِ هَذَا الرَّجُلِ وَاجِهَهُ بِهِذَا وَأَغْضَبَهُ حَتَّى دَعَا عَلَيْهِ فِي حَالِ غَضَبِهِ رَاعَى الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِ؛ إِذْ عَلَّقَهُ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا، وَأَنْ يَكُونَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضِ الدُّنْيَوِيِّ. فتح الباري ٢ / ٣١١.

أهله كبر على باب منزله، فتكبر امرأته، فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته. فانصرف ذات ليلة، فكبر عند باب داره، فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر، فلم يجبه أحد، فلما كان في باب بيته كبر فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه، ثم أتته بطعامه قال: فدخل، فإذا البيت فيه سراج، وإذا امرأته جالسة منكسة تنكث بعودٍ معها، فقال لها: مالك؟ قالت: أنت لك منزلة من معاوية، وليس لنا خادم، فلو سألته فأخدمنا وأعطاك. فقال: اللهم من أفسد عليّ امرأتي فأعم بصره قال: وكانت قد جاءت امرأته قبل ذلك فقالت: زوجك له منزلة من معاوية، فلو قلت له كتب إلى معاوية بخدمة ويعطيه عشتم قال: فيينا تلك المرأة جالسة في بيتها أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طفي؟ قالوا: لا، فعرفت ذنبها، فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو لها الله عزَّ وجلَّ أن يرد عليها بصرها. فرحمها أبو مسلم، فدعا الله عزَّ وجلَّ فردَّ عليها بصرها. ابن أبي الدنيا ٢ / ٣٦١.

\* وكذب رجل على مطرف بن عبد الله بن الشخير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥)، فقال له مطرف: إن كنت كاذبًا، فعجل الله حتفك، فمات الرجل مكانه. ابن أبي الدنيا ٢ / ٣٦٣.

\* وكان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) فيؤذيهم فقليل للحسن: يا أبا سعيد ألا تكلم الأمير حتى يصرفه عنا؟ قال: فسكت عنهم. فأقبل ذات يوم والحسن جالس مع أصحابه فلما رآه قال: اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت.

فخر الرجل والله من قامته فما حل إلى أهله إلا ميتا على سرير.

فكان الحسن إذا ذكره بكى وقال للناس: ما كان أغره بالله. ابن أبي الدنيا ٢ / ٣٦٤.

\* ووشى رجل ببسر بن سعيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠) إلى الوليد، فأرسل إليه

الوليد، والرجل عنده، قال: فجيء به ترعد فرائضه، فأدخل عليه، فسأله عن ذلك، فأنكره بسر، وقال: ما فعلت؟.

فالتفت الوليد إلى الرجل، فقال: يا بسر، هذا يشهد عليك بذلك، فنظر إليه بسر، وقال: أهكذا؟ فقال: نعم. فنكس رأسه، وجعل ينكت في الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: اللهم قد شهد بما قد علمت أني لم أقله، اللهم فإن كان صادقاً فأرني به على ما قال. فانكب الرجل على وجهه، فلم يزل يضطرب حتى مات. ابن أبي الدنيا ٢ / ٣٨٠.

\* وعن عبد الواحد بن زياد، قال: كنا عند مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١)، ومعنا محمد بن واسع، وحبيب أبو محمد، فجاء رجل فكلّم مالكا وأغلظ له في قسمة قسمها، وقال: وضعتها في غير حقها، وتتبع بها أهل مجلسك ومن يغشاك، ليكثر غاشيك، وتصرف إليك الوجوه.

قال: فبكى مالك، وقال: والله ما أردت هذا، قال: بلى والله لقد أردته. فجعل مالك يبكي، ثم قال: اللهم إن كان هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت.

قال: فسقط والله الرجل على وجهه ميتاً، فحمل إلى أهله على سرير. ابن أبي الدنيا ٢ / ٣٨٠.

\* ومر الأمير يوماً فصاحوا: الطريق، ففرج الناس، وبقيت عجوز كبيرة لا تقدر أن تمشي، فجاء بعض الجلاوذة فضر بها بسوط ضربة، فقال حبيب أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٩): اللهم اقطع يده.

فما لبث إلا ثلاثاً، حتى مرّ بالرجل قد أخذ في سرقة، فقطعت يده. ابن أبي الدنيا ٢ / ٣٨٠.

\* وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: كان خالد بن برمك البرمكي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٥) من رجال العلم، توصّل إلى أعلى المراتب في دولة أبي جعفر المنصور، ثم كان ابنه يحيى رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٠) كامل السؤدد، جليل المقدار، بحيث إنّ المهديّ ضمّ إليه ولده الرّشيد، فأحسن تربيته وأدّبه، فلما أفضت الخلافة إلى الرّشيد، ردّ إلى يحيى مقاليد الأمور، ورفع محله، وكان يُخاطبه يا أبي، فكان من أعظم الوزراء، ونشأ له أولاد صاروا ملوكًا، ولا سيّما جعفر، وما أدراك ما جعفر؟ له نبأ عجيب، وشأن غريب، بقي في الارتقاء في رتبة، شرك الخليفة في أمواله ولذّاته وتصرفه في الممالك، ثم انقلب الدّست في يوم. فقتل، وسُجن أبوه وإخوته إلى الممات، فما أجهل من يَغترّ بالدُّنيا!

قيل: إنّ ولدًا ليحيى قال له وهم في القيود: يا أبة بعد الأمر والنهي والأموال صرنا إلى هذا؟ قال: يا بُني دعوة مظلوم غفلنا عنها، لم يعقل الله عنها. السّير ٧٩٧/٢.

\* وعن أبي عون الفرائضي قال: خرجت إلى مجلس أحمد بن منصور الزيايدي رَحِمَهُ اللهُ سنة اثنتين وستين ومائتين، فرأيت رجلًا قد أمر بالقبض على امرأة وأمر بجرها، فقالت له: اتق الله. فأمر أن تجر، فلم تزل تناشده الله وهو يأمر بجرها إلى أن بلغت باب القنطرة، فلما يئست من نفسها رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦] إنّ كان هذا الرجل يظلمني فخذ. قال أبو عون: فوقع الرجل على ظهره ميتًا، وأنا أراه، فحُمِل على جنازة، وانصرفت المرأة. المنتظم ١٢/١٧٤.

\* وقال الحاكم: سمعت أبي يقول: لما قتل أحمد بن عبد الله السجستاني

-الذي استولى على البلاد- الإمام حيكان بن الذهلي، أخذ في الظُّلم والعسف، وأمر بحَرْبَةٍ رُكزت على رأس المِرْبَعَةِ<sup>(١)</sup>، وجمع الأعيان، وحلف: إن لم يصبوا الدراهم حتى يغيب رأس الحربة، فقد أحلُّوا دماءهم، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، فَخُصَّ تاجرٌ بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم فحملها إلى أبي عثمان الحيري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٠٠) وقال: قد حلف هذا كما بلغك ووالله لا أهتدي إلا إلى هذه.

قال: تأذن لي أن أفعل فيها ما ينفعك؟ قال: نعم، ففرَّقها أبو عثمان، وقال للتاجر: امكُثْ عندي، وما زال أبو عثمان يتردد بين السَّكَّةِ والمسجدِ ليلته حتى أصبح، وأذن المؤذن، ثم قال لخادمه: اذهب إلى السُّوق، وانظر ماذا تسمع، فذهب، ورجع فقال: لم أر شيئاً، قال: اذهب مرَّةً أخرى، وهو في مناجاته يقول: وَحَقِّكَ لَا أَقْمْتُ مَا لَمْ تُفَرِّجْ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، قال: فأتى خادمه الفرغانيُّ يقول: وكفى الله المؤمنين القتال، شَقَّ بطنُ أحمدَ بن عبد الله، فأخذ أبو عثمان في الإقامة. قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: بمثل هذا يعظُمُ مشايخ الوقت. تهذيب السَّيَر ٣/ ١١٣٢. \* واحتال على بنان الحمال البغدادي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣١٦) أبو عبيد الله القاضي حتى ضُرب سبع درر فقال: حبسك الله بكل درة سنة، فحبسه ابن طولون سبع سنين. تهذيب الحِلْيَةِ ٤١٨/ ٣.

ج- قصص من أجاب الله دعاءه<sup>(٢)</sup>:

\* عن أسلم قال: بينا عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يعرض للناس، إذ مر به رجل معه ابن له على عاتقه. فقال عمر: ما رأيت غراباً بغراب أشبه بهذا

(١) المِرْبَعَةُ: عصا تُحمل بها الأثقال.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَصَدَقَتْ ضَرُورَتُهُ وَفَاقَتْهُ وَقَوِي رَجَاؤُهُ: فَلَا يَكَادُ يُرَدُّ دَعَاؤُهُ. الفوائد / ٤٧.



من هذا. فقال الرجل: أما والله يا أمير المؤمنين، لقد ولدته أمه وهي ميتة قال: ويحك، وكيف ذاك؟.

قال: خرجت في بعث كذا وتركتها حاملاً، وقلت: أستودع الله ما في بطنك، فلما قدمت من سفري أخبرت أنها قد ماتت.

فبينما أنا ذات ليلة قاعد في البقيع مع بني عم لي، إذ نظرت فإذا ضوء يشبه السراح في المقابر.

فقلت لبني عمي: ما هذا؟ قالوا: لا ندري، غير أننا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة.

فأخذت معي فأسأ، ثم انطلقت نحو القبر، فإذا القبر مفتوح، وإذا هذا في حجر أمه. فدنوت، فناداني مناد: أيها المستودع ربه: خذ وديعتك، أما لو استودعت أمه لوجدتها. فأخذت الصبي، وانضم القبر. ابن أبي الدنيا ٢ / ٣٣٨-٣٣٩.

\* وعن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: أخرجوا بنا إلى أرض قومنا قال ابن عباس: فخرجنا، فكنت أنا وأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مؤخرة الناس، فهاجت سحابة، فقال أبي: اللهم اصرف عنا أذاها.

فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم. فقال عمر: ما أصابكم الذي أصابنا؟. قلت: إن أبا المنذر دعا الله أن يصرف عنا أذاها، فقال عمر: ألا دعوتهم لنا معكم؟. ابن أبي الدنيا ٢ / ٣٣٢.

\* وصدق القائل:

أَلَيْسَ اللَّهُ فِي كُلِّ قَرِيْبًا؟      بَلَى! مِنْ حَيْثُ مَا نُؤَدِّي أَجَابًا

وَلَمْ تَرَ سَائِلًا لِلَّهِ أَكْدَى      وَلَمْ تَرَ رَاجِيًا لِلَّهِ خَابًا

\* وشكى قِيَمٌ <sup>(١)</sup> لأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) في أرضه العطش، فصلى

(١) أي: الخادم القائم على شؤونه.

أنس فدعا، فثارت سحابة حتى غشيت أرضه فملأت صهريجه، فأرسل غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه، فنظر، فإذا هي لم تعد أرضه. ابن أبي الدنيا ٣٣٧/٢، المنتظم ٣٠٤ - ٣٠٥/٦.

\* وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض ثقيل، فلم نبرح حتى قضى، فبسطنا عليه ثوبه، وأم له عجوز كبيرة عند رأسه، فالتفت إليها بعضنا، فقال: يا هذه، احتسبي مصيبتك عند الله قالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم.

فمدت يدها إلى الله، فقالت: اللهم إنك تعلم أنني أسلمت، وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تعينني عند كل شدة ورخاء، فلا تحملني على هذه المصيبة اليوم.

قال: فكشفت عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه. ابن أبي الدنيا ٢/٢٤٠.

\* وعن عمرة قالت: كنت عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فجاءتها امرأة متعلقة برجل، تزعم أنه أخذ خاتما لها، ويزعم أن لا، فقالت: أئمنوا رحمكم الله، اللهم إن كنت كاذبة فأبيس يدي، وإن كان كاذبا فأبيس يده، فأصبح الرجل ويمينه يابسة، قالت عمرة: وحججت حجتين أو ثلاثة وأنا أسمع الرجل من أهل مكة وأهل المدينة يقول الرجل منهم: إن كنت فعلت كذا وكذا فأظهر الله عَزَّوَجَلَّ علي كما أظهر على صاحب الخاتم. ابن أبي الدنيا ٤/٥٢١.

\* وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يُكنى: أبا معلق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره، يضرب به في الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقية لص مقنع في السلاح، فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك قال: ما تريد إلى دمي؟ شأنك بالمال، قال: أما المال فلي، ولست أريد

إلا دمك قال: أما إذا أبيت، قذرنى أصلي أربع ركعات، قال: صل ما بدا لك.  
فتوضأ ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود،  
يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، ومملك الذي  
لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث  
أغثني، يا مغيث أغثني، قال: دعا بها ثلاث مرات.

فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه، فلما بصره اللص  
أقبل نحوه، فطعنه، فقتله ثم أقبل إليه، فقال: قم.

قال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم، قال: أنا ملك من  
أهل السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول، فسمعت لأبواب السماء قعقة، ثم  
دعوت بدعائك الثاني، فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث،  
ف قيل لي: دعاء مكروب، فسألت الله تعالى أن يوليني قتله.

قال أنس: فاعلم أنه من توضأ، وصلى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء،  
استجيب له مكروبًا كان، أو غير مكروب. ابن أبي الدنيا ٢ / ٣٢١ - ٣٢٣.

\* وعن محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠) قال: كانت لي سارية في مسجد  
رسول الله ﷺ أجلس أصلي إليها بالليل، ففحط أهل المدينة سنة، فخرجوا  
يستسقون فلم يُسقَوْا، فلما كان من الليل صليتُ عشاء الآخرة في مسجد رسول الله  
ﷺ ثم جئت فتساندت إلى ساريتي، فجاء رجل أسود تعلوه صفرة متزّر بكساء،  
وعلى رقبته كساء أصغر منه. فتقدم إلى السارية التي بين يدي وكنتُ خلفه، فقام  
فصلى ركعتين، ثم جلس، فقال: أي ربّ خرج أهل حرم نبيك يستسقون فلم  
تسقهم، فأنا أقسم عليك لما سقيتهم.

قال ابن المنكدر: فقلت: مجنون قال: فما وضع يده حتى سمعتُ الرعد،

ثم جاءت السماء بشيءٍ من المطر، فلما سمع المطر حمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها قطّ قال: ثم قال: ومن أنا وما أنا حيث استجبت لي، ولكن عُدْتُ بحمدك، وعُدْتُ بطولك. ثم قام فلم يزل قائماً يصليّ حتى إذا أحسَّ الصبح سجد وأوتر، وصلى ركعتي الصبح، ثم أقيمت صلاة الصبح، فدخل في الصلاة مع الناس ودخلتُ معه.

فلما سلّم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه، فجعل يمشي وأتبعه حتى دخل داراً قد عرفتها من دُور المدينة، ورجعتُ إلى المسجد. فلما طلعت الشمس وصليت خرجت حتى أتيت الدار، فإذا أنا به قاعد يخرز، وإذا هو إسكاف. <sup>(١)</sup> صفة الصفوة ٢ / ٥١١.

\* وعن بكر بن خنيس رَحِمَهُ اللهُ قال: خرجنا مرة لنستقي، وخرج الأمير والقاضي، فدعا القاضي ثم أذن الأمير للناس بالانصراف، قال: وما نرى في السماء سحاباً وإلى جنبي أسود.

قال: فالتفت إليه فسمعتَه يدعو وأعجبت بدعائه، فقال في دعائه لما نظر إلى الناس منصرفين: اللهم اسقنا الساعة وأقلب عبادك مسرورين، قال: فوالله إن كان إلا انقضاء قوله حتى أقبلت السماء بأشد ما يكون من المطر، قال بكر: فحرصت على أن أعرفه أو أدركه فلم أقدر على ذلك. ابن أبي الدنيا ٢ / ٤٠١.

\* وعن عمرو السريّا رَحِمَهُ اللهُ قال: كنت أغير في بلاد الروم وحدي، فبينما أنا ذات يوم نائم، ورد علي عِلج فحركني برجله، فانتبهت فقال: يا عربي، اختر إن شئت مطاعنة، وإن شئت مسايقة، وإن شئت مصارعة.

فقلت: أما المسايقة، والمطاعنة، فلا بقاء لهما، ولكن المصارعة.

(١) صَانِعٌ أَوْ مُصْلِحٌ الْأَخْذِيَّةِ.

فنزل فلم ينهنهني<sup>(١)</sup> أن صر عني وجلس على صدري فقال: أي قتلة أقتلك؟  
فذكرت (الدعاء)<sup>(٢)</sup> فرفعت طرفي إلى السماء فقلت:

أشهد أن كل معبود دون عرشك إلى قرار الأرضين باطل غير وجهك الكريم،  
قد ترى ما أنا فيه ففرج عني، فأغمي عليّ ثم أفقت، فإذا الرومي قتيل إلى جنبي.  
قال إسحاق ابن بنت داود: جربته وعلمته الناس، فوجدته نافعا وهو  
الإخلاص بعينه. ابن أبي الدنيا ١١٩/٢ - ١٢٠.

\* وأمر الحجاج بن يوسف برجل كان جعل على نفسه إن ظفر به أن يقتله.  
فلما أدخل عليه، تكلم بشيء فخلى سبيله، فقيل له: أي شيء قلت؟ قال:  
قلت: يا عزيز يا حميد، يا ذا العرش المجيد، اصرف عني شر كل جبار عنيد. ابن  
أبي الدنيا ٣٧٢/٢.

\* وقال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة - جارنا - قال: كانت أمي  
مقعدة من نحو عشرين سنة، فقالت لي يوما: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسله أن  
يدعو لي.

فأتيت، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟  
قلت: رجل سألتني أمي - وهي مقعدة - أن أسألك الدعاء.  
فسمعت كلامه كلام رجل مغضب، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا.  
فوليت منصرفا، فخرجت عجوز، فقالت: قد تركته يدعو لها. فجئت إلى بيتنا  
ودققت الباب، فخرجت أمي على رجلها تمشي.

(١) قال ابن فارس: النون والهاء كلمة واحدة. يقال: نَهَنَه فلانٌ فلائًا: كَفَّه وَزَجَرَه. [مقاييس اللغة:  
مادة: نه.

والمعنى ليس بواضح، والأنسب أن تكون بدلها: يُمهِّلني.

(٢) هذه اللفظة ليست في المطبوع، لكن السياق يقتضيه.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤٨): هذه الواقعة نقلها: ثقتان، عن عباس. السَّيَر (١١ / ٢١٢).

\* وعن داود بن أبي هند، قال: لما أخذ الحجاجُ سعيدَ بن جُبَيْر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: ما أراني إلا مقتولاً وسأخبركم: إني كنتُ أنا وصاحبان لي دَعَوْنَا حين وَجَدْنَا حلاوةَ الدُّعَاءِ، ثم سألنا الله الشهادة، فكِلا صاحِبَي رُزِقَها، وأنا أُنْتَظِرُها. قال: فكأنَّه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدُّعَاءِ.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولَمَّا علم من فضل الشهادة ثَبَتَ للقتل ولم يَكْثُرْ، ولا عامل عدوّه بالتقيّة المباحة له. تهذيب السَّيَر ٥٠٧ / ٢.

\* وعن الأوزاعي قال: خرج الناس يستسقون وفيهم بلال بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠)، فقال: يا أيها الناس أَلَسْتُمْ تقرّون بالإساءة؟ قالوا: نعم! قال: اللهم إنك قلت: (ما على المحسنين من سبيل)، وكل يقر لك بالإساءة فاغفر لنا واسقنا، قال: فسقوا. تهذيب الحِلْيَةِ ١٩٠ / ٢.

\* وقال ثابت البناني: أخذ عبيد الله بن زياد ابن أخ لصفوان بن محرز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤)، فحبسه في السجن، فلم يدع صفوان شريقاً بالبصرة يرجو منفعة إلا تحمّل به عليه، فلم يرَ لحاجته نجاحاً، فبات في مصلاه حزيناً قال: فهوَم من الليل فإذا آتٍ قد أتاه في منامه، فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجتك من جهتها قال: فانتبه فزِعاً فقام فتوضأ، ثم صلّى ثم دعا. فأرق ابنُ زياد، فقال: عليّ بابن أخي صفوان بن محرز، فجاء بالحرس وجيء بالنيران، ففُتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل، فقال: ابن أخي صفوان أخرجوه، فإنّي قد مُنعت من النوم منذ الليلة، فأخرج فأتي به ابن زياد، فقال: انطلق بلا كفيل ولا شيء، فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابنُ أخيه بابَه، قال صفوان: مَن هذا؟ قال: أنا فلان قال: أيّ ساعة هذه الساعة؟ فحدّثه الحديث. ابن أبي الدنيا ٣٤٧ / ٢.

\* وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وكان العلاء بن الحضرمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١) في سرية، فعطشوا فصلّى ثم قال: اللهم يا عليم يا حكيم يا عليّ يا عظيم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، فاسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ، ولا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا، فساروا قليلاً فوجدوا نهراً من ماء السماء يتدفق فشربوا وملؤوا أوعيتهم، ثم ساروا فرجع بعض أصحابه إلى موضع النهر، فلم ير شيئاً، وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط. جامع العلوم والحكم / ٤٨٥-٤٨٦.

\* وكان صِلَة بن أشيم رَحِمَهُ اللهُ له (ت: ٧٠) في سرية، فذهبت بغلته بثقلها، وارتحل الناس، فقام يصلي، وقال: اللهم إني أقسم عليك أن تردّ عليّ بغلتي وثقلها، فجاءت حتى قامت بين يديه. وكان مرة في برية فقر فجاء، فاستطعم الله، فسمع وجبة خلفه، فإذا هو بثوب أو منديل فيه دوخلة رطب طريّ، فأكل منه وبقي الثوب عند امرأته معاذة العدوية، وكانت من الصالحات. جامع العلوم والحكم / ٤٨٥-٤٨٦.

\* وخرج أبو قلابة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤) صائماً حاجاً فتقدّم أصحابه في يوم صائف، فأصابه عطش شديد فقال: اللهم إنك قادر على أن تذهب عطشي من غير فطر، فأظلمت سحابة، فأمرت عليه حتى بليت ثوبه، وذهب العطش عنه، فنزل فحوّض حياضاً فملاها، فانتهى إليه أصحابه فشربوا، وما أصاب أصحابه من ذلك المطر شيء. جامع العلوم والحكم / ٤٨٥-٤٨٦.

\* وعن أبي محمد الحسن بن علي بن صليح أنه قال: إن أبا حمدون الطيب بن إسماعيل رَحِمَهُ اللهُ كف بصره، فقاده قائد له ليدخله المسجد فلما بلغ إلى المسجد قال له قائده: يا أستاذ، اخلع نعلك قال: لم يا بني أخلعها؟ قال: لأن فيها أذى، فاغتم أبو حمدون، وكان من عباد الله الصالحين، فرفع يده ودعا بدعوات ومسح بها وجهه فردّ الله عليه بصره ومشى. المنتظم ٣٠١/ ١١.

\* وعن عبد الله بن كثير قال: قدِمَ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْيَا عَلَيْهِمَا، قَالَ: فَاتَاهُ عَلِيُّ ابْنُ الْحُسَيْنِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَلِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَذَكَرَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ (ت: ٩٤)؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ: إِنَّ سَعِيدًا لَيَلْزَمُ مَسْجِدَهُ، وَيَجْفُو الْأُمَرَاءَ، فَقَالَ: تَأْتِينِي أَنْتَ، يَعْنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ، وَسَلِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَسَمَى أُولَئِكَ الَّذِينَ أَتَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَأْتِنِي؟ وَاللَّهُ لَا ضَرْبَ نَعْنَقَةٍ، ثُمَّ وَاللَّهُ لَا ضَرْبَ نَعْنَقَةٍ، ثُمَّ وَاللَّهُ لَا ضَرْبَ نَعْنَقَةٍ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَضَاقَ بِنَا الْمَجْلِسُ حَتَّى قُمْنَا، فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، وَذَكَرْتُ لَهُ مَا قَالَ، وَقُلْتُ: تَخْرُجُ إِلَى الْعُمْرَةِ؟ فَقَالَ: مَا حَضَرْتَنِي فِي ذَلِكَ نِيَّةً، وَإِنِّي أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ مَا نَوَيْتُ، قَالَ: فَقُلْتُ فَتَصِيرُ إِلَى مَنْزِلِ بَعْضِ إِخْوَانِكَ؟ قَالَ: فَمَا أَصْنَعُ بِهَذَا الْمُنَادِي الَّذِي يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ؟ وَاللَّهُ لَا يُنَادِينِي إِلَّا أَتَيْتُهُ. قُلْتُ: أَيُّ أَخِي، أَمَا تَخَافُ؟

قَالَ: أَمَّا إِذْ ذَكَرْتَ يَا أَخِي فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَعْلَمُ أَنِّي لَا أَخَافُ شَيْئًا غَيْرَهُ، وَلَكِنَّ أَوَّلَ مَا أَقُولُ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ حَمْدًا لِلَّهِ، وَثَنَاءً عَلَيْهِ، وَصَلَاةً عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُنْسِيَهُ ذِكْرِي.

قَالَ: فَمَكَثَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَدِينَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ، قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى مَنْزِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَغُلَامٌ لَهُ يُوَضُّهُ، إِذْ قَالَ لِلْغُلَامِ: أُمْسِكْ وَاسْوَأْتَاهُ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَسَلِمِ، إِنِّي حَلَفْتُ أَنْ أَقْتُلَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَاللَّهُ مَا ذَكَرْتُهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ حَتَّى سَاعَتِي هَذِهِ، فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ: أَيُّ مَوْلَايَ، فَمَا أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرٌ مِمَّا أَرَدْتَ بِنَفْسِكَ. كرامات الأولياء للالكائي (١٢١).

\* وقال موسى بن طريف: ركب إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) البحر، فأخذتهم ريح عاصف، فأشرفوا على الهلكة، فلفَّ إبراهيم رأسه في عباءة ونام،



فقالوا له: ما ترى ما نحن فيه من الشدة؟ فقال: ليس ذا شدة، قالوا: ما الشدة؟ قال: الحاجة إلى الناس، ثم قال: اللهم أَرَيْتَنَا قُدْرَتَكَ فَأَرِنَا عَفْوَكَ، فصار البحر كأنه قَدَحَ زَيْتٍ. صفة الصفوة ٤/ ٣٨٨.

\* ودخل أبو الحسين النوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٥) يوماً الماء فجاء لص فأخذ ثيابه، فبقي في وسط الماء فلم يلبث إلا قليلاً حتى رجع إليه اللص معه ثيابه، فوضعها بين يديه وقد جفت يمينه، فقال النوري: رب قد رد علي ثيابي فرد عليه يمينه. فرد الله عليه يده ومضى. تهذيب الحلية ٣٦٩/ ٣.

\* وذكر صاحب سيرة الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥٦٠): أنه سمعه يذكر: أنه لما استطال السلطان مسعود وأصحابه وأفسدوا، عزم هو والخليفة على قتاله، قَالَ: ثم إني فَكَّرْتُ في ذلك، ورأيت أنه ليس بصوابٍ مجاهرته، لقُوَّةِ شوكته، فدخلت على المقتفي، فقلت: إني رأيتُ أن لا وجه في هذا الأمر إلا الالتجاء إلى الله تعالى، وصدق الاعتماد عليه، فبادر إلى تصديقي في ذلك، وقال: ليس إلا هذا، ثم كتبتُ إليه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد دعا على رَعْلٍ وذكوان شهرًا، وينبغي أن ندعو نحن شهرًا، فأجابني بالأمر بذلك.

قال الوزير: ثم لازمتُ الدعاء في كل ليلة وقت السَّحر، أجلس فأدعو الله سبحانه، فمات مسعود لتمام الشهر، لم يَزِدْ يوماً ولم يَنْقُصْ يوماً، وأجاب الله الدعاء، وأزال يد مسعود وأتباعه عن العراق، وأورثنا أرضهم وديارهم.<sup>(١)</sup> وهذه القصة تُذكر في كرامات الخليفة والوزير رحمهما الله تعالى. ذيل الطبقات (١١٣ / ٢ - ١٦٩).

\* وكان بالمهدية نصرانيُّ ابن أخٍ لخاصة باديس بن حَبُوسَ صاحب القيروان<sup>(٢)</sup>، فافتَضَّ هذا النصرانيُّ صبيَّةً شريفة، فلما سمعت بذلك العامة

(١) ذكرها الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: الإفصاح عن معاني الصحاح (٩١ / ٥).

(٢) من قادة البربر، له شرف وعشيرة، تملك غرناطة، وجيش الجيوش، وحارب المعتصم صاحب المريَّة، والمعتضد صاحب إشبيلية، وكان سفاكا للدماء، فيه عدل بجهل.

رجعوا إليه فقتلوه، وبلغ ذلك باديس، فعظم ذلك عليه، وأرسل قائداً بعسكر إلى المهديّة، وقال لهم: اقتلوا من هو قدّ السيف إلى فوق، وبلغ ذلك أبا الحسن ابن القاسبي رحمه الله (ت: ٤٠٣)، فدخل المحراب وأقبل على الدعاء في كشف هذا، فلما وصل القائد إلى قصرٍ مسورٍ قرب المهديّة بات فيه، فقام بالليل وهو سكران يمشي على السطح فمشى في الهواء وسقط على رأسه وانتثر دماغه، وجاءت البرد<sup>(١)</sup> إلى باديس بذلك، وأعلم بدعاء الشيخ أبي الحسن فرعب لذلك، وقال لابن أبي العرب وكبراء رجاله: تمشون للشيخ.

فجعل القواد يقول بعضهم لبعض: والله ما السلطان إلا هذا الشيخ. ترتيب المدارك (٤/ ١٧١).

\* ولما جرت للفقهاء الإمام أبي محمد ابن التبان رحمه الله<sup>(٢)</sup> (ت: ٣٧١) المسألة التي تكلم فيها في الإيمان<sup>(٣)</sup>، وخالفه أبو محمد ابن أبي زيد، وأبو الحسن القاسبي (ت: ٤٠٣)، وأبو إسحاق السبائي (ت: ٣٥٦)، والجماعة رضي الله عنهم<sup>(٤)</sup>، وحَدَّث بينهم وبين بعضهم وحشة بسببها: جعل موعداً للإلقاء، وألقى عليهم كتاب الوضوء، فخالفوه في مسألة، فقال لهم: اسمعوا ما أقول: درست هذا الكتاب

= وقفت له امرأة، فقالت: يا مولانا، ابني يعقني، فطلبه، ودعا بالسيف، فقالت المرأة: إنما

أردت تهديده، فقال: ما أنا بمعلم كُتّاب، وأمر به، فضربت عنقه. [السَّيَر (٣٦/ ٧٠)]

(١) أي: الرسل.

(٢) كان من العلماء الراسخين، والفقهاء المبرزين، ضربت له أكباد الإبل من الأمصار؛ لعلمه بالذب عن مذهب أهل الحجاز ومصر ومذهب مالك، وكان من أحفظ الناس بالقرآن والتفنن في علومه، والكلام على أصول التوحيد، مع فصاحة اللسان، وكان مستجاب الدعاء، رقيق القلب غزير الدمعة.

(٣) وهي الاستثناء في الإيمان، أي: هل يقول: أنا مؤمن، أو يستثني فيقول: إن شاء الله.

(٤) وهؤلاء من علماء المالكية، فكلهم على مذهب واحد، ومع ذلك جرى بينهم من الاختلاف والافتراق بسبب هذه المسألة، التي لو حُررت لعلّموا أنّ الاختلاف فيها لفظي.

ألف مرة، فأبوا إلا مخالفته، فقام بهم إلى داره، وأخرج الكتاب وأراهم المسألة كما قال، ثم دعا على نفسه، وقال: اللهم لا تقض عليّ أن أُلقي عليهم بعد هذا شيئاً، اللهم اقبضني إليك، وأرحني منهم، فما قام إلا سيراً حتى مات رَحِمَهُ اللهُ.<sup>(١)</sup>

ترتيب المدارك (٦٠ / ٤).

\* وحدثت عداوة بين القاضي الجليس بن الحَبَّاب<sup>(٢)</sup> والمهذب بن الزبير رَحِمَهُمَا اللهُ، فبلغ شاور<sup>(٣)</sup> أن ابن الزبير يمدح شيركوه<sup>(٤)</sup> ويحرضه على قتله، فلما سار شيركوه عن القاهرة قبض شاور على ابن الزبير واعتقله وعزم على قتله، فدخل عليه القاضي الجليس بن الحَبَّاب وما زال به حتى أفرج عنه، فلما كان الليل وقف ابن الزبير على باب ابن الحَبَّاب واستأذن عليه، فبعث إليه يقول: العداوة باقية، وما فعلت هذا إلا سترا للحرمة والفضيلة، وقد حدث منك قبل هذا ما هو أعظم من هذه فما حفظتها.

والله لا اجتمعنا إلا يوم القيامة، فاتفق موت القاضي الجليس في أول السنة، ومات بعده ابن الزبير. طبقات المفسرين للداوودي (١ / ١٤٠).

(١) كلّ مَنْ شق طريقه نحو القمة سيواجه من المثبتين والمُنتقدين والحاسدين من يسعى جاهداً في ثني عزيمته، وإعاقة مسيره، قصداً أو من غير قصد، فلا ينبغي أن يلقي لهم بالا، ولا يعيرهم اهتماماً.

فانظر إلى هذا الإمام كيف فتّ في عضده انتقاد مَنْ هم على مذهبه، وكان الأحرى بهم أن يكونوا عوناً له، لا حرباً عليه، ولو لم يُعزّم اهتماماً لاستراح من الهم الذي دعا الله أن يموت بسببه، فما أثنى جرح الحاسدين والمُثبتين والمُكثّرين من الانتقاد في قلب من يُصغي لهم، وما أهونه على من أعرض بقلبه وسمعه عنهم.

(٢) هو: عبدالعزيز بن الحسين بن الحباب أبو المعالي القاضي الجليس السعدي، كان يجالس خلفاء مصر من بني عبید فسمي الجليس، وكان أديباً مترسلاً شاعراً. مات سنة (٥٦١).

(٣) شاور أبو شجاع وزير الديار المصرية في دولة بني عُبيد الرافضية.

(٤) أسد الدين شيركوه، أول من ولي مصر من الأكراد الأيوبيين.

وهو عمُّ السلطان صلاح الدين، وكان من كبار القواد في جيش نور الدين زنكي.

## د- نماذج من دعاء السلف<sup>(١)</sup>:

\* كان معاذ بن جبل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (ت: ١٨) إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: اللَّهُمَّ قَدْ

(١) قاعدة هامة في الأذكار والأدعية التي لم ترد في الكتاب والسنة، وحُكم تقييد الأذكار والأدعية الشرعية بزمان أو مكان:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: في الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العليّة.

والأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحرّاه المتحرّي من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والتأجّج التي تحصل لا يعبر عنه لسان، ولا يحيط به إنسان. ا.هـ. وأما ما سواها من الأذكار والأدعية فقد ذكر فيها تفصيلاً:

١- أن يسنّ للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها، كما يواظبون على الصلوات الخمس: فهذا ابتداء دين لم يأذن الله به.

٢- أن يدعو به الإنسان أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة، ولم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً: فهذا لا يجوز العزم بتحريمه، وهذا كما أنّ الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت.

٣- أن يتخذ ورداً أو ذكرًا غير شرعي: فهذا مما يُنهى عنه.

وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ قاعدةً في تقييد الأدعية والأذكار الشرعية زماناً ومكاناً:

١- إن دلت أدلة الشرع على استحباب ذلك، كالذكر والدعاء يوم عرفة بعرفة، أو الذكر والدعاء المشروعين في الصلوات الخمس، والأعياد والجُمع وطرقي النهار، وعند الطعام والمنام واللباس، ودخول المسجد والخروج منه، ونحو ذلك: صار ذلك الوصف الخاص مستحباً مشروعاً استحباباً زائداً على الاستحباب العام المطلق.

٢- وإن دلت أدلة الشرع على كراهة ذلك كان مكروهاً، مثل اتخاذ ما ليس بمسنون سنةً دائمة؛ فإنّ المداومة في الجماعات على غير السنن المشروعة بدعة؛ كالأذان في العيدين، والقنوت في الصلوات الخمس، والدعاء المجتمع عليه أدبار الصلوات الخمس، والمداومة على الاجتماع لصلاة تطوع، أو قراءة أو ذكرٍ كلّ ليلة، ونحو ذلك: فإنّ مضاهاة غير المسنون بالمسنون بدعةً مكروهة.

٣- وإن لم يكن في الخصوص أمر ولا نهي: بقي على وصف الإطلاق، كفعلها أحياناً على غير وجه المداومة، مثل التّغريف -أي الجلوس في المسجد يوم عرفة لغير الحاج للدعاء والذكر- أحياناً كما فعلت الصحابة، والاجتماع أحياناً لمن يقرأ لهم، أو على ذكر أو دعاء.

يُنظر: مجموع الفتاوى (٢٠/١٩٦ - ١٩٨)، (٢٢/٥١١)، الرد على الشاذلي ص: ٢٧، ٣٠.

نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف؛ اللهم اجعل لي عندك هدى تَرُدُّهُ إِلَيَّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. تهذيب الحلية ١٨٣ / ١.

\* وكان الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢) يقول : اللهم إن تعذبني فأنا أهل ذاك وإن تغفر لي فأنت أهل ذاك . الزهد لأحمد: ٤٠٥.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٨): إلهي كيف أفرح وقد عصيتك؟ وكيف لا أفرح وقد عَرَفْتُكَ؟ وكيف أدعوك وأنا خاطئ؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم؟. صفة الصفوة ٤ / ٣٤٠.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: إلهي إن إبليس لك عدوٌّ وهو لنا عدو، وإنَّكَ لا تَغِيْظُهُ بشيءٍ هو أنكَأُله من عفوك، فاعف عَنَّا يا أرحم الراحمين. صفة الصفوة ٤ / ٣٤٤.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥) في مناجاته: إنَّكَ إن طالبتني بِشَرِّي طالبتك بكرمك، وإن أخذتني بذُنُوبي أتيتك بتوحيديك، وإن أسكتتني النار بين أعدائك لأخبرتهم بحبي لك. صفة الصفوة ٤ / ٤٤٣.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: حممت بنيسابور، فانطَبَقْتُ علي الحمى، فدعوت بهذا الدعاء: إلهي، كلما أنعمت علي نعمةً قلَّ عندها شكري، وكلما ابتليتني ببلية قلَّ عندها صبري، فيا من قل شكري عند نعمته فلم يخذلني، ويا من قل عند بلائه صبري فلم يعاقبني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني، اكشف ضرِّي.

قال: فذهبت عني. ابن أبي الدنيا ١ / ٤٩١.

\* وكان بكر بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨) يقول في دعائه: اللهم ارزقنا من فضلك رزقاً يزيدنا لك به شكرًا، وإليك فاقة وفقراً، وبك عمَّن سواك غنى وتغفًا.

ابن أبي الدنيا ٢ / ٢٧١.

\* وعن عبد العزيز بن أبي رواد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٩) أنه كان خلف المقام جالسًا فسمع داعيًا دعا بأربع كلمات، فعجب منهن وحفظهن قال: فالتفت فلم أر أحدًا، وهو يقول: اللهم فرِّغني لما خلقتني له، ولا تُشغِلني بما تكفَّلْتُ لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذبني وأنا أستغفرك. ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٧١.

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١): اللهم إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنك خلقت قومًا فأتاعوك فيما أمرتهم، وعملوا في الذي خلقتهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين. تهذيب الحلية ٢٢٣/ ٢.

\* وكان من دعاء معروف الكرخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): لا تجعلنا بين الناس مغرورين، ولا بالستر مفتونين، اجعلنا ممن يؤمن بلفائك، ويرضى بقضائك، ويقنع بعطائك، ويخشاك حق خشيتك. تهذيب الحلية ١٠١/ ٣.

\* وقال عبد الرحمن بن زاذان: كنتُ في المدينة وقد صلينا ونحن قُعود، وأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) حاضر، فسمعتَه يقول: اللهم مَنْ كان على هوى أو على رأي وهو يظن أنه على الحق، وليس هو على الحق، فرِّدْهُ إلى الحق، حتى لا يُضِلَّ به من هذه الأمة أحد، اللهم لا تُشغِل قلوبنا بما تكفَّلْتُ لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خولًا<sup>(١)</sup> لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بِشَرِّ ما عندنا، ولا تَرانا حيث نهيتنا، ولا تَفْقِدنا من حيث أمرتنا، أعِزَّنَا ولا تَذِلَّنَا، أعِزَّنَا بالطاعة ولا تذِلَّنَا بالمعاصي. طبقات الحنابلة (٢/ ٧٢).

\* وقال يحيى بن يحيى رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٤): اللهم لا تُخِفْ بنا أحدًا من

(١) أي: عبيدًا.

خلقك، إِنَّ رَجُلًا يُخَيِّفُهُ اللَّهُ خِيَارَ خَلْقِهِ رَجُلٌ سَوِيٌّ. ترتيب المدارك (٢/ ٣٥).

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) لأصحابه: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكفنا بُرْكَكَ الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا.

قال خلف بن تميم رَحِمَهُ اللَّهُ: فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي لصٌّ ولا غيره. الزهد للخطيب (١٢٦).

هـ- بعض الآداب في الدعاء، وبعض الأخطاء فيه<sup>(١)</sup>:

\* عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٩) قالت: سلوا ربكم حتى الشسع فإنه إن لم

(١) من المعلوم أنَّ إجابة الدعاء لا بُدَّ لها مِنْ شُرُوطٍ، ومن أعظم وأهم شروطها:

١- أَنْ يَدْعُوَ الْمُسْلِمُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَيَّْةٍ صَادِقَةٍ، وَحُضُورِ قَلْبٍ، «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٌ لَاهٍ».

٢- أَنْ يَكُونَ أَكْلُهُ حَلَالًا.

٣- أَنْ يَدْعُوَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خُفْيَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] فقد أَمَرَ تَعَالَى بِإِخْفَاءِ الدُّعَاءِ وَإِسْرَارِهِ.

٤- أَنْ يَدْعُوَهُ تَضَرُّعًا، وَهُوَ التَّذَلُّلُ وَالتَّمَسُّكُ وَالِانْكِسَارُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.

ومما يلاحظ على كثير من الناس في دعائهم أنهم لا يستشعرون التضرع والتذل للهِ، بل يدعون الله وهم في غفلة، وبعضهم يتشاءب، وبعضهم يلتفت يمنة ويسرة وينشغل بالناس وبما حوله! وعدم التضرع يدخل الاعتداء المنهي عنه في قوله تَعَالَى ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنَ الْعُدْوَانِ أَنْ يَدْعُوَهُ غَيْرَ مُتَضَرِّعٍ، بَلْ دُعَاءُ هَذَا كَالْمُسْتَعْنِي الْمُدَلِّي عَلَى رَبِّهِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْإِعْتِدَاءِ لِمُنَافَاتِهِ لِدُعَاءِ الدَّلِيلِ، فَمَنْ لَمْ يَسْأَلْ مَسْأَلَةَ مَسْكِينٍ مُتَضَرِّعٍ خَائِفٍ فَهُوَ مُعْتَدٍ.

وقوله تَعَالَى ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ عَقِبَ قَوْلِهِ: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَدْعُهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ لَا يُحِبُّهُمْ. اهـ.

٥- أَلَا يَسْتَعْجِلُ رَبَّهُ فِي الْإِجَابَةِ، وَيَتْرَكَ الدُّعَاءَ إِذَا لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ.

يُنظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ١٠-٢٧)، بدائع الفوائد: ٨٥١/ ٣.

يسره والله لم يسر. الزهد لأحمد: ٣٦١.

\* وسئل مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩) عن الرجل يدعو يقول: يا سيدي؟

فقال: يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء، ربنا ربنا. تهذيب الحلية ٣٥٣ / ٢.

\* وكان بعض السلف يسأل الله في صلاته كل حوائجه حتى ملح عجينه

وعلف شاته. <sup>(١)</sup> جامع العلوم والحكم / ٣٠٣.

\* ومرو إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) في أسواق البصرة فاجتمع الناس

إليه فقالوا له: يا أبا إسحاق إن الله تعالى يقول في كتابه: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)

ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا.

قال: فقال إبراهيم: يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء:

أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

(١) هذا هو السنة، وهو أن يسأل المسلم ربّه مصالح الدنيا والآخرة، وقد كان بعض السلف يستحي

من الله أن يسأله شيئاً من مصالح الدنيا، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: والافتداء بالسنة أولى. جامع

العلوم والحكم / ٣٠٣.

وقد قال الله تعالى مَثَبًا عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي

الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آدَبَ النَّارَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٠١]. قال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: أَي:

وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَمِيعًا، لَا حُظُوظَ الدُّنْيَا وَحَدَهَا كَيْفَمَا كَانَتْ كَالْفَرِيقِ

الْأَوَّلِ..

وَلَمْ يَذْكُرْ فِي التَّقْسِيمِ مَنْ لَا يَطْلُبُ إِلَّا حَسَنَةَ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ التَّقْسِيمَ لِبَيَانِ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْوَاقِعِ

وَنَفْسِ الْأَمْرِ بِحَسَبِ دَاعِي الْجِبَلَةِ وَتَأْثِيرِ التَّزْيِينِ وَهَذِي الدِّينِ، وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ فِي الْبَشَرِ مَنْ لَا

تَتَوَجَّهُ نَفْسُهُ إِلَى حُسْنِ الْحَالِ فِي الدُّنْيَا مَهْمَا يَكُنْ غَالِبًا فِي الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ، لِأَنَّ الْإِحْسَاسَ بِالْجُوعِ

وَالزُّبْدِ وَالتَّعَبِ يَحْمِلُهُ كَرَاهَا عَلَى التَّمَاسِ تَخْفِيفِ أَلَمِ ذَلِكَ الْإِحْسَاسِ، وَالشَّرْعُ يُكَلِّفُهُ ذَلِكَ بِمَا

يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِهِ، وَقَدْ جَعَلَ عَلَيْهِ حُقُوقًا لِبَدَنِهِ وَلِأَهْلِهِ وَلِوَلَدِهِ وَلِرَحِمِهِ وَلِزَوَّاجِهِ وَإِخْوَانِهِ وَأُمَّتِهِ

لَا تَصِحُّ عُبودِيَّتُهُ إِلَّا بِدُعَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا.

وفي الآية إشعارٌ بأنَّ هَذَا الْغُلُوفُ مَذْمُومٌ خَارِجٌ مِنْ سُنَنِ الْفِطْرَةِ وَصِرَاطِ الدِّينِ مَعًا، وَمَا نَهَى اللَّهُ

أَهْلَ الْكِتَابِ عَنِ الْغُلُوفِ فِي الدِّينِ وَذَمَّهُمْ عَلَى التَّشَدُّدِ فِيهِ إِلَّا عِبْرَةً لَنَا. تفسير المنار ٢ / ٢١٥ -



الثاني: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به.

الثالث: ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

الرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه.

والخامس: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها.

والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها.

والسابع: قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

الثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم.

التاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها.

العاشر: دفتتم موتاكم ولم تعتبروا بهم. تهذيب الحلية ٢ / ٤٨٢.

\* وقال بعضهم: جامع العلوم والحكم / ١٤٠.

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننسأه عند كشف الكروب

كيف نرجو إجابة الدعاء وقد سدنا طريقها بالذنوب

\* وقال عبد الواحد بن زيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٧): الإجابة مقرونة بالإخلاص،

لا فرقة بينهما. ابن أبي الدنيا ١ / ١٧٤.

\* ومَرَّ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) برجل في يده حصى يلعب به

وهو يقول: اللهم زوجني من الحور العين! فقام عليه عمر فقال: بئس الخاطب

أنت، ألا ألقيت الحصى، وأخلصت لله الدعاء؟ ابن أبي الدنيا ١ / ١٧٥.

\* وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٥٧): يُقَالُ: أَفْضَلَ الدَّعَاءِ الْإِلْحَاحُ عَلَى اللَّهِ

وَالْتَضَرُّعُ إِلَيْهِ. التمهيد لابن عبد البر ٥ / ٣٤٦.

\* وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): «ينبغي أن يسر دعاءه؛ لقوله: ﴿وَلَا

تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قال: هذا في الدعاء.

وقال: وكانوا يكرهون أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء.

\* وَقَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُكْرَهُ أَنْ يَجْتَمَعَ الْقَوْمُ يَدْعُونَ وَيَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ؟ فَقَالَ: مَا أَكْرَهُهُ لِلْإِخْوَانِ إِذَا لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى عَمْدٍ إِلَّا أَنْ يَكْثُرُوا. قَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ: قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا قَالَ، وَإِنَّمَا مَعْنَى إِلَّا أَنْ يَكْثُرُوا إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوهَا عَادَةً حَتَّى يَكْثُرُوا.

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: فَقَيَّدَ أَحْمَدُ الْاجْتِمَاعَ عَلَى الدَّعَاءِ إِذَا لَمْ يَتَّخِذْ عَادَةً. الآداب الشرعية ٢ / ٧٦.

\* وسمع مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) رجلا رافعا صوته بالدعاء فرماه بالحصى. الزهد لوكيع (٣٤٠).

\* وعن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) قال: أحدث الناس الصوت عند الدعاء.<sup>(١)</sup> قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في اقتضاء الصراط المستقيم: (٤٢٩): رواه الخلال بإسناد صحيح.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي إِخْفَاءِ الدَّعَاءِ فَوَائِدُ عَدِيدَةٌ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ إِيْمَانًا؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ الدَّعَاءَ الْخَفِيَّ. وَثَانِيهَا: أَنَّهُ أَعْظَمُ فِي الْأَدَبِ وَالتَّعْظِيمِ؛ لِأَنَّ الْمُلُوكَ لَا تَرْفَعُ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُمْ، وَمَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ لَدَيْهِمْ مَقْتُوهُ، وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى. وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ أُبْلَغُ فِي التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ الَّذِي هُوَ رُوحُ الدَّعَاءِ وَلُبُّهُ وَمَقْصُودُهُ، فَإِنَّ الْخَاشِعَ الدَّلِيلَ إِنَّمَا يَسْأَلُ مَسْأَلَةَ مُسْكِينٍ دَلِيلٍ قَدْ انْكَسَرَ قَلْبُهُ، وَذَلَّتْ جَوَارِحُهُ، وَخَشَعَ صَوْتُهُ. وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ أُبْلَغُ فِي الْإِخْلَاصِ. وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ أُبْلَغُ فِي جَمْعِيَّةِ الْقَلْبِ عَلَى الدَّلَّةِ فِي الدَّعَاءِ، فَإِنَّ رَفَعَ الصَّوْتَ يَفْرُقُهُ. وَسَادِسُهَا: أَنَّهُ دَالٌ عَلَى قُرْبِ صَاحِبِهِ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا قَرَابَةَ مِنْهُ وَشِدَّةَ حُضُورِهِ يَسْأَلُهُ مَسْأَلَةَ أَقْرَبِ شَيْءٍ إِلَيْهِ، فَيَسْأَلُهُ مَسْأَلَةَ مُنَاجَاةِ الْقَرِيبِ لِلْقَرِيبِ، لَا مَسْأَلَةَ نِدَاءِ الْبَعِيدِ لِلْبَعِيدِ؛ وَلِهَذَا أَتَى اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ زَكْرِيَّا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ ﴿٢﴾ [مريم: ٣]. فَلَمَّا اسْتَحْضَرَ الْقَلْبُ قُرْبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ أَخْفَى دُعَاءَهُ مَا أَمْكَنَهُ. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥ / ١٠ - ٢٧)

\* وقال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٣): كل حالٍ خصَّ الله تعالى في قلب المؤمن فينبغي أن يَغتنم تلك اللحظة فإنها ساعة إجابة، ومن اشتدت فاقته فدعا، أو اشتدَّ خوفه فبكى، فذلك الوقت الذي ينبغي أن يدعو فيه فإنه ساعة إجابة، وساعة صدق في الطلب، وما دعا صادقاً إلا أُجيب. الآداب الشرعية ٢ / ١٩٣.



## الخوف والخشية والرجاء

### أ- الخوف والخشية<sup>(١)</sup>:

\* لَمَّا طَعَنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) جَعَلَ يَأْلُمُ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ كَانَ ذَاكَ، لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحْبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَيْسَ فَارَقْتَهُمْ لَتَفَارِقَتَهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ، قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنْ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَخَافَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يَخَافَ أَحَدًا؛ فَإِنْ مِنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ أَذْلُ مَنْ أَنْ يَخَافَ، فَإِنَّهُ ظَالِمٌ وَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، فَالْخَوْفُ مِنْهُ قَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

وَإِذَا قِيلَ: قَدْ يُؤْذِنِي؟

قِيلَ: إِنَّمَا يُؤْذِنُكَ بِتَسْلِيْطِ اللَّهِ لَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ دَفْعَ شَرِّهِ عَنْكَ دَفْعَهُ، فَلَا أَمْرَ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا يُسَلِّطُ عَلَى الْعَبْدِ بِذُنُوبِهِ، وَأَنْتَ إِذَا خِفْتَ اللَّهَ فَاتَّقَيْتَهُ وَتَوَكَّلْتَ عَلَيْهِ كَمَا كُلُّ شَرٍّ وَلَمْ يُسَلِّطْهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ قَالَ: «وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» [الطلاق: ٣]، وَتَسْلِيْطُهُ يَكُونُ بِسَبَبِ ذُنُوبِكَ وَخَوْفِكَ مِنْهُ، فَإِذَا خِفْتَ اللَّهَ وَتُبَّتْ مِنْ ذُنُوبِكَ وَاسْتَغْفَرْتَهُ لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْكَ كَمَا قَالَ: «وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» [الأنفال: ٣٣]. ١. هـ مجموع الفتاوى: ٥٦-٥٧

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الخشية أخص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة، فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين...

والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإن تجاوز ذلك خيف من اليأس والقنوط. مدارج السالكين ٢/ ١٤٠.

فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجَلَ أَصْحَابِكَ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ لِي طَلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَأَقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ».

وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَشْرَى اللَّهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلَيْتَ فَعَدَلْتُ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كِفَافٌ لَأَعْلِي وَلَا لِي<sup>(١)</sup>. صحيح البخاري: (٣٤١٦)، (٣٧٠٠).

\* وقال لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَلْ يَسُرُّكَ إِسْلَامُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَجَرْتُنَا مَعَهُ، وَجِهَادُنَا مَعَهُ، وَعَمَلُنَا كُلَّهُ مَعَهُ، بَرَدَ لَنَا، وَأَنْ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجُونَ مِنْهُ، كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَدْ جَاهَدْنَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَلَيْنَا، وَصُمْنَا، وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ، فَقَالَ عمر: لَكِنِّي أَنَا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا<sup>(٢)</sup>، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَ نَجُونَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ<sup>(٣)</sup>. صحيح البخاري: (٣٩١٥).

\* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ رَأْسُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حِجْرِي، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ ضِعْ رَأْسِي بِالْأَرْضِ، قَالَ: فَجَمَعْتُ رِدَائِي فَوَضَعْتُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: ضِعْ رَأْسِي بِالْأَرْضِ لَا أُمَّ لَكَ، ثُمَّ قَالَ: وَيْلُ عُمَرَ وَوَيْلُ أُمِّهِ إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ. الزهد لأبي داود (٦٦).

(١) يتمنى عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا سَالِمًا مِنْ تَبَعَاتِ الْإِمَارَةِ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي جَاعَ لِشَبْعِ رَعِيَّتِهِ، وَافْتَقَرَ لِتَغْنَى رَعِيَّتِهِ، وَكَانَ يَتَجَوَّلُ فِي الْمَدِينَةِ يَنْظُرُ فِي شُؤْنِهِمْ، وَيَسْهَرُ اللَّيْلَ فِي قِضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَمَاتَ مَدِينُونَ بِأَكْثَرِ مِنْ ثَمَانِينَ أَلْفًا، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ بِلَادَ الشَّامِ وَالْعِرَاقَ وَخِرَاسَانَ وَغَيْرَهَا.

فكيف بمن تولى منصبًا فخان وسرق وفرط؟

(٢) أَيِ تَبَتَ لَنَا وَدَامَ.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّمَا قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ هَضْمًا لِنَفْسِهِ، وَإِلَّا فَمَقَامُهُ فِي الْفَضَائِلِ

والكمالات أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ. الفتح ٣١٨/٧

\* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لما طعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لو أن لي ما في الأرض من شيء لافتديت به من عذاب الله قبل أن أرى.  
قال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: لم أتنق عذاب الله كما أحب. (١) الزهد لأبي داود (٧٠).  
\* وقال عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢): وددت أني رمادٌ تذروني الرياح.  
الزهد لأحمد: ٢٧٧.

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): وددت أن الله غفر لي خطيئة من خطاياي وأنه لم يعرف نسبي. ابن أبي الدنيا ٢ / ٥٣٩.  
\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرّ على أنفه، فقال به هكذا.  
قال أبو شهاب الزهري بيده فوق أنفه. صحيح البخاري (٦٣٠٨).  
\* وقال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦): كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. صحيح البخاري: (٣٣٣٨).  
\* ولما نزل بحذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموت جزع جزعاً شديداً، فقيل له: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي أسفاً على الدنيا، بل الموت أحب إلي، ولكني لا أدري على ما أقدم على الرضا أم على سخط؟. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٤٣.  
\* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: لن يلج النار من بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع. الزهد لوكيع (٢٣).

\* وبكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي على دنيائكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري، وقلة زادي، فإني أمسيت في صعود مهبطه على جنة ونار، ولا أدري أيتهما يؤخذ بي. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٤٤.

(١) هذا شرحٌ لكلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

\* واستأذن ابنُ عباسٍ قبلَ موتِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، فَقَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ! <sup>(١)</sup>، فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكَ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتُ، قَالَ: «فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بَكْرًا غَيْرَكَ، وَنَزَلَ عُذْرُكَ مِنَ السَّمَاءِ». فَقَالَتْ: وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسِيًّا مَنْسِيًّا. صحيح البخاري: (٤٧٥٣).

\* وعاد خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) بقايا من أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: أبشر أبا عبد الله، إخوانك تقدّم عليهم غدا، فبكى، وقال: «عليها من حال، أما إنه ليس بي جزع، ولكنكم ذكّرتُموني أقوامًا، وسمّيتُمهم لي إخوانًا، وإن أولئك قد مضوا بأجورهم كما هي، وإني أخاف أن يكون ثوابُ ما تذكرون من تلك الأعمال ما أتينا بعدهم. الزهد للمعافى (٣٠١)، الزهد لأبي داود (٢٣٧).

\* وعن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: لوددت أني كبش أهلي فأخذوني فذبحتهم فأكلوا وأطعموا أضيقتهم. الزهد لأحمد: ٣٦٣.

\* وعن شداد بن أوس الأنصاري (ت: ٦٠) أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه، لا يأتيه النوم فيقول: اللهم إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلّي حتى يصبح. تهذيب الحلية ١/٢٠٢.

\* وعن أبي رجاء العطاردي قال: رأيت ابن عباس (ت: ٨٦) وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من الدموع. الزهد لأحمد: ٢٧١.

\* وعن ابن عباس في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] قال: «الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت وصاروا إلى الله تعالى

(١) عائشة الصديقة بنت الصديق تخشى أن يمدحها ويثني عليها ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وبعض الناس يغضب لو لم يمدح، ويُقَرَّب من يمدحه، ويُغض من يُبصِّره بعيوبه، فستان بين الحالين!

استأنفوا<sup>(١)</sup> في بكاءٍ لا ينقطع عنهم أبداً. الزهد لأسد بن موسى (١٤).

\* وقال فضالة بن عبيد (ت: ٥٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَأَنْ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. تهذيب السَّيَر ١/ ٣٤٧.

\* ودخل ابن عمر (ت: ٧٣) الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك. تهذيب الحِلْيَةِ ١٠/ ٢١٠.

\* وشرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ماء مبرِّداً، فبكى فاشتد بكاءؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَجِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً، شهوتهم الماء، وقد قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]. صفة الصفوة ١/ ٢٧٤.

\* وقال كعب الأبحار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لَأَنْ أَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَسِيلَ دُمُوعِي عَلَى وَجْهِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِوِزْنِي ذَهَبًا. الزهد لأبي داود (٣٧٤).

\* وعن ابنة الربيع بن خثيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٠) قالت: كنت أقول: يا أبتاه، ألا تنام؟ فيقول: كيف ينأى مَنْ يخاف البيات.<sup>(٢)</sup> تهذيب السَّيَر ٣/ ٤٣.

\* وقال الشعبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣): وددت أني نجوت من عملي كفافاً لا لي ولا علي. مسند الدارمي (٥٤٨).

\* وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): وددت أن أنجو من هذا الأمر كفافاً، لا علي ولا لي. تهذيب الحِلْيَةِ ٣٦٣/ ٢.

\* وقال أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنت إذا رأيت الرجال يجتمعون إلى أحد غبطته، فلما ابتليت بها وددت أني نجوت منهم كفافاً لا علي ولا لي.<sup>(٣)</sup> تهذيب الحِلْيَةِ ٣٨٧/ ٢.

(١) أي: ابتدؤوا.

(٢) أي: يُبَيِّتُهُ العدو بغته، ويقصد بذلك هجوم ملك الموت عليه في أي لحظة.

(٣) وكذا قال الشعبي وأحمد بن حنبل وهشام الدستوائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. انظر تهذيب الحِلْيَةِ ١١٢-١٤٥-



\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: ما أطاق أحد العبادة، ولا قوي عليها إلا بشدة الخوف.

تهذيب الحلية ٢/ ٣٦٢.

\* وعن يزيد بن ميسرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠) قال: البكاء من خشية الله تطفئ

الدمعة منه مثل أمثال البحور من النار. الزهد لأبي داود (٣٩٤).

\* وقيل في بعض المواعظ: عجا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن

المعاصي، وعجا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل. أدب الدين (٢٠٠).

\* واشتكى ثابت البناني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٣) عينه، فقال له الطبيب: اضمن لي

خصلة تبرأ عينك، قال: وما هي؟ قال: لا تبك، قال: وما خيرٌ في عين لا تبكي؟

ابن أبي الدنيا ٣/ ٢١٠.

\* وقيل لعامر بن عبد قيس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٠): إنك تبيتُ خارجًا، أما تخافُ

الأسد؟ قال: إنِّي لأستحيي من ربِّي أن أخافَ شيئًا دونه. تهذيب السير ١/ ٤٣٤.

\* وكان هرم بن حيان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٦) يخرجُ في بعض الليال ويُنَادِي بأعلى

صوته: عجبْتُ من الجنة كيف نامَ طالبُها؟ وعجبتُ من النار كيف نامَ هارِبُها؟ ثم

يقول: ﴿أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا﴾ [الأعراف: ٩٧]. تهذيب السير ١/ ٤٤٠.

\* وكان سعيد بن المسيَّب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) يكثر أن يقولَ في مجلسه: اللَّهُمَّ

سَلِّمْ سَلِّمْ. تهذيب السير ١/ ٤٨٢.

\* وقال الشاعر:

وإنَّ اللهَ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ      بِقَدْرِ الْحِلْمِ يَنْتَقِمُ الْحَلِيمُ

المجالسة وجواهر العلم (٣١١).

= يقولون هذا وهم الذين أفنوا أعمارهم في طلب العلم وتحصيله، ثم في تزكيتِه ونشرِه وتبليغِه،

وعَمَرُوا أوقاتهم بالتعليم والعمل والعبادة، فكيف بمن كتم علمه، ولم يعمل بعملِه!

اللهم ارحمنا يوم العرض عليك، وأُمَّنَّا يوم الفزع الأكبر.

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: إن الرجل يذنب فما ينساه وما يزال متخوفاً منه حتى يدخل الجنة. الزهد لأحمد: ٤٦٩.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ في قول النبي ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»<sup>(١)</sup>: «والله إن أصبح فيها مؤمن إلا حزيناً، وكيف لا يحزن المؤمن وقد حدث الله عَزَّجَلَّ أنه واردٌ جهنم، ولم يأت أنه صادر عنها، والله ليلقين أمراضاً، ومصيبات وأموراً تغيطه، وليُظلمن فما ينتصر، يبتغي من ذلك الثواب من الله عَزَّجَلَّ، وما يزال فيها حزيناً خائفاً حتى يفارقها، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة».

\* وكان رَحِمَهُ اللهُ يقول: نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً. الزهد لابن المبارك (١١٤١).

\* وبكى رَحِمَهُ اللهُ يوماً فليل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالى.<sup>(٢)</sup> المنتظم ١٣٧/٧.

\* وقيل له: إن عندنا قوماً يبكون ليسوا بذلك، ونرى قوماً أفضل منهم لا يبكون؟ فقال الحسن: أولئك تبكي قلوبهم.<sup>(٣)</sup> ابن أبي الدنيا ٣/٢٨٤.

\* وقيل له كذلك: كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: كُلُّ مَنْ لَمْ يَخْشَ أَنْ يَكُونَ فِي النَّارِ فَهُوَ مَغْرُورٌ قَدْ أَمِنَ مَكْرَ اللَّهِ بِهِ. السَّيَر ٢٩١/٦.

(٣) صدق رَحِمَهُ اللهُ، ولذلك تجد بعض الوعاظ كثير البكاء، وتصدر منه مخالفات شرعية تدل على ضعف في الورع والتقوى، وتجد عالماً أو صالحاً قليل البكاء أمام الناس، ولكنه قوي في دينه، شديد الورع والتمسك بالكتاب والسنة.

والبكاء من علامات رقة القلب غالباً، ولكنه ليس دليلاً على قوة الإيمان وصلابته. قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: الْخَائِفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ أَنْ يَخَافَ أَنْ يُعَاقِبَهُ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قِيلَ: لَيْسَ الْخَائِفُ الَّذِي يَنْكِى وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ، بَلِ الْخَائِفُ الَّذِي يَتْرُكُ مَا يَخَافُ أَنْ يُعَذَّبَ عَلَيْهِ. تفسير القرطبي (٤٢٨/٥).

الحسن: والله لئن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى يدركك الأمن، خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يلحقك الخوف. تهذيب الحلية ١/٣٣٦.

\* وعن عبد الأعلى التيمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠): قال: من أوتي من العلم ما لا يبيكه لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى نعت العلماء فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُشوعًا ۝﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]. تهذيب الحلية ٢/١٤٩.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: المخافة قبل الرجاء، فإن الله عَزَّوَجَلَّ خلق جنة ونارًا، فلن تخوضوا إلى الجنة حتى تمرؤا على النار. تهذيب الحلية ٢/١٧٢.

\* واجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١)، وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه، فقالوا له: إما أن تستأذن لنا، وإما أن تبلغ أمير المؤمنين عنا الرسالة، قال: قولوا: فقالوا: إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا، وإن أباك قد حرمننا ما في يديه قال: فدخل على أبيه فأخبره عنهم، فقال له عمر: قل لهم إن أبي يقول لكم: إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. تهذيب الحلية ٢/٢٠٣.

\* وعن عطاء بن أبي رباح قال: حدثني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ أنها دخلت عليه، فإذا هو في مُصَلَّاهُ يَدُهُ على خَدِّه، سائلة دموعه، فقلت: يا أمير المؤمنين! أَلشَّيْءُ حدث؟ قال: يا فاطمة! إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ، فتفكَّرتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذو العيال في أقطار الأرض، فعلمتُ أن رَّبِّي سيسألني عنهم، وأن خَصْمَهُمْ دونهم محمدٌ ﷺ فخشيتُ ألا تثبت لي حُجَّة عند خصومته، فَرَحِمْتُ نفسي فَبَكَيْتُ. تهذيب السير ٢/٥٨٩.

\* وبكى رَحْمَةُ اللَّهِ فبكت فاطمة فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلى عنهم العَبْرُ قالت فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة مُنْصَرَفَ القوم من بين يدي الله فريق في الجنة وفريق في السعير! ابن أبي الدنيا ٣/ ١٨١.

\* وكان رَحْمَةُ اللَّهِ يوما ساكتا وأصحابه يتحدثون، فقالوا له: مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكرا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها، ثم بكى. ابن أبي الدنيا ٣/ ١٨٢.

\* وقيل له رَحْمَةُ اللَّهِ: ما كان بُدُوْا إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي فقال: يا عمر اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٣٠.

\* وقالت فاطمة بنت عبد الملك: قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصوما من عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ، ولكن لم أر رجلا من الناس قط كان أشدَّ فَرَقًا<sup>(١)</sup> من ربه من عمر بن عبد العزيز، كان إذا دخل بيته ألقى نفسه في مسجده، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ، فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع. الزهد لابن المبارك (٨٣٣).

\* وعن مسروق رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٦٣) قال: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة، فليأخذ حذرَه من الله عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٣/ ١٦.

\* وقال بعض السلف: ليس الخائف من بكى وعصر عينيه، ولكن الخائف من ترك الأمر الذي يخاف أن يعذب عليه. المجالسة وجواهر العلم (٣٦).

\* وعن إبراهيم بن شيان رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٣٤٨) أنه قال: الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات فيه، وطرد عنه رغبة الدنيا. المنتظم ١١٩/ ١٤.

(١) أي: خوفاً.

\* وعن محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠): أنه بينما هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى، فكثر بكاءه حتى فزع له أهله، فسألوه: ما الذي أبكاك؟ فاستعجم عليهم، فتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم وأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكي، فقال: يا أخي ما الذي أبكاك قد رُعْتَ أَهْلُكَ؟ فقال له: إني مرت بي آية من كتاب الله عَزَّجَلَّ قال: ما هي؟ قال: قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] قال: فبكى أبو حازم معه، واشتدَّ بكاءهما قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرِّج عنه فزِدْتَهُ قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٩.

\* وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) قال: إن الخشية أن تخشى الله حتى تحُولَ خشيته بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية. صفة الصفوة ٣/ ٥٤.

\* وعن إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠) قال: ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. وينبغي لمن لا يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلَانَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]. صفة الصفوة ٣/ ٦٢.

\* وعن مطرف بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) قال: لو كان لي نفسان، لقدمت إحداهما قبل الأخرى، فإن هجمت على خير، أتبعتهما الأخرى وإلا أمسكتها. ولكن إنما لي نفس واحدة ما أدري على ما تهجم؟ خير أو شر. تهذيب الحلية ٣٥٩/ ١.

\* وعن القاسم بن محمد قال: كنا نساfer مع ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١) فكثيراً ما كان يخطر ببالي، فأقول في نفسي: بأي شيء فضّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إننا لنصلي، ولئن كان يصوم إننا لنصوم، وإن كان يغزو فإننا لنغزو، وإن كان يحج إننا لنحج.

قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيتٍ إذ طفىء السراج، فقام بعضنا، فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة، ثم جاء بالسراج، فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعله حين فُقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة. صفة الصفوة ٣/ ٣٧٩.

\* وقال ابنُ المبارك رَحِمَهُ اللهُ: أَكْثَرُكُمْ عِلْمًا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُكُمْ خَوْفًا. جامع بيان العلم وفضله (١٢٧١).

\* وقال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: قلت ليزيد بن مرثد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٩): مالي أرى عينيك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى الله عَزَّجَلَّ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، قال: إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَوَعَّدَنِي إِنَّ أَنَا عَصَيْتُهُ أَنْ يَسْجِنَنِي فِي النَّارِ، وَاللَّهُ لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدَنِي أَنْ يَسْجِنَنِي إِلَّا فِي الْحَمَامِ لَكُنْتُ حَرِيًّا أَنْ لَا تَجِفَّ لِي عَيْنٌ. شعب الإيمان (٨٧٨).

\* وقال حذيفة المرعشي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٧): إِنْ لَمْ تَخْشَ أَنْ يَعَذِّبَكَ اللَّهُ عَلَى أَفْضَلِ عَمَلِكَ فَأَنْتَ هَالِكٌ. <sup>(١)</sup> صفة الصفوة ٤/ ٤٧٥.

(١) لأن العمل الفاضل قد يمنعه من القبول: الرياء، أو ضعف في الإخلاص، أو عُجْبٌ، أو محبة لا اطلاع الناس عليه، وغير ذلك من الآفات التي تمنع قبول الأعمال، وأعظمها أن يَمُنَّ به على الله تعالى بلسان الحال أو بلسان المقال.

والله تعالى يقول عن المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم؛ لخوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشرط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، كما قال الإمام أحمد.. عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عَزَّجَلَّ؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عَزَّجَلَّ» وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول بنحوه، وقال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم». ١. هـ كلامه.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): مَنْ خَافَ اللهَ لَمْ يَضُرَّهُ أَحَدٌ،  
وَمَنْ خَافَ غَيْرَ اللهِ لَمْ يَنْفَعِهِ أَحَدٌ. تهذيب السَّير ٧٧٣ / ٢.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّمَا الْفَقِيهُ الَّذِي أَنْطَقَتْهُ الْخَشْيَةُ، وَأَسَكَّتَتْهُ الْخَشْيَةُ، إِنْ قَالَ  
قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ  
وَقَفَ عِنْدَهُ وَرَدَّهُ إِلَى عَالِمِهِ.

قال ابن أبي يعلى (ت: ٦١٦): هذه والله المحمودة، صفة إمامنا أَحْمَدَ  
رَحِمَهُ اللهُ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، فَيَا وَيْحَ مَنْ يَدَّعِي مَذْهَبَهُ<sup>(١)</sup>، وَيَتَحَلَّى  
بِالْفَتْوَى عَنْهُ، وَهُوَ سَلِمَ لِمَنْ حَارَبَهُ، عَوْنٌ لِمَنْ خَالَفَهُ، اللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى وَحْشَةٍ  
هَذَا الزَّمَانِ. طبقات الحنابلة (٣ / ٢٦٧).

\* وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠): وَاحْزَنَاهُ عَلَى أَنِّي لَا أَحْزَنُ.<sup>(٢)</sup> صفة  
الصفوة ٤ / ٤٣٥.

(١) أي: مذهب الإمام أحمد.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا الْحُزْنُ فَلَمْ يَأْمُرِ اللهُ بِهِ وَلَا رَسُولُهُ، بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهُ فِي  
مَوَاضِعَ وَإِنْ تَعَلَّقَ بِأَمْرِ الدِّينِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾  
[آل عمران: ١٣٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]،  
وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَجْلِبُ مَنْفَعَةٌ وَلَا يَدْفَعُ مُضَرَّةٌ فَلَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَمَا لَا فَائِدَةَ  
فِيهِ لَا يَأْمُرُ اللهُ بِهِ، نَعَمْ! لَا يَأْتُمُ صَاحِبَهُ إِذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِحُزْنِهِ مُحَرَّمٌ، كَمَا يَحْزَنُ عَلَى الْمَصَائِبِ،  
كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَذْمُعُ الْعَيْنِ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبَّنَا»، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسُفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه، فيكون محمودًا من تلك الجهة لا من  
جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عموماً، فهذا يثاب على  
ما في قلبه من حب الخير، وبغض الشر، وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى  
ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نُهي عنه، وإلا كان حَسْبُ صاحبه  
رفع الإثم عنه من جهة الحزن، وأما إن أفضى إلى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر  
الله ورسوله به، كان مذمومًا عليه من تلك الجهة، وإن كان محمودًا من جهة أخرى. مجموع  
الفتاوى (١٧-١٦ / ١٠).

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): من حَسَنَ ظَنَّهُ بالله عَزَّجَلَ ثم لا يخاف الله فهو مَخْدُوع. صفة الصفوة ٤ / ٤٧٥.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: لِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ، وَعِلْمُ الْخِذْلَانِ تَرْكُ الْبُكَاءِ. السَّيَر ٨ / ٣٢٧.

\* وكان يُقال: ما استعان عبد على دينه، بمثل الخشية من الله. تهذيب السَّيَر ٢ / ٦٢٥.

\* وقال المَرُودِي: كان أبو عبد الله رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup> (ت: ٢٤١) إذا ذكر الموت خَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ، وكان يقول: الخوف يمنعني أَكْلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وإذا ذكرتُ الموت هان عليَّ كُلُّ أَمْرِ الدُّنْيَا، إنما هو طَعَامٌ دُونَ طَعَامٍ، وَلِبَاسٌ دُونَ لِبَاسٍ وَإِنَّمَا أَيَّامٌ قَلَائِلٌ، مَا أَعْدِلُ بِالْفَقْرِ شَيْئًا، وَلَوْ وَجَدْتُ السَّبِيلَ لَخَرَجْتُ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي ذِكْرٌ. تهذيب السَّيَر ٢ / ٩٢٩.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: دخلت يوما عَلَى أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ فَقُلْتُ: كَيْفَ أَصْبَحْتُ؟ فقال: كَيْفَ أَصْبَحَ مِنْ رَبِّهِ يَطَالِبُهُ بِأَدَاءِ الْفَرَضِ، وَنَبِيهِ يَطَالِبُهُ بِأَدَاءِ السَّنَةِ، وَالْمَلِكِ يَطَالِبُهُ بِتَصْحِيحِ الْعَمَلِ، وَنَفْسِهِ تَطَالِبُهُ بِهَوَاهَا، وَإِبْلِيسُ يَطَالِبُهُ بِالْفَحْشَاءِ، وَمَلِكُ الْمَوْتِ يَطَالِبُهُ بِقَبْضِ رُوحِهِ، وَعِيَالُهُ يَطَالِبُونَهُ بِنَفَقَتِهِمْ؟ طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ (١ / ١٤٤).

\* وقال أَبُو حَامِدٍ الْخُلُقَانِي: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ: مَا تَقُولُ فِي الْقَصَائِدِ؟ فَقَالَ: فِي مِثْلِ مَاذَا؟ قُلْتُ: مِثْلُ مَا تَقُولُ:

أَمَّا اسْتَحْيَيْتَ تَعْصِيَنِي

وَبِالْعَصِيَّانِ تَأْتِيَنِي

إِذَا مَا قَالَ لِي رَبِّي

وَتُخْفِي الذَّنْبَ مِنْ غَيْرِي

قال: فرد الباب، وجعل يقول:

(١) يعني: أحمد بن حنبل.



إِذَا مَا قَالَ لِي رَبِّي      أَمَا اسْتَحْيَيْتَ تَعْصِيَنِي  
وَتُخْفِي الذَّنْبَ مِنْ غَيْرِي      وَبِالْعَصِيَّانِ تَأْتِينِي  
فَخَرَجْتُ وَتَرَكْتَهُ. ذيل الطبقات (١ / ٢٩٩).

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: ولقد كنت أقرأ على شيخنا عبد الوهاب الأنماطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٣٥) الحديث في زمان الصِّبَا، ولم أذق بعدُ طعم العلم، فكان يبكي بكاءً متّصلاً، وكان ذلك البكاء يعمل في قلبي، وأقول: ما يبكي هذا هكذا إلا لأمر عظيم، فاستفدت ببكائه ما لم أستفد بروايته. صفة الصفوة ٧٠٣ / ٢.

\* وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بَشَارٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣١٣): مَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَصَا اللَّهَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ نِقَمَ اللَّهِ. طبقات الحنابلة (٣ / ١٠٩).

\* وَقَالَ الْقَاضِي الْفقيه عُمَرُ بْنُ سَعْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٩): لَمْ أَقْضِ قَضِيَّةً إِلَّا وَقَدْ أَعَدَدْتُ لَهَا الْجَوَابَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى. ذيل الطبقات (٥ / ١٤٣).

\* وقال بعض السلف: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ فَلْيَنْظُرْ قَدْرَ هَيْبَتِهِ لَهُ وَفَتْ عِبَادَتِهِ، وَالتَّهَافُونَ بِالْأَمْرِ مِنْ قِلَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَمْرِ.<sup>(١)</sup> الزهد للبيهقي (٢٨٩).  
\* وَذُكِرَ فِي مَجْلِسِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ رَحِمَهُمَا اللهُ (ت: ٢٠٤) فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَهُ: هُوَ قَصِيرُ الْعِلْمِ.

قَالَ أَحْمَدُ: أَمْسِكْ عَافَاكَ اللَّهُ، وَهَلْ يُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ.  
كَانَ مَعَهُ رَأْسُ الْعِلْمِ: خَشْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى. الآداب الشرعية ١٦٣ / ٢، طبقات الحنابلة (٢ / ٤٧٨).

\* وَقِيلَ لِمَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: طَلَبْتَ الْعِلْمَ؟ فَقَالَ لِي: كَيْفَ يَخَافُ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ؟ كَيْفَ يَخَافُ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ؟ طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ (٢ / ٤٨٧).

(١) فالعالم بالله العارف به، ليس هو العالم بالحلال والحرام، بل هو الذي يمتلئ قلبه هيبة ووقاراً وخشية عند قيامه بالعبادة، والمبادر إلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

\* وكان يحيى بن وثاب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٠٣) ثقة إمامًا كبير القدر، قال الأعمش: كنت إذا رأيته قلت: هذا قد وقف للحساب<sup>(١)</sup>، يقول: أي ربّ أذنبت كذا فغفوت عني، فلا أعود معرفة القراء (١/ ١٦٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٢٩٥).

#### ب- الرجاء وإحسان الظن بالله:

\* قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): أي آية في القرآن أوسع؟ قال: فجعلوا يذكرون آيا من القرآن: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] أو نحوها فقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما في القرآن آية أوسع من ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. ابن أبي الدنيا ١/ ٨٤-٨٥.

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر. ابن أبي الدنيا ١/ ٨٣.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: والذي لا إله غيره ما أعطي عبد شيئا خيرا من حسن الظن بالله، والذي لا إله غيره ما يحسن عبد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ذلك، فإن الخير في يده. ابن أبي الدنيا ١/ ٩٤.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: والله لو تعلمون من الله ما نعلم لا تكلمتم. الزهد لأبي داود (١٣٩).

\* وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): الجبن والبخل والحرص غرائز سوء، يجمعها كلها سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ. الآداب الشرعية ١/ ٤٧.

\* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: يدني الله العبد يوم القيامة فيضع عليه

(١) كان علماء السلف أهل عبادة وخوف وزهد، ومحاسبة لأنفسهم.

كفنه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر فيقول: اقرأ يا ابن آدم كتابك قال: فيمر بالحسنة فيبيض وجهه ويسر بها قلبه قال: فيقول الله عزَّجَلَّ له: تعرف يا عبدي، فيقول: نعم أي رب أعرف، قال فيقول: إني تقبلتها منك، قال: فيخر الله ساجداً قال: فيقول: ارفع رأسك يا ابن آدم وعد في كتابك قال: فيمر بالسيئة فيسود وجهه ويوجل منها قلبه فيقول الله عزَّجَلَّ: أتعرف يا عبدي؟ قال: فيقول: نعم يا رب أعرف، قال: فيقول: إني قد غفرتها لك، قال: فلا يزال حسنة تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد ولا يرى الخلائق منه إلا السجود قال: حتى ينادي الخلائق بعضها بعضاً طوبى لهذا العبد لم يعص الله قط، قال: ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله مما قد وقفه عليه. الزهد لأحمد: ٣١٦.

\* ومرض أعرابي فقيل له: إنك تموت، قال: إلى أين يُذهب بي؟ قال: إلى الله، قال: فما كراحتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه؟. ابن أبي الدنيا ٣٠٩/٥.

\* وعن المعتمر بن سليمان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧) قال: قال أبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٣) حين حضرته الوفاة: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به. ابن أبي الدنيا ٣٠٩/٥.

\* وقال بعضهم:

وإني على خوفي من الله واثق      بإنعامه والله أكرم منعم

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٦٢).

\* وعن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه. ابن أبي الدنيا ٣٠٩/٥.

\* وقال مطرّف بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥): وجدت الغفلة التي ألقاها الله

عَزَّجَلَّ فِي قُلُوبِ الصَّادِقِينَ مِنْ خَلْقِهِ رَحْمَةً رَحِمَهُمْ بِهَا، وَلَوْ أَلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ عَلَى قَدَرٍ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ مَا هُنَا هُمُ الْعَيْشُ. شَعْبُ الْإِيمَانِ (١٠٣٠).

\* وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ لِيَرْحَمَ بِرَحْمَةِ الْعَصْفُورِ.

وَأَصَابَ مَطْرَفٌ حَمْرَةً فَأَرْسَلَهَا، قَالَ: أَتَصَدَّقُ بِكَ الْيَوْمَ عَلَى فِرَاخِكَ. الزَّهْدُ لَوْكَيْعِ (٤٩٧)، الزَّهْدُ لَهْنَادِ (١٣٣٣).

\* وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٨٧): مَا يَسُرُّنِي أَنْ أَعْرِفَ الْأَمْرَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؛ إِذَا لَطَّاشَ عَقْلِي. شَعْبُ الْإِيمَانِ (١٠٣٣).

\* وَصَلَّى ابْنُ الْمُنَكَّدِرِ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٣٠) عَلَى رَجُلٍ فَقِيلَ لَهُ: تَصَلِّي عَلَى فَلَانٍ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ يَعْلَمَ مِنِّي أَنْ رَحْمَتَهُ تَعْجِزُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. تَهْذِيبُ الْحِلْيَةِ ١/٤٩٤.

\* وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَنَا لَمَّا لَا أَرْجُو أَرْجُو مِنِّي لَمَّا أَرْجُو. الْمَجَالِسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعِلْمِ (٢٦٢).

\* وَعَنْ الزُّبْرِقَانَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي وَائِلٍ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٨٢) فَجَعَلْتُ أَسْبَ الْحِجَابِ وَأَذْكَرَ مَسَاوِئِهِ، فَقَالَ: لَا تَسْبِهِ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَغَفَرَ لَهُ؟! تَهْذِيبُ الْحِلْيَةِ ٢/٦٠.

\* وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٠٤) قَالَ: يُؤْمَرُ بِالْعَبْدِ إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَا كَانَ هَذَا ظَنِّي! فَيَقُولُ: مَا كَانَ ظَنُّكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْ تَغْفِرَ لِي، فَيَقُولُ: خَلَوْا سَبِيلَهُ. تَهْذِيبُ الْحِلْيَةِ ٢/١٢.

\* وَكَانَ أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبْعِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٨٣) يَقُولُ: لَوْ أَنَّ أَنَاسًا مِنْ فَقَهَائِكُمْ وَأَغْنِيَاءِكُمْ، انْطَلَقُوا إِلَى رَجُلٍ فَقِيهِ غَنِيٍّ، فَسَأَلُوهُ كَوْزًا مِنْ مَاءٍ أَكَانَ يُعْطِيهِمْ؟ قَالُوا: يَا أَبَا الْجَوْزَاءِ، وَمَنْ يَمْنَعُ كَوْزًا مِنْ مَاءٍ، قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ:

والله الله أجود بجنته من ذلك الرجل بذلك الكوز من ماء. تهذيب الحلية ٥٨ / ٤ / ١.

\* وقال بعضهم:

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع

\* وقال الآخر:

فلا تفرح بأمر قد تدنى ولا تأس من الأمر السَّحِيقِ

فإن القرب يبعدُ بعدُ قرب ويدنو البعد بالقدر المَسُوقِ

ومن لم يتق الضَّخْضَاح زَلَّتْ به قدماه في البحر العميق

عيون الأخبار ٧٨ / ١.

\* وعن بلال بن سعد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠) قال: إن لكم ربًّا ليس إلى عقاب أحدكم بسريع، يقيل العثرة، ويقبل التوبة، ويقبل من المقبل، ويعطف على المدبر. تهذيب الحلية ١٩٠ / ٢.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: يأمر الله تعالى بإخراج رجلين من النار، قال: فيخرجان من النار، قال: فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما فيوقفان بين يديه، فيقول: كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟ فيقولان: شر مقيل وأسوأ مصير، فيقول: بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، فيأمر بهما إلى النار، فأما أحدهما فيمضي بسلاسله وأغلاله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيمضي وهو يتلفت، فيأمر بردهما فيقول للذي غدا بسلاسله وأغلاله حتى اقتحمها: ما حملك على ما فعلت وقد اخترتها؟ فيقول: يا رب قد ذقت من وبال معصيتك، ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانيًا، ويقول للذي مضى وهو يتلفت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: لم يكن هذا ظني بك يا رب، قال: فما كان ظنك؟ قال: كان ظني حيث أخرجتني منها أنك لا تعيدني إليها، قال: إني عند ظنك بي، وأمر بصرفهما إلى الجنة. تهذيب الحلية ١٩١ / ٢.

\* وقال عمرو بن ميمون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٥): ما يسرني أن أمري يوم القيامة إلى أبي<sup>(١)</sup>. تهذيب الحلية ٢/٧٢.

\* وقال حماد بن سلمة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٧): والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبي لاخترت محاسبة الله على محاسبة أبي، وذلك أن الله تعالى أرحم بي من أبي. تهذيب الحلية ٢/٣٣٦.

\* وقال بعض العباد رَحِمَهُ اللهُ: لما علمت أن الله عَزَّجَلَّ يلي محاسبتي: زال عني حزني، لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل. ابن أبي الدنيا ١/٦٠.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ: إنما هو طاعة الله أو النار، فقال محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): إنما هو عفو الله أو النار. تهذيب الحلية ١٣/٤١.

\* وعن بشر بن المفضل قال: رأيت بشر بن منصور رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٠) في المنام فقلت: يا أبا محمد ما صنع الله بك؟ قال: وجدت الأمر أهون مما كنت أحمل نفسي. الزهد لأحمد: ٥٣٣-٥٣٤.

\* وقال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٣): لا يذنب المؤمن ذنباً حتى يكتسب معه مائة حسنة.

فقيل: يا أبا محمد، وكيف هذا؟.

قال: نعم، إن المؤمن لا يكتسب سيئة إلا وهو يخاف العقوبة عليها، ولو لم يكن كذلك لم يكن مؤمناً، وخوفه العقاب عليها حسنة، ويرجو غفران الله لها، ولو لم يكن هكذا لم يكن مؤمناً، ورجاؤه لغفرانها حسنة، وهو يرى التوبة منها، ولو لم يرها لم يكن مؤمناً، ورؤيته التوبة منها حسنة، ويكره الدلالة عليها، ولو لم يكره الدلالة عليها لم يكن مؤمناً، وكراهة الدلالة عليها حسنة. ويكره

(١) لعلمه رَحِمَهُ اللهُ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أرحم وألطف وأبر وأكرم به من والديه.

الموت عليها، ولو لم يكره الموت عليها لم يكن مؤمناً، وكرهته للموت عليها حسنة، فهذه خمس حسنات، وهي بخمسين حسنة، الحسنة بعشر أمثالها، لقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فهذه تصير مائة حسنة فما ظنكم بسيئة تعتورها مائة حسنة وتحيط بها، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتٍ﴾ [هود: ١١٤] وما ظنكم بثعلب بين مائة كلب أليس يمزقونه.

ثم بكى سهل وقال: لا تحدثوا بهذا الجهال من الناس فيتكلموا ويغترؤا، فإن هذه السيئة هي شيء عليه، وحسناته هي أشياء له، وما عليه: فله أن يأخذه به، ويكون عادلاً بعقوبته عليه، وماله: لا يظلمه الله عَزَّجَلَّ، بل يوفيه ثوابه وإن كان بعد حين. ومن يصبر على حر نار جهنم ساعة واحدة؟ ولكن بادروا بالتوبة من هذه السيئة حتى تأمنوا العقوبة، وتصيروا أحباب الله، فإن الله يحب التوابين.<sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٣/٣٣٨.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٨): لولا أن العفو من أحب الأشياء إليه ما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه. الزهد للخطيب (١٣٣).

\* وقال سهيل القطعي: رأيت مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) في منامي فقلت: يا أبا يحيى بماذا قدمت به على الله عَزَّجَلَّ؟

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب: أن يتوب فيتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، أو يستغفر فيغفر له، أو يعمل حسنات تمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات، أو يدعو له إخوانه المؤمنون ويستغفرون له حيّاً وميتاً، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به، أو يشفع فيه نبيه محمد ﷺ، أو يبتليه الله تعالى في الدنيا بمصائب تكفر عنه، أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه، أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه، أو يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة، فلا يلومن إلا نفسه، كما قال تعالى فيما يروي عنه رسوله ﷺ: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». مجموع الفتاوى ١٠/٢٩-٣٠.

فقال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله. ابن أبي الدنيا ١ / ٥١.

\* وعن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) قال: ما كان الله لينعم على عبد في الدنيا فيفضحه في الآخرة، وحق على المنعم أن يتم على من أنعم عليه. ابن أبي الدنيا ١ / ٥١١.

\* وعن عبد الله بن المبارك قال: كنت آتي سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ عشية عرفة، وهو جاث على ركبتيه، وعيناه تهملان، فبكيت، فالتفت إلي فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ أهل الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم. ابن أبي الدنيا ١ / ٨٩-٩٠.

\* وكان عمر بن ذر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٣) إذا تلا ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] قال: ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليعثن من يموت، أتراك تجمع بين القسمين في دار واحدة؟ وبكى أبو حفص بكاء شديداً. ابن أبي الدنيا ١ / ٥٤.

\* ولما احتضر بشر بن منصور رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٠) ضحك، وقال: أخرج من بين ظهرائي من أخاف فتنته وأقدم على من لا أشك في رحمته. ابن أبي الدنيا ١ / ١٠٠.

\* وكان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ييغض الحجاج (ت: ٩٥)، فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي فإنهم زعموا أنك لا تفعل، فبلغ ذلك الحسن البصري فقال: أقالها؟ قال: نعم قال: عسى. ابن أبي الدنيا ١ / ١٠٨.

\* وعن عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] قال: إني لأرجو أن لا يعيدكم الله فيها بعد أن أنقذكم منها. ابن أبي الدنيا ١ / ١٢٠.

\* وقال أيوب السَّخْتِيَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): إِنَّ رَحْمَةً قَسَمَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا



وأصَابَنِي مِنْهَا الْإِسْلَامُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو مِنْ تَسْعٍ وَتَسْعِينَ رَحْمَةً مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.  
شعب الإيمان (١٠٠٨).

\* وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: مِنْ أَحْسَنِ ظَنِّي بِهِ - سَبْحَانَهُ -  
أَنَّهُ بَلَغَ مِنْ لُطْفِهِ أَنْ وَصَّى وَلَدِي إِذَا كَبُرَتْ فَقَالَ: ﴿فَلَا تَقُلْ لَمَّا أَتَى﴾ [الإسراء: ٢٣]،  
فَأَرْجُو إِذَا صِرْتُ عِنْدَهُ رَمِيمًا أَنْ لَا يَعْصِفَ؛ لِأَنَّ أَفْعَالَهُ تُشَاكِلُ أَقْوَالَهُ. الآداب  
الشرعية ١٢٧/٢.

### ج- الموازنة بين الخوف والرجاء<sup>(١)</sup>:

\* قال مطرف رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدنا سواء  
لا يزيد أحدهما على صاحبه. تهذيب الحلية ١/٣٦٣.

\* وعن عبد الله الشامي قال: أتيت طاووسًا رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) فخرج إليّ ابنه  
شيخ كبير فقلت: أنت طاووس؟ فقال: أنا ابنه، قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد  
خرّف؟ فقال: إن العالم لا يخرف، فدخلت عليه فقال لي طاووس: سل وأوجز،  
قلت: إن أوجزت أوجزت لك، قال: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا، التوراة  
والإنجيل والزبور والفرقان؟ قلت: نعم! قال: خف الله تعالى مخافة لا يكون  
عندك شيء أخوف منه، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما  
تحب لنفسك. تهذيب الحلية ٢/٣٠.

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: الرجاء والخوف مطيئا

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: القلب في سيره إلى الله بمنزل الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء  
جناحه، فمتى سلم الرأس والجناحان: فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى  
فُقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر. ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح  
الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف. اهـ.  
بتصرف. مدارج السالكين ١٤٥/٢.

المؤمن. الزهد لأحمد: ٤٥٢.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٨): الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل. تهذيب السير ٧٧٧/٢.

\* وعن المزني قال: دخلت على الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤) في علته التي مات فيها، فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولسوء أعمالي ملاقيًا، وعلى الله تعالى واردًا، فلا أدري روعي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها؟ ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي	جعلت الرجا من نحو عفوك سلما
تعاطمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل	تجوّد وتعفو منه وتكرّما
فإن تتقم مني فلست بأيس	ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما
فلولاك لم يغو بإبليس عابد	فكيف وقد أغوى صفيك آدمًا
وإني لآتي الذنب أعلم قدره	وأعلم أن الله يعفو ترحما

د- ما جاء فيمن يصعق عند الموعدة، وموقف السلف من ذلك<sup>(١)</sup>:

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: والذي عليه جمهور العلماء أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه، وإن كان حال الثابت أكمل منه؛ ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فقال: قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد، فما رأيت أعقل منه، ونحو هذا. وقد نقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك، وعلي بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة، وبالجمله فهذا كثير ممن لا يستتراب في صدقه..

فهذا الذي يصعق صعق موت، أو صعق غشي، فإن ذلك إنما يكون لقوة الوارد، وضعف القلب عن حمله، وقد يوجد مثل هذا في من يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أموراً دنيوية، يقتله ذلك أو يمرضه أو يذهب بعقله. ومن عباد الصور من أمرضه العشق أو قتله أو جننه، وكذلك في غيره، ولا يكون هذا إلا لمن ورد عليه أمر ضعفت نفسه عن دفعه، بمنزلة ما يرد على البدن من الأسباب التي تمرضه أو تقتله، أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك.

\* عن حصين بن عبد الرحمن قال: قلت لأسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت): (٧٣): كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عزَّجَلَّ تدمع عيونهم، وتتشعر جلودهم، فقلت لها: إن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. تلبس إبليس: ٢٨٨.

\* وعن عكرمة قال: سألت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف؟ قالت: لا ولكنهم كانوا يكونون. تلبس إبليس: ٢٨٨.

\* ومروان بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) برجل ساقط من العراق فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال: إنا لنخشى الله عزَّجَلَّ وما نسقط. تهذيب الحلية ٢٢١/١.

= فإذا كان لم يصدر منه تفريط ولا عدوان، لم يكن فيه ذنب فيما أصابه، فلا وجه للريبة. كمن سمع القرآن السماع الشرعي، ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك، وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفناء، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها؛ فإنه إذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما، بل معذورا..

ولكن من لم يزل عقله، مع أنه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو أفضل منهم. وهذه حال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو حال نبينا ﷺ فإنه أسرى به إلى السماء وأراه الله ما أراه، وأصبح كبئت لم يتغير عليه حاله، فحاله أفضل من حال موسى ﷺ الذي خر صعقا لما تجلى ربه للجبل وحال موسى حال جليلة عليه فاضلة، لكن حال محمد ﷺ أكمل وأعلى وأفضل. مجموع الفتاوى ١١/٨-٩.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن قال قائل: فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه؟ فالجواب: إن أول الوجد انزعاج في الباطن، فإن كف الإنسان نفسه كيلا يطلع على حاله يشس الشيطان منه فبعد عنه، كما كان أيوب السخيتاني إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال: ما أشد الزكام.

وإن أهمل الإنسان ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه. تلبس إبليس: ٢٩١.

\* وعن عامر بن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: جئت إلى أبي فقال لي: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقواما ما رأيت خيرا منهم يذكرون الله عَزَّجَلَّ فيرعد أحدهم حتى يُغشى عليه من خشية الله عَزَّجَلَّ فقعدت معهم، رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن، ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر؟ فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم. المعجم الكبير للطبراني: ٣٦٥ / ١٨.

\* وسئل محمد بن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) عن من يستمع القرآن فيصعق فقال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن سقطوا فهم كما يقولون. تهذيب الحلية ١ / ٣٨٧.

\* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧) لابنه وقد سقط: يا بني إن كنت صادقا لقد فضحت نفسك، وإن كنت كاذبا فقد أهلك نفسك. تلبس إبليس: ٢٩٠.

\* وكان رجلٌ يرعد عند الذكر فقال له إبراهيم النخعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٦): إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك، وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من هو خير منك. شعب الإيمان للبيهقي ١١ / ١٥.

هـ- فوائد أخرى:

\* عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) أنه قال: لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يرى الناس كأنهم حمقى في دينهم. الزهد لأبي داود (٢٧٥)، الزهد لابن المبارك (٢٨١).

\* وعن خالد بن معدان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٤): «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فتكون هي أحقر حاقِر». (١)

الزهد لابن المبارك (٢٨٠).

(١) ومقصود ابن عمر وخالد بن معدان أنَّ الناس مهما عملوا واجتهدوا فهم مقصرون في حق الله، ولم يقوموا بحقه حق القيام.

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَنِيَّةٌ﴾ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسَابِيَّةٌ ﴿٢٠﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠] قال: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل. تهذيب الحلية ١/ ٣٣١.

\* وعن معاوية بن قرة قال: دخلت على مسلم بن يسار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٩)، فقلت: ما عندي كبير عمل، إلا أني أرجو الله وأخاف منه، قال: ما شاء الله! مَنْ رَجَا شَيْئًا طَلَبَهُ، وَمَنْ خَافَ شَيْئًا هَرَبَ مِنْهُ، مَا أَدْرِي مَا حَسْبُ رَجَاءِ امْرِئٍ عَرَضَ لَهُ بَلَاءٌ لَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو، وَلَا أَدْرِي مَا حَسْبُ خَوْفِ امْرِئٍ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ لَمْ يَدْعُهَا لِمَا يَخْشَى.

قال معاوية: فإذا أنا قد زكيت نفسي وأنا لا أعلم. الحلية ٢/ ٢٩٢.

\* وعن ابن عون قال: ما رأيت أحدا كان أعظم رجاء لهذه الأمة من محمد ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠)، ولا أشد خوفاً على نفسه منه. (١) ابن أبي الدنيا ١/ ١٠٠.

\* وعن أبي حازم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠) قال: من أعظم خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد خوفاً على نفسه وأرجاه لكل مسلم. (٢) ابن أبي الدنيا ١/ ٩٧.




---

(١) هذا هو المنهج الذي ينبغي أن يأخذ به كل مسلم، وبعض الناس على عكس ذلك.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: من علامات الإنابة: ترك الاستهانة بأهل الغفلة، والخوف عليهم، مع فتحك باب الرجاء لنفسك، فترجو لنفسك الرحمة وتخشى على أهل الغفلة النعمة، ولكن ارج لهم الرحمة واخش على نفسك النعمة، فإن كان لابد مستهيناً بهم ماقئاً لهم: فكن لنفسك أشد مقتاً منك لهم، وكن أرجى لهم لرحمة الله منك لنفسك. مدارج السالكين ٢/ ١٣.

## حَالُ السَّلَفِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ نِسَائِهِمْ، وَنَصَحِهِمْ وَتَوْجِيهِهِمْ لِلزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) لرجل همَّ بطلاق امرأته: لِمَ تُطَلِّقُهَا؟ قال: لَا أُحِبُّهَا قال: أَوْكُلُّ الْبُيُوتِ بُنِيَتْ عَلَى الْحُبِّ! وَأَيْنَ الرِّعَايَةُ وَالتَّذَمُّمُ! <sup>(١)</sup>. عيون الأخبار ١٨/٣.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النِّسَاءُ عَوْرَةٌ فَاسْتُرُوها بِالْبُيُوتِ، وَدَاوُوا ضَعْفَهُنَّ بِالسَّكُوتِ. عيون الأخبار ٣٦٥/٤.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مَوْمنَ شَيْئًا بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ امْرَأَةٍ وَلُودٍ، وَدُودٍ، حَسَنَةِ الْخَلْقِ.

وَلَا أَصَابَ عَبْدٌ شَيْئًا بَعْدَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ امْرَأَةٍ سَلَقَتْ <sup>(٢)</sup>، لَهَا لِسَانُ حَدِيدٍ، سَيِّئَةُ الْخَلْقِ. الزهد لهناد (١٢٦٧).

\* وعن سلمان بن جبير مولى ابن عباس وقد أدرك أصحاب رسول الله قال: مَا زِلْتُ أَسْمَعُ حَدِيثَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا فَإِنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَطُوفُ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا، فَمَرَّ بِامْرَأَةٍ مَغْلُوقَةٍ عَلَيْهَا بَابُهَا وَهِيَ تَقُولُ، فَاسْتَمَعَ لَهَا عُمَرُ: تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ تَسْرِي كَوَاكِبُهُ وَأَرْقَنِي أَنْ لَا حَيْبَ أَلَاعِبُهُ

(١) قال في الحاشية: التذمُّمُ لِلصَّاحِبِ: أَنْ يَحْفَظَ ذِمَامَهُ وَيَطْرَحَ عَنْ نَفْسِهِ ذِمَّ النَّاسِ لَهُ إِنْ لَمْ يَحْفَظْهُ.

(٢) أي: بِذِيئَةِ اللِّسَانِ، تُوْذِي زَوْجَهَا بِرَفْعِ صَوْتِهَا وَصَرَاحِهَا وَغِلْظَةِ أَلْفَاظِهَا.

يقال: سَلَقَهُ بِالْكَلَامِ: آذَاهُ، وَهُوَ شِدَّةُ الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾

[الأحزاب: ١٩]. مختار الصحاح (١٥٢).

فوالله لولا الله لا شيء غيره      لحرك من هذا السرير جوانبه  
 يلاعيني طورا وطورا كأنما      بدا قمرٌ في ظلمة الليل حاجبه  
 ولكنني أخشى رقيبا موكِّلا      بأنفسنا لا يَقْفُرُ الدهرُ كاتبه  
 ثم تنفست الصعداء وقالت: أهان على ابن الخطاب وحشتي بيتي، وغيبة زوجي، وقلة نفقتي.

فقال لها: رحمك الله، فلما أصبح بعث لها نفقة وكسوة، وكتب إلى عامله يسرح لها زوجها. ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٢.

\* وسأل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنته حفصة: كم تصبر المرأة عن الرجل؟ قالت: ستة أشهر، فقال: لا جرم لا أجهز رجلا أكثر من ستة أشهر. ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٢.

\* وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أنفق رجل على نفسه وأهله نفقة إلا له أجرها، وليبدأ الرجل بمن يعول، ثم الأقرب فالأقرب، فإن فَضِّل فليبدأ به. ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٥.

\* وكان لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) امرأتان، فإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم، وإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم. ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٥.

\* وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: أَقَرَّ ما أكون عينا، حين يشكو إلي أهلي الحاجة. تهذيب الحلية ٢٠٦ / ١.

\* وكان لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) امرأتان، فإذا كان عند أحدهما لم يتوضأ من بيت الأخرى.

وجاءت إليه امرأة فقالت: إنك رسول رسول الله حقًا، ما حق الزوجة على زوجها؟ قال: حقها عليه: ألا يضرب وجهها، ولا يقبحه، وحقها عليه: أن يطعمها مما يأكل، ويكسوها مما يلبس، وحقها عليه: أن لا يهجرها في بيتها. ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٥.

فماتتا في طاعون أصابهم في يوم واحد، فقدّمهما إلى الحفرة، ثم أقرع بينهما أيهما يدخل الحفرة قبل الأخرى. ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٦.

\* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أنه قال: «إِنَّمَا النِّسَاءُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهَا، وَمَا بِهَا مِنْ بَأْسٍ، فَيَسْتَشْرِفُ لَهَا الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَمُرِّينَ بِأَحَدٍ إِلَّا أَعْجَبْتِيهِ، وَمَا عَبَدْتَ امْرَأَةً رَبَّهَا بِمِثْلِ أَنْ تَعْبُدَهُ فِي بَيْتِهَا». المعجم الكبير للطبراني (٩٤٨٠).

\* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) أنه قال: النساء عورة، خُلِقْنَ مِنْ ضَعْفٍ، فاستروا عوراتهن بالبيوت. ابن أبي الدنيا ٧ / ٥٥٠.

\* وسألته امرأة فقالت: ما يحل لي من بيت زوجي؟ فذكر الخبز والتمر ونحو ذلك، قالت: فالدرهم؟ قال ابن عباس: أتحيين أن يأخذ حليكَ؟ قالت: لا، قال: فلا تأخذي من دراهمه. ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٧.

\* وعن ثابت بن عبيد قال: ما رأيت أحدا أفكّه في بيته، ولا أحلم في مجلسه من زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٥). ابن أبي الدنيا ٨ / ١٢٨.

\* وكان الزُّبْرُقَانُ بن بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٥) إذا زَوَّجَ ابنةً له دنا من خدرها وقال: أسمعيني؟ كوني له أمةً يكن لك عبداً. عيون الأخبار ٤ / ٣٦٤.

\* وقال سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٦١): إذا أردت أن تتزوج فأهدِ للآم. عيون الأخبار ٣ / ١٢٤.

\* وقال الشاعر:

أرى صاحب النسوان يحسب أنها سواءٌ وبؤن<sup>(١)</sup> بينهن بعيد



فمنهنّ جناتٌ تقيءُ ظلالها ومنهنّ نيرانٌ لهنّ وقود  
أدب الدين (٢٥٦).

\* وقال أبو الأسود الدؤلي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٩) لابنته: إِيَّاكَ وَالْغَيْرَةَ فَإِنِهَا مِفْتَاحُ  
الطَّلَاقِ، وَعَلَيْكَ بِالزَّيْنَةِ، وَأَزِينُ الزَّيْنَةَ الْكُحْلُ؛ وَعَلَيْكَ بِالطَّيِّبِ، وَأَطِيبُ الطَّيِّبِ  
إِسْبَاغُ الْوَضُوءِ؛ وَكُونِي كَمَا قُلْتُ لِأُمِّكَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتِدِّيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ  
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحَبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحَبُّ يَذْهَبُ  
عيون الأخبار ٤ / ٣٦٤.

وقال بعضهم:

فَإِن تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي خَيْرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبُ  
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وُدِّهِ نَصِيبُ  
يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرُّهُ الشَّبَابُ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ  
عيون الأخبار ٤ / ٣٣٤.

\* وقال أبو سنان ضرار بن مرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠): قَدْ سَقَيْتُ أَهْلِي الْيَوْمَ  
وَعَلَفْتُ الشَّاةَ، وَكَانَ يَقُولُ: خَيْرُكُمْ أَنْفَعُكُمْ لِأَهْلِهِ. تهذيب الحلية ١٥١ / ٢.

\* وقالت امرأة سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤): مَا كُنَّا نَكْلِمُ أَزْوَاجَنَا إِلَّا  
كَمَا تَكْلِمُوا أَمْرَاءَكُمْ، أَصْلَحَكَ اللهُ، عَافَاكَ اللهُ. <sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ١٨٦ / ٢، ابن أبي  
الدنيا ٨ / ١٢٢.

(١) حقّ الزوج على زوجته عظيم جدا، فهو أعظمُ الناس حَقًّا عليها، وأوْلَى بالطاعة حتى من أبويها.  
قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «المرأة إذا تزوجت كان زوجها أملك بها من أبويها، وطاعة زوجها عليها  
أوجب».

فإذا رفقت به وأكرمته وصبرت عليه لله: ألان الله قلبه عليها، وأثابها من الأجر ما لا يخطر على  
بالها.

\* وعن يحيى بن يحيى قال: كنت عند سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨) إذ جاء رجل فقال: يا أبا محمد، أشكو إليك من فلانة - يعني امرأته - أنا أذل الأشياء عندها وأحقرها، فأطرق سفيان ملياً ثم رفع رأسه فقال: لعلك رغبت إليها لتزاد عزا فقال: نعم يا أبا محمد، قال: من ذهب إلى العز ابتلي بالذل، ومن ذهب إلى المال ابتلي بالفقر، ومن ذهب إلى الدين يجمع الله له العز والمال مع الدين، ثم أنشأ يحدثه فقال: كنا إخوة أربعة، محمد وعمران وإبراهيم وأنا، فمحمد أكبرنا، وعمران أصغرنا، وكنت أوسطهم، فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب فتزوج من هي أكبر منه حسباً فابتلاه الله بالذل، وعمران رغب في المال فتزوج من هي أكثر منه مالاً فابتلاه الله بالفقر، أخذوا ما في يديه ولم يعطوه شيئاً.

فبقيت في أمرهما، فقدم علينا معمر بن راشد فشاورته وقصصت عليه قصة إخوتي، فذكرني حديث يحيى بن جعدة وحديث عائشة، فأما حديث يحيى بن جعدة قال النبي ﷺ: «تنكح المرأة على أربع، على دينها وحسبها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك». وحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة» فاخترت لنفسي الدين وتخفيف الظهر اقتداء بسنة نبي الله ﷺ، فجمع الله لي المال مع الدين. تهذيب الحلية ٢/٤٣٦.

\* وسئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) عن المرأة تصوم فيمنعها زوجها ترى لها أن تصوم؟ قال: لا تصوم ولا تحدث في نفسها من صلاة ولا صيام إلا أن يأذن لها، إلا الواجب الفرض، فأما غير ذلك فلا تصوم إلا بإذنه.

وتطيعه في كل ما أمرها به من الطاعة. الآداب الشرعية ١/٣٢٩.

\* وكانت لأبي بكر ابن اللباد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٣٣) امرأة سليطة، تؤذيه بلسانها، فقال له أصحابه: طلقها، ونحن نؤدي حقها، فقال: أخشى إن طلقتها أن يُبتلى بها مسلم، ولعل الله دفع عني بمقاساتها بلاءً عظيماً.

وكان يقول: لكلِّ مؤمن محنة وهي محتى. ترتيب المدارك (٣/ ٢٥٧).  
\* ورُمي ببغداد في سُوقٍ بصبيٍّ، وعند رأسه كيسٌ فيه مائةُ دينار ورُقعةٌ فيها:  
هذا الشقيُّ ابن الشقيَّة، رحم الله مَنْ اشترى له بهذا الذهب جاريةً تربيته؛ وفي آخر  
الرُقعة: هذا جزاءٌ من عضل<sup>(١)</sup> ابنته. عيون الأخبار ٤/ ٣٩٦.



---

(١) عضل المرأة عن الزواج: حبسها عنه.

## رعاية السلف بالأولاد

أ- الحرص على تربيتهم وتعليمهم، والصبر على ذلك<sup>(١)</sup>:

\* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) في هذه الآية ﴿فَوَأَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

[التحريم: ٦٠]: علموهم وأدبوهم. ابن أبي الدنيا ٧٧/٨.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْمُرُوا بِالصَّلَاةِ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ حَتَّى الصَّبِيَّانَ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لِبَاسُ الْحَرِيرِ لِلصَّبِيَّانِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا: فِيهِ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ، لَكِنْ أَظْهَرُهُمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ؛ فَإِنَّ مَا حَرَّمَ عَلَى الرَّجُلِ فَعَلُهُ حَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يُمَكِّنَ مِنْهُ الصَّغِيرَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَيَضْرِبُهُ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغَ عَشْرًا، فَكَيْفَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَلْبِسَهُ الْمُحَرَّمَاتِ؟ وَقَدْ رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى صَبِيٍّ لِلزُّبَيْرِ ثَوْبًا مِنْ حَرِيرٍ فَمَزَقَهُ وَقَالَ: لَا تَلْبِسُوهُمْ الْحَرِيرَ. وَكَذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ مَزَقَ ثَوْبَ حَرِيرٍ كَانَ عَلَى ابْنِهِ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا حَرَّمَ عَلَى الرَّجَالِ الْبَالِغِينَ فَعَلَى الْوَلِيِّ أَنْ يُجَنِّبَهُ الصَّبِيَّانَ. اهـ.  
يُنْظَرُ: مجموع الفتاوى: (٤٢٩/٣)، (١٤٣/٢٢)، (٢٩٨/٢٩)، (٥١/٣٠).

قلت: فلا يجوز لباس البنات الصغيرات المميزات لباسًا قصيرًا أو ضيقًا أو شفافًا.

ويجب على ولي أمر الصبي المميز الذي بلغ سبع سنين أن يأمره بالصلوات في أوقاتها، وقد فوط بعض الآباء والأمهات في هذا الأمر، والله المستعان.

ولما أخذ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه قال رسول الله ﷺ له: كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟ رواه مسلم (١٠٦٩).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا الحديث ما يدل على أن الصغار يمنعون مما يحرم على الكبار المكلفين حتى يُدَرَّبُوا على آداب الشريعة، ويتأدبوا بها ويعتادوها.

وعلى هذا: فلا يلبس الذكور الصغار الحرير، ولا يحلون الذهب، ويخاطب الأولياء بأن يجنبوهم ذلك، كما يخاطبون بأن يجنبوهم شرب الخمر وأكل ما لا يحل. المفهم: ١٢٣/٣.

\* ووقف عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) على حلقة من قريش فقال: ما لكم قد طرحتُم هذه الأغليمة؟ لا تفعلوا، وأوسعوا لهم في المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه، فإنهم صغار قوم أوْشك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم، فأنتم اليوم كبار قوم. شرف أصحاب الحديث: ٦٥.

\* وعن عكرمة قال: كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٧) يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن. مسند الدارمي (٥٧٢).

\* وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال.

\* وقال بعض الشعراء:

إِنَّ الغصون إذا قومتها اعتدلت      ولا يلين إذا قومته الخشبُ  
قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ      وليس ينفع عند الشَّيبة الأدبُ  
أدب الدين (٣٧٠).

\* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: كان يُعلِّم الصبي الصلاة إذا عرف يمينه من شماله. ابن أبي الدنيا ٨ / ٧٣.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجل: يا هذا أحسن أدب ابنك؛ فإنك مسؤول عنه، وهو مسؤول عن برك. ابن أبي الدنيا ٨ / ٧٨.

\* وعن الرُّبَيْع بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٥) قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائما فليصم، قالت: فكنا نصومه بعدد، ونُصوِّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار. صحيح البخاري: ١٩٦٠، صحيح مسلم: ١١٣٦.

\* وعن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١) قال: ينبغي للرجل أن يُكرِه وَلَدَهُ على العلم، فإنه مسؤول عنه. تهذيب السَّير ٦٩٩/٢.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ: كان يقال: من حق الولد على الوالد: أن يحسن أدبه. ابن أبي الدنيا ٧٨/٨.

\* وقال بعض السلف: العلم في صغر كالنقش في الحجر. ابن أبي الدنيا ١٣٣/٨.

\* وعن عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠) أنه كان يجمع بينه ويقول: يا بني تعلموا، فإن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار آخرين، وما أقبح على شيخ يسأل ليس عنده علم. مسند الدارمي (٥٧١).

\* وكان رَحِمَهُ اللهُ يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه، وبالصلاة إذا عقلوا. ابن أبي الدنيا ٧٣/٨.

\* وعن الضحاك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٥) قال: ما ضرب المعلم غلاما فوق ثلاث فهو قصاص. ابن أبي الدنيا ٨٤/٨.

\* وعن ابن شوذب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٦) أنه كره ضرب المعلم الصبيان، وقال: يضرب من لا ذنب له!. ابن أبي الدنيا ٨٤/٨.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: كانوا يعلمون الصبي الصلاة إذا عدَّ عشرين. ابن أبي الدنيا ٧٣/٨.

\* وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩): أدب أهلِكَ أو من وُلِّيت أمره على أدبك وخلقك<sup>(١)</sup>، حتى يتأدبوا على الذي أنت عليه؛ ليكونوا لك عونًا على طاعة الله. ترتيب المدارك (١/٤٢٠).

(١) أي: كن قدوة صالحة يقتدون بك.

\* وكان له ابنة تحفظ علمه - يعني الموطأ-، وكانت تقف خلف الباب، فإذا غلط القارئ نقرت الباب فيفطن مالك فيرد عليه.

وكان ابنه محمد يجيء وهو يحدث، وعلى يده باسق<sup>(١)</sup>، ونعل كيسانية، وقد أرخى سراويله، فيلتفت مالك إلى أصحابه ويقول: إنما الأدب أدب الله، هذا ابني وهذه ابنتي!

قال الفروي رَحِمَهُ اللهُ: كنا نجلس عنده وابنه يدخل ويخرج ولا يجلس، فيقبل علينا ويقول: إن مما يهون علي أن هذا الشأن لا يورث، وأن أحداً لم يخلف أباه في مجلسه إلا عبدالرحمن بن القاسم. ترتيب المدارك (١/ ٩٥).

\* وممر رجل بالأعمش رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٨) وهو يحدث الصبيان، فقال له: تحدث هؤلاء الصبيان؟ فقال الأعمش: هؤلاء الصبيان يحفظون عليك دينك. [شرف أصحاب الحديث: ٦٤].

\* وقال بعض السلف: لا تزال هذه الأمة بخير ما تعلم ولدائها القرآن. ابن أبي الدنيا ٨/ ٧٥.

\* وقال إبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٥): جَنَّبُوا أولادكم قرناء السوء، قبل أن تصبغهم في البلاء، كما يصبغ الثوب. ذم الهوى: ١٠٢.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: أول فساد الصبيان بعضهم من بعض. ذم الهوى: ١٠٢.

\* وبلغ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) أن ابناً له اشترى فصاً بألف درهم فتختم به، فكتب إليه عمر: عزيمة مني إليك لما بعت الفص الذي اشتريت بألف درهم وتصدقت بثمانه، واشتريت فصاً بدرهم واحد ونقشت عليه: رحم الله أمراً عرف قدره والسلام. تهذيب الحلية ٢٢٥/ ٢.

(١) نوع من جنس البازي، من فصيلة العقاب النسرية، وهو من الجوارح، يشبه الصقر ويتميز بجسم طويل، ومنقار قصير بادي التقوس.

\* وكتب رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى مؤدب ولده: خذهم بالجفاء، فهو أَمْنَعُ لِإِقْدَامِهِمْ، وَتَرْكُ الصُّبْحَةِ<sup>(١)</sup>، فَإِنْ عَادَتْهَا تُكْسِبُ الْغَفْلَةَ، وَقَلَّةُ الضَّحْكَ، فَإِنْ كَثُرَتْ تَمِيتُ الْقَلْبَ، وَلَيْكُنْ أَوَّلَ مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَدَبِكَ بَغْضُ الْمَلَاهِي، الَّتِي بَدَّوْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَعَاقِبَتُهَا سَخَطُ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْ الثَّقَاتِ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ أَنَّ حُضُورَ الْمَعَازِفِ، وَاسْتِمَاعَ الْأَغَانِي، وَاللَّهْجَ بِهِمَا، يَنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يَنْبِتُ الْعُشْبُ بِالْمَاءِ، وَلِيَفْتَتَحْ كُلُّ غُلَامٍ مِنْهُمْ بِجُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَإِذَا فَرَّغَ مِنْهُ تَنَاوَلَ نَبْلَهُ وَقَوْسَهُ، فَرَمَى سَبْعَةَ أَرْشَاقٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْقَائِلَةِ، فَإِنْ ابْنٌ مَسْعُودٌ كَانَ يَقُولُ: يَا بَنِيَّ قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٨٥.

\* وعن علي بن عاصم رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٢٠١) أَنَّهُ قَالَ: دَفَعَ إِلَيَّ أَبِي مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَقَالَ: اذْهَبْ فَلَا أَرَى وَجْهَكَ إِلَّا بِمِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ. المنتظم ١٠٣ / ١٠.

\* ودخل الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٢٠٤) يَوْمًا إِلَى بَعْضِ حِجَرِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَاسْتَأْذَنَ لَهُ عَلَيْهِ فَأَقْعَدَهُ الْخَادِمُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الصَّمَدِ مُؤَدِّبِ أَوْلَادِ الرَّشِيدِ، قَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ أَوْلَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَذَا مُؤَدِّبُهُمْ، فَلَوْ أَوْصَيْتَهُ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي عَبْدِ الصَّمَدِ فَقَالَ لَهُ: لَيْكُنْ أَوَّلَ مَا تَبْدَأُ بِهِ مِنْ إِصْلَاحِ أَوْلَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِصْلَاحُ نَفْسِكَ فَإِنْ أَعَيْنَهُمْ مَغْفُورَةً<sup>(٢)</sup> بَعِينِكَ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا تَسْتَحْسِنُهُ، وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا تَسْتَقْبِحُهُ، عِلْمُهُمْ كِتَابُ اللَّهِ، وَلَا تُكْرَهُهُمْ عَلَيْهِ فَيَمْلُوهُ، وَلَا تَتْرَكُهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ، ثُمَّ زِدْهُمْ مِنَ الشَّعْرِ أَعْفَى وَمِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَ، وَلَا تَخْرِجْنَهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يَتَقْنُوهُ، فَإِنْ أَزْدَحَامَ الْكَلَامَ فِي الْمَسْمُوعِ مُضِلَّةً لِفَهْمِهِ. المنتظم ١٣٩ / ١٠، الحلية ٩ / ١٤٧.

\* وتفقد هشام بن عبد الملك رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٢٥) بَعْضَ وَلَدِهِ لَمْ يَحْضُرْ

(١) هي النوم أول النهار؛ لأنه وقت الذكر، ثم وقت طلب الكسب. النهاية (٣ / ٧).

(٢) في الحلية وصفة الصفوة للمؤلف: معقودة، وهي الصواب.



الجمعة، فقال له: ما منعك؟ فقال: نَفَقْتُ دابتي، قال: وعجزت عن المشي فتركت الجمعة؟! فمنعه الدابة سنة. المنتظم ٧/٩٨.

\* وكان المأمون رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٢١٨) قد وُكِّلَ الفراء يلقن ابنه النحو، فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فرداً، فقدماهما، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرفع ذلك إليه في الخبر، فوجه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: مَنْ أعز الناس؟ قال: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين قال: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل واحد منهما أن يقدم فرداً. المنتظم ١٠/١٧٩.

\* وقال الميموني رَحْمَةُ اللَّهِ: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٢٤١): أيهما أحب إليك أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن، قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر فتعلمه منه، ثم قال لي: إذا قرأ أولاً تعود القراءة ثم لزمها. طبقات الحنابلة (٢/٩٥).

قال ابن مفلح رَحْمَةُ اللَّهِ: وعلى هذا أتباع الإمام أحمد إلى زمننا هذا. (١) الآداب الشرعية ٢/٢٥.

\* وَقَالَ ابن نجا الأنصاري الواعظ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٥٩٩): حَفَظَنِي خالي مجلسَ وعظ، وعمرى يومئذ عشر سنين، ثم نصب لي كرسيًّا في داره، وأحضر لي جماعته، وقال: تكلّم، فتكلّمت، فبكى. (٢).

ونشأ له ولد حسن الصورة، فلما بلغ أخذ في سبيل اللهو، فدعا عليه، فمات، فحضر الناس والدولة لأجله، فلما وضعوا سريره في المصلى نصبوا للشيخ كرسيًّا

(١) وإلى زمننا هذا كذلك، والحمد لله.

(٢) ما أجمل تحفيز الصغار وتنمية مهاراتهم.

إلى جانبه، فصعد عليه، وحمد الله تعالى، وقال: اللهم إن هذا ولدي بلغ من العمر تسع عشرة سنة، لم يجر عليه فيها قلم إلا بعد خمس عشرة سنة، بقي له ثلاث سنين، نصفها نوم، بقي عليه سنة ونصف، قد أساء فيها إلي وإليك، فأما جنايته علي فقد وهبتها له، بقي الذي لك فهبه لي، فصاح الناس بالبكاء، فنزل وصلى عليه. ذيل الطبقات (٢/ ٥٢٩-٥٣٥).

\* وكان الفقيه الإمام أبو محمد ابن التبان رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup> (ت: ٣٧١) كثير الدرس، ذَكَرَ أنه درس كتاباً ألف مرة، إلى أن قال لي أبي ذات يوم: يا بني ما يكون منك؟ لا تعرف صنعة، واشتغلت بالعلم ولا شيء عندك، فلما كان ذات ليلة سمعته يقول لوالدتي: عرفتَ أني عُرِفْتُ اليوم بابني؟ وذلك أني حضرت إِمْلَاكاً<sup>(٢)</sup> في مسجد -سماء- فوجدته ممتلئاً بالناس، ولم أجد مجلساً، فقام لي رجل من موضعه وأجلسني فيه، فسأله إنسان عني، فقال له: هذا والد الشيخ أبي محمد. فرجع وحرّض ابنه على طلب العلم، والتزم القيام بشأنه من يومئذ.<sup>(٣)</sup> ترتيب المدارك (٤/ ٥٩).

#### ب- فضل الأولاد:

\* عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: إن الرجل لُتُرفِع له الدرجة فيقول: يا

(١) كان من العلماء الراسخين، والفقهاء المبرزين، ضربت له أكباد الإبل من الأمصار؛ لعلمه بالذب عن مذهب أهل الحجاز ومصر ومذهب مالك، وكان من أحفظ الناس بالقرآن والتفنن في علومه، والكلام على أصول التوحيد، مع فصاحة اللسان، وكان مستجاب الدعاء، رقيق القلب غزير الدمعة.

(٢) الإملاك: التوزيع.

(٣) الوالدان يرفعهما الله بعلم ابنهما في الدنيا، ويرفعهما أكثر وأشرف في الآخرة إذا سعيًا في تعليمه ما ينفعه في دينه ابتغاء وجه الله، فحرّي بكل مؤمن عاقل أن يسعى جاهداً في تعليم أولاده أمور دينهم، ليرفعهم الله في الدنيا والآخرة.

رب أنى لي هذه؟ فيقال له: باستغفار ولدك. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٥٧.

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) لرجل: لك عيال؟ فقلت: نعم، قال: روعة من روعة عيالك أفضل مما أنا فيه. تهذيب الحلية ٤٨٦ / ٢.

ت- الصبر على فقد الولد:

\* قال محمد بن عيسى الزاهد رَحِمَهُ اللهُ فيما بلغه: إن عبدالرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللهُ مات له ابن، فجزع عليه جزعاً شديداً، فبلغ ذلك محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤) فكتب إليه: اعلم أن أمض<sup>(١)</sup> المصائب فقد سرور مع حرمان أجر، فكيف إذا اجتماعاً على اكتسابٍ وزر؟ فأقول:

إني مُعزِّيك لا أني على ثقةٍ من الخلود ولكن سنة الدين  
فما المعزَّى بياق بعد صاحبه ولا المعزَّى ولو عاشا إلى حين

قال: فكانوا يتهادونه بينهم بالبصرة. طبقات الشافعيين (١ / ٦٨).

\* وقال مُحَمَّد بن خلف رَحِمَهُ اللهُ: كان لإبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٥) ابنٌ، وكان له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقَّنه من الفقه شيئاً كثيراً، قال: فمات فجئتُ أعزيه، فقال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا!.

قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب<sup>(٢)</sup> ولقَّنته الحديث والفقه؟!.

قال: نعم، رأيتُ في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانا بأيديهم قلالٌ فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكأن اليوم يومٌ حارٌّ شديدٌ حره، فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، فنظر إليّ وقال: لست أبي، فقلت: إيش أنتم؟ فقال: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، فخلَّفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال:

(١) أشد.

(٢) أي: صار نجيباً ذكياً.

فلهذا تمنيت موته. طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

\* وقال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٣): مات ولدي عقيل، وكان قد تَفَقَّه وناظر وجمع أدبًا حسنًا، فتعزيتُ بقصة عمرو بن عبد ودّ، الذي قتله علي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ، فقالت أمّه تربيته:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله      ما زلتُ أبكي عليه دائم الأبد  
لكن قاتله من لا يُقاد به      من كان يُدعى أبوه بيضة البلد  
فأسلاها وعزّاها جلالَةُ القاتل وفخرها بأن ابنها مقتولُهُ، فنظرتُ إلى قاتِلِ ولدي «الحكيم المالك»، فهان عليّ القتل والمقتول لجلالة القاتل. ذيل الطبقات (١/ ٣٥٨).

\* وقال صاحب سيرة الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٠): كنا يوما عنده والمجلس غاصُّ بولاية الدين والدنيا، والأعيان الأمثال وابن شافع يقرأ عليه الحديث، إذ فجأنا من باب السّتر وراء ظهر الوزير صُراخ بشع وصياح يرتفع، فاضطرب له المجلس، وارتاع الحاضرون، والوزير ساكنٌ ساكت، حتى أنهى ابن شافع قِراءةَ الإسناد ومنتنه، ثم أشار الوزير إلى الجماعة على رِسلكم، ثم قام ودخل إلى السّتر ولم يلبث أن خرج، فجلسَ وتقدّم بالقراءة، فدعا له ابن شافع والحاضرون، وقالوا: قد أزعجنا ذلك الصياح، فإن رأى مولانا أن يعرفنا سببه، فقال الوزير: حتى ينتهي المجلس.

وعاد ابن شافع إلى القِراءة حتى غابت الشمس، وقلوب الجماعة متعلّقة بمعرفة الحال، فعاودوه، فقال: كان لي ابنٌ صغير مات حين سمعتم الصياح، ولولا تعيّن الأمر علي بالأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذاك الصياح؛ لما قمتُ عن مجلس رسول الله ﷺ، فعجِبَ الحاضرون من صبره. ذيل الطبقات (٢/ ١١٣ - ١٦٩).

ج- فضل الإنفاق عليهم:

\* عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ عَلَى ذَاتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ أَبُو قَلَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٤): وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صَغَارٍ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ؟<sup>(١)</sup> صحيح مسلم (٩٩٤).

\* وقال عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨١): لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. صفة الصفوة ٤ / ٣٧٥.

\* وقال الشعبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣): ما ترك عبد مالا هو فيه أعظم أجرا، من مال يتركه لولده يتعفف به عن الناس. تهذيب الحلية ١١٢ / ٢.

\* وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: المقتر على عياله خائن. ابن أبي الدنيا ٨ / ٩٠.

\* وقيل له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرجل ينفق على أهله النفقة لو شاء اكتفى بدونها، فقال:

(١) فشرأء المسلم ما يحتاجه لأهله من غير إثم ولا سرف: صدقة يُؤجر عليها، بل من إنفاقه على نفسه وأشرأه ما يحتاجه صدقة!

جاء في صحيح مسلم (٩٩٧) أَنَّ رجلاً أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَالِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا.

فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلْأَهْلِكَ.

فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ.

فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا» يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ.

فما أكرم الله وأعظم فضله، وأحبته للإحسان والجود، فقد جعل إنفاقنا على أنفسنا وأهلنا - وهو أمرٌ محبوب للنفس - صدقة يأجرنا عليها، بل إنَّ أحدنا يأتي شهوته فيُثيبه ويأجره!

فحريٌّ بالمؤمن أن يحتسب الأجر في كل شيء، وأن يزداد الله محبةً وتعظيمًا وحمدًا على جزيل عطائه، وعظيم فضله.

أيها الرجل أوسع على نفسك كما وسَّع الله عليك. ابن أبي الدنيا ٨ / ٩١.

\* وعن مسلم قال: لقيني معاوية بن قرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٠) وأنا جاء من الكلاء، فقال: ما صنعت؟ قلت: استبرأت لأهلي كذا وكذا، قال: وأصبت من حلال؟ قال: قلت: نعم، قال: لَأَن أَغْدُو فيما غدوت فيه كل يوم: أحب إلي من أن أقوم الليل وأصوم النهار. ابن أبي الدنيا ٨ / ٩١.

#### د- تحفيزهم وعدم احتقارهم:

\* قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يوما لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم.

فقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعلم بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله. صحيح البخاري (٤٢٦٤).

\* وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ [النصر: ١-٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم، لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس، أكذلك قولك؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. صحيح البخاري (٤٠٤٣).

\* وعن يوسف بن الماجشون قال: قال لنا ابن شهاب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٤) - أنا وابن أخي وابن عم لي ونحن غلمان أحداث نسأله عن الحديث -: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب، كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم. تهذيب الحلية ٢ / ٢٤.

\* وحكى الأصمعي رَحِمَهُ اللهُ قال: قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثني فأمتنعني بفصاحة وملاحة: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق؟ قال: لا والله، فقلت: ولم؟ قال: أخاف أن يجني علي حمقي تذهب بمالي ويبقى علي حمقي<sup>(١)</sup>.

وقد قال الشاعر:

رأيت العقل لم يكن انتهابا      ولم يُقسَمْ على عدد السنين  
ولو أن السنين تقاسمته      حوى الآباء أنصبه البينا  
أدب الدين (٤٧).

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: كان الغلام إذا حَذِقَ قبل اليوم نحروا جزورا، وصنعوا طعاما للناس. ابن أبي الدنيا ٧٦ / ٨.

\* وعن يحيى بن صالح العبدى، قال: أتيت الحسن رَحِمَهُ اللهُ وأنا غلام، فقعدت بعيدا من الحلقة فقال لي: يا بني ادن ما لك قعدت بعيدا؟ قال: قلت: يا أبا سعيد، إني حسنت الحُصْرَ قال: لا تفعل إذا جئت فاجلس إلى جنبي، قال: كنت آتية فيقعدي إلى جنبه ويمسح رأسي ويملي علي الحديث. ابن أبي الدنيا ٨ / ١٣٣.

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: فانظر إلى هذا الصبي كيف استخرج بفرد ذكائه، واستنبط بجودة قريحته ما لعله يدق على من هو أكبر منه سناً، وأكثر تجربة.

هـ العدل بينهم:

\* عن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦): قال كانوا يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القَبْل. ابن أبي الدنيا ٨ / ٢٤.

\* وعن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) أنه ضم ابنا له وكان يحبه، فقال: يا فلان والله إني لأحبك، وما أستطيع أن أوثرُك على أخيك بلقمة. ابن أبي الدنيا ٨ / ٢٤.

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: إذا لم يعدل المعلم بين الصبيان كُتِب من الظلمة. ابن أبي الدنيا ٨ / ٨٤.

و- تزويج الأبناء والبنات<sup>(١)</sup>:

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا ينبغي لذوات الأحساب تزوجهنَّ إلا من الأكفاء. ابن أبي الدنيا ٨ / ٣٩.

\* وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يُكرِهَنَّ أحدٌ ابنته على الرجل القبيح؛ فإنهم يحبون ما تحبون. مسند سعيد بن منصور (٨١١).

(١) يجب على الولي أن يسعى في تزويج من يعول من البنين والبنات، ولا يجوز أن يردَّ الكفء إذا تقدم لخطبة البنت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: من صور العضل: إذا امتنع الخطاب من خطبتها لشدة الولي. الإنصاف ٨ / ٧٥.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا رَضِيتِ -الْمَرْأَةُ الْبَالِغُ- رَجُلًا وَكَانَ كُفُوًا لَهَا وَجَبَ عَلَى وَلِيِّهَا -كَالْأَخِ ثُمَّ الْعَمِّ- أَنْ يُزَوِّجَهَا بِهِ.

فَإِنْ عَضَلَهَا وَامْتَنَعَ مِنْ تَزْوِيجِهَا: زَوَّجَهَا الْوَلِيُّ الْأَبْعَدُ مِنْهُ أَوْ الْحَاكِمُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ. فَلَيْسَ لِلْوَلِيِّ أَنْ يُجْبِرَهَا عَلَى نِكَاحٍ مَنْ لَا تَرْضَاهُ، وَلَا يُعْضِلَهَا عَنْ نِكَاحٍ مَنْ تَرْضَاهُ إِذَا كَانَ كُفُوًا بِاتِّفَاقِ الْأَثَمَةِ، وَإِنَّمَا يُجْبِرُهَا وَيُعْضِلُهَا أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالظُّلْمَةُ الَّذِينَ يُزَوِّجُونَ نِسَاءَهُمْ لِمَنْ يَخْتَارُونَ لَهُ غَرَضٌ، لَا لِمَصْلَحَةِ الْمَرْأَةِ، وَيُكْرَهُونَهَا عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُخْجِلُونَهَا حَتَّى تَفْعَلَ. وَيُعْضِلُونَهَا عَنْ نِكَاحٍ مَنْ يَكُونُ كُفُوًا لَهَا لِعِدَاوَةٍ أَوْ غَرَضٍ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَهُوَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَحْرِيمِهِ. مجموع الفتاوى (٣٢/ ٥٢-٥٣).



\* وقالت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٧٣): إنما النكاح رِقٌّ، فليُنظر أحدكم أين يَرِقُّ عتيقته. مسند سعيد بن منصور (٥٩١).

\* وقال سعيد بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٧): إذا علمت ولدي القرآن، وحجَّجته، وزوجته، فقد قضيت حقه، وبقي حقي عليه. ابن أبي الدنيا ٨ / ٤٩.

\* وقال الأحنف بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٢): ثلاث ليس عندي فيهن أناة: الضيف إذا نزل بي أن أعجل له ما كان، والجنابة لا أحبسها، والأيم إذا عَرَضَ لها رغبةً أن أزوجهها. الزهد ابن المبارك (١٠٩٤)، ابن أبي الدنيا ٨ / ٤١.

\* وعن الشعبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣) قال: من زوج فاسقا فقد قطع رحمه. ابن أبي الدنيا ٨ / ٣٩.

\* وقال رجل للحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠): إن لي بُنيةً وإنها تُخْطَبُ، فَمِمَّنْ أزَوْجها؟ فقال: زوجها ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يَظْلِمها. ابن أبي الدنيا ٨ / ٣٩.

\* وعن ابن جريج قال: قلت لعطاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٤): أبو بكرٍ دعاها إلى رجل، فهويت غيره؟ قال: يلحق بهواها. ابن أبي الدنيا ٨ / ٤٠.

\* وعن بعض السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان يقال: حق الولد على والده: أن يحسن اسمه، وأن يزوجه إذا بلغ، وأن يحججه، وأن يحسن أدبه. ابن أبي الدنيا ٨ / ٥٠.

\* وعن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٨) قال: كان يقال: إذا بلغ الغلام فلم يزوجه أبوه، فأصاب فاحشة: أثم الأب. ابن أبي الدنيا ٨ / ٥٠.

\* ورُمي ببغداد في سَوْقٍ بَصْبِيٍّ، وعند رأسه كيسٌ فيه مائة دينار ورُقعةٌ فيها: هذا الشقيُّ ابن الشقيَّة، رحم الله من اشترى له بهذا الذهب جاريةً تربيته؛ وفي آخر الرُقعة: هذا جزاءٌ من عَصَلْ<sup>(١)</sup> ابنته. عيون الأخبار ٤ / ٣٩٦.

(١) عضل المرأة عن الزواج: حبسها عنه.

\* وروي عن الإمام أحمد رحمه الله (ت: ٢٤١) أنه قال: إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يُزَوِّجَ رَجُلًا فَأَرَادَ أَنْ تَجْتَمَعَ لَهُ الدُّنْيَا وَالْدِّينُ؛ فَلْيَبْدَأْ فَيَسْأَلْ عَنِ الدُّنْيَا، فَإِنْ حُمِدَتْ سَأَلَ عَنِ الدِّينِ، فَإِنْ حُمِدَ فَقَدْ اجْتَمَعَا، فَإِنْ لَمْ يُحْمَدْ كَانَ فِيهِ رَدُّ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ الدِّينِ. وَلَا يَبْدَأُ فَيَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، فَإِنْ حُمِدَ سَأَلَ عَنِ الدُّنْيَا، فَإِنْ لَمْ يُحْمَدْ كَانَ فِيهِ رَدُّ الدِّينِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا. <sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (٣/ ٢٩٦).

ل- العطف عليهم، ومحبتهم، ومداعبتهم:

\* قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: «كَيْفَ أَنْتِ يَا بِنْتِي؟ وَقَبْلَ خَدَّهَا». سنن أبي داود (٥٢٢٢).

\* وعن عقبة بن الحارث قال: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِلَيَالٍ، وَعَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ، فَمَرَّ بِحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَلْعَبُ مَعَ غُلَمَانٍ، فَاحْتَمَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

بِأَبِي شُبُهَةَ النَّبِيِّ لَيْسَ شَيْئًا بِعَلِيٍّ

قَالَ: وَعَلَيَّ يَضْحَكُ. مسند الإمام أحمد (٤٠)، وصحح إسناده محققوه.

\* وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) إِذَا لَقِيَ ابْنَهُ سَالِمًا قَبْلَهُ، وَيَقُولُ: شَيْخٌ يَقْبَلُ

شيخا. ابن أبي الدنيا ٤٤ / ٨.

\* وعن أبي واثلة أن معاوية دخلته مودة على ابنه يزيد، فأرق لذلك ليلته، فلما أصبح بعث إلى الأحنف بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٢) فأتاه، فلما دخل عليه قال له: يا أبا بحر كيف رضاك علي ولدك، وما تقول في الولد؟.

(١) أي حين يطلب الرجل من ولي المرأة الزواج من موليته كابنته وأخته مثلاً، فليبدأ الولي بالسؤال عن الرجل في أمور الدنيا، فإن رضي بها، سأل عن أمر الدين، لا العكس، لأنه يريد الأمرين، فلا يرده وقد رضي دينه.

قال: فقلت في نفسي: ما سألني أمير المؤمنين عن هذه إلا لموجدة دخلته على يزيد، فحضرني كلام لو كنت زوّقت فيه سنة لكنت قد أجدت.

فقلت: يا أمير المؤمنين هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن غضبوا يا أمير المؤمنين فأرضهم، وإن طلبوك فأعطهم، يحضوك ودهم، ويلطفون جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً لا تعطيهم إلا نزراً، فيملوا حياتك، ويكرهوا قربك.

قال: لله درك يا أحنف، والله لقد بعثت إليك وإني من أشد الناس موجدة على يزيد، فلقد سللت سخيمة قلبي. ابن أبي الدنيا ٨ / ٤٥.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ قال: بَرٌّ ولدك؛ فإنه أجدر أن يبرك، وإنه من شاء عق ولده. ابن أبي الدنيا ٨ / ٤٤.

\* وعن ربيعة بن كلثوم قال: رأني سعيد بن جبیر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) وأنا صبي فقبلني. ابن أبي الدنيا ٨ / ٦٤.

\* ومات الشيخ ناصر الدين ابن زريق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٠٣) أسفاً على ولده أحمد، الذي أسره اللنكية وهو شاب له نحو العشر في رمضان قبل إكمال الخمسين.

ولما مات ولد الشيخ شمس الدين النابلسي رَحِمَهُ اللهُ (٧٢٧-٧٩٧) حصل له اختلاط، وسُلب عقله، واستمرّ على ذلك إلى أن مات. <sup>(١)</sup> السحب الوابلة (٣/ ٩٣٠، ٩٤٢).

(١) كثيراً ما يُصاب الأب وتُصاب الأم بمرض أو فقد عقل أو موت بسبب موت الولد أو إصابته أو ضياعه، ولا يكاد يحدث ذلك للولد عندما تكون المصيبة في الأب أو الأم، وهذا يدل على كمال شفقتهم وحنانهم، فالواجب على الأولاد تقوى الله في آبائهم وأمهاتهم، وأن يزيدوا في برهم والإحسان إليهم.

م- التسليم على الصبيان:

\* عن عثمان بن إبراهيم قال: رأيت ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) يمر بنا ونحن صبيان فيسلم علينا. ابن أبي الدنيا ٧١ / ٨.

\* وعن بشر بن حرب قال: خرجت مع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى السوق، فجعل لا يمر على صغير ولا كبير إلا قال: سلامٌ عليكم، سلامٌ عليكم. ابن أبي الدنيا ٧١ / ٨.

\* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) أنه كان يسلم على الصبيان. ابن أبي الدنيا ٧١ / ٨.

\* ومروث بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣٣) بصبيان فسلم عليهم، وحدث ثابت أنه كان يمشي مع أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) فمر بصبيان فسلم عليهم، وحدث أنس أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ فمر بصبيان فسلم عليهم. صحيح مسلم (٢١٦٨).  
\* وكان الحسن (ت: ١١٠) وعروة (ت: ١٠٠) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسلمان على الصبيان. ابن أبي الدنيا ٧١ / ٨.

\* وعن حبش بن الحارث قال: رأيت عمرو بن ميمون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٥) مر علينا ونحن في الكتّاب فسلم علينا، فنقبل له عمدا، فيمر علينا فيسلم علينا. ابن أبي الدنيا ٧٠ / ٨.

ن- مداعبة الصبيان، والرخصة في لعبهم:

\* عن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) أنه دخل منزله، وصبيان يلعبون فوق البيت، فنهاهم رجل معه، فقال الحسن: دعهم فإن اللعب ربيعهم. ابن أبي الدنيا ١٣١ / ٨.

\* وذكر له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل بنتا له وكلب له أو جرو يلعب فقال: دعه، فلعب معه. ابن أبي الدنيا ١٣٢ / ٨.

\* وعن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يرخصون للصبيان في اللعب كله إلا بالكلاب. ابن أبي الدنيا ٨ / ١٣٢.

\* وعن زيد بن السائب، قال: رأيت الصبيان يلعبون بالجوز والعكامة وخارجة بن زيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٩) ينظر ولا ينهاتهم. ابن أبي الدنيا ٨ / ١٣٢.

ز- العناية بالأيتام، وتأديبهم:

\* عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: اتقوا دمعته اليتيم ودعوة المظلوم؛ فإنهما يسيران بالليل والناس نيام. ابن أبي الدنيا ٨ / ١٣٥.

\* وضرب ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) عبيده الأيتام في حجره يقول: أبطأتم.

ابن أبي الدنيا ٨ / ١٣٩.

\* وكان ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧) يضرب يتيما له عنده واليتيم يقول: لا ترحم هذا اليتيم؟ اتق الله في هذا اليتيم، وميمون يضرب ويقول: اللهم أصلح هذا اليتيم. ابن أبي الدنيا ٨ / ١٣٩.

\* وقيل لابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): عِنْدِي يَتِيمٌ، قَالَ: اصْنَعْ بِهِ مَا تَصْنَعُ بَوْلَدِكَ، اضْرِبْهُ مَا تَضْرِبُ وَلَدَكَ. الأدب المفرد (١٤٠).

\* وعن قتادة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨) قال: كن لليتيم كالأب الرحيم، ورُدِّ المسكين برحمة ولين. ابن أبي الدنيا ٨ / ١٣٦.

\* وعن فرقد السبخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣١) قال: ما خلق مائدة أعظم شرفا من مائدة يُطعم عليها يتيما. ابن أبي الدنيا ٨ / ١٣٦.

\* وعن الليث بن سعد، أن عميرة بن أبي ناجية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٣) حدثه قال: أخذت يتيما من قریش فانقلبت به إلى منزلي وأطعمته ودهنته ووهبت له فلوسا وقلت: اللهم أشرك أُمِّي فيما صنعت بهذا اليتيم، قال: ثم نمت فرأيت أُمِّي

أقبلت مُلتبسة على أحسن ما كانت، معها ذلك اليتيم، حتى وقفت ثم قالت: أي بني لو رأيت ما صنع بي هذا الغلام منذ اليوم؟ قال الليث: تقول: أصبت به خيرا للذي كان من عميرة ابنها لليتيم. ابن أبي الدنيا ٨ / ١٣٧.

ي - فوائد أخرى:

\* كتب أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إلى بعض إخوانه - وخاف عليه حب ولده -: أما بعد يا أخي، فإنك لست في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلك، وستكونُ أهلٌ بعدك، وإنما تجتمع لمن لا يحمذك، وتصير إلى من لا يعذرك، وإنما تجمع لأحد رجلين: إما محسن فيسعد بما شقيت له، وإما مفسد فيشقى بما جمعت له، وليس واحد منهما أهلا أن تؤثره على نفسك، ثِقْ لمن مضى منهم رحمةُ الله، ولمن بقي منهم رزقُ الله، والسلام. ابن أبي الدنيا ٨ / ١٠٤.

\* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٧) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] قال: المؤمن ترفع له ذريته وإن كان دونه في العمل، فيقر الله عزَّجَلَّ به عينه. ابن أبي الدنيا ٨ / ٨٥.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]: أما إنه لم يكن قرة أعين أن يرونه صحيحا جميلا، ولكن أن يرونه مطيعا لله عزَّجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٨ / ٩٩.

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) في قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: في طاعة الله وما شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى حبيبَه في طاعة الله. صحيح البخاري (٦ / ١٠٩).

\* وقال رجل عند الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ لآخر: ليهنك الفارس، فقال الحسن: لعله لا يكون فارسا، لعله يكون بقالا، أو جمَّالا، ولكن قل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، بلغ أشده، ورزقت بره. ابن أبي الدنيا ٨ / ٥٥.

\* ورأى مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) رجلاً يُسيءُ صلاته، فقال: ما أرحمني لعياله! فقيل له: يسيءُ هذا صلاته وترحم عياله؟ قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون. صفة الصفوة ٣/ ٢٠٤.

\* ولما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٩) دخل عليه مسلمة بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم عيلة لا شيء لهم، فلو أوصيت بهم إليّ وإلى نظرائي من أهل بيتك. فقال: أسندوني، ثم قال: ما منعهم حقاً هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم، وإن وصيتي فيهم ﴿وَإِنَّ إِلَهِيَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] بني أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل مكب على المعاصي فلم أكن أقوى على معصية الله عَزَّجَلَّ.

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكراً، فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: بنفسى الفتية الذين تركتهم عيلة لا شيء لهم، وإني بحمد الله قد تركتهم بخير، أي بني إن أباكم مثل بين أمرين: أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، أو تفتقروا ويدخل الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه، قوموا عصمكم الله. المنتظم ٧/ ٧١.

\* وقيل لبعضهم: أيّ ولدك أحب إليك؟ قال: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ، وغائبهم حتى يقدم. عيون الأخبار ٣/ ٩٦.

\* وكان يقال: ابنك ريحانك سبغاً، وخادمك سبغاً، ثم عدو أو صديق. عيون الأخبار ٣/ ٩٨.

\* وقال بعضهم:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبَّتِ الرِّيحُ على بعضهم  
لا مَنَعَتْ عيني من الغَمَضِ  
عيون الأخبار ٣ / ٩٩.

\* وكان أيوب السخيتاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): إذا هنأ بمولود قال: جعله الله  
مباركا عليك وعلى أمة محمد. ابن أبي الدنيا ٨ / ٥٥.





## عناية السلف بالجار، وما قيل في ذلك<sup>(١)</sup>

\* قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): إِذَا اشْتَرَيْتَ شَيْئًا لَا تَرِيدُ أَنْ تَنْبِلَ جَارَكَ مِنْهُ فَوَارِهِ. تهذيب الحلية ٤٠٥ / ٢.

\* وأراد جار لأبي حمزة السكري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٨) أَنْ يَبِيعَ دَارَهُ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: بَكُمُ تَبِيعُهَا؟ قَالَ: بِالْفَيْنِ ثَمَنُ الدَّارِ، وَالْفَيْنِ حَقُّ جَوَارِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا حَمْزَةَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَقَالَ: خُذْهَا وَلَا تَبِعْ دَارَكَ. المنتظم ٣٠٢ / ٨.



(١) كَانَ مِنْ أَخْلَاقِ الْعَرَبِ حِمَايَةُ الْجَارِ وَالِدِّفَاعُ عَنْهُ، حَتَّى صَارُوا يُسَمُّونَ النَّصِيرَ جَارًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ جَارَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]. يُنْظَرُ: تَفْسِيرُ الْمَنَارِ ١٠ / ١٦٨.

## المواساة وتفريج الكرب

\* عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأظماً ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا الله كساه الله، ومن أطعم الله أطعمه، ومن سقى الله سقاه، ومن عمل لله أغناه الله. ابن أبي الدنيا ١٦٥ / ٤.

\* وجاء رجل إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسأله أن يذهب معه في حاجة، فقال: إني معتكف، فأتى الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) فأخبره، فقال الحسن: لو مشى معك في حاجتك أحب إلي من اعتكاف شهر. ابن أبي الدنيا ١٨٥ / ٤.

\* وقيل لمحمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠): أي الدنيا أعجب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن. ابن أبي الدنيا ١٦٦ / ٤.

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إلى من أن أصلي ألف ركعة. ابن أبي الدنيا ١٧٠ / ٤.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن أقضي لأخ حاجة أحبُّ إلى من أن أعتكف شهرين. ابن أبي الدنيا ١٧٠ / ٤.

\* وقال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠): ليس الجواد الذي يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواد الذي يبتدئ. ابن أبي الدنيا ١٧١ / ٤.

\* وقال عبيد الله بن عباس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٧): إن أفضل العطية ما أعطيت

الرجل قبل المسألة، فإذا سألك: فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذله إليك. ابن أبي الدنيا ١٧٠ / ٤.

\* وجاء رجل إلى يونس بن عبيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٩)، فشكا إليه ضيقاً من حاله ومعاشه واغتماماً منه بذلك، فقال له يونس: أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف؟ قال: لا قال: فسمعك الذي تسمع به يسرك به مائة ألف؟ قال: لا قال: فؤادك الذي تعقل به يسرك به مائة ألف؟ قال: لا قال: فيداك يسرك بهما مائة ألف؟ قال: لا قال: فرجلاك؟ قال: فذكره نِعَمَ اللهُ عَزَّجَلَّ عليه، فأقبل عليه يونس، فقال: أرى لك مئين ألوفاً، وأنت تشكو الحاجة. صفة الصفوة ٢١٨ / ٣.

\* ولما ماتت أم صالح رَحِمَهَا اللهُ - زوجة أحمد بن حنبل - قال أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) لامرأة عندهم: اذهبي إلى فلانة ابنة عمي فاخطبيها لي من نفسها، قال: فأتتها فأجابته، فلما رجعت إليه قالت: كانت أختها تسمع كلامك قال: وكانت بعين واحدة؟ قالت: نعم، قال: فاذهبي واخطبي تلك التي بعين واحدة فأتتها فأجابته وهي أم عبد الله. المنتظم ١١ / ٢٨٨.

\* وكان رجل من تجار المدينة يخالط جعفر بن محمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٨)، ويعرفه محسن الحال، فتغيرت حالته فجعل يشكو ذلك إلى جعفر بن محمد، فقال جعفر:

فلا تجزع إذا أعسرت يوماً	فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تيأس فإن اليأس كفر	لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء	فإن الله أولى بالجميل

قال: فخرجت من عنده وأنا أغنى الناس. ابن أبي الدنيا ١٤٥ / ٢.

\* وقال أحمد بن مهدي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣١٧): جاءني امرأة ببغداد ليلة من الليالي، فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت بمحنة، وقالت: أسألك بالله

أن تسترني، فقلت: وما محتتك؟ قالت: أكرهت على نفسي وأنا حبلى، وذكرت للناس أنك زوجي، وأن ما بي من الحبل منك فلا تفضحني، استرني سترك الله عزَّجَلَّ، فسكت عنها ومضت فلم أشعر حتى وضعت، وجاء إمام المحلة في جماعة من الجيران يهتئوني بالولد، فأظهرت لهم التهلل ووزنت في اليوم الثاني دينارين ودفعتهما إلى الإمام، فقلت: ادفع هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود فإنه سبق ما فرق بيني وبينها، وكنت أدفع في كل شهر إليها دينارين على يد الإمام، وأقول: هذه نفقة المولود، إلى أن أتى على ذلك ستان، ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزوني، فكنت أظهر لهم التسليم والرضا، فجاءتني المرأة ليلة من الليالي بعد شهر ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث لها بيد الإمام فردتها، وقالت: سترك الله عزَّجَلَّ كما سترتني، فقلت: هذه الدنانير كانت صلة مني للمولود، وهي لك فاعلمي فيها ما تريدن. المنتظم ٢٨٤-٢٨٥/١٣.

\* وجاء رجل إلى الحسن بن سهل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٦) يستشفع به في حاجة فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن: علام تشكرنا ونحن نرى أن للجاء زكاة، كما أن للمال زكاة؟<sup>(١)</sup> ثم أنشأ الحسن يقول:

فُرِضْتُ عَلَيَّ زَكَاةٌ مَا مَلَكَتْ يَدِي      وَزَكَاةٌ جَاهِي أَنْ أَعِينُ وَأُشْفَعَا  
فَإِذَا مَلَكَتْ فَجْدٌ وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ      فَاجْهَدْ بَوْسَعَكَ كُلَّهُ أَنْ تَنْفَعَا  
المنتظم ٢٤٠/١١.

\* وعن شقيق بن إبراهيم قال: بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠)، إذ مر به رجل من الصُّناع، فقال إبراهيم: أليس هذا فلاناً؟ قيل: نعم!

(١) وللعلم زكاة، فلا ينبغي للعالم وطالب العلم والمعلِّم أن يشعر بأنه مُحَسَّنٌ على من علَّمه وأفتاه، بل ينبغي أن يرى أنَّ الطلاب الذين حضروا عنده يتعلَّمون منه، والسائلين الذين يستفتونه هم المحسنون إليه، لأنهم أعانوه على زكاة علمه، وبضاعة العالم وطالب العلم علمه، فإذا لم يقصده الطلاب والسائلون كسدت بضاعته، فأَيُّ فضل لهم عليه!

فقال لرجل: أدركه فقل له: قال لك إبراهيم: مالك لم تسلم؟ قال: لا والله، إن امرأتي وضعت وليس عندي شيء فخرجت شبه المجنون، فرجعت إلى إبراهيم وقلت له: فقال: إنا لله، غفلنا عن صاحبنا، حتى نزل به الأمر! فقال: يا فلان ائت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين وادخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار، وادفع الدينار الآخر إليه، فدخلت السوق وأوقرت بدينار من كل شيء وتوجهت إليه فدقت الباب، فقالت امرأته: من هذا؟ قلت: أنا أردت فلاناً، قالت: ليس هو هنا، قلت: فمري بفتح الباب، وتنحي، قال: ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته في صحن الدار وناولتها الدينار، فقالت: على يدي من هذا؟ قلت: قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم، فقالت: اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم. تهذيب الحلية ٢/٤٧٦.

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ: ذهب السخاء والكرم والجود والمواساة، فمن لم يواس الناس بماله وطعامه وشرابه، فليواسهم ببسط الوجه والخلق الحسن، لا تكونون في كثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم، ولا تميلون إلى ضعفائكم، ولا تنبسطون إلى مساكينكم. تهذيب الحلية ٢/٤٧٧.

\* وعن مضاء بن عيسى قال: ما فاق إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ أصحابه بصوم ولا صلاة، ولكن بالصدق والسخاء. تهذيب الحلية ٢/٤٧٨.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤):

سَيُفْتَحُ بَابٌ إِذَا سَدَّ بَابُ	نعم وتهون الأمور الصَّعَابُ
وَيَتَّسِعَ الْحَالُ مِنْ بَعْدِ مَا	تَضِيقُ الْمَذَاهِبُ فِيهَا الرِّحَابُ
مَعَ الْهَمِّ يُسْرَانُ هَوْنٌ عَلَيْكَ	فَلَا الْهَمَّ يَجْدِي وَلَا الْاِكْتِنَابُ
فَكَمْ ضَيَّقَتْ ذُرْعًا بِمَا هَبَّتْهُ	فَلَمْ يُرْ مِنْ ذَاكَ قَدْرٌ يُهَابُ

ديوان الشافعي (٣٧).

\* وحضر يوماً بين يدي القاضي أبي عمر محمد بن يوسف رَحِمَهُ اللهُ (ت):  
 (٣٢٠) رجلٌ يدَّعي قِبَلِ الآخر مائة دينار، ولم تكن له بينة، فتوجهت اليمين على  
 المطلوب بنفي ما زعمه الطالب، فأخذ الخصم الدواة وكتب:

وَإِنِّي لَذُو حَلِيفٍ فَاجِرٍ      إِذَا مَا اضْطُرُّرْتُ وَفِي الْحَالِ ضَيْقٍ  
 وَهَلْ مِنْ جَنَاحٍ عَلَى مَعْسَرٍ      يَدَافِعُ بِاللَّهِ مَا لَا يَطِيقُ

فأمر القاضي بإحضار مائة دينار ودفعها عنه، فعجب الراضي بالله (ت: ٣٢٩) من  
 أدب الرجل وكرم القاضي، وبحث عن الناظم؛ فلما وجده أمر له بألف دينار، وخمس  
 خِلع، ومركوب حسن، وملازمة دار السلطان. [تاريخ قضاة الأندلس (٣٦)].

\* وَحَدَّثَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْقَاضِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَالِبٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٧٥) أَنَّهُ  
 رَكِبَ مَعَهُ إِثْرَ سَمَاءٍ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ، فَعَرَضَ لَهُ فِي طَرِيقِهِ مَاءٌ مُسْتَنْقَعٌ، فَأَتَى صَبِيٌّ  
 يَرْعَى غَنَمًا فَأَخَذَ بِلِجَامِ حِمَارِهِ فَجَوَّزَهُ الْمَاءَ، فَقَالَ لِلْغَلَامِ: مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ:  
 فُلَانٌ، فَتَزَلَّ ابْنُ طَالِبٍ فِي مَسْجِدٍ، ثُمَّ قَالَ لِلْغَلَامِ: اذْهَبْ فَجِئْنِي بِمَوْلَاكَ، فَجَاءَهُ.  
 فَقَالَ لَهُ: بِكُمْ اشْتَرَيْتَ هَذَا الْغَلَامَ؟ فَقَالَ: بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ، قَالَ: فَخُذْهَا وَأَعْتَقْهُ،  
 وَوَلَاؤُهُ لَكَ، وَعَدَّهَا لَهُ، وَكَتَبَ عَتَقَ الْغَلَامَ، ثُمَّ قَالَ لِمَوْلَاهُ: قَدْ وَجِبَ أَنْ تَجْرِيَ  
 لَهُ عَلَى رِعَايَتِهِ لَغْنَمِكَ أَجْرَةٌ، فَأَجْرِي لَهُ دِينَارَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَقَالَ ابْنُ طَالِبٍ: الزَّمِ  
 مَوْلَاكَ، وَلَا تَقْطَعْنَا، فَإِنَا نَوَاسِيكَ.<sup>(١)</sup> ترتيب المدارك (٢/ ٣١٠).

\* وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

وَإِذَا أَمْرُؤُا أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً      مِنْ جَاهِهِ فَكَانَتْهَا مِنْ مَالِهِ  
 الآداب الشرعية ٢/ ١٢١.

(١) الصادق المخلص يرى خدمة الناس له معروفاً منهم، لا واجباً عليهم، مهما كبر منصبه، وعلا شأنه.

## عناية السلف بالفقراء والمساكين<sup>(١)</sup>

\* قال أسلم: خرجت ليلة مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) إلى ظاهر المدينة، فلاح لنا بيتٌ شعِرٌ فقصدناه، فإذا فيه امرأةٌ تمخضُ وتبكي، فسألها عمرٌ عن حالها، فقالت: أنا امرأةٌ غريبةٌ وليس عندي شيءٌ. فبكى عمر وعاد يُهرولُ إلى بيته، فقال لامرأته أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب: هل لك في أجرٍ ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيقًا وشحمًا، وحملت أمّ كلثوم ما يصلح للولادة وجاءا، فدخلت أمّ كلثوم على المرأة، وجلس عمرٌ مع زوجها - وهو لا

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: حب المساكين أصل الحب في الله تعالى؛ لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يحبون إلا الله عَزَّجَلَّ والحب في الله من أوثق عرى الإيمان، ومن علامات ذوق حلاوة الإيمان، وهو صريح الإيمان، وهو أفضل الإيمان، وهذا كله مروي عن النبي ﷺ أنه وصف به الحب في الله تعالى. الجامع المنتخب / ٧٧ وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أن محبة المساكين لها فوائد كثيرة:

منها: أنها توجب إخلاص العمل لله عَزَّجَلَّ؛ لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله عَزَّجَلَّ؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبًا.

ومنها: أنها تزيل الكبر، فإن المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين.

ومنها: أنه يوجب صلاح القلب وخشوعه.

ومنها: أن مجالسة المساكين توجب رضا من يجالسهم بزرقي الله عَزَّجَلَّ وتعظم عنده نعمة الله عَزَّجَلَّ بنظره في الدنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء توجب التسخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه. وقد نهى الله عَزَّجَلَّ نبيه ﷺ عن ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٠١] الجامع المنتخب /

يعرفه - يتحدث، فوضعت المرأة غلامًا، فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام. فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر، فقال عمر: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف.

\* وقال أسلم: خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصرار إذا نار، فقال: يا أسلم، إني لأرى ها هنا ركبا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان صغار وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الصوة، وكره أن يقول: يا أصحاب النار، فقالت: وعلىك السلام، فقال: أدنو؟ فقالت: اذن بخير أو دع، فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: فأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ما أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: أي رحمتك الله، وما يدرى عمر بكم؟ قالت: يتولى عمر أمرنا ثم يغفل عنا قال: فأقبل علي فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلا من دقيق وكتبه من شحم، فقال: احمله علي، فقلت: أنا أحمله عنك، قال: أنت تحملي عني وزري يوم القيامة؟ فحملته عليه فانطلق، وانطلقت معه إليها، نهرول، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا، فجعل يقول لها: ذري علي، وأنا أحرك لك، وجعل ينفخ تحت القدر ثم أنزلها، فقال: أبغيني شيئا، فأنته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم، فلم يزل حتى شبعوا، وترك عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيرا، كنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين، فيقول: قولي خيرا إذا جئت أمير المؤمنين، وحديثي هناك إن شاء الله، ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها فربص مربضا، فقلنا له: إن لنا شأنا غير



هَذَا، وَلَا يُكَلِّمُنِي حَتَّى رَأَيْتُ الصَّبِيَّةَ يَضْطَرِّعُونَ ثُمَّ نَامُوا وَهَذَا أَوْ، فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنَّ الْجُوعَ أَشْهَرَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى مَا رَأَيْتُ. فضائل الصحابة للإمام أحمد (٣٨٢).

\* وخرج عمر بن الخطاب في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع! تهذيب الحلية ١/٦٩.

\* وكان سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) يعمل بيديه، فإذا أصاب شيئاً اشترى به لحماً -أو سمكاً- ثم يدعو المُجْدِّمين<sup>(١)</sup> فيأكلون معه. تهذيب الحلية ١/١٦١.

\* وجاء مسكين أعمى إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) وقد ازدحم الناس عنده، فناده: يا أبا عبد الرحمن! أدنيت أرباب الخز واليمينية، وأقصيتني لأجل أني مسكين، فقال له: أدن، فلم يزل يدينه، حتى أجلسه إلى جانبه وبقربه. الجامع المنتخب / ٨٢.

\* وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَعَلَى خِوَانِهِ يَتِيمٌ. الأدب المفرد (١٣٦)، وصححه الألباني.

\* وقال جابر بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٣): لَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ عَلَى يَتِيمٍ أَوْ مَسْكِينٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حِجَّةٍ بَعْدَ حِجَّةِ الْإِسْلَامِ. تهذيب الحلية ١/٤٦٢.

\* وكانت قيمة ثياب بكر بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨) أربعة آلاف وكان

(١) الجُدَام: هو داء الجرب، ورجل مُجْدَّم: نَزَلَ بِهِ الْجُدَامُ وَأَصْلُهُ مِنَ الْجَدْمِ وَهُوَ الْقَطْع.

يجالس الفقراء والمساكين يحدثهم، ويقول: إنه يعجبهم ذلك. تهذيب الحلية ١/٣٧١.

\* وكان علي بن حسين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) إذا ناول السائل الصدقة قبله ثم ناوله. الزهد لأحمد: ٣٠٦.

\* وعن ابن أبي وداعة قال: كُنتُ أَجَالِسُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤)، ففقدني أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: تُوفِّيتُ أهلي فاشتغلتُ بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يُزَوِّجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتُفعل؟ قال: نَعَمْ، ثم تحمّد، وصلى على النبي ﷺ، وزوَّجني على درهمين - أو قال: ثلاثة - فقمْتُ وما أدري ما أصنع من الفرح فصرتُ إلى منزلي وجعلتُ أتفكّر فيمن أستدين.

فصلّيت المغرب، ورجعتُ إلى منزلي، وكنتُ وحدي صائماً، فقدّمتُ عشاءي أفطّر، وكان خُبْزاً وزَيْتاً، فإذا بابي يُقرع، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقال: سعيد، فأفكرتُ في كلّ من اسمه سعيد إلا ابن المسيّب، فإنّه لم يُرَ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجتُ، فإذا سعيد، فظننتُ أنّه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إليّ فأتيك؟ قال: لا، أنت أحقُّ أن تؤتى، إنك كنت رجلاً عزباً فتزوَّجت، فكرهتُ أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذَ بيدها فدفعها في الباب، وردَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم وضعتُ القصعة في ظلِّ السراج لكي لا تراه، ثم صعدتُ إلى السطح فرميتُ الجيران، فجأؤوني فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم. ونزلوا إليها، وبلغ أُمِّي، فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرامٌ إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، فأقمْتُ ثلاثاً ثم دخلتُ بها، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتاب

الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق زوج. فمكثت شهراً لا آتي سعيد بن المسيّب. ثم أتيتُه وهو في خلقة، فسلمتُ، فردّ عليّ السلام ولم يُكلّمني حتّى تقوَّض المجلس، فلما لم يبقَ غيري قال: ما حال الإنسان؟ قلتُ: خير يا أبا محمد، على ما يُحبُّ الصديق، ويكره العدو.

فانصرفتُ إلى منزلي، فوجّه إليّ بعشرين ألف درهم. تهذيب السّير ١ / ٤٨٥.  
 \* وكان زبيد اليامي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٢) إذا كانت ليلة مطيرة أخذ شعلة من النار فطاف على عجائز الحي فقال: أَوْكَفَ<sup>(١)</sup> عليكم بيت؟، أتريدون ناراً؟، فإذا أصبح طاف على عجائز الحي: ألكم في السوق حاجة أو تريدون شيئاً؟ المنتظم ٧ / ٢٢٢.  
 \* وكتبت حَجَبَةُ بيت الله الحرام إلى عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) أن يأمر للبيت بكسوة، كما يفعل من كان قبله، فكتب إليهم: إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة، فإنهم أولى بذلك من البيت. تهذيب الحلية ٢ / ٢٢٥.

\* وكان سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١): يعظم المساكين، ويجفو أهل الدنيا، فكان الفقراء في مجلسه هم الأغنياء، والأغنياء هم الفقراء. (٢) الجامع المنتخب ٨٢ / ٨٢.

(١) وَكَفَ الْبَيْتُ: هَظَلَّ وَقَطَرَ، وكذلك السطح، ومصدره الْوَكَيْفُ وَالْوَكْفُ. لسان العرب، مادة: وَكَفَ.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: كان النبي ﷺ وخلفاؤه يعدلون بين المسلمين، غنيهم وفقيرهم في أمورهم، ولما طلب بعض الأغنياء من النبي ﷺ إبعاد الفقراء نهاه الله عن ذلك. وأثنى عليهم بأنهم يريدون وجهه، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقال: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] ولما طلب بعض الفقراء من النبي ﷺ ما لا يصلح له نهاه عن ذلك، وقال: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم). وكانوا يستوون في مقاعدهم عنده، وفي الاصطفاف خلفه، وغير ذلك. ومن اختص منهم بفضل عرف النبي ﷺ له ذلك الفضل، كما قنت للفقراء السبعين، وكان يجلس مع أهل الصفة، وكان أيضاً لعثمان وطلحة والزبير وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وعباد بن بشر ونحوهم، من سادات المهاجرين والأنصار الأغنياء منزلة ليست لغيرهم من الفقراء، وهذه سيرة المعتدلين من الأئمة في الأغنياء والفقراء. وهذا هو العدل =

\* وقال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غمًا مني، فإن رأيت رجلًا أحسن ثيابًا مني وأطيب ريحًا مني غمني ذلك، فصحبت الفقراء فاسترحت. تهذيب الحلية ٢/٩٥.

\* وعن عمرو بن قيس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٦) قال: كانوا يكرهون أن يعطي الرجل صبيه الشيء، فيجيء به فيراه المسكين، فيبكي على أهله، ويراه الفقير فيبكي على أهله. تهذيب الحلية ٢/١٥٥.

\* وعن إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) قال: نعم القوم السُّؤَال، يحملون زادنا إلى الآخرة، يجيء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون بشيء؟ تهذيب الحلية ٢/٤٨٩.

\* وقال حاتم الأصم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٧): من ادعى ثلاثًا بغير ثلاث فهو كذاب، من ادعى حب الله بغير ورع عن محارمه فهو كذاب، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادعى حب النبي ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذاب. تهذيب الحلية ٢/٥٠٥.

\* وعن المروزي، قال: لم أر الفقير في مجلس أعزَّ منه في مجلس أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١)، كان مائلًا إليهم، مقصرًا عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع تغلوه السكينة والوقار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر. تهذيب السير ٩٢٩/٢.

=والقسط الذي جاء به الكتاب والسنة، وهي طريقة عمر بن عبد العزيز، والليث بن سعد، وابن المبارك ومالك وأحمد بن حنبل وغيرهم، في معاملتهم للأقوياء والضعفاء والأغنياء والفقراء. وفي الأئمة كالثوري ونحوه من كان يميل إلى الفقراء، ويميل على الأغنياء مجتهدًا في ذلك طالبًا به رضا الله، حتى عتب عليه ذلك في آخر عمره، ورجع عنه.

وفيه من كان يميل مع الأغنياء والرؤساء: كالزهري، ورجاء بن حيوة، وأبي الزناد، وأبي يوسف ومحمد وأناس آخرين، وتكلم فيهم من تكلم بسبب ذلك. ولهم في ذلك تأويل واجتهاد، والأول هو العدل والقسط، الذي دل عليه الكتاب والسنة. مجموع الفتاوى ٦٠/١١-٦١.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: القلوب ظروف، فقلب مملوء إيماناً وعلامته الشفقة على جميع المسلمين والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم على مصالحهم. وقلب مملوء نفاقاً وعلامته الحقد والغل والغش والحسد. تهذيب الحلية ٣/٤٦٥.

\* ووقفَ محمد بن حسين أبي شجاع الوزير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٨٨) الوقوف، وبنى المساجد، وأكثرَ الإنعام على الأرامل واليتامى، وكان يبيع الخطوط الحسنة، ويتصدق بثمرنها ويقول: أَحَبُّ الأشياءِ إليَّ الدينار والخط الحسن، فأنا أخرج لله محبوبي، ووقع مرض في زمانه، فبعث إلى جميع أصقاع البلد أنواع الأشربة والأدوية، وكان يخرج العُشر من جميع أمواله النباتية على اختلاف أنواعه، وعُرِضت عليه رقعة من بعض الصالحين يذكر فيها: أن امرأة معها أربعة أطفال أيتام، وهم عُرَاة جياع، فقال للرجل: امض الآن إليهم، واحمل معك ما يصلحهم، ثم خلع أثوابه وقال: والله لا لبستها ولا دفنت حتى تعود وتخبرني أنك كسوتهم وأشبعتهم، فمضى وعاد فأخبره وهو يرعد من البرد.

حكى حاجبه الخاص به قال: استدعاني ليلة، وقال: إني أمرت بعمل قطائف، فلما حضر بين يدي ذكرت نفوساً تشتهيها فلا تقدر عليه، فنَعَصَ ذلك عليّ أكله، ولم أذق منه شيئاً فاحمل هذه الصحون إلى أقوام فقراء، فحملها الفراءون معه، وجعل يطرق أبواب المساجد بباب المراتب، ويدفع ذلك إلى الأضرار المجاورين بها. <sup>(١)</sup> المنتظم ٢٢-٢٣/١٧.

(١) روى أبو نعيم في الحلية (٤ / ٧١) عن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: اتخذوا اليد عند المساكين، فإن لهم يوم القيامة دولة! وهذا لا يصح عنه، في سنده: أصرم بن حوشب الهمداني، وهو متروك الحديث.

وقد شنع شيخ الإسلام ابن تيمية على من قال هذه المقولة؛ فقال رَحِمَهُ اللهُ: وأما الحديث الآخر وهو قوله: (اتخذوا مع الفقراء أيادي فإن لهم دولة وأي دولة!) فهذا - أيضاً - كذب، ما رواه أحد من الناس، والإحسان إلى الفقراء الذين ذكرهم الله في القرآن، قال الله فيهم: ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَقْتِ فَنِعْمَ هِيَ وَإِنْ تَحْفُوها وَتُوْتُوها الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] إلى قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الذُّرْبُ =

\* وكان منزل الشيخ علي المحمد المطلق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠٣) كالمدرسة ليلاً ونهاراً، فلا يجلس مجلساً من ليل أو نهار إلا ويكون فيه قراءة وتعليق، أو بحث ومذاكرة.

وكان منزله منذ أن كانت أحواله المادية متوسطة مرتاداً لطلبة العلم والغرباء والضَّعْفَة والمساكين، لا يستأثر بشيء من طيب الطعام دُونَهُمْ، ولمَّا وسَّع الله عليه رِزْقَهُ صار في بيته أمكنة للغرباء، وكنتُ أجد عنده كلَّما زرتُ منزله العشرات من الفقراء والمساكين والمُعْوزِينَ، وكان يقرِّبهم ويتواضع لهم ويعطيهم، ويبقى بعضهم عنده الأيام الطويلة، بل الأشهر، وربَّما بقي عنده بعضهم السَّنة والسنتين، وقد يخصَّص لبعضهم مُرتَبات شهرية، واستمرَّ على ذلك حتى توفي رَحِمَهُ اللهُ.

وله مائدة تقدِّم ثلاث مرَّات في اليوم واليلة في حضوره وغيابه، وإذا سافر من بلد إلى بلد كالمدينة ومكة والشام ومصر يصحب معه بعض هؤلاء الفقراء، ولم أر في زمننا مثله في التواضع للفقراء والمساكين والعطف عليهم.

=أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿البقرة: ٢٧٣﴾، وأهل الفيء وهم الفقراء المجاهدون الذين قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ الآية [الحشر: ٨]. والمحسن إليهم وإلى غيرهم عليه أن يبتغي بذلك وجه الله، ولا يطلب من مخلوق لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْهَا آتَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا أَتْبَاعًا وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾ [الليل: ١٧-٢١]، وقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا تَطْعِمُهُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ الآية [الإنسان: ٨-٩].

ومن طلب من الفقراء الدعاء أو الثناء خرج من هذه الآية..  
وقول القائل: لهم في الآخرة دولة وأي دولة!، فهذا كذب، بل الدولة لمن كان مؤمناً تقيّاً، فقيراً كان أو غنياً..

فمن أحسن إلى مخلوق يرجو أن ذلك المخلوق يجزيه يوم القيامة كان من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، بل إنما يجزي على الأعمال يومئذ الواحد القهار. مجموع الفتاوى ١١ / ٥٤-٥٥.

قال له مرةً أحدُ خواصّه: يا شيخ علي، إنَّكَ تدعو بعض الكبراء، فلماذا لا تضع طعامًا وسفرة خاصة لهؤلاء الفقراء؟ فقال: إنَّ هذه عادة لا يمكن أن نغيّرها، وعلى الذي لا يرغب الأكل معهم عدم إجابة دعوتنا.

وقال له مرةً أحد أبنائه عندما زاد عليه السُّكَّر: يا والدي، ألا نضع لك طعامًا خاصًا خاليًا من النَّشويّات التي لا تتلاءم مع مرض السكر؟ فقال: يا بُني، لا يمكن أن أنفرد بطعام خاصّ عن هؤلاء فتنكسر خواطرهم، ويظنّوا أنَّ في طعامي ميزةً عن الذي يأكلون.

وكان جوادًا كريمًا، يُعطي من المال ما لا يتصوره إلَّا مَنْ يُجالسه، فلا تمضي ساعةً من ليل أو نهار هو فيها جالس إلَّا ويأتيه من يسأل فيعطيه على قَدْر حاله، وكان يعطي بعض المستحقّين عشرات الألوف من الريالات.

وقد دخل عليّ مرةً رجلٌ معه (شيك)، فقال لي: هذه وُريقة أعطانيها الشيخ علي المطلق، لا أدري ما فيها، ولم أُطْلِع عليها أحدًا غيرك، فقرأت الشيك، فإذا فيه حوالة بمئة ألف ريال على أحد البنوك!.

لَمَّا أخبرْتُ الرجل كاد أن يُغمى عليه من الفرح؛ لأنَّه لم يُصدِّق ولم يتصوّر ما في هذه الورقة، وقال: إنَّني ذكرتُ له أنَّني قد اشريتُ بيتًا فأعطاني هذه الورقة، ولم أعلم ما فيها حتى أخبرتني.

وكلُّ من دَخَلَ عليه تصوّر أنَّه أعزُّ الناس عنده، فهو يرحّب بكلِّ زائر. وقد أُدخل أحدَ المستشفيات بدمشق، وكان معه ابنه أحمد يُلازمه ليلاً ونهارًا، فكان وهو في شدّة المرض يأمرُه بقراءة القرآن ويشرح له بعض المعاني، حتى غرغرت رُوحه وفاضت رَحْمَةُ اللَّهِ. علماء نجد (٥ / ٢٢٥ - ٢٢٦).

## المسارعة إلى فعل الخيرات <sup>(١)</sup>

\* قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر (ت: ١٣) الليلة كذلك في الأمر من أمور المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته، فلما كدنا نعرفه، قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد.

قال: ثم جلس الرجل يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول له: سل تُعْطَهُ، سل تُعْطَهُ.

(١) ينبغي للمؤمن ألا يدعَ بابًا فيه خيرٌ وبرٌّ إلا طرقه، وليُقْضَ وقته بما يُرضي الله تعالى، فقد ثبت أن من الناس يوم القيامة من يمرُّ على الصراطِ كَمَرِّ الرِّيحِ، ومنهم من يمرُّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، قال ﷺ: تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّراطِ يَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلِّمْ.. سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجَرَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا. قَالَ: وَفِي حَافَتِي الصَّراطِ كَلَالِبٌ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْرَدُوسٌ فِي النَّارِ. رواه مسلم (١٩٥)

وقوله: (تجري بهم أعمالهم)، يعني: أنَّ سُرْعَةَ مَرِّهم على الصراط بقدر أعمالهم. فكأنَّ أعمال الناس هي التي يجري بهم في الصراط، فمن عمل عملاً قليلاً جرى به ببطء، ومن عمل عملاً كثيراً خالصاً صالحاً: جرى به بسرعة.

فينبغي لكل مؤمن أن يملأ حياته بالأعمال الصالحة والخير والبر، وإن من أشد الحسرات، يوم أن يمر الرجل على الصراط زحفاً، ويرى رجالاً يمرون بين يديه كالبرق، فسيتحسر أشد الحسرة على تلك الحياة التي لم يعمل فيها لأجل هذا اليوم، ثم لا يدري هل تخذشه تلك الكلاليب؟ وهل تُمسكه وتقذف به في النار؟

اللهم ارحمنا ونجنا من النار.



قال عمر: قلت: والله لأغدونَّ عليه، فلا بُشْرَنَّهُ، قال: فغدوت عليه فبشّرته، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشّره، ولا والله ما سابقته إلى خيرٍ قطّ إلا سبقني إليه. مسند الإمام أحمد: ١٧٠، وصحح إسناده محققوه.

\* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق وقد وافق ذلك ما لا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، ثم جئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟، قلت: مثله.

وأتى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا. <sup>(١)</sup> سنن أبي داود

(١) فائدة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فكان ما فعله عمر: من المنافسة والغبطة المباحة، لكن حال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل منه وهو أنه خال من المنافسة مطلقًا لا ينظر إلى حال غيره. وكذلك موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث المعراج حصل له منافسة وغبطة للنبي ﷺ حتى بكى لما تجاوزه النبي ﷺ ف قيل له: ما يبكيك؟ فقال: (أبكي، لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)، أخرجاه في الصحيحين... وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مشبهًا بموسى، ونبينا حاله أفضل من حال موسى، فإنه لم يكن عنده شيء من ذلك.

وكذلك كان في الصحابة أبو عبيدة بن الجراح ونحوه، كانوا سالمين من جميع هذه الأمور، فكانوا أرفع درجة ممن عنده منافسة وغبطة، وإن كان ذلك مباحًا؛ ولهذا استحق أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يكون أمين هذه الأمة، فإن المؤمن إذا لم يكن في نفسه مزاحمة على شيء مما أوّتمن عليه، كان أحق بالأمانة ممن يخاف مزاحمته؛ ولهذا يؤتمن على النساء والصبيان الخصبان، ويؤتمن على الولاية الصغرى من يعرف أنه لا يزاحم على الكبرى، ويؤتمن على المال من يعرف أنه ليس له غرض في أخذ شيء منه، وإذا أوّتمن من في نفسه خيانة شبه بالذئب المؤمن على الغنم، فلا يقدر أن يؤدي الأمانة في ذلك لما في نفسه من الطلب لما أوّتمن عليه... فالحاسد المبغض للنعمة على من أنعم الله عليه بها ظالم معتد، والكاره لتفضيله المحب لمماثلته منهى عن ذلك إلا فيما يقربه إلى الله، فإذا أحب أن يعطي مثل ما أعطى مما يقربه إلى الله فهذا لا بأس به، وإعراض قلبه عن هذا بحيث لا ينظر إلى حال الغير أفضل. مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٨-٧٠.

(١٦٧٨)، سنن الترمذي وصححه (٣٧٥٧) وحسنه الألباني.

\* وكان ابنُ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». صحيح البخاري (٦٤١٦).

\* وَقَالَ سَعِيدُ ابْنِ مَرْجَانَةَ -صَاحِبُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٠)-: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا، اسْتَنْقَذَ اللهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ»، قَالَ: فَأَنْطَلَقْتُ حِينَ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَذَكَرْتُهُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَأَعْتَقَ عَبْدًا لَهُ قَدْ أَعْطَاهُ بِهِ ابْنُ جَعْفَرٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ. صحيح البخاري (٢٥١٧)، صحيح مسلم (١٥٠٩).

\* وعن خالد بن معدان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٣) قال: إذا فتح أحدكم باب خيرٍ فليُسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلقُ عنه. تهذيب السَّير ٥٥٢ / ٢.

\* وقال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا      نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ  
المجالسة وجواهر العلم (٨٠).

\* وقيل لرجل من عبد القيس: أوص، قال: أنذركم سوف. ابن أبي الدنيا ٣٥٨ / ٥.

\* وقال بعضهم: الدنيا ساعة، فاجعلها طاعة. أدب الدين (١٩٩).

\* وعن شعبة قال: ما وعدت أيوب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) موعدًا إلا وجدته قد سبقني إليه. تهذيب الحلية ٤٣١ / ١.

\* وقال حبيب أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٩): لا تقعدوا فراغًا، فإن الموت يطلبكم. ابن أبي الدنيا ٥٢١ / ٥.

\* وقال بعضهم: من أّخر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها.

\* وقال بعض الشعراء:

إذا هبّت رياحك فاغتنمها      فإنّ لكل خافقة سكون  
ولا تغفل عن الإحسان فيها      فما تدري السكون متى يكون  
أدب الدين (٣٢٥).

\* ونزل روح بن زنباع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٤) منزلاً بين مكة والمدينة في حر شديد، فانقض عليه راع من جبل، فقال له: يا راعي هلّم إلى الغداء، فقال: إني صائم، قال: إنك لتصوم في هذا الحر الشديد؟!، قال: أفأدع أيامي تذهب باطلاً؟، فقال روح: لقد ضننت بأيامك يا راعي إذ جاد بها روح بن زنباع. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٤٦.

\* وقال الشاعر:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع      فعسى أن يكون موتك بغته  
كم صحيح رأيت من غير سُقم      ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَهُ  
ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٥٢.

\* وقال الشاعر:

وأفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ      تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ  
لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ      مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالْسَّعْدُ تَارَاتُ  
وَأَشْكُرُ فَضَائِلَ صُنْعِ اللَّهِ إِذْ جُعِلْتُ      إِلَيْكَ لَا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ  
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَ مَكَارِمُهُمْ      وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ

\* وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): كل شيء من الخير يُبَادَرُ

فيه.

وشاوره رجلٌ في الخروج إلى الثغر فقال له: بادر بادر. الآداب الشرعية

\* وقال أحمد بن ملاعب رَحِمَهُ اللهُ: سمعت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ مالا أحصيه - وكان يكون هو المؤذن - فإذا قال: «الله أكبر الله أكبر» قليلا قليلا قال: «الله أكبر الله أكبر»، كلما قال كلمة قال مثلها قليلا قليلا، حتى يفرغ من الأذان إلى آخره.<sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (١/ ١٩٥).

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: والله إن كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أن يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله جدًّا واجتهادا، ثم بكى. ابن أبي الدنيا ٣٧٤ / ٥.

\* وقال الشاعر:

الخير أنفعه للناس أعجله      وليس ينفع خيرٌ فيه تطويل  
\* وقال بعض السلف: لما بان للأكياس<sup>(٢)</sup> أعلى الدارين منزلة طلبوا العُلُوَّ بالعلوِّ من الأعمال، وعلموا أن الشيء لا يدرك إلا بأكثر منه؛ فبذلوا أكثر ما عندهم؛ بذلوا والله المهج رجاء الراحة لديه، والفرج في يومٍ لا يخيب له فيه طالب. المجالسة وجواهر العلم (٢٠٠).

\* وصدق القائل:

أرى أناسًا بأدنى الدِّين قد قنعوا      ولا أراهم رضوا في العيش بالدُّون  
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما      استغنى الملوكُ بدنياهم عن الدِّين  
المجالسة وجواهر العلم (٢١٠).

(١) كان الإمام أحمد على جلالته ومكانته يحرص كل الحرص على أن يرفع الأذان؛ لعلمه بفضله وشرفه، وبعض الناس يترفع عن ذلك، ويرى أن الأذان لصغار السن أو قليلي العلم، والله المستعان.

(٢) أي: العقلاء.

## حال السلف مع الطعام والشراب <sup>(١)</sup>

أ- التقليل من الأكل، والحث على ذلك <sup>(٢)</sup>:

\* قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): أيها الناس، إياكم والبطنة من الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسقم، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أدنى من الإصلاح، وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله، وإنه لن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه. ابن أبي الدنيا ٩٢ / ٤.

\* وكان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) يصنع للناس طعام الأمراء، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت. ابن أبي الدنيا ١٢٤ / ٤.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْأَكْلُ وَاللَّبَاسُ: فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ خُلُقُهُ فِي الْأَكْلِ أَنَّهُ يَأْكُلُ مَا تيسَّرَ إِذَا اشْتَهَاهُ، وَلَا يَرُدُّ مَوْجُودًا وَلَا يَتَكَلَّفُ مَفْقُودًا... فَلَمْ يَكُنْ إِذَا حَضَرَ لَوْنَانِ مِنَ الطَّعَامِ يَقُولُ: لَا أَكُلُ لَوْنَيْنِ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ طَعَامٍ لِمَا فِيهِ مِنَ اللَّذَّةِ وَالْحَلَاوَةِ.. وَكَذَلِكَ اللَّبَاسُ: كَانَ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَالْعِمَامَةَ وَيَلْبَسُ الْإِزَارَ وَالرِّدَاءَ، وَيَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْفُرُوجَ، وَكَانَ يَلْبَسُ مِنَ الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.. فَسُئِلَ فِي ذَلِكَ تَقْتَضِي أَنْ يَلْبَسَ الرَّجُلُ وَيَطْعَمَ مِمَّا يَسِرُّهُ اللَّهُ بِبَلَدِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَاللَّبَاسِ، وَهَذَا يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ الْأَمْصَارِ. مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣١٠-٣١١).

(٢) قال ابن جماعة رَحِمَهُ اللَّهُ: والذهن الصحيح أشرف من تبيده وتعطيله بالقدر الحقيق من طعام يؤول أمره إلى ما قد علم، ولو لم يكن من آفات كثرة الطعام والشراب إلا الحاجة إلى كثرة دخول الخلاء لكان ينبغي للعاقل اللبيب أن يصون نفسه عنه.

ومن رام الفلاح في العلم وتحصيل البغية منه مع كثرة الأكل والشرب والنوم فقد رام مُستحيلاً في العادة.. تذكرة السامع والمتكلم: ١٦٨.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: إصلاح البدن سبب لإصلاح الدين. [صيد الخاطر: ١٢٠].

\* وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) قال: أهلك ابن آدم الأجوفان: البطن والفرج.  
ابن أبي الدنيا ٩١ / ٤.

\* وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: صنعت لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٧) وأصحابه ألوانا من الطعام والخبيص، فقال لي: يا سعيد إنا قوم عرب، فاصنع لنا مكان هذه الألوان الثريد<sup>(١)</sup>، ومكان هذه الأخبصة الحيس<sup>(٢)</sup>، ولولا أنك رجل منا أهل البيت ما قلت لك. ابن أبي الدنيا ١٢٤ / ٤.

\* وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) قال: ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت؛ الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع.  
تهذيب الحلية ١ / ١٨٥.

\* وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) قال: إنما البطن هاتِ هاتِ، كفاكم ما سده عنكم. ابن أبي الدنيا ٨٣ / ٤.

\* وأُتِيَ لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) بجوارش، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يهضم الطعام، قال: إنه ليأتي عليّ الشهر ما أشبع فيه، فما أصنع بهذا؟ الزهد لأبي داود (٢٦٣).

\* وعن أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) قال: إذا امتلأ البطن طغى الجسد. ابن أبي الدنيا ٨٣ / ٤.

\* وقال مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) لرجل: لَا تَبْتَئَنَّ وَأَنْتَ شَبَعَانُ وَدَعِ الطَّعَامَ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: هَذَا وَصَفُ أَطْبَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا!

(١) الثريد: الطعام الذي يصنع بخلط اللحم والخبز المفقت مع المرق، وأحيانا يكون من غير اللحم.

(٢) الحيس: طعام يطبخ فيه تمر ولبن مجفف، ويضاف لهما السمن.

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣): «نَعَمْ، وَوَصَفُ أَطِبَّاءٍ طَرِيقِ  
الْآخِرَةِ».

فَقَالَ مَالِكُ: دَوَاءٌ لِلدُّنْيَا وَالْدُّنْيَا. ابن أبي الدنيا ٨٧ / ٤، الحلية ٣٥١ / ٢.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): إنما بطن أحدكم كلب، ألق إلى  
ذا الكلب كسرة ورأس جوافة يسكت عنك، ولا تجعلوا بطونكم جربا للشيطان  
يوعى فيها إبليس ما شاء. ابن أبي الدنيا ٩١ / ٤.

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: والله لقد أدركنا أقواما وصحبنا  
طوائف منهم، ما أمر أحدهم في بيته بصنعة طعام له قط، وما شبع أحدهم من  
طعام حتى مات، ما عدا أن يقارب شبعه أمسك. ابن أبي الدنيا ٩١ / ٤.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: لقد كان المسلم يُعار أن يقال له: إنك لبطين. ابن أبي  
الدنيا ٩٤ / ٤.

\* ودعا رَحِمَهُ اللَّهُ رجلا إلى طعامه فقال: قد أكلت، ولست أقدر أن أعود، قال:  
سبحان الله! أو يأكل المؤمن حتى لا يستطيع أن يعود؟. ابن أبي الدنيا ٤٨٣ / ٧.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: يا ابن آدم كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه، ودع ثلث بطنك  
يتنفس ويتفكر. جامع العلوم والحكم / ٥٥٣.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: كانت بلية أبيكم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أكلة، وهي بليتكم إلى يوم  
القيامة. ابن أبي الدنيا ٩٥ / ٤.

\* وقال بعضهم:

وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ      وفرجك نالاً مُتَّهَى الدَّمِ أَجْمَعَا

شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣٣٣ / ٢.

\* وقال يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٩): الجوع يرق القلب. ابن أبي

الدنيا ٩٥ / ٤.

\* وقال الأعمش رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٨) لرجل: ترى هذا البطن؟ إن أهنته أكرمك، وإن أكرمته أهانك. <sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٩٥ / ٤.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: من ملك بطنه، ملك الأعمال الصالحة كلها. ابن أبي الدنيا ٩٦ / ٤.

\* وعن بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ قال: كان يقال: كثرة الطعام تमित القلب، كما أن كثرة الماء تमित الزرع. ابن أبي الدنيا ٩٦ / ٤.

\* وعن عمرو بن قيس المُلَائِي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٦) قال: وإياكم والبطنة، فإنها تقسي القلب. الزهد للمعافى (٣٠٧).

\* وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٢): أول ما يعمل فيه العبد المؤمن بطنه، فإن استقام له بطنه استقام له دينه، وأن لم يستقم له بطنه لم يستقم له دينه. ابن أبي الدنيا ٩٦ / ٤.

\* وعن صفوان بن سليم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٢) قال: ليأتين على الناس زمان، تكون همة أحدهم فيه بطنه، ودينه هواه. ابن أبي الدنيا ١١٦ / ٤.

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١): بؤس لمن كان بطنه أكبر همه. ابن أبي الدنيا ١١٧ / ٤.

\* وقال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤): لو كنت أكل كل ما أشتهي ما ساويت حشفة. ابن أبي الدنيا ١٣٢ / ٤.

\* وقال سليمان بن عبد الملك لسالم بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٦): أي شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدت اللحم أكلته، فقال له: أو تشتهي؟ قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهه. الزهد لأبي داود (٤٢٩).

(١) صدق رَحِمَهُ اللهُ، فإذا أكرمت بطنك وأكلت ما اشتهاه كان سببا في كسلك ومرض بدنك، فأهانك بالبحث عن العلاج، وكثرة الآلام والأوجاع، وإذا أهنته ولم تأكل كل ما اشتهاه ولم تشبع في كل طعام تأكله أكرمك، وكان سببا في صحة بدنك وسلامة عقلك ودينك.



\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): إِنْ النَّفْسَ إِذَا جَاعَتْ وَعَطِشَتْ صفا القلب ورق، وإذا شَبِعَتْ وَرَوَيْتْ عَمِيَ القلبُ. صفة الصفوة ٤/ ٤٤٣.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: لكل شيءٍ صَدَأٌ، وَصَدَأُ القلبِ الشَّبَعُ. تهذيب السَّير ٨٦٥ / ٢.

\* وقال مسعر بن كدام رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٥):

وجدت الجوع يطردُه رَغِيفٌ      وملءُ الكف من ماء الفرات  
وقلُّ الطَّعمِ عونٌ للمصلي      وكثُرُ الطَّعمِ عونٌ للسَّبات

تهذيب الحِلَّة ٢٣ / ٢.

\* وعن عبد الواحد بن زيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٧) قال: من قوي على بطنه قوي على دينه، ومن قوي على بطنه قوي على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرتَه في دينه من قبل بطنه، فذاك رجل في العابدين أعمى. تهذيب الحِلَّة ٣٠١ / ٢.

\* وعن عمرو بن الأسود العبسي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧١) أنه كان يدع كثيرًا من الشَّبع مخافة الأشر. جامع العلوم والحكم / ٥٥٣.

\* وعن محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) قال: من قلَّ طعامه، فهم، وأفهم، وصفا، ورق وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد. ابن أبي الدنيا ٨٧ / ٤، جامع العلوم والحكم / ٥٥٣.

\* وقال المروزي: جعل أبو عبد الله -يعني الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١)- يعظُمُ أمر الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات، فقال: وكيف لا يؤجر وابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: ما شَبِعْتَ منذ أربعة أشهر؟.

قلت لأبي عبد الله: يجد الرجل من قلبه رقة وهو شَبِعَ؟.

قال: ما أرى. جامع العلوم والحكم / ٥٥٣.

\* وقال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٣): البطنة أصل الغفلة. تهذيب الحلية ٣/٣٣٤.

\* وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨) قليل تناول الطعام والشراب، وينشد كثيراً:

لها أحاديث من ذكراك تَشْغُلُها      عن الشراب وتلهيها عن الزاد  
الآداب الشرعية ٢/٢٤٣.

ب- أكل الحلال، والحذر من أكل الحرام:

\* قال وهيب بن الورد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٠): لو قمتَ قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك؟ حلال أو حرام؟. صفة الصفوة ٢/٥٣٦.

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠): أظب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم بالنهار. تهذيب الحلية ٢/٤٨٩.

\* وقال بعض السلف: إذا أراد الله عَزَّجَلَّ هلكة قرية: أظهر فيها الربا. ابن أبي الدنيا ٤/٥٢١.

ج- ترك التكلف والمباهاة في إكرام الناس:

\* عن الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللهُ قال: كنا نحضر طعام عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)، فيقطعنا الخبز واللبن، والخبز والزيت، والخل وأقل من ذلك القديد<sup>(١)</sup>، وأقل من ذلك اللحم الغريض. ابن أبي الدنيا ٤/٩٣.

\* ودعا رجل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) إلى طعام، فقال: نأتيك على ألا تتكلف ما ليس عندك، ولا تدخر عنا ما عندك. عيون الأخبار ٣/٢٣١.

\* وعن شقيق قال: دخلت أنا وصاحب لي على سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

(١) القديد: اللحم المقطع والمملح المجفف في الشمس.

(ت: ٣٣)، فقرب إلينا خبزا وملحاً، وقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف لتكلفنا لكم. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٢٤.

\* وعن شعيب بن الحبحاب قال: جاءنا أبو العالية رَحِمَهُ اللهُ ت: (٩٣) يوماً إلى منزلنا فأردنا أن نتكلف له فقال: أطعمونا من طعام البيت ولا تتكلفوا. الزهد لأحمد: ٥٠٨.

\* وعن الأصمعي رَحِمَهُ اللهُ ت: (٢١٦)، قال: سُئِلَ أقرى أهل اليمامة للضيف: كيف ضبطتم القرى؟ قال: بأنا لا نتكلف ما ليس عندنا. عيون الأخبار ٣/ ٢٣٤.



## التوكل والاعتماد على الله

\* لقي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) ناسًا من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فقال: بل أنتم المتكلمون، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض، ويتوكل على الله. ابن أبي الدنيا ١ / ١٤٠.

\* وعن سعيد بن المسيب، أن سلمان الفارسي (ت: ٣٣) وعبد الله بن سلام (ت: ٤٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا التقيا، فقال أحدهما لصاحبه: إن لقيت ربك قبلي فالقني وأعلمني ما لقيت، وإن لقيته قبلك لقيتك فأخبرتك، فتوفي أحدهما، ولقي صاحبه في المنام، فقال له: توكل وأبشر، فإني لم أر مثل التوكل، قال ذلك ثلاث مرار. الزهد لابن المبارك (٤٠٥).

\* وعن أبي العالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: اجتمع إلي أصحاب محمد ﷺ فقالوا: يا أبا العالية، لا تتكل على غير الله فيكلك الله إلى من توكلت عليه. ابن أبي الدنيا ١ / ١٨٢.

\* وعن سعيد بن جبیر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٤) قال: التوكل على الله جماع الإيمان. الزهد لهناد (٥٣٤).

\* وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك. تهذيب السّير ٢ / ٥٠٥.

\* وقال حاتم الأصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣٧): لي أربعة نسوة، وتسعة أولاد، ما طمع شيطان أن يؤسوس إليّ في أرزاقهم. تهذيب السّير ٢ / ٩٦٠.

\* وسأله رجل على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟ قال: على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعملهُ غَيْرِي، فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنتُ، فأنا مُستَحْيٍ منه. صفة الصفوة ٤ / ٣٩١.

\* وقال مسلم بن يسار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٩): تَوَكَّلْ تَوَكَّلْ رجل لا يصيبه إلا ما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ له. تهذيب الحلية ١ / ٣٩٤.

\* وقال مكحول رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٢): الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم، فيأتيه الله برزقه من قِبَلِ سُرَّتِهِ، وغذاؤه في بطن أمه من دم حيضها، فمن ثم لا تحيض الحامل، فإذا سقط استهلَّ استهلاله إنكارًا لمكانه، وقُطِعَتْ سُرَّتُهُ وَحَوَّلَ اللهُ رزقه إلى ثدي أمه ثم حوله إلى الشيء يُصْنَعُ له ويتناولهُ بكفِّه، حتى إذا اشتدَّ وعقل قال: أين لي بالرزق! يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي جِبرها تُرْزَقُ حتى إذا عَقَلْتَ وَشَبَبْتَ قُلْتَ: هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق! ثم قرأ: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]. عيون الأخبار ٧٣٠ / ٢.

\* وعن أبي حازم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠) أنهم أتوه فقالوا له: يا أبا حازم أما ترى قد غلا السعر؟ فقال: وما يغمكم من ذلك، إن الذي يرزقنا في الرخص، هو الذي يرزقنا في الغلاء. تهذيب الحلية ١ / ٥٢٦.

\* وقيل للفضيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): تَحُدُّ لِي التوكل؟ فقال: كيف تتوكل عليه وأنت يختار لك فتسخط قضاءه؟.

أرأيت لو دخلت بيتك، فوجدت امرأتك قد عميت، وابتنتك قد أقعدت، وأت قد أصابك الفالج، كيف كان رضاك بقضائه؟ قال: كنت أخاف ألا أصبر.

قال: فكيف لا، حتى يكون عندك واحدًا ترضى بكل ما صنع في العافية والبلاء. ابن أبي الدنيا ١/١٤٢-١٤٣.

\* وسئل الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) عن التوكل فقال: الرضا عن الله. ابن أبي الدنيا ١/١٤٤.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إن العز والغنى يجولان في طلب التوكل، فإذا ظفرا أوطنا، وأنشد:

يجول الغنى والعز في كل موطن      ليستوطننا قلب امرئ إن توكلنا

ابن أبي الدنيا ١/١٤٢، تهذيب الحلية ٣٤٨/٢.

\* وقال بعض الحكماء: التوكل على ثلاث درجات، أولاها: ترك الشكاية، والثانية: الرضى، والثالثة: المحبة، فترك الشكاية درجة الصبر، والرضى سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين. ابن أبي الدنيا ١/١٦١.

\* وجاء رجل إلى أحد السلف يسأله أن يكلم الأمير في حاجة، فبكى ثم قال: أي أخي، اقصد الله في أمرك تجده سريعًا قريبًا، فإني ما ظهرت أحدًا في أمر أريده إلا الله عَزَّجَلَّ فأجده كريمًا قريبًا لمن قصده وأراده وتوكل عليه. ابن أبي الدنيا ١/١٦٥.

\* وقال أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠): كيف أخاف الفقر ولمولاي ما في السموات وما في الأرض وما فيهما وما تحت الثرى. ابن أبي الدنيا ٢/٢٦٩.

\* وعن أبي خير إسحاق العزاوي قال: زحف إلينا أزدهمهر عند مدينة الكرخ في ثمانين فيلاً، فكادت تنفض الخيول والصفوف، فكرب لذلك محمد بن القاسم

رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٨)، فنَادَى عمرانَ بنَ النعمان رَحِمَهُ اللَّهُ أميرَ حمص، وأمرَ الأجنادَ فنهضوا بما استطاعوا، فلما أَعَيْتَهُ الأمور نادى مرارًا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فكف الله الفيلة بذلك، وسلط الله عليها الحر فأنضجها، ففزعت إلى الماء، فما استطاع سَوَّاسُهَا ولا أصحابها حبسها، وحملت الجند عند ذلك، فكان الفتح بإذن الله. ابن أبي الدنيا ٢/ ٩٥-٩٦.

\* وَسُئِلَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١) عن التَّوَكُّلِ فقال: هو قطع الاستشراف، باليأس من الخلق. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥٦).

\* وقيل له: أي شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيبه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلًا.<sup>(١)</sup> جامع العلوم والحكم / ٥٧٠.

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ - بعد أن ساق جملةً من الآثار -: فمن كان له قوَّةٌ على مثل هذه الأمور، فعمل بمقتضى قوَّته ولم يضعفه عن طاعة الله، فلا حرج عليه، ومن كلف نفسه ذلك حتى أضعفها عن بعض الواجبات، فإنه ينكر عليه ذلك. وكان السلف ينكرون على عبد الرحمن بن أبي غنم حيث كان يترك الأكل مدة حتى يعاد من ضعفه..

فمن رزقه الله صدق يقين وتوكل، وعلم من الله أنه يخرق له العوائد، ولا يحوجه إلى الأسباب المعتادة في طلب الرزق ونحوه، جاز له ترك الأسباب، ولم ينكر عليه ذلك، وحديث عمر هذا الذي نتكلم عليه - لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرَوْحُ بِطَانًا - يدلُّ على ذلك، ويدلُّ على أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يُؤْتُونَ مِنْ قَلَّةٍ تحقيق التوكل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم = ومساكتهم لها، فلذلك يُتَعَبُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْأَسْبَابِ، وَيَجْتَهِدُونَ فِيهَا غَايَةَ الْجَهْدِ، وَلَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُمْ، فَلَوْ حَقَّقُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ بَقُلُوبِهِمْ، لَسَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ مَعَ أَدْنَى سَبَبٍ، كَمَا يَسَوِّقُ إِلَى الطَّيْرِ أَرْزَاقَهَا بِمَجْرَدِ الْغَدُوِّ وَالرَّوْحِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الطَّلَبِ وَالسَّعْيِ، لَكِنَّهُ سَعْيٌ يَسِيرٌ..

ومن هذا الباب من قوي توكله على الله ووثوقه به، فدخل المفاز بغير زاد، فإنه يجوز لمن هذه صفته دون من لم يبلغ هذه المنزلة، وله في ذلك أسوة بإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث ترك هاجر وابنها إسماعيل بواد غير ذي زرع، وترك عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، فلما تبعته هاجر وقالت له: =

\* وقال بعضهم:

سهرت أعين ونامت عيون      لأُمور تكون أو لا تكون  
فاطرد الهمّ ما استطعت عن النفس      فس فحماً لأنك الهموم جنون  
إنّ ربّاً كفاك بالأمس ما كا      ن سيكفيك في غد ما يكون  
طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٧).

\* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧): المتوكل لا يتوكل على الله ليُكفى، لو حلّت هذه<sup>(١)</sup> في قلوب المتوكله لضجوا إلى الله بالندم والتوبة، ولكن المتوكل تحلُّ بقلبه الكفاية من الله عزَّ وجلَّ.<sup>(٢)</sup> الحث على التجارة للخلال (١٧٩).

\* وعن مؤمل المغازلي قال: كنت أصحب محمد السمين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٦١) فسافرت معه حتى بلغنا ما بين تكريت وموصل، فبينما نحن في برية نسير، إذ زأر السبع من قريب، فجزعت وتغيرت، وظهر ذلك على صفتي، وهممت أبادر،

= إلى من تدعنا؟ قال لها: إلى الله، قالت: رضيت بالله، وهذا كان يفعله بأمر الله ووحيه، فقد يقذف الله في قلوب بعض أوليائه من الإلهام الحقّ ما يعلمون أنه حقّ ويثقون به.. وقد أجاز العلماء التوكل على الصدق..

قال رَحِمَهُ اللهُ: فلا يرخص في ترك السبب بالكلية إلا لمن انقطع قلبه عن الاستشراف إلى المخلوقين بالكلية. جامع العلوم والحكم / ٥٦٨ - ٥٧١.

(١) أي: هذه النية.

وفي الأصل: الفضة!

وفي الآداب الشرعية: القصة!

(٢) أي: يقذف الله في قلبه اليقين بأنه كافيه؛ لقوة توكله عليه ورضاه به.

قال ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ: ولم يذكر الخلال رَحِمَهُ اللهُ ما يخالف كلام بشر لا من عنده ولا من عنده غيره، فبشر رَحِمَهُ اللهُ يقول: من توكل ليُكفى لم يُخلص التوكل لله فيقذ فيه ويكون لغير الله، ونظيره: من اتقى الله ليجعل الله له مخرجاً، ومن اتقى الله ليجعل له فرقاناً، ومن تواضع ليرتفع. ولهذا قال عَلَيْهِ السَّلَامُ «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»، ولهذا قال بعضهم لبعض: من تواضع ليرتفع: لا يرتفع بالتواضع، أي لا يقصد هذا.



فضبطني محمد وقال: يا مؤمل، التوكل ها هنا ليس في مسجد الجامع. تهذيب الحلية ٤٣١/٣.

\* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قال القاضي ابن خلكان: كان أبو الحسن المصري النحوي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٦٩) بمصر إمام مصره في النحو، وله المصنفات المفيدة، من ذلك «مقدمته» و«شرحها» و«شرح الجمل» للزجاجي قال: وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل في ديوان الإنشاء إلا عُرِضَتْ عليه، فيصلح منها ما فيه خلل، ثم تنفذ إلى الجهة التي عينت لها، وكان له على ذلك معلوم وراتب جيد، قال: فاتفق أنه كان يأكل يومًا مع بعض أصحابه طعامًا، فجاء قطُّ فرموا له شيئًا، فأخذه وذهب سريعًا، ثم أقبل فرموا له شيئًا آخر، فانطلق به سريعًا، ثم جاء فرموا له شيئًا أيضًا، فعلموا أنه لا يأكل هذا كله، فتبعوه فإذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى في سطح هناك، فتعجبوا من ذلك، فقال الشيخ: يا سبحان الله! هذا حيوانٌ بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره، أفلا يرزقني وأنا عبده ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه وأقبل على الاشتغال والملازمة في غرفة في جامع عمرو بن العاص، إلى أن مات وقد جمع تعليقةً في النحو قريبًا من خمسة عشر مجلدًا. <sup>(١)</sup> البداية والنهاية ١٢/٣٦٨.

\* وقال الوزير ابن هبيرة (ت: ٥٦٠): تدبرت قوله تعالى: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] فرأيت لها ثلاثة أوجه:

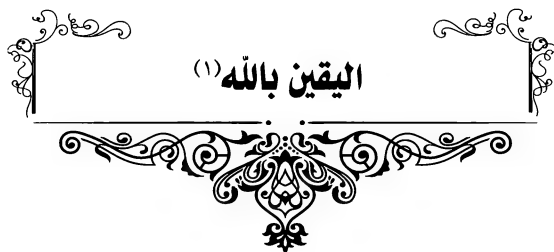
أحدها: أن قائلها يتبرأ من حوله وقوته، ويُسلم الأمر إلى ماله.

(١) وقال رَحِمَهُ اللهُ: واشتهر في سنة ٧٦٢ أن بقرة كانت تجيء من ناحية باب الجابية تقصد جراء لكلبة، قد ماتت أمهم وهي في ناحية كنيسة مريم في خرابة، فتجيء إليهم فتسوطح على شقها فترضع أولئك الجراء منها، تكرر هذا منها مرارًا، وأخبرني المحدث المفيد التقي نور الدين أحمد بن المقصود بمشاهدته ذلك. البداية والنهاية ١٢/٣٦٨.

والثاني: أنه يعلم أن لا قوة للمخلوقين إلا بالله، فلا يخاف منهم إذ قواهم لا تكون إلا بالله، وذلك يوجب الخوف من الله وحده.

والثالث: أنه ردُّ على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدَّعون القوى في الأشياء بطبيعتها، فإن هذه الكلمة بينت أن القوي لا يكون إلا بالله. ذيل الطبقات (٢) / (١٤٣).





\* عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم، ولمثقال ذرة من برٍّ من صاحب تقوى ويقين أفضل وأرجح وأعظم من أمثال الجبال عبادةً من المغترّين. ابن أبي الدنيا ١ / ٢٣.

\* وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحداً على رزق الله، ولا تلم أحداً على ما لم يؤتك الله عَزَّجَلَّ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بقسطه وعلمه وحلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط. ابن أبي الدنيا ١ / ٣٥.

\* وعن خالد بن معدان رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: تعلموا اليقين كما تعلموا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: اليقين: استقرار الإيمان في القلب علماً وعملاً. وقال في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [الروم: ٦٠]: فإن الخفيف لا يثبت بل يَطِيشُ، وصاحب اليقين ثابت، يقال: أيقنَ، إذا كان مستقراً، فقد يكون علم العبد جيّداً، لكن نفسه لا تصبر عند المصائب بل تطيش.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ أُعْطِيَ الصَّبْرَ وَالْيَقِينَ: جَعَلَهُ اللَّهُ إِمَامًا فِي الدِّينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

فبالصبر تُترك الشهوات، وباليقين تُدفع الشبهات. مجموع الفتاوى (٦ / ٢١٥)، اقتضاء الصراط المستقيم: ٥٣، جامع المسائل: ٣ / ٢٦٠.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: اليقين: هو العلم الثابت الراسخ في القلب. مجموع رسائل ومساائل ابن القيم ص: ٢٢.

القرآن، حتى تعرفوه فإني أتعلمه. ابن أبي الدنيا ١ / ٢٢.

\* وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): يا أبن آدم، إن من ضعف يقينك: أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عَزَّجَلَّ. ابن أبي الدنيا ١ / ٣٦.

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خشع ووجل، وذلل واستقام، واقتصد حتى يأتيه الموت. ابن أبي الدنيا ١ / ٢٧.

\* وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠): عباد الرحمن، اعلّموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، في دار زوال لدار مقام، ودار حزن ونصب لدار نعيم وخلد، ومن لم يعمل على اليقين فلا يتعن. السنن الصغير للبيهقي (١٢).

\* وعن عامر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) قال: الشكر نصف الإيمان، والصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. ابن أبي الدنيا ١ / ٤٨٤.

\* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨) في معرض كلامه عن مناظرته للصوفية، الذين يمشون على الجمر والنار، ويزعمون أن ذلك كرامة من الله لهم، ودليل على صحة منهجهم: ذَكَرَ لِي أَنَّهُ جَاءَهُمْ بَعْضُ أَكَابِرِ غِلْمَانِ الْمُطَاعِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُضُورِهِمْ لِمَوْعِدِ الْاجْتِمَاعِ، فَاسْتَحَزَّتْ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَاسْتَعْنَتْهُ وَاسْتَنْصَرَتْهُ وَاسْتَهْدَيْتُهُ وَسَلَّكَتْ سَبِيلَ عِبَادِ اللَّهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي قَلْبِي أَنَّ أَدْخَلَ النَّارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَأَنَّهَا تَكُونُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى مَنْ اتَّبَعَ مِلَّةَ الْخَلِيلِ<sup>(١)</sup>، وَأَنَّهَا تُحْرِقُ أَشْبَاهَ الصَّابِئَةِ أَهْلَ الْخُرُوجِ عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ..

وَكَانُوا لِفَرْطِ انْتِشَارِهِمْ فِي الْبِلَادِ وَاسْتِحْوَاذِهِمْ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْأَجْنَادِ؛ لِحَفَاءِ نُورِ الْإِسْلَامِ وَاسْتِبْدَالِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِالنُّورِ الظَّلَامِ، وَطُمُوسِ

(١) ما أعظم توكله على الله وبقينه وثقته بالله تعالى!

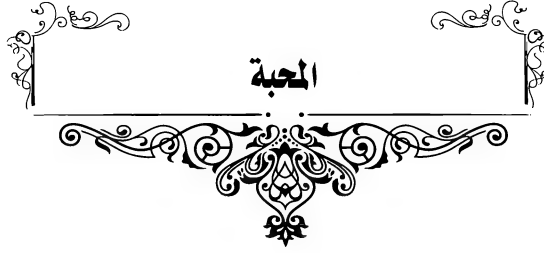
أَثَارِ الرَّسُولِ فِي أَكْثَرِ الْأَمْصَارِ، وَدُرُوسِ حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ فِي دَوْلَةِ التَّارِ، لَهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعٌ هَائِلٌ، وَلَهُمْ فِيهِمْ مِنَ الْإِعْتِقَادِ مَا لَا يَزُولُ بِقَوْلِ قَائِلٍ.  
قَالَ الْمُخْبِرُ: فَغَدَا أُولَئِكَ الْأَمْرَاءُ الْأَكَابِرُ وَخَاطَبُوا فِيهِمْ نَائِبَ السُّلْطَانِ بِتَعْظِيمِ أَمْرِهِمْ..

قُلْتُ لِلْأَمِيرِ: وَأَنَا قَدْ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ إِنْ دَخَلُوا النَّارَ أَذْخُلُ أَنَا وَهُمْ، وَمَنْ اخْتَرَقَ مِنَّا وَمِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَكَانَ مَغْلُوبًا، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ نَغْسِلَ جُسُومَنَا بِالْخَلِّ وَالْمَاءِ الْحَارِّ.  
فَقَالَ الْأَمِيرُ: وَلِمَ ذَاكَ؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ يَطْلُونَ جُسُومَهُمْ بِأَدْوِيَةٍ يَصْنَعُونَهَا مِنْ دُهْنِ الصَّفَادِعِ وَبَاطِنِ قَشْرِ النَّارِجِ وَحَجَرِ الطَّلَقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحِيلِ الْمَعْرُوفَةِ لَهُمْ، وَأَنَا لَا أَطْلِي جِلْدِي بِشَيْءٍ، فَإِذَا اغْتَسَلْتُ أَنَا وَهُمْ بِالْخَلِّ وَالْمَاءِ الْحَارِّ بَطَلَتِ الْحِيلَةُ وَظَهَرَ الْحَقُّ، فَاسْتَعْظَمَ الْأَمِيرُ هُجُومِي عَلَى النَّارِ، وَقَالَ: أَتَفْعَلُ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ<sup>(١)</sup>، قَدْ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي ذَلِكَ، وَأَلْقَى فِي قَلْبِي أَنْ أَفْعَلَهُ، وَنَحْنُ لَا نَرَى هَذَا وَأَمْثَالَهُ ابْتِدَاءً؛ فَإِنَّ خَوَارِقَ الْعَادَاتِ إِنَّمَا تَكُونُ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا الْحُجَّةِ أَوْ حَاجَةٍ، فَالْحُجَّةُ لِإِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ، وَالْحَاجَةُ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنَ النَّصْرِ وَالرِّزْقِ الَّذِي بِهِ يَقُومُ دِينُ اللَّهِ، وَهَؤُلَاءِ إِذَا أَظْهَرُوا مَا يُسَمُّونَهُ إِشَارَاتِهِمْ وَبَرَاهِينَهُمُ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُبْطِلُ دِينَ اللَّهِ وَشَرْعَهُ وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْصُرَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَقُومَ فِي نَصْرِ دِينِ اللَّهِ وَشَرِيعَتِهِ بِمَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَرْوَاحِنَا وَجُسُومِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَلَنَا حَيْثُ أَنْ نُعَارِضَ مَا يَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الْمَخَارِيقِ بِمَا يُؤَيِّدُنَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ.

وَلْيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا مِثْلُ مُعَارَضَةِ مُوسَى لِلْسَّحَرَةِ لَمَّا أَظْهَرُوا سِحْرَهُمْ أَيْدِ اللَّهِ مُوسَى بِالْعَصَا الَّتِي ابْتَلَعَتْ سِحْرَهُمْ. مجموع الفتاوى ١١ / ٤٥٥ - ٤٦٠.

(١) هذا يدل على عظيم إيمانه وثقته بالله تعالى، وهذه المنزلة قلَّ مَنْ يصل إليها.



### أ- محبة الناس بعضهم لبعض:

\* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: إن الله تعالى يؤلف بين القلوب، وإذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء أبداً، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].  
الزهد لابن المبارك (٣٤٦).

\* وقال يحيى بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٥٨): حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء. الزهد للخطيب (٦٧).

\* وَسُئِلَ أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٤١) عَنِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ؟ فَقَالَ: هُوَ أَنْ لَا تُحِبَّهُ لِطَمَعٍ دُنْيَا. أخبار الشيوخ (٣٧٣).

### ب- محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد، وأسباب ذلك<sup>(١)</sup>:

(١) قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها عشرة: أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أُريد به. كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبة بعد المحبة.  
الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال. فنصييه من المحبة على قدر نصييه من هذا الذكر.

الرابع: إثارة محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتَّسَنُّمُ إلى محابه وإن صعب المُرتقى.  
الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.  
=

\* عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب. الزهد لأبي داود (١٤٩).

\* وعن عامر بن عبد قيس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) أنه كان يقول: أحبيت الله عَزَّوَجَلَّ حُبًّا سهل عليَّ كل مصيبة، ورضائي في كل قضية، فما أبالي مع حبي إياه، ما أصبحت عليه. تهذيب الحلية ١/٣٠٢.

\* وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): إن أحب عباد الله إلى الله الشكور الصابر الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. الزهد لأحمد: ٤١٣.

\* وعن عبيد بن عمير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٧) قال: إن الدنيا هينة على الله تعالى أن يعطيها من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب. تهذيب الحلية ٨/٢.

\* وعن أبي يزيد البسطامي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٧٠) قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أُمِتُّكَ؟ ليس العَجَبُ من حبي لك، وأنا عبدٌ فقير، إنما العَجَبُ من حُبِّك لي، وأنت مَلِكٌ قدير. السَّيَر (١٣ / ٨٦).

\* وقال بعض السلف: شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع، ففقدوا لذادة الطعام والشراب والشهوات؛ لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة، ففقدتهم عن كل لذة.<sup>(١)</sup>

= السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته. السابع: وهو من أعجبها: انكسار القلب بكُلِّيَّتِهِ بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب، والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطياب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطياب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدا لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مُباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ. اهـ. بتصرف. مدارج السالكين ٤٤٨/٣-٤٤٩.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: النَّفْسُ قَدْ تَدَّعِي مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَتَكُونُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مَحَبَّةً =

المنتظم ٣٠٢ / ١١.

\* وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): قال حكيم من الحكماء: إني لأستحيي من ربي عَزَّجَلَّ أن أعبدَه رجاء ثواب الجنة<sup>(١)</sup>، فأكون كالأجير إن أُعطي أجرا عمل، وإلا لم يعمل، وإني لأستحيي من ربي عَزَّجَلَّ أن أعبدَه مخافة النار<sup>(٢)</sup>، فأكون كعبد السوء، إن رهب عمل، وإن لم يرهَب لم يعمل. ولكنني أعبدَه كما هو له أهل، ويستخرج مني حبُّ ربي عَزَّجَلَّ ما لم يستخرج مني غيره<sup>(٣)</sup>. الزهد لابن المبارك (٢٠٦).

\* وقال الشاعر:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حَبَهُ	هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمَهُ	إِنَّ الْمَحَبَّ لَمَنْ يَحِبُّ مَطِيعُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَذَكَّرُكَ بِنِعْمَةٍ	مِنْهُ وَأَنْتَ لَشُكْرٍ ذَاكٌ مُضِيعُ

ت- محبة النبي ﷺ وتعظيمه:

\* دخل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)، فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجمًا<sup>(٤)</sup> ساكتا.

= شَرِّكَ، تُحِبُّ مَا تَهْوَاهُ، وَقَدْ أَشْرَكَتُهُ فِي الْحُبِّ مَعَ اللَّهِ، وَقَدْ يَخْفِي الْهَوَى عَلَى النَّفْسِ؛ فَإِنَّ حُبَّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ.

وَهَكَذَا الْأَعْمَالُ الَّتِي يَطُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَعْمَلُهَا لِلَّهِ، وَفِي نَفْسِهِ شَرِّكَ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَعْمَلُ: إِمَّا لِحُبِّ رِيَاسَةٍ، وَإِمَّا لِحُبِّ مَالٍ، وَإِمَّا لِحُبِّ صُورَةٍ. مجموع الفتاوى (٣٥٩-٣٦٠/٨).

(١) أي: فقط.

(٢) أي: فقط.

(٣) فيه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده أو على وجه الخوف وحده، قال ابن رجب: وهذا حسن. التخويف من النار: (٢٤).

(٤) أي اشتدَّ حزنه حتى أمسك عن الكلام من كثرة مطالبة نساءه له بالنفقة.



فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأقولنَّ شيئاً أضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة<sup>(١)</sup> سألتني النفقة، فقممت إليها، فوجأت عنقها<sup>(٢)</sup>، فضحك رسول الله ﷺ وقال: هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟! فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده». «صحيح مسلم» (١٤٧٨).

\* وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس يكتون بالحصي<sup>(٣)</sup>، ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه. قال: فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعدا على أسكفة المشربة<sup>(٤)</sup>، فناديت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً، ثم قلت: يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً، ثم رفعت صوتي، فقلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ؛ فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفعت صوتي، فأومأ إلي أن ارقه، فدخلت على رسول الله ﷺ. «صحيح مسلم» (١٤٧٩).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: والله لأنت أحب إلي من نفسي. صحيح البخاري (٦٢٥٧).

\* ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر شاور الصحابة حين بلغه إقبال أبي

(١) يعني زوجته.

(٢) أي طعنت عنقها.

(٣) حُزناً لحزنه، وهماً لهمة، من شدة محبتهم وتعظيمهم له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) هي العتبة السفلى التي توطأ.

سفيان، فتكلم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثم تكلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فقام سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥) فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أَنْ نُخِضَها الْبَحْرَ لَأَخْضَناها، ولو أمرتنا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَها إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ<sup>(١)</sup> لفعلنا. صحيح مسلم (١٧٧٩).

\* وقال عمرو بنُ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطق؛ لأنني لم أكن أملاً عيني منه. صحيح مسلم (١٢١).

\* ولما جاء عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ زمن الحديبية ليفاوضه على الصلح، جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تعظيماً له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن<sup>(٢)</sup> رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، والله إن<sup>(٣)</sup> تنخم<sup>(٤)</sup> نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تعظيماً له. صحيح البخاري (٢٧٣١).

(١) موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل.

(٢) أي: ما.

(٣) أي: ما.

(٤) أي: تفل وبزق.

\* ولما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٤) بين يدي النبي ﷺ مُجَوَّبٌ به عليه بِحَقَقَةٍ له<sup>(١)</sup>، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديداً القَدَّ<sup>(٢)</sup>، يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل<sup>(٣)</sup>، فيقول: «انشرها لأبي طلحة»، فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فقال أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تُشرف<sup>(٤)</sup>، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك.<sup>(٥)</sup> صحيح البخاري (٣٨١١)، صحيح مسلم (١٨١١).

\* وقال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يَجُولُ في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماي، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه. صحيح البخاري (٣١٤١)، صحيح مسلم (١٧٥٢).

\* وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: ما مسست فرجي بيمينني منذ بايعت رسول الله ﷺ. الزهد لأحمد: ٢٧٧.

\* وقال البزَّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٤٩): كَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ (ت: ٧٢٨)

(١) مترس عليه بنفسه يقيه من ضربات المشركين ونبالهم بترس من الجلد.

(٢) هو السير من جلد مدبوغ والمعنى أن وتر قوسه شديد في النزاع والمد.

(٣) الكنانة المملوءة بالنبل.

(٤) أي: لا تنظر.

(٥) أي: أقف بين يديك بحيث إذا جاء السهم يصيب نحري ولا يصيب نحرك والنحر الصدر وأسفل العنق.

لَا يَذْكُرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ إِلَّا وَيُصَلِّي وَيَسْلَمُ عَلَيْهِ، وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ تَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَحْرَصَ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَنَصْرِهِ مَا جَاءَ بِهِ مِنْهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ أَوْردَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ فِي مَسْأَلَةٍ وَيَرَى أَنَّهُ لَمْ يَنْسَخْهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِهِ، يَعْمَلُ بِهِ وَيَقْضِي وَيَفْتِي بِمُقْتَضَاهُ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ كَائِنًا مَنْ كَانَ. وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُلُّ قَائِلٍ إِنَّمَا يَحْتَجُّ لِقَوْلِهِ لَا بِهِ، إِلَّا اللَّهُ وَرَسُولُهُ. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٢٨).



## حفظ اللسان<sup>(١)</sup>

أ- حفظ اللسان من كثرة الكلام، ومن الكلام الذي لا ينفع:

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): رَحِمَ الله امرأً أمسَكَ فضلَ القول وقدَّمَ فضلَ العمل. عيون الأخبار ٣٨٠ / ١.

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيءٌ أحوج إلى طول سجن من اللسان. الزهد لأبي داود (١٥١)، الزهد لابن المبارك (٣٦٨).

(١) قال القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: آفات اللسان أسرع الآفات للإنسان، وأعظمها في الهلاك والخسران، فالأصل: ملازمة الصمت إلى أن تتحقق السلامة من الآفات، والحصول على الخيرات. المفهم: ٢٠٠ / ٥.

وقال الماوردي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعلم أن الكلام ترجمانٌ يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بواده، ولا يُقدر على رد شوارده، فحق على العاقل أن يحترز من زَلَلِهِ بالإمساك عنه أو بالإقلال منه..

واعلم أن للكلام شروطاً لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يغرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها، وهي أربعة:

فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.

والشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فُرْصته.

والشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.

والشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

فهذه أربعة شروط، متى أخل المتكلم بشرط منها فقد أوهن فضيلةً باقيها. أدب الدين (٤٤٢) - (٤٤٣)

\* وعن عبد الله بن مرداس قال: كان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخطبنا كل خميس، فيتكلم بكلمات، فيسكت حين يسكت، ونحن نشتهي أن يزيدنا. أخرجه الحاكم: ٥٣٨٥.

\* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) أنه كان يقول: من لم ير أن كلامه من عمله، وأن خلقه من دينه: هلك وهو لا يشعر. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٢١.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنذرکم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته. ابن أبي الدنيا ٧ / ٧٢.

\* وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): أَنْصِفْ أذُنَيْكَ مِنْ فَيْكَ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ اثْنَتَانِ وَفَمٌّ وَاحِدٌ، لَتَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا تَقُول. عيون الأخبار ٥٧٣ / ٢.

\* وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم يقم له جارحة. ابن أبي الدنيا ٧ / ٦٣.

\* وتكلم رجل عند معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): فَهَذَر، فلما أطال قال: أأسكت يا أمير المؤمنين؟ قال: وهل تكلمت! عيون الأخبار ٥٧١ / ٢.

\* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣) قال: إِنَّ أَحَقَّ مَا طَهَرَ الْمُسْلِمَ لِسَانَهُ. الزهد لأبي داود (٢٧٢).

\* وقال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): حَتَفُ الرَّجُلِ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ. عيون الأخبار ٣٨١ / ١.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: جَنَّبُوا مَجَالِسَنَا ذِكْرَ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ، إِنِّي أَبْغِضُ الرَّجُلَ يَكُونُ وَصَافًا لَفَرْجِهِ وَبَطْنِهِ. تهذيب السَّيَر ١ / ٤٥٣.

\* وعن الحسن قال: ذكروا شيئاً عند معاوية فتكلموا فيه، والأحنف بن قيس

رَحِمَهُ اللَّهُ ساكت، فقالوا: مالك لا تتكلم يا أبا بحر؟ قال: أخشى الله إن كذبتُ، وأخشاكم إن صدقت. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢٢١.

\* وعن مطرف بن الشخير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) قال: من صفا عمله صفا لسانه، ومن خلط خلط له. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٤.

\* وقال وهيب بن الورد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠): من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٣.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمعت الأطباء أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء أن رأس الحكمة الصمت.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٣٦.

\* وقال أيضا: إن الرجل ليصمت فيجتمع إليه لُبُّهُ. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٩.

\* وأثنى رجل على رجل فقال له بعض السلف: وما علمك به؟ قال: رأيته يتحفظ في منطقه. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٥٠.

\* وعن إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) قال: المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر: فإن كان كلامه له تكلم، وإن كان عليه أمسك عنه، والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٥٠.

\* وعن أبي الأشهب عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يقولون: لسان الحكيم وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه، ما جرى على لسانه تكلم به.

---

(١) ليس المقصود بالصمت والسكوت في كلام السلف الصالح: مجرد السكوت حتى عن ذكر الله تعالى، فهذا ليس محمودًا أبدًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: السُّكُوتُ بِلَا قِرَاءَةٍ وَلَا ذِكْرٍ وَلَا دُعَاءٍ لَيْسَ عِبَادَةً وَلَا مَأْمُورًا بِهِ، بَلْ يَفْتَحُ بَابَ الْوَسْوَسةِ، فَلَا شَتِغَالَ بِذِكْرِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ السُّكُوتِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَفْضَلِ الْخَيْرِ. مجموع الفتاوى (٢٣/ ٢٨٥-٢٨٦).

قال أبو الأشهب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٥): كانوا يقولون: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه. الزهد لأحمد: ٤٦١، الزهد لابن المبارك (٣٧٣).

- \* وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ: من كثر كلامه كثر كذبه. ابن أبي الدنيا ٧ / ٧٧.
- \* وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ: يا ابن آدم بُسِطَتْ لك صحيفةٌ، ووَكِّلَ بك ملكان كريمان يكتبان عملك، فأكثر ما شئت أو أقل. ابن أبي الدنيا ٧ / ٧٤.
- \* وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ: لقد أدركت أقواما، إن كان الرجل منهم ليجلس مع القوم فيرون أنه عبي (١)، وما به من عيٍّ، إنه لفقيه مسلم. الزهد لوكيع (٨٠).
- \* وقيل في منشور الحكم: إذا تم العقل نقص الكلام. أدب الدين (٤٤٩).
- \* وقال بعض السلف: إن الرجل ليطغى في كلامه كما يطغى في ماله. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٢٢.

- \* وعن يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٩) قال: خصلتان إذا رأيتهما في الرجل فاعلم أن ما وراءهما خير منهما: إذا كان حابسا للسانه، يحافظ على صلاته. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٢٢.
- \* وقال يونس بن عبيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٩): خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما من أمره: صلاته ولسانه (٢). صفة الصفوة ٣ / ٢١٩.
- \* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: إنك تكاد تعرف ورع الرجل في كلامه إذا تكلم. صفة الصفوة ٣ / ٢١٨.

- \* وقال رَحِمَهُ اللهُ: ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال، إلا رأيت ذلك صلاحًا في سائر عمله. صفة الصفوة ٣ / ٢٢٠.

(١) أي: عاجز عن الكلام.

(٢) لقول الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقول الرسول ﷺ

«إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة».



\* وكان عبد الله بن أبي زكريا رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧) إذا كان في مجلس فخاض جلساؤه في غير ذكر الله، فكأنه ساهٍ، وإذا أخذوا في ذكر الله كان أشد القوم استماعا إليه. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٢٢.

\* وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١):

تعاهد لسانك إن اللسان      سريعٌ إلى المرء في قتله  
وهذا اللسان يريد الفؤاد      يدلّ الرجال على عقله  
ابن أبي الدنيا ٧ / ٣٦٢.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: عجبت من اتفاق الملوك الأربعة كلهم على كلمة: قال كسرى: إذا قلتُ ندمت، وإذا لم أقل لم أندم. وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقل، أقدر مني على ردّ ما قلت. وقال ملك الهند: عجبت لمن تكلم بكلمة إن هي رفعت تلك الكلمة ضرّته، وإن هي لم تُرفع لم تنفعه. وقال ملك الصين: إن تكلمت بكلمة ملكتني، وإن لم أتكلّم بها ملكتها. الآداب الشرعية ١ / ٣٦.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: قال بعضهم في تفسير العزلة: هو أن يكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت. <sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٧ / ٥٣.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: إن دعت الحاجة إلى خلطة الناس في فضول المباحات: فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس: طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك. فإن أعجزته المقادير عن ذلك: فَلْيُسَلِّ قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرا غائبا، قريبا بعيدا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ورقى به إلى الملأ الأعلى، وما أصعب هذا وأشق على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، فبين العبد وبينه: أن يصدق الله ويُديم اللجأ إليه. مدارج السالكين ١ / ٤٥٤.

\* وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧): إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ قَلِيلًا، وَيَعْمَلُ كَثِيرًا، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ كَثِيرًا، وَيَعْمَلُ قَلِيلًا. تهذيب السَّيَر ٢/ ٦٨٤.

\* وقال بعض السلف: إنما لساني سبع إن أرسلته خفت أن يأكلني. ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٣.

\* وكان يقال: كثرة الكلام تذهب بالوقار. ابن أبي الدنيا ٧/ ٦٠.

\* وقال داود الطائي (ت: ١٧٠): حفظ اللسان أشدُّ الأعمال وأفضلها. ابن أبي الدنيا ٧/ ٦١.

\* وقال الشاعر:

لسان الفتى نصفٌ ونصفُ فؤاده      ولم يبق إلا صورة اللحم والدم  
وكائن ترى من ساكتٍ لك معجبٍ      زيادته أو نقصه في التكلم  
ابن أبي الدنيا ٧/ ٦٥.

\* وعن أبي حيان التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٥) قال: كان يقال: ينبغي للعاقل أن يكون أحفظ للسانه منه لموضع قدمه. ابن أبي الدنيا ١/ ٢١١.

\* وتكلم ابنُ السَّمَّاك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٣) يومًا وجاريةً له تسمع كلامه، فلما دخل إليها قال: كيف رأيتِ كلامي؟ قالت: ما أحسنه لولا أنك تكثر تردّاده! قال: أرّده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه قد ملّه من فهمه! عيون الأخبار ٥٧٥ / ٢.

\* وقال بعضهم:

إذا تحدّثتَ في قومٍ لتؤنسهم      بما تحدّثتَ من ماضٍ ومن آتٍ  
فلا تعدّ لحديثٍ إنَّ طبعهم      مُوَكَّلٌ بمُعَاداةِ المُعَادَاتِ  
البداية والنهاية ١٢/ ٥٧.

\* وقال رجل للربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٠): قُتِلَ ابْنُ فَاطِمَةَ، فَاسْتَرْجَعْ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الزمر: ٤٦] قَالَ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: مَا أَقُولُ؟ إِلَى اللَّهِ إِيَابُهُمْ وَعَلَيْهِ حِسَابُهُمْ. صفة الصفوة ٤٢/٣.

\* وقال الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧) وابن المبارك رَحِمَهُمَا اللهُ (ت: ١٨١): أَشَدُّ الْوَرَعِ فِي اللِّسَانِ. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٢١٠/١، ٢١١/١.

\* وقال الحسن بن حي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٨): إِنِّي لِأَعْرِفَ رَجُلًا يَعِدُّ كَلَامَهُ، فَكَانُوا يَرُونَ أَنَّهُ هُوَ<sup>(١)</sup>. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٢١١/١.

\* وقال بعضهم:

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ      وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ  
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ      وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ  
عيون الأخبار ٥٧٧/٢.

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْبَسَ ثَوْبَ الْوَقَارِ وَالْجَمَالِ، وَتَتَحَلَّى بِحِلْيَةِ الْمُوَدَّةِ عِنْدَ الْعَامَةِ: فَكُنْ عَالِمًا كَجَاهِلٍ، وَنَاطِقًا كَعَيْيٍّ.

فَأَمَّا الْعِلْمُ: فَيُرْشِدُكَ.

وَأَمَّا قِلَّةُ ادِّعَائِهِ: فَتَنْفِي عَنْكَ الْحَسَدَ.

وَأَمَّا الْمَنْطِقُ إِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ: فَيُبَلِّغُكَ حَاجَتِكَ.

وَأَمَّا الصَّمْتُ: فَيُكْسِبُكَ الْمَحَبَّةَ وَالْوَقَارَ. الْأَدَبُ الْكَبِيرُ (٩٦).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إِنْ غُلِبْتَ عَلَى الْكَلَامِ وَقَتًا فَلَا تُغْلِبَنَّ عَلَى السَّكُوتِ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ يَكُونُ أَشَدَّهُمَا لَكَ زِينَةً، وَأَجْلَبَهُمَا إِلَيْكَ مُودَةً، وَأَبْقَاهُمَا لِلْمَهَابَةِ، وَأَنْفَاهُمَا لِلْحَسَدِ. الْأَدَبُ الْكَبِيرُ (١١٢).

(١) لعل مقصود الفضيل والحسن بن حي: الكلام في أمور الدنيا، لا ما يتعلق بأمور الآخرة، كالتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١): إني لأدع كثيراً من الكلام مخافة المباهاة. الزهد لأحمد: ٥٠٥.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقربوا منه؛ فإنه يُلقن الحكمة. ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٤٨.

\* وعن أبي عبد الله الحربي قال: سمعت بعض العلماء ممن قدم على عمر ابن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ يقول: الصامت على علم كالمتكلم على علم، فقال عمر: إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالاً؛ وذلك أن منفعتة للناس، وهذا صمته لنفسه، قالوا: يا أمير المؤمنين فكيف بفتنة المنطق؟ قال: فبكى عمر رَحِمَهُ اللهُ بكاء شديداً.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٤٥.

\* وقيل لسُفْيَان الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١): إذا أخذت في الحديث نشطت وأنكرتُك، وإذا كنتَ في غير الحديث كأنك ميت؟.

قال: أما علمت أن الكلام فتنة؟ تهذيب الحلية ٤٠٤/ ٢.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: كان يقال: الصمت زين العالم، وستر الجاهل. تهذيب الحلية ٤٠٩/ ٢.

\* وعن خالد الحذاء قال: كنا نأتي أبا قلابة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤)، فإذا حدثنا بثلاثة أحاديث قال: قد أكثرت. تهذيب الحلية ٣٩٣/ ١.

\* وقال بعضهم:

إِنْ كَانَ فِي الْعِيِّ آفَاتٌ مُّقَدَّرَةٌ      ففِي الْبَلَاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيهَا

عيون الأخبار ٥٧١/ ٢.

(١) بكى لعلمه أنه لا يسلم أحدٌ من فتنة المنطق إلا من شاء الله، فقلّ من تكلم في موعظة، أو خطبة، أو في بحث مسألة من مسائل العلم، أو في ردّ على خطأ عالم أو طالب علم إلا شابّه شيءٌ من فتنة الكلام، فيجب على كلّ من تكلم أن يستحضر الإخلاص والورع في كلامه، وما كان من الحديث لغير الله فعاقبته الندم.

\* ونازع ابن عون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٠) رجل، فقال: لولا أن يُكتب عليّ لقلت<sup>(١)</sup>. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٠.

\* وقال حاتم الأصم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٧): لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لا حترزت منه، وكلامك يُعرض على الله تعالى فلا تحترز! صفة الصفوة ٤/ ٣٩١.

\* وعن سعدون الرازي أنه قال: كنت مع حاتم الأصم رَحِمَهُ اللهُ وكان يتكلم، فقل كلامه فقليل له: قد كنت تتكلم فينتفع بك الناس؟ قال: إني لا أحب أن أتكلم بكلمة قبل أن أستعد جوابها لله، فإذا قال الله تعالى لي يوم القيامة: لم قلت كذا؟ قلت: يا رب لكذا. المنتظم ١١/ ٢٥٥.

\* وعن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٩٨) قال: قال لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه: يا بني ما ندمت على الصمت قط، وإن كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب. الزهد لأحمد: ١٢٦-١٢٧.

\* وكان يقال: إذا فَاتَكَ الأدب فالزم الصَّمت. عيون الأخبار ٥٧٣ / ٢.  
\* وقال بعضهم: لا يَجْتَرِئُ على الكلام إلا فَائِقٌ أو مَائِقٌ<sup>(٢)</sup>. عيون الأخبار ٥٧٣ / ٢.

\* وقال أکثم بن صيفي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩): مَقْتُلُ الرجلِ بين فكيه. عيون الأخبار ٣٨١ / ١.

\* وقال أبو الحسن القطان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٤٥): أصبتُ ببصري، وأظنُّ أني عوقبتُ بكثرة كلامي أيام الرحلة.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٨): صدق والله، فقد كانوا مع حُسن القصد،

(١) أي: لو أن الملائكة لا تكتب ما أقول: لرددت عليك.

(٢) قال في الحاشية: الفائق: الأديب العالم. والمائق: الهالك حمقاً وغبابة.

وصحّة النية - غالباً - يخافون من الكلام، وإظهار المعرفة والفضيلة<sup>(١)</sup>، واليوم يكثرون الكلام مع نقص العلم، وسوء القصد. ثم إن الله يفضحهم ويلوِّح جهلهم وهواهم واضطربهم فيما علموه. فنسأل الله التوفيق والإخلاص. تهذيب السير ١٢٥٠ / ٣.

\* وقيل لإبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠): إن فلاناً يتعلم النحو، فقال: هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج. تهذيب الحلية ٤٨٣ / ٢.

\* وقال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٣): أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بالسلامة عافية، وأدنى ضرر النطق الشهرة، وكفى بالشهرة بلية. تهذيب الحلية ٨١ / ٣.

\* وقال بعضهم: إني لأكره أن يكون مقدارُ لسان الرجلِ فاضلاً عن مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدارُ علمه فاضلاً على مقدار عقله.

وهذا كلام شريف نافع فاحفظوا لفظه، وتدبروا معناه. البيان والتبيين ١ / ٦٢.

\* وكان الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩): يكره كثرة الكلام ويعيبه، وكان يقال: نعم الرجل فلان إلا أنه يتكلم كلام شهر في يوم.

وعندما يُكثَر عليه بالسؤال يكفّ، ويقول: حسبكم، مَنْ أَكثَرَ أخطأ.

وكان يعيبُ كثرة ذلك وقال: يتكلم كأنه جمل مُغْتَلَم، ويقول هو كذا، هو كذا، يهدر في كل شيء! ترتيب المدارك (١ / ١٤٢، ١٨٠).

\* وقال بعض البلغاء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمّنك سوء المغيبة، ويُلْبِسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤونة الاعتذار. أدب الدين (٤٤٢).

(١) ومن إظهار المعرفة والفضيلة الذي كان السلف الصالح يخافون منه: التحدث بكثرة ما قرأ أو قرئ عليه من الكتب، وكثرة التحدّث عن الرحلات في العلم والدعوة، وكثرة طلابه ومن يحضر عنده، والمؤمن ينبغي له ألا يتكلّم عن نفسه إلا عند الحاجة والضرورة.

\* وكان إمامنا -الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) - يتعجب من بدر المغازلي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٢) ويقول: مَنْ مِثْلِ بَدْرٍ؟ قد ملك لسانه. <sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (١/١٨٩).

\* وقال حمدان بن ذي النون: ما رأْتُ عيني مثل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ فِي ورعه وحفظه لسانه. طبقات الحنابلة (١/٤٠٦).

\* ولم يكن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم. صفة الصفوة ٢/٦٠٥.

\* وقال عطاء بن أبي رباح رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠): إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ فَضُولَ الْكَلَامِ، أَتَنْكُرُونَ أَنْ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ، أَمَا يَسْتَحْيِي أَحَدَكُمْ أَنْ لَوْ نَشَرَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَتَهُ الَّتِي أَمْلَى صَدْرُ نَهَارِهِ، كَانَ أَكْثَرَ مَا فِيهَا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ. الصمت لابن أبي الدنيا (٧٨).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ فَضُولَ الْكَلَامِ، وَكَانُوا يَعْدُونَ فَضُولَ الْكَلَامِ مَا عَدَا كِتَابَ اللَّهِ أَنْ تَقْرَأَهُ، أَوْ تَأْمُرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَنْهَى عَنْ مَنكَرٍ، أَوْ تَنْطِقَ بِحَاجَتِكَ فِي مَعِيشَتِكَ الَّتِي لَا بَدَّ لَكَ مِنْهَا، أَتَنْكُرُونَ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كَرَامًا كَثِيرِينَ ۝﴾ [الأنفطار: ١٠-١١] ﴿إِذْ يَنْفَعُ الْمَتَّقِينَ عَنِ الْإِيمَانِ وَعَنِ الشَّمَالِ فَعِيدٌ ۝﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ۝﴾ [ق: ١٧-١٨] أَمَا يَسْتَحْيِي أَحَدَكُمْ أَنَّهُ لَوْ نُشِرَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَتُهُ الَّتِي أَمْلَى صَدْرَ نَهَارِهِ كَانَ أَكْثَرَ مَا فِيهَا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ!. ابن أبي الدنيا ٧/٧٢.

(١) كثيرا ما يثني الإمام أحمد على طلابه النجباء، وهذا خلق عظيم، فينبغي للشيخ والمعلم أن يحرص عليه.

وانظر إلى تعجب الإمام من حفظ (بدر) للسانه، وهذا يدل على أن ذلك من أصعب الأمور، وحرّي بالعاقل الناصح لنفسه أن يحفظ لسانه، مع أن الإمام كان من أحفظ الناس للسانه.

\* وعن محمد بن إسحاق أنه قال: جاء أعرابي إلى القاسم بن محمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠)، فقال: أنت أعلم أو سالم؟ قال: ذاك منزل سالم، فلم يزد عليها حتى قام الأعرابي.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥١): كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفسه. الحلية ٢/ ١٨٤.

\* وقال بعضهم:

ومما كانت العلماء قالت  
لسان المرء من خدام الفؤاد  
عيون الأخبار ٣/ ١٦٨.

\* وقال مرة رجل: ما أشدَّ البرد اليوم، فالتفت إليه المعافى بن عمران رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٤)، وقال: استدفأت الآن؟ لو سكتَ لكان خيرًا لك.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٤٨): قولٌ مثل هذا جائزٌ، لكنهم كانوا يكرهون فضول الكلام، واختلف العلماء في الكلام المباح، هل يكتبه المَلِكُ، أم لا يكتبان إلا المستحب الذي فيه أجرٌ، والمذموم الذي فيه تبعة؟ والصحيح كتابة الجميع لعموم النص في قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)، ثم ليس إلى الملكين اطلاعٌ على النيات والإخلاص، بل يكتبان النطق، وأما السرائر الباعثة للنطق، فالله يتولأها. تهذيب السير ٢/ ٨٠٠.

\* ولَمَّا عزم علي بن حمّود الحسني على القيام على المستعين طالبًا لدم هشام، أحدث بسبته أشياء لم تكن فيها، فأنكر الناس عليه ذلك، وفزعوا إلى الفقيه أبي محمد ابن عبّود رَحِمَهُ اللهُ، فقالوا له: ترى ما أحدث هذا الرجل؟ فقال لهم: لا عليكم، نحن أدخلناه ونحن أخرجناه، فبَلَّغْه ذلك، فهبط إلى دار الصناعة، ووجّه وراءه ووراء ولده، فلمَّا أحضر بين يديه قال له: أنت القاتل كذا وكذا؟ -والسيوف



مصلحة على رأسه - لا عشت أبدا أنت ولا ولدك، قال الرجل: حسبي الله، عسى يُقدّم ولدي، ليكون في صحيفتي، فتوضّأ وصلّى، فقتل الولد ثم الوالد.<sup>(١)</sup> ترتيب المدارك (٤/ ٤١٥-٤١٦).

\* وقال بعض الحكماء: عقل المرء مخبوء تحت لسانه.

وقال بعض البلغاء: احبس لسانك قبل أن يُطيل حبسك أو يتلف نفسك، فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب، ويسرع إلى الجواب. أدب الدين (٤٤٥).

\* وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بَشَّارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٣) إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْبِرَ عَنْ نَفْسِهِ شَيْئًا قَالَ: أَعْرِفْ رَجُلًا حَالَهُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: أَعْرِفْ رَجُلًا مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَعْتَذِرُ مِنْهَا. طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٩).

\* وَكَانَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٠٢) يَقُولُ: مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ وَلَا فَعَلْتُ فِعْلًا إِلَّا وَأَعَدَدْتُ لَهُ جَوَابًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى. طبقات الشافعية (٢/ ٢٤).

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤):

احفظ لسانك أيها الإنسان	لا يقتلنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه	كانت تهاب لقاءه الشجعان

ديوان الشافعي (١٦٥).

\* وقال الشاعر:

عجبتُ لإزراء العِيِيِّ بنفسه	وصمتُ الذي قد كان للقول أعلما
وفي الصمت ستر للعِيِيِّ <sup>(٢)</sup> وإنما	صحيفةُ لبِّ المرء أن يتكلما

(١) رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وانظر كيف أدت كلمة صدرت منه إلى قتله وقتل ولده، وكان غنيا عنها، فما أخرى المؤمن بأن حفظ لسانه.

(٢) العِيِي: العاجز عن الكلام.

\* وقال آخر:

وَزِنَ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا يُبْدِي عُيُوبَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ

\* وقال آخر:

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصُمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ

أدب الدين (٤٤٧، ٤٤٩).

ب- حفظ اللسان من الغيبة وتبعية الزلات والهفوات والسقطات<sup>(١)</sup>:

\* كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يقول: لا تشغلوا أنفسكم بذكر

الناس؛ فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله فإنه رحمة. ابن أبي الدنيا ١٣٧/٧.

\* ومَرَّ عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) على بغل ميت فقال: لأن يأكل

أحدكم من لحم هذا البغل حتى يمتلئ بطنه خيرٌ له من أن يأكل لحم رجل مسلم.

الزهد لهناد (١١٧٤)، الزهد لوكيع (٤٣٣).

\* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك

فاذكر عيوبك. ابن أبي الدنيا ٣٥٧/٤.

\* وقال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢): ما ذكرت أحدا بسوء بعد أن يقوم

من عندي. ابن أبي الدنيا ١٣٩/٧.

\* وعن خالد الربيعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٣) قال: دخلت المسجد فجلست إلى

قوم فذكروا رجلا فنهيتهم عنه فكفوا، ثم جرى بهم الحديث حتى عادوا في ذكره

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الفوائد (١٥٩): ومن العجيب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز

من أكل الحرام، والظلم، والربا، والزنا، وشرب الخمر، ومن النظر إلى المحرم وغير ذلك،

ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة،

وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم

ترى من رجل تورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الناس الأحياء والأموات،

لا يبالي ما يقول.

فدخلت معهم في شيء من أمره فلما كان من الليل رأيت في المنام كأن شيئاً أسود يشبه الرجل إلا أنه طويل جداً معه طبق خلاف أبيض عليه لحم خنزير، فقال: كل، قلت: أكل لحم خنزير والله لا آكله، فأخذ بقفاي وقال: كل، وانتهرني انتهارةً شديدة، ودسه في فمي، فجعلت ألوكة ولا أسيغه وأفرق<sup>(١)</sup> أن ألقيه، واستيقظت، قال: فمحلوفه لقد مكثت ثلاثين يوماً وثلاثين ليلة ما أكل طعاماً إلا وجدت طعم ذلك اللحم في فمي. ابن أبي الدنيا ١٣٠ / ٧.

\* وقال مولى لعمر بن عتبة بن أبي سفيان: رأي عمرو بن عتبة رَحِمَهُ اللهُ (ت): (٢٥) وأنا مع رجل وهو يقع في آخر فقال لي: ويلك! ولم يقلها لي قبلها ولا بعدها، نَزَّهَ سمعك عن استماع الخنا كما تُنَزَّهَ لسانك عن القول به، فإن المستمع شريك القائل، وإنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو رُدَّتْ كلمة السفية في فيه لسعد بها رادها، كما شقي بها قائلها. ابن أبي الدنيا ١٦٥ / ٧.

\* وعن عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) قال: إذا قلت ما في الرجل وأنت تعلم أنه يكره ذلك فقد اغتبتته، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهتته. ابن أبي الدنيا ٣٧٠ / ٤.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: ما أحسب أحداً تفرَّغَ لعب الناس، إلا من غفلةٍ غفلها عن نفسه. صفة الصفوة ٧٠ / ٣.

\* وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٩): يصوم الرجل عن الحلال الطيب، ويفطر على الحرام الخبيث، لحم أخيه - يعني اغتيا به - تهذيب الحلية ١ / ٤٥٥.

\* وأنشد بعضهم:

لاتلمس من مساوي الناس ما سترُوا      فيكشف الله سترًا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدًا منهم بما فيكما  
الآداب الشرعية ١ / ١٩٥ .

\* وقيل للربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠): ألا تذكر الناس؟ فقال: ما أنا عن نفسي براضي، فأفترغ من ذمها إلى أن أذم الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس، وأمنوه على ذنوبهم. صفة الصفوة ٣ / ٤٠ .

\* وقال مطرف بن الشخير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): «لو كنت راضيًا عن نفسي لقلّيتكم، ولكني لست عنها براضي». (١) الزهد لابن المبارك (٢٨٢).

\* وعن الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧)، قال: سمعت يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٩) يقول: يقال يوم القيامة للعبد: قم إلى فلان فخذ حقه منه، فيقول: يا رب ما أعرف لي عنده من حق، فيقال: بلى إنه ذكرك يوم كذا بكذا، ويوم كذا بكذا.

قال الأوزاعي: أفناصح لنفسه من يُقضى من حسناته غداً، وهو ينظر إلى ذل خاشع، يودّ لو كان بينه وبين أخلائه أمدًا بعيدًا؟ ابن أبي الدنيا ٢ / ٧٧ .

\* وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: كفارة أكلك لحم أخيك: أن تشني عليه، وتدعو له بخير. ابن أبي الدنيا ٤ / ١٨٤ .

\* وسمع علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) رجلاً يغتاب رجلاً فقال: إياك والغيبة، فإنها إدام كلاب الناس. ابن أبي الدنيا ٤ / ٤٢٠ .

\* وسمع قتيبة بن مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) رجلاً يغتاب رجلاً فقال: أما والله لقد تلمظت<sup>(٢)</sup> بمضغة طالما لفظتها الكرام. ابن أبي الدنيا ٤ / ٤٠٢ .

\* وعاب رجلٌ رجلاً عند بعض أهل العلم، فقال له: قد استدلت على كثرة

(١) أي: لست راضيًا عن نفسي فكيف أفترغ لعبيكم ومقت المقصر منكم؟

(٢) اللَّمَظ: هو الأخذ باللسان مما يبقى في الفم والأسنان.

عيوبك بما تكثر من عيوب الناس؛ لأنَّ الطالب للعيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها. المجالسة وجواهر العلم (١١٣).

\* وصدق الشاعر:

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ بظَهَرِ غَيْبٍ      على عَيْبِ الرَّجَالِ ذُووِ الْعُيُوبِ  
الكامل في اللغة / ٦٥١.

\* وقال سفيان بن حسين: ذكرتُ رجلاً بسوءٍ عند إياس بن معاوية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢١)، فنظر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلتُ: لا قال: فالسُّنْدَ والهندَ والترك؟ قلتُ: لا قال: أفسلم منك الرومُ والسُّنْدُ والهندُ والتركُ، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟! قال: فلم أعدُ بعدها. <sup>(١)</sup> البداية والنهاية ١٠ / ٤٦.

\* وقال ميمون بن سياه <sup>(٢)</sup> رَحِمَهُ اللهُ: تذاكروا عندي رجلاً من هؤلاء السلاطين، فوقعوا فيه، ولم أذكر منه خيراً ولا شراً، فانقلبتُ إلى بيتي، فرقدتُ فرأيتُ فيما يرى النائم، كأن بين يدي جيفة زنجيٍّ ميتٍ منتفخٌ منتن، وكأن قائماً على رأسي يقول لي كلُّ، قلتُ: يا عبد الله ولم أكل؟ قال: بما اغتیبَ عندك فلان، قال: قلتُ: ما ذكرتُ منه خيراً ولا شراً. فقال: ولكنك استمعت ورضيت. صفة الصفوة ٣ / ١٦٤.

(١) إذا رأى المسلم أحدَ العلماء أو المصلحين وقع في زلةٍ وهو ممَّن له سابق فضلٌ وخير، فالواجب أن يكفَّ لسانه عن الوقوع في عرضه، مع بيان الخطأ الذي وقع به بأسلوبٍ لطيف. ومن أعظم سمات أهل السنة والجماعة: الأخذ بحسن الظن، وعدمُ تتبع الزلات، والتَّماسُّ الأعداء لمن ظاهره الصلاح، وسرُّ العيوب لا فضحها. ومن سمات المبتدعة وأهل الأهواء: القدح في كلِّ من يُخالفهم، ولو كان مما يسوغُ أو يُعذرُ الاجتهاد فيه، وتتبعُ الزلات والعثرات، والقدح في النيات. وقد أجمع علماء الأمة سلفُها وخلفُها، على أنَّ مَنْ عُرِف عنه الخيرُ والصلاح لا يجوز القدحُ فيه إلا بدليل وبرهانٍ قاطع، فإن ثبت بالدليل خطؤه وزلُّه، في أمر يسوغُ أو يُعذرُ الاجتهاد فيه، فلا يجوز أيضاً سبُّه والطعنُ فيه، بل يجب أن يُردَّ خطؤه ولا يُقدحُ في شخصه.

(٢) البصري أبو بحر، تابعي عابد، ولم أجد تاريخ وفاته.

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده. ابن أبي الدنيا ٣٥٦/٤.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إنك لن تجد حقيقة الإيمان ما كنت تعيب الناس بعيب هو فيك، حتى تبرأ بذلك العيب من نفسك فتصلحه، فلا تُصلح عيباً إلا ترى عيباً آخر، فيكون شغلُك خاصةً نفسك. الزهد للخطيب (٨٢).

\* وكانوا إذا ذكروا عند محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) رجلاً بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم. صفة الصفوة ١٧١/٣.

\* وعن ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ قال: ظُلِّمَ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم، وتكتم خيره.<sup>(١)</sup> صفة الصفوة ١٧٣/٣.

\* وذكر رجلاً فقال: ذاك الأسود، ثم قال: أستغفر الله أخاف أن أكون قد اغتبت. الزهد لهناد (١١٩١)، الزهد لوكيع (٤٣٤).

\* وقال بكر المزني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨): إذا رأيت الرجل موكلاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه، فاعلموا أنه قد مكر به. صفة الصفوة ٢٠١/٣، ابن أبي الدنيا ١٣٩/٧.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): كفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع في الصالحين. صفة الصفوة ٢٠١/٣.

\* وقيل لبعض السلف: إن فلاناً يقع فيك، قال: لأغيظن من أمره، يغفر الله لي وله، قيل له: من أمره؟ قال: الشيطان. الزهد لابن المبارك (٦٢٢)، صفة الصفوة ٤٩/٣.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): ربما قال الرجل: لا إله إلا

(١) صدق رَحِمَهُ اللهُ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، فليس من العدل أن يذكر الإنسان أسوأ ما يعلم عن الجماعة الفلانية، أو الشيخ الفلاني، وهم من المسلمين أهل السنة، ويكتم ما يعلم فيه من الخير، وما أعزّ الإنصاف!

الله؛ أو سبحانه الله فأخشى عليه النار، قيل: وكيف ذاك؟ قال: يُغْتَابُ بين يديه ويُعْجِبُهُ ذلك فيقول: لا إله إلا الله، وليس هذا موضعه، إنما موضعُ هذا أن ينصح له في نفسه ويقول له: اتق الله. <sup>(١)</sup> عيون الأخبار ٤١١ / ٢.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: مِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْتَابُ مُوَافَقَةً لِحُلَسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَشَائِرِهِ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ الْمُغْتَابَ بَرِيءٌ مِمَّا يَقُولُونَ، أَوْ فِيهِ بَعْضُ مَا يَقُولُونَ، لَكِنْ يَرَى أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ قَطَعَ الْمَجْلِسَ وَاسْتَقْفَلَ أَهْلَ الْمَجْلِسِ وَنَفَرُوا عَنْهُ، فَيَرَى مُوَافَقَتَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْمَعَاشِرَةِ وَطِيبِ الْمَصَاحِبَةِ، وَقَدْ يَغْضَبُونَ فَيَغْضَبُ لِعَظِيمِهِمْ فَيُخَوِّضُ مَعَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرِجُ الْغَيْبَةَ فِي قَوَالِبِ شَيْءٍ:

أ- تَارَةً فِي قَالِبِ دِيَانَةٍ وَصَلَاحٍ، فَيَقُولُ: لَيْسَ لِي عَادَةٌ أَنْ أَذْكَرَ أَحَدًا إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا أَحِبُّ الْغَيْبَةَ وَلَا الْكُذِبَ، وَإِنَّمَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحْوَالِهِ، وَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ مَسْكِينٌ، أَوْ رَجُلٌ جَيِّدٌ، وَلَكِنْ فِيهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، وَرُبَّمَا يَقُولُ: دَعُونَا مِنْهُ اللَّهُ يَغْفِرُ لَنَا وَلَهُ، وَإِنَّمَا قَصْدُهُ اسْتِنْقَاصُهُ وَهَضْمًا لِحَاجَتِهِ، وَيُخْرِجُونَ الْغَيْبَةَ فِي قَوَالِبِ صَلَاحٍ وَدِيَانَةٍ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ بِذَلِكَ كَمَا يُخَادِعُونَ مَخْلُوقًا، وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَلْوَانًا كَثِيرَةً مِنْ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ.

ب- وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْفَعُ غَيْرَهُ رِيَاءً فَيَرْفَعُ نَفْسَهُ، فَيَقُولُ: لَوْ دَعَوْتُ الْبَارِحَةَ فِي صَلَاتِي لِفُلَانٍ لِمَا بَلَّغَنِي عَنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ لَيَرْفَعُ نَفْسَهُ وَيَضَعُهُ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُهُ.

أَوْ يَقُولُ: فُلَانٌ بَلِيدُ الذَّهْنِ قَلِيلُ الْفَهْمِ؛ وَقَصْدُهُ مَدْحُ نَفْسِهِ وَإِثْبَاتُ مَعْرِفَتِهِ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ. ج- وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْمِلُهُ الْحَسَدُ عَلَى الْغَيْبَةِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَبِيحَيْنِ: الْغَيْبَةَ وَالْحَسَدَ، وَإِذَا أَتَنَى عَلَى شَخْصٍ أَزَالَ ذَلِكَ عَنْهُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ تَنْقِصِهِ فِي قَالِبِ دِينٍ وَصَلَاحٍ، أَوْ فِي قَالِبِ حَسَدٍ وَفُجُورٍ وَقَدَحٍ؛ لِيُسْقِطَ ذَلِكَ عَنْهُ.

د- وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرِجُ الْغَيْبَةَ فِي قَالِبِ تَمَسُّخٍ وَلَعِبٍ لِيُضْحِكَ غَيْرَهُ بِاسْتِهْزَائِهِ وَمُحَاكَاتِهِ وَاسْتِصْغَارِ الْمُسْتَهْزَأِ بِهِ.

هـ- وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرِجُ الْغَيْبَةَ فِي قَالِبِ التَّعَجُّبِ، فَيَقُولُ: تَعَجَّبْتُ مِنْ فُلَانٍ كَيْفَ لَا يَفْعَلُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، وَمِنْ فُلَانٍ كَيْفَ وَقَعَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، وَكَيْفَ فَعَلَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، فَيُخْرِجُ اسْمَهُ فِي مَعْرُضٍ تَعَجُّبِهِ.

و- وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرِجُ الْإِعْتِمَامَ فَيَقُولُ: مَسْكِينُ فُلَانٍ غَمَنِي مَا جَرَى لَهُ وَمَا تَمَّ لَهُ، فَيُظَنُّ مِنْ يَسْمَعُهُ أَنَّهُ يَغْتَمُّ لَهُ وَيَتَأَسَّفُ وَقَلْبُهُ مُنْطَوٍ عَلَى التَّشْفِي بِهِ، وَلَوْ قَدَرَ لَزَادَ عَلَى مَا بِهِ، وَرُبَّمَا يَذْكُرُهُ عِنْدَ أَعْدَائِهِ لِيَسْتَفْتُوا بِهِ.

وَهَذَا وَغَيْرُهُ مِنْ أَعْظَمِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْمُخَادَعَاتِ لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ.

ي- وَمِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ الْغَيْبَةَ فِي قَالِبِ غَضَبٍ وَإِنْكَارٍ مُنْكَرٍ، فَيُظْهِرُ فِي هَذَا الْبَابِ أَشْيَاءَ مِنْ زَخَافِ الْقَوْلِ وَقَصْدُهُ غَيْرُ مَا أَظْهَرَ. مجموع الفتاوى (٢٣٦/٢٨ - ٢٣٨)

\* وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨): الغيبة أشد من الدين، الدين يُقضى والغيبة لا تقضى. تهذيب الحلية ٢/٤٢٨.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: قوله: السلام عليكم، يقول: أنت مني سالم، وأنا منك سالم، ثم يدعو له ويقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فلا ينبغي لهذين إذ سلم بعضهما على بعض، أن يذكره من خلفه بما لا ينبغي له من غيبة أو غيرها. تهذيب الحلية ٢/٤٣٢.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤):

وَدَيْنُكَ مَوْفُورٌ وَعَرَضُكَ صَيَّنُ	إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى
فَكُلُّكَ سَوَاءٌ وَلِلنَّاسِ أَعْيُنُ	فَلَا يَنْطَقُنْ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوَاءٍ
فَصُنْهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ	وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايَا
وَدَافِعْ وَلَكِنْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ	وَعَاشِرُ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِخٌ مِنْ أَعْتَدَى

ديوان الشافعي (١٦٤).

\* وقيل للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): رجل أجازه إسحاق بن إبراهيم بألف درهم، قال: لا تُسمِّن أحدًا. (١) طبقات الحنابلة (٢/ ٥٧٤).

\* وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: مَا تَكَلَّمَ أَحَدٌ فِي النَّاسِ إِلَّا سَقَطَ وَذَهَبَ حَدِيثُهُ، قَدْ كَانَ بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْأَفْطُسُ كَانَ يَرُوي عَنْ الْأَعْمَشِ وَالنَّاسِ، وَكَانَتْ لَهُ مَجَالِسٌ وَكَانَ صَحِيحَ الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يَسْلَمُ عَلَى لِسَانِهِ أَحَدٌ فَذَهَبَ حَدِيثُهُ وَذِكْرُهُ. الآداب الشرعية ٢/ ١٠٢.

\* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

وَأَكْبَرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بَغِيَّةٍ      وَكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدٌ مِنْ مَا لَهُ جُهْدُ<sup>(٢)</sup>

ديوان المتنبي (٦٥).

(١) إنما نهاه عن التسمية مخافة الغيبة.

(٢) يقول: أرفع نفسي عن مجازاة أحد بغية إذا اغتابني، وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على المواجهة، والعقل يواجه من يسبه ويغتابه باللطف والرفق، ولا يجبن فيغتابه في غييبته.



\* وقال الموفق ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٢٠) عن أحد علماء زمانه ممن ابْتُلِيَ بَتَّبَعِ عيوب الناس - وخاصة أهل العلم والصلاح -: ظننتُ أَنَّهُ يَكُونُ فِي الْفَتَى مُبْرَرًا عَلَى أَبِيهِ وَغَيْرِهِ، إِلَى أَنْ رَأَيْتُ لَهُ فِتَاوَى غَيْرُهُ فِيهَا أَسَدُ جَوَابًا، وَأَكْثَرُ صَوَابًا، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ ابْتُلِيَ بِذَلِكَ لِمَحَبَّتِهِ تَخْطِئَةُ النَّاسِ، وَاتِّبَاعِهِ عِيُوبَهُمْ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُعَاقِبَ اللهُ الْعَبْدَ بِجَنْسِ ذَنْبِهِ، وَقَدْ شَغَلَ كَثِيرًا مِنْ زَمَانِهِ بِالرَّدِّ عَلَى النَّاسِ فِي تَصَانِيفِهِمْ، وَكَشَفَ مَا اسْتَرَّ مِنْ خَطَايَاهُمْ، وَمَحَبَّةِ بَيَانِ سَقَطَاتِهِمْ، وَلَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، أَفْتَرَاهُ يُحِبُّ لِنَفْسِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مَنْ يَنْتَصِبُ لِكَشْفِ سَقَطَاتِهِ، وَعَيْبِ تَصَانِيفِهِ وَإِظْهَارِ أَخْطَائِهِ؟.

وكما لَا يُحِبُّ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، يَنْبَغِي أَنْ لَا يُحِبَّهُ لغيره، سِيَّما لِلْأُمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الْمُبْرَزِينَ، وَقَدْ أَرَانَا اللهُ تَعَالَى آيَةً فِي ذَهَابِهِ عَنِ الصَّوَابِ فِي أَشْيَاءَ تَظْهَرُ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ. ذيل الطبقات (٣/ ٤٣١).

\* وترجم ابن السمعاني الحافظ لأحد العلماء في كتابه، فقال: حافظ ثقة، دِينٌ خَيْرٌ، مُتَّقِنٌ مُتَثَبِتٌ، وَلَهُ حِظٌّ كَامِلٌ مِنَ اللُّغَةِ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَةٌ فِي الْمَتُونِ وَالْأَسَانِيدِ، كَثِيرُ الصَّلَاةِ، دَائِمُ التَّلَاوَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مُوَاضِبٌ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى، غَيْرُ أَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَقَعَ فِي النَّاسِ، وَيَتَكَلَّمُ فِي حَقِّهِمْ.<sup>(١)</sup> ذيل الطبقات (٢/ ٥٦).

\* وقال الشاعر:

وَمَا عَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ      بِمِثْلِ اعْتِقَادِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلٍ  
وَإِنَّ أَحْسَنَ النِّقْصِ أَنْ يَتَّقِيَ الْفَتَى      قَدْ ذَى النِّقْصِ عَنْهُ بِانْتِقَاصِ الْأَفَاضِلِ  
الآداب الشرعية ٧٧ / ٢.

\* وقال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٠): أَرْجُو

(١) وهذه صفة قبيحة، ومثله في هذا الزمان كثير، تجد بعضهم مبرزًا في العلم، ولكنه أشغل نفسه وغيره في الكلام في الناس، والقَدَح والسب واللمز، نعوذ بالله من حالهم وأخلاقهم.

أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحدًا.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٨): صدق رَحِمَهُ اللهُ، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم وَرَعَهُ في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يُضَعِّفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقلَّ أن يقول: فلان كذاب، أو كان يَضَعُ الحديث، حتى إنه قال: إذا قلتُ فلان في حديثه نظر، فهو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبتُ أحدًا، وهذا هو والله غاية الورع. تهذيب السَّير ٣/ ١٠١٥.

\* وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري رَحِمَهُ اللهُ يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حلٍّ يا أبا معشر، فقال: من أي شيء؟ قال: رويت يومًا حديثًا فنظرتُ إليك، وقد أعجبتَ به، وأنت تُحرِّك رأسك ويدك، فتبسَّمتُ من ذلك قال: أنتَ في حلٍّ، رحمك الله يا أبا عبد الله. تهذيب السَّير ٣/ ١٠١٦.

\* وقال حمدون بن أحمد القصار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٧١): لا تُفش على أحدٍ ما تحبُّ أن يكون مستورًا منك. صفة الصفوة ٤/ ٣٦٣.

\* وجاء رجل إلى مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) فقال: يا أبا يحيى ذكر لي أنك ذكرتني بسوء، قال: أنت إذن أكرم علي من نفسي.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٢/ ٤٧.

\* وأغلظ رجل للمهلب بن أبي صفرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٢)، فسكت، ف قيل له: أربا عليك، قال: لم أعرف مساوئه فكرهت أن أهتبه بما ليس فيه. المنتظم ٢٤٣/ ٦.

\* وكتب أشهب بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤) إلى رجل كان يقع فيه: إنه لم يمنعني أن أكتب إليك أن تتزايد مما أنت فيه إلا كراهية أن أعينك على معصية الله،

(١) لأنه إذا اغتابه سيعطيه الحسنات التي جمعها لنفسه، وأتعب زمانه في تحصيلها، فهل يفعل هذا عاقل؟

واعلم أني أرتع في حسناتك كما ترعى الشاة الخضر.<sup>(١)</sup> ترتيب المدارك (١/ ٤٨٢).

\* وقال أبو سنان الأسدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤٤): إذا كان طالبُ العلم قبل أن يتعلَّم مسألةً في الدين يتعلم الواقعة في الناس، متى يُفلح؟.

وكان لا يتكلم أحدٌ في مجلسه بغيبةٍ في أحد، فإذا تكلم بذلك نهاه وأسكته. ترتيب المدارك (٢/ ١٢٣).

\* وكان بين أحد السلف رَحِمَهُ اللَّهُ وبين رجل خصومة، فأسمعه الرجل ما يكرهه، فلقبه رجاء بن حيوة فقال: بلغني أنه كان منه إليك، قال له: لولا أن تكون غيبة مني لأخبرتكَ بالذي قال لي. تاريخ دمشق ٢٦/ ٢١٧.

\* وقال أبو الحسن القاسبي رَحِمَهُ اللَّهُ: لما خرجنا عن أبي إسحاق الجُبَيَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٩٩) هربت من يد صبي دابة كان يمسكها لنا، فقلت: أعطوها لصبي لا يقوم بها فضاغت، فقال لي أبو إسحاق: قد اغتبتة، فقلت له: وصفته بحاله وقلة مقدرته، وفي السنة ما يبيح ذلك، فقال: وأين هو؟ قلت: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لتي شاورته في النكاح: أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، فقال لي: ليس في هذا حجة؛ لأن المستشار مؤتمن، وأيضاً: فإنما مشاورته لتُنكح، فرأيه يُدخلها في النكاح أو يصرفها عنه، وليست مسألتنا كذلك.

ثم قال لي: أرايت هذا الصبي، لو سمعك أليس كانت توجعه نفسه؟ وأيهما كان أحب إليك: تجد ذلك في صحيفتك أو لا تجده؟.

فقلت له: صدقت.<sup>(٢)</sup> ترتيب المدارك (٤/ ٥٤).

\* وكان رجلٌ فيه حِدَّة، وكان له على الشيخ أبي محمد مكيّ بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٣٧) تسلُّط، كان يدنو منه إذا خطب فيغمره ويُخصي عليه سَقَطاته،

(١) يا لها من موعظة بليغة، ورسالة مؤثرة لكل من لوث لسانه بالغيبة وأعراض الناس.

(٢) نبّه الشيخ على غيبة لا يكاد يسلم منها أحد.

وكان الشيخ كثيرا ما يتلعثم ويتوقّف، فجاء ذلك الرجل في بعض الجُمع وجعل يُحدّ النظر إلى الشيخ ويغمزه، فلمّا خرج ونزل معنا في موضعه، قال: أمّنوا على دعائي، ثم رفع يديه وقال: اللهم اكفنيه، اللهم اكفنيه، اللهم اكفنيه، فأمّنّا، قال: فأقعد ذلك الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم.<sup>(١)</sup> [تاريخ الإسلام (٩ / ٥٧٠).

\* وقال الشيخ عبدالله بن أحمد بن مشرّف رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٥٣).

ألا إنّ مَنْ أهدى إليك إساءةً      حقيقٌ بأنّ يُجرى بحسنى ويكرما  
أليس الذي أهدى إليك متاعه      تُجازيه بالإحسان منه وأعظما  
فكيف بمن أعطاك من حسناته      فقد كان أولى بالجزاء وألزما  
علماء نجد (٤ / ٢٧).

ت- حفظ اللسان من النيمة<sup>(٢)</sup>:

\* عن أبي الدرداء، رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: أيما رجل أشاع على رجل كلمة

(١) ما أكثر هذا الصنف من الناس، الذين كانوا وما زالوا من أعظم أسباب تشييط الهمم، وفتور العزائم. وانظر إلى أثر هذا الرجل على الشيخ أبي محمد مكي المقرئ شيخ الأندلس، حيث كان كثيرا ما يتلعثم ويتوقّف بسبب كثرة انتقاده وتثّبع سَقَطاته.

(٢) معنى النيمة: هي نقل الكلام بقصد الإفساد.

وحقيقة النيمة: إفشاء السر، وهتك السر عما يُكره كشفه.

ومن حُمِلَتْ إليك النيمة، فيجب عليه تجاه النمام الناقل للكلام عدّة أمور:

أولاً: ألا يُصدّقه، لأن النمام فاسق، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجْهَلِكُمْ﴾ [الحجرات: ٦].

ثانياً: أن يزجره عن ذلك وينصحه، ويُقَبِّحْ لَهُ فِعْلَهُ وَيُشْنِعْ عَلَيْهِ عَمَلَهُ السّيء.

ثالثاً: أن يُبغضه في الله تعالى إِنْ لَمْ يَنْزَجِرْ.

رابعاً: ألا يظن بأخيه السوء، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ لِنَاسٍ﴾

[الحجرات: ١٢].

خامساً: ألا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام، ولا يحك نميمته فيقول: قد حُكي لي كذا وكذا، فيكون به نماماً ومغتتاباً.

وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا: كان حقا على الله أن يُذيه بها يوم القيامة في النار. ابن أبي الدنيا ٧ / ١٧١ .

\* وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) قال: الناقل الكلمة الزور، والذي يمد بحبلها: في الإثم سواء. ابن أبي الدنيا ٤ / ٣٩٩ .

\* وعن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قال: اتقوا النيمة؛ فإن صاحبها لا يستريح من عذاب القبر. ابن أبي الدنيا ٤ / ٤٠٥ .

\* وعاتب مُصْعَبُ بن الزبير الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) على شيء بلغه عنه، فاعتذر إليه الأحنف من ذلك ودفعه: فقال مُصْعَبُ: أخبرني بذلك الثقة: فقال الأحنف: كلاً أيها الأمير، إن الثقة لا يُبلَّغ. عيون الأخبار ٤١٧ / ٢ .

\* وقيل لعطاء رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٠): الرجل يمر بالقوم فيقذفه بعضهم، أخبره؟ قال: لا، المجالس بالأمانة. الزهد لهناد (١٢٢٢) .

\* وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٩): يفسد المنام في ساعة، ما لا يفسد الساحر في شهر. تهذيب الحلية ٤٥٦ / ١ .

\* وعن عطاء بن السائب قال: قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَقَنِي الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) فقال: يا أبا زيد أطرفنا مما سمعت؟ قلتُ: سمعتُ عبدَ الرحمن بن عبد الله بن سَابِطٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) يقول: لا يسكنُ مَكَّةَ سَافِكٌ دم، ولا أكلُ ربًّا، ولا مَشَاءٌ بنميم، فعجبتُ منه حين عدَل النيمة بسفكِ الدماء وأكلِ الربِّ، فقال الشعبي: وما يُعجبُك من هذا! وهل تُسفكُ الدماء وتُركبُ العظائم إلا بالنيمة! عيون الأخبار ٤١٧ / ٢ .

\* وقال بعضهم:

وَمَنْ يُطِيعِ الْوَاشِينَ لَا يَتْرُكُوا لَهُ صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّبَا

عيون الأخبار ٤١٧ / ٢ .

\* وقال ذو الرياستين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٢): قبولُ السَّعَايَةِ شَرٌّ من السَّعَايَةِ، لأنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ والقَبُولَ إِجَازَةٌ، وليسَ مَنْ دَلَّ على شيءٍ كَمَن قَبَلَ وأَجَازَ، فامْتَقَتِ السَّاعِي عَلَى سِعَايَتِهِ وَإِن كَانَ صَادِقًا لِلْوَمِّهِ فِي هَتَكِ العُورَةِ وإِضَاعَةِ الحَرَمَةِ مُبَارَزَةً لله بقول البهتان والزور، وعاقبُهُ إِن كَانَ كاذبًا لجمعه بين هَتَكِ العُورَةِ وإِضَاعَةِ الحَرَمَةِ. عيون الأخبار ٤٢١ / ٢.

\* وَوَشَى وَاشٍ بِرَجُلٍ عَلَى الإسْكَندَرِ: فقال له: أَتُحِبُّ أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ مَا قُلْتَ فِيهِ عَلَى أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ مَا قَالَ فِيكَ؟ قَالَ: لَا قَالَ: فَكُفَّ عَنِ الشَّرِّ يَكْفُ عَنْكَ الشَّرُّ. عيون الأخبار ٤٢٢ / ٢.

\* وقال بعضهم:

إِذَا الْوَاشِي نَعَى يَوْمًا صَدِيقًا      فَلَا تَدْعُ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَاشِي  
\* وساموم رجل بعد فقال مولاه: إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ النَّمِيمَةِ، قَالَ: نَعَمْ أَنْتَ بَرِيءٌ مِنْهَا، قَالَ: فَاشْتَرَاهُ فَجَعَلَ يَقُولُ لِمَوْلَاهُ: إِنِ امْرَأَتُكَ تَبْغِي وَتَفْعَلُ وَإِنَّمَا تَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَكَ، وَيَقُولُ لِلْمَرْأَةِ: إِنِ زَوْجُكَ يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ عَلَيْكَ وَيَتَسَرَّى عَلَيْكَ، فَإِنِ أَرَدْتَ أَنْ أُعْطِفَهُ عَلَيْكَ فَلَا يَتَزَوَّجُ عَلَيْكَ وَلَا يَتَسَرَّى فَخَذِيَ الْمَوْسَى فَاحْلَقِي الشَّعْرَ مِنْ حَلْقِهِ إِذَا نَامَ، وَقَالَ لِلزَّوْجِ: إِنَّمَا تَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَكَ إِذَا نَمْتَ، قَالَ: فَذَهَبَ فَتَنَاقَشَ لَهَا وَجَاءَتْ بِالْمَوْسَى لِتَحْلِقَ شَعْرَةَ مِنْ حَلْقِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَقَتَلَهَا فَجَاءَ أَهْلُهَا فَاسْتَعَدُّوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ. ابن أبي الدنيا ٤ / ٤٠٣.

\* وقال الشاعر:

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْيَمُ      وَلَيْسَ فِي الْكَذَابِ حِيلَةٌ  
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُولُ      لَفَحِيلَتِي فِيهِ طَوِيلُهُ  
طبقات الشافعيين (١/ ٢١٦).

ث- ذم ذي اللسانين والحذر منه:

\* عن مالك بن أسماء بن خارجة قال: كنت مع أبي أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٢)، إذ جاء رجل إلى أمير من الأمراء، فأثنى عليه وأطراه، ثم جاء إلى أبي أسماء فجلس إليه في جانب الدار، فجرى حديثهما، فما برح حتى وقع فيه، فقال أسماء: سمعت عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢)، يقول: إن ذا اللسانين في الدنيا له يوم القيامة لسانان من نار. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٠٨.

\* وَقَالَ أَنَسُ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا، فَتَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا». صحيح البخاري (٧١٧٨).

ج- حفظ اللسان من الكذب<sup>(١)</sup>:

\* عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) قال: إياكم والكذب؛ فإن الكذب مجانب الإيمان. الزهد لابن المبارك (٦٨٧).

\* وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): أحبكم إلينا ما لم نركم: أحسنكم اسماء، فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا: أحسنكم خلقا، فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا: أصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٨.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا تجد المؤمن كذابا. ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٠٩.

\* وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في خطبته: ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من

(١) قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ اللسان الكذوب بمنزلة العضو الذي قد تعطل نفعه، بل هو شرُّ منه، فشرُّ ما في المرء لسانٌ كذوب؛ ولهذا يجعل الله سبحانه شعار الكاذب عليه يوم القيامة وشعار الكاذب على رسوله سوادٌ وجوههم.

والكذب له تأثيرٌ عظيمٌ في سواد الوجه، ويكسوه بُزْقًا من المقت يراه كلُّ صادق، فسيما الكاذب في وجهه ينادى عليه لمن له عينان، والصادق يرزقه الله مهابة وجلالة، فمن رآه هابه وأحبه، والكاذب يرزقه إهانةً ومقتًا، فمن رآه مقتًا واحتقره. إعلام الموقعين: ١/ ١٢٢.

يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٠٩.

\* وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يَقُولُ: إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلَا هَزْلٌ، وَلَا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيًّا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ. مسند الإمام أحمد (٣٨٩٦)، الأدب المفرد (٣٨٧) وصححه الألباني.

\* وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ الرَّجُلُ لِيَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ وَمَعَهُ دِينُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ وَمَا مَعَهُ مِنْ شَيْءٍ، يَأْتِي الرَّجُلَ لَا يَمْلِكُ لَهُ وَلَا لِنَفْسِهِ ضَرًا وَلَا نَفْعًا وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّكَ لَذِيْتُ وَذِيَّةٍ<sup>(١)</sup>، فَيَرْجِعُ وَقَدْ أَسْخَطَ اللَّهَ عَلَيْهِ. الزهد لابن المبارك (٣٦٦).

\* وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ حَتَّى مَا يَكُونُ لِلْفَجُورِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعُ إِبْرَةٍ يَسْتَقِرُّ فِيهَا، وَإِنْ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى مَا يَكُونُ لِلْبِرِّ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعُ إِبْرَةٍ يَسْتَقِرُّ فِيهَا. الزهد لهناد (١٣٦٦).

\* وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ (ت: ٦٠) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُلُّ الْخِلَالِ يُطْعِمُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنَ إِلَّا الْكَذِبَ وَالْخِيَانَةَ، فَلَا تَجِدُ الْمُؤْمِنَ خَائِنًا وَلَا كَاذِبًا. الزهد لابن المبارك (٧٧٧)، الزهد لهناد (١٣٧٠).

\* وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قَالَتْ: مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ أَشَدَّ عِنْدَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَطْلُعُ عَلَى الرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى الْكَذِبِ، فَمَا يَنْحَلُ مِنْ صَدْرِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ اللَّهُ مِنْهَا تَوْبَةً. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٠٧.

\* وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): مَنْ قَالَ لِابْنِهِ هَاهُ يَرِيهِ أَنَّهُ يَعْطِيهِ شَيْئًا فَلَمْ يَعْطِهِ كَتَبَتْ كَذِبًا. الزهد لابن المبارك (٣٥٩).

\* وَقَالَ سَمُرَةُ بْنُ جَنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٨): لِأَنْ أَقُولَ: لَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ: نَعَمْ، ثُمَّ لَا أَفْعَلُ. ابن أبي الدنيا ٧ / ٢٩٢.

(١) أي: يمدحه بما ليس فيه، أو يبالغ في مدحه فيغتر ويُعجب بنفسه.



\* وكان يقال: إن ربعي بن حراش رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠) لم يكذب كذبا قط، فأقبل ابنه من خراسان قد تأجلاً، فجاء العريف إلى الحجاج فقال: أيها الأمير إن الناس يزعمون أن ربعي بن حراش لم يكذب قط، وقد قدم ابنه من خراسان وهما عاصيان، فقال الحجاج: علي به، فما جاء قال: أيها الشيخ! قال: ما تشاء؟ قال: ما فعل ابنك؟ قال: المستعان الله خلّفتهما في البيت، قال: لا جرم والله لا أسوؤك فيهما، هما لك. ابن أبي الدنيا ٢٠٩/٥.

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: يُعدّ من النفاق: اختلاف والعمل، واختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، وأصل النفاق والذي بني عليه النفاق: الكذب. ابن أبي الدنيا ٢٠٨/٥.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ: الكذب جماع النفاق. الزهد لأحمد: ٤٧١.

\* وقال يونس بن عبيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٩): كل خَلَّةٍ يُرجى تركها يوماً ما إلا صاحب الكذب. ابن أبي الدنيا ٣٠١/٧.

\* وقال حذيفة المرعشي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٧): لأن أدع الله كذبة أحب إلي من أن أحج حجة. تهذيب الحلية ٣/٦٥.

\* وكان سمون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٨) يتكلم في المحبة، ثم سمي نفسه الكذاب لموضع دعواه في قوله:

ليس لي في سواك حظ      فكيف ما شئت فامتحني

فامتحن بحصر البول، فصار يدور في المكاتب، ويقول للصبيان، ادعوا لعكمكم المبتلى بلسانه. المنتظم ١٣/١٢١.

\* وكان يقال: لكل شيء حلية، وحلية المنطق الصدق. المجالسة وجواهر العلم (٢٩٩).

\* وقال بعض البلغاء: الصادق مصان جليل، والكاذب مُهانٌ ذليل.

وقال بعض الأدباء: لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق.

\* وقال بعض الشعراء:

وما شيءٌ إذا فكرت فيه      بأذهب للمروءة والجمال  
من الكذب الذي لا خير فيه      وأبعدَ بالبهاء من الرجال

وقال الشاعر:

إذا عُرِفَ الكذاب بالكذب لم يكذُ      يُصدَّقُ في شيءٍ وإن كان صادقاً  
أدب الدين (٤١٨، ٤٢٤).

\* وقال إياس بن معاوية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢١)، إن الكذب عندي من يكذب فيما لا يضره ولا ينفعه، فأما رجل كذب كذبة يرد عن نفسه بها بليّة، أو يجر إلى نفسه بها معروفًا، فليس عندي بكذاب. ابن أبي الدنيا ٢٠٨/٥.

\* وقال إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦): ما كانوا يرخصون في الكذب في جدٍّ ولا هزل. ابن أبي الدنيا ٣٠٣/٧.

\* وكانت ترمص عينا سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤)، حتى بلغ الرمص خارج عينيه، فيقال له: لو مسحت هذا الرمص؟ فيقول: فأين قلبي للطبيب وهو يقول لي: لا تمس عينك، فأقول لا أفعل!. ابن أبي الدنيا ٢١٢/٥.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يُخرج أحدهما صاحبه. ابن أبي الدنيا ٢١٣/٥.

\* وقال يزيد بن ميسرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠): إن الكذب يسقي باب كل شر، كما يسقي الماء أصول الشجر. ابن أبي الدنيا ٢١٤/٥.

\* وقال ابن السماك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٣): أول عقوبة الكذب من كذبه: أنه يُرد عليه صدقُه. ابن أبي الدنيا ٢٢٠/٥.

\* وقيل لبعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: أَرَأَيْتَ مَنْ يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ هَلْ يَسْمَى فَاسِقًا؟  
قال: نعم. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٢٠.

\* وعن أبي عاصم قال: سألت ابن عون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٠) فقلت: حدثني بهذا الحديث إِنْ خَفَّ عَلَيْكَ.

قال: لَا تَقُلْ إِنْ خَفَّ عَلَيْكَ، فقلت: لِمَ؟ قال: أَكْرَهُ أَنْ أَحْدِثَكَ وَلَا يَخْفَّ عَلَيَّ فَيَكُونُ خِلَافًا لِمَا سَأَلْتَ. تهذيب الحلية ٤٤٤ / ١.

\* وقال ابن الْمُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): رَأْسُ الذُّنُوبِ الْكَذِبُ: هُوَ يُؤَسِّسُهَا، وَهُوَ يَتَفَقَّدُهَا، وَيُثَبِّتُهَا.

وَيَتَلَوَّنُ ثَلَاثَةَ أَلْوَانٍ: بِالْأَمْنِيَّةِ، وَالْجُحُودِ، وَالْجَدَلِ.  
يَبْدُو لِصَاحِبِهِ بِالْأَمْنِيَّةِ الْكَاذِبَةَ فِيمَا يَزِينُ لَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، فَيُشْجِعُهُ عَلَيْهَا بِأَنْ ذَلِكَ سَيَخْفَى.

فَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ قَابِلُهُ بِالْجُحُودِ وَالْمُكَابَرَةِ.  
فَإِنْ أَصْبَحَ ذَلِكَ خَتَمَ بِالْجَدَلِ، فَخَاصِمٌ عَنِ الْبَاطِلِ، وَوَضَعَ لَهُ الْحُجَجَ،  
وَالْتَمَسَ بِهِ الثَّبْتَ، وَكَابَرَ بِهِ الْحَقَّ حَتَّى يَكُونَ مَسَارِعًا لِلضَّلَالَةِ، وَمُكَابِرًا  
بِالْفَوَاحِشِ. الْأَدَبُ الصَّغِيرُ (٣٥).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إِنْ الْكَذَابَ لَا يَكُونُ أَخًا صَادِقًا؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ الَّذِي يَجْرِي  
عَلَى لِسَانِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فُضُولِ كَذِبِ قَلْبِهِ، وَإِنَّمَا سَمِّيَ الصَّدِيقَ مِنَ الصَّدَقِ، وَقَدْ  
يُتِّهِمُ صَدَقَ الْقَلْبَ وَإِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ، فَكَيْفَ إِذَا ظَهَرَ الْكَذِبُ عَلَى اللِّسَانِ؟  
الْأَدَبُ الْكَبِيرُ (١٠٠).

\* وقال بعض حكماء العرب: إِنِّي امْتَحَنْتُ خِصَالِ النَّاسِ فَوَجَدْتُ أَشْرَفَهَا  
صَدَقَ اللِّسَانُ، وَمِنْ عَدَمِ فَضِيلَةِ الصَّدَقِ مِنْ مَنْطِقِهِ فَقَدْ فُجِعَ بِأَكْرَمِ أَخْلَاقِهِ.  
الْمَجَالِسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعِلْمِ (٤٥٦).

\* وسُئِلَ الإمام أَحْمَدُ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٢٤١) عَنِ الرَّجُلِ يُعْرِفُ بِكَذِبَةٍ وَاحِدَةٍ، هَلْ يَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْعَدَالَةِ؟ قَالَ: لَا، الْكَذِبُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: فَإِذَا تَابَ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَطَالَ عَلَيْهِ الْأَمَدُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ قَدْ تَابَ وَظَهَرَتْ مِنْهُ التَّوْبَةُ، وَعُرِفَ مِنْهُ الرَّجُوعُ، الْكَذِبُ شَدِيدٌ. طبقات الحنابلة (١٢٨/٢).

\* وَقَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ: أَكْذَبُ النَّاسِ: السُّؤَالُ وَالْقُصَاصُ. <sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (١٩٣/٢).

#### هـ- حفظ اللسان من المسابة والمشاتمة:

\* لَعَنَ رَجُلٌ شَيْئًا فَخَرَجَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) مِنَ الْبَيْتِ، فَقَالَ: إِذَا لُعِنَ شَيْءٌ دَارَتِ اللَّعْنَةُ، فَإِنْ وَجَدْتَ مَسَاغًا قِيلَ لَهَا: اسْلُكِيهِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَخَفْتُ أَنْ تَرْجِعَ وَأَنَا فِي الْبَيْتِ. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٢٢٨/٧.

\* وَعَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) قَالَ: مَنْ لَعَنَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ لَمْ تَزَلِ اللَّعْنَةُ تَرْدَدُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى تَلْزِمَ تَرْقُوعَ صَاحِبِهَا. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٢٣٠/٧.

\* وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) مُضْطَجِعًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ غَطَى وَجْهَهُ، فَمَرَّ عَلَيْهِ قَيْسٌ سَمِينٌ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ الْعَنَهُ، مَا أَغْلَظَ رَقَبَتَهُ! فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ ذَا الَّذِي لَعَنْتُمْ أَنْفَا؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: لَا تَلْعَنُوا أَحَدًا، فَإِنَّهُ مَا يَنْبَغِي لِلْعَانِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٢٣٠/٧.

\* وَقِيلَ إِنَّ رَجُلًا خَاصِمَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٧٢) قَالَ: لِيُنْ قَلْتَ وَاحِدَةً، لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا، فَقَالَ: لَكِنَّكَ إِنْ قَلْتَ عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً. تهذيب السَّيَرِ ٤٥٢/١.

(١) السُّؤَالُ: الَّذِينَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ الْمَالَ، وَالْقُصَاصُ: الَّذِينَ يَقْصُونَ عَلَى النَّاسِ الْحِكَايَاتِ وَالْأَخْبَارَ.

\* وقال بعضهم:

وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ

\* وقال بعضهم:

وَجَرْحُ اللِّسَانِ كَجَرْحِ الْيَدِ

عيون الأخبار ٢ / ٤٢٠ - ٤٢١.

وقال الآخر:

وَقَدْ يُرْجَى لَجْرَحِ السَّيْفِ بُرٌّ وَلَا يُرْجَى لِمَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقال الآخر:

جِرَاحَاتُ السَّيُوفِ لَهَا التَّامُّ وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

وقال الآخر:

وَجَرْحُ السَّيْفِ يَدْمَى ثُمَّ يَبْرَأُ وَجَرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

\* وقال أبو جعفر محمد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨): سلاح اللثام قبيح

الكلام. صفة الصفوة ٢ / ٤٥٨.

\* وقال عاصم بن أبي النجود: ما سمعتُ أبا وائل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٢) سبَّ

إنساناً قطُّ، ولا بهيمة. تهذيب السَّير ١ / ٤٦٩.

\* وكان رجل عند أبي وائل رَحِمَهُ اللَّهُ فجعل يسبُّ الحجاج ويذكر مساوئه فقال:

لا تسبّه، وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي، فغفر له. الزهد لهناد (٩٣١).

\* وعن ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١) قال: من استخفَّ بالعلماء ذهبَت

آخرته، ومن استخفَّ بالأمرء ذهبَت دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبَت

مُروءته. تهذيب السَّير ٢ / ٧٦٩.

\* وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤): قلَّ ما ذَكَرَ الشَّيْطَانُ قَوْمٌ إِلَّا حَضَرَهُمْ،

فإذا سمع أحدا يلعنه قال: لقد لعنت مُلْعَنًا، ولا شيء أقطع لظهره من: لا إله إلا الله. ابن أبي الدنيا ٧ / ٢٣١.

\* وعن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) قال: كانوا يقولون: إذا قال الرجل للرجل: يا كلب، يا حمار، يا خنزير، قال الله تعالى يوم القيامة: أتراني خلقتك كلبا أو حمارا أو خنزيرا؟ الزهد لهناد (١١٩٦).

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): إذا كنت في جماعة قوم فلا تَعَمَّنْ جيلاً<sup>(١)</sup> من الناس، أو أمة من الأمم بستم ولا ذم؛ فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك ولا تعلم.

ولا تذمَّنْ مع ذلك اسمًا من أسماء الرجال أو النساء، بأن تقول: إن هذا لقيبح من الأسماء، فإنك لا تدري لعل ذلك غير موافق لبعض جلسائك في بعض أسماء الأهلين والحرم، ولا تستصغرن من هذا شيئًا، فكلُّ ذلك يجرح في القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد. الأدب الكبير (١٢٤).

#### ع- حفظ اللسان من السخرية:

\* قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لو سخرتُ من كلبٍ لخشيت أن أُحوَّلَ كلبًا. صفة الصفوة ١ / ١٩١.

\* وقال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦): إني لأرى الشيء مما يُعَاب، ما يمنعني أن أتكلَّم به إلا مخافة أن أُبتلى به. الزهد لوكيع (٣١٣)، الزهد لهناد (١١٩١).

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يقولون: من رمى أخاه بذنوب قد تاب إلى الله جل وعز منه: لم يمت حتى يتبليه الله به. ابن أبي الدنيا ٤ / ٤١٥.

\* ومن الأمثال: البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق. مجمع الأمثال للميداني ١ / ٢٦.

(١) الجيل: الصنف من الناس، وأهل الزمان الواحد.

\* وصدق القائل:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى      إن البلاء موكل بالمنطق  
\* وقال الشاعر:

أعيرني بالنقص والنقص شامل      ومن ذا الذي يُعطى الكمال فيكمل  
وأشهد أني ناقص غير أنني      إذا قيس بي قوم كثير تقللوا  
تفاضل هذا الخلق بالفضل والحجا      ففي أيما هذين أنت مُفضل  
ولو منح الله الكمال ابن آدم      لخلده والله ما شاء يفعل  
أدب الدين (٢١٢).

و- حفظ اللسان من القول على الله بلا علم، والورع في الفتيا والنقل عن النبي ﷺ (١):

\* عن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٣) إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم، فإن لم يجد في الكتاب نظر: هل كانت من النبي ﷺ فيه سنة؟ فإن علمها قضى بها، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين، فقال: أتاني كذا وكذا، فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ فلم أجد في ذلك شيئاً، فهل تعلمون أن نبي الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما قام إليه الرهط فقالوا: نعم، قضى فيه بكذا وكذا، ف يأخذ بقضاء رسول الله ﷺ. وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يفعل ذلك، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فإن وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم، فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم. السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٣٦٧).

(١) قال الحافظ المزي رَحِمَهُ اللهُ: لو سكت من لا يدري لاستراح وأراح، وقل الخطأ وكثر الصواب.  
٥٠ تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤/ ٣٦٢).

\* وعن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ ﴿أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ وَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ».<sup>(١)</sup> صحيح البخاري (٤٥٣٨).

\* وسئل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) عن مسألة فقال: لا علم لي بها، فلما أدبر الرجل قال لنفسه: نِعْمَ ما قال ابن عمر، سُئِلَ عما لا يعلم فقال: لا علم لي به. مسند الدارمي (١٨٥).

\* وعن نافع أن رجلاً سأل عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مسألة فطأطأ رأسه، ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، فقال له: يرحمك الله أما سمعت مسألتني؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا، وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به. صفة الصفوة ١/ ٢٦٨.

\* وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن شيء فقال: لا أدري، ثم قال: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسوراً في جهنم، أن تقولوا: أفتانا بهذا ابن عمر؟. الزهد لابن المبارك (٤٤).  
\* وعن عبيد بن جريح قال: كنت أجلس بمكة إلى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فما يقول فيما يُسأل: «لا علم لي»، أكثر مما يُفتي به. مسند الدارمي (١٥٧).

\* وعن جابر بن زيد أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لقيه في الطواف فقال له: يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة، فلا تُفْتِ إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلك. مسند الدارمي (١٦٦).

(١) وذلك لأنَّ المسؤول عندما يُجيب بلا أعلم، يُجيب بجواب واضح قاطع، وهو دليل على صدقه وتواضعه، وأما الإجابة بـ (الله أعلم) فليست إجابة قاطعة؛ لأنَّ الله يعلم جميع الأشياء، ومن يُجيب بذلك قد يكون لشعوره بالحرَج بأنه لا يعلم، وقد تكون المسألة التي سُئِلَ عنها يسيرة سهلة، فمن التواضع والتجُرُّد أن يُجيب المسلم بـ (لا أعلم) حين لا يعلم.



\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ، مَنْ عِلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فَلْيُكَلِّمْ بِهِمَا يَعْزِمُ، وَمَنْ لَمْ يَعْزِمْ فَلْيُكَلِّمْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ [ص: ٨٦]. صحيح البخاري (٤٧٧٤)، صحيح مسلم (٢٧٩٨).

\* وسئل عن شيء فقال: إني لأكره أن أحل لك شيئاً حرمه الله عليك، أو أحرّم ما أحله الله لك. مسند الدارمي (١٤٨).

\* وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يُسْتَفْتَى لِمَجْنُونٍ. مسند الدارمي (١٧٦).

\* وصح عن ابن مسعود وابن عباس (ت: ٦٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا: مَنْ أَفْتَى النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْأَلُونَهُ عَنْهُ فَهُوَ مُجْنُونٌ. أعلام الموقعين ١/ ٥١٦.

\* وعن عمرو بن ميمون رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كُنْتُ لَا تَفُوتُنِي عَشِيَّةُ خَمِيسٍ إِلَّا وَآتِي فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَشَيْءٍ قَطُّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، حَتَّى كَانَتْ ذَاتُ عَشِيَّةٍ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَاغْرُورِقْتَ عَيْنَاهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُحَلُولَةً أَزْرَارُهُ، وَقَالَ: أَوْ مِثْلَهُ، أَوْ نَحْوَهُ، أَوْ شَبِيهَهُ بِهِ. مسند الدارمي (٢٧٨).

\* وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ ارْتَعَدَ، ثُمَّ قَالَ: نَحْوُ ذَلِكَ. مسند الدارمي (٢٨٩).

\* وَكَانَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قَلِيلَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. مسند الدارمي (٢٨٤).

\* وَسُئِلَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) عَنْ حَدِيثٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ يُرْفَعُ إِلَى النَّبِيِّ

فقال: لا، على من دون النبي ﷺ أحب إلينا، فإن كان فيه زيادة أو نقصان كان على من دون النبي ﷺ. مسند الدارمي (٢٧٨).

\* وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «لا أدري» نِصْفُ الْعِلْمِ. مسند الدارمي (١٨٦).<sup>(١)</sup>.

\* وعن عمر بن أبي زائدة قال: ما رأيت أحدا أكثر أن يقول إذا سئل عن شيء «لا أعلم لي به» من الشعبي رَحْمَةُ اللَّهِ. مسند الدارمي (١٣٤).

\* وقيل للشعبي رَحْمَةُ اللَّهِ: كيف كنتم تصنعون إذا سئلتكم؟ قال: كان إذا سئل الرجل قال لصاحبه: أفْتَهُم، فلا يزال حتى يرجع إلى الأول.<sup>(٢)</sup> مسند الدارمي (١٣٨).

\* وعن ابن أبي لیلی رَحْمَةُ اللَّهِ قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ، فما كان منهم محدث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مُفْتٍ إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا.<sup>(٣)</sup> الزهد لابن المبارك (٥١)، مسند الدارمي (١٣٧).

\* وقال محمد بن عجلان رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٤٨): إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (١٦٦)، وصححه ابن حجر. موافقة الخُبر الخُبر (١ / ٢٣).

\* وقال بعض الحكماء: لا تقل فيما لا تعلم؛ فْتَهُم فيما تعلم. المجالسة وجواهر العلم (٣٠١).

(١) وذكر هذا الأثر ابن عبد البر رَحْمَةُ اللَّهِ ونسبه لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصحّحه. الانتقاء في فضائل الثلاثة (٣٨).

ولم أجده مروياً عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) فأين هذا ممن يُبَادِر إلى الإفتاء، ويجد في نفسه غضاظة إذا استُفْتِيَ غيره وهو حاضر، ويأنف أن يُحيل السائل إلى من هو أعلم منه.

(٣) قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى. أعلام الموقعين ١ / ٣٨.

\* وكان ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) إِذَا سُئِلَ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ حَتَّى يَقُولَ: كَأَنَّهُ لَيْسَ بِالَّذِي كَانَ. تهذيب السَّيَر ٥٦٩/٢.

\* وكان رَحِمَهُ اللهُ لَا يَفْتِي فِي الْفَرْجِ بِشَيْءٍ فِيهِ اخْتِلَافٌ. مسند الدارمي (١٥٤).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: لِأَن يَمُوتَ الرَّجُلُ جَاهِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ. أعلام الموقعين ٥١٦/١.

\* وقال القاسم بن محمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): لِأَن يَعِيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ.

إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ كُلَّ مَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ، وَلَوْ عَلِمْنَا مَا كُتِمْنَاكُمْ، وَلَا حِلَّ لَنَا أَنْ نَكْتُمَكُمْ. مسند الدارمي (١١٢-١١٣).

\* وقيل للقاسم بن عبيد الله رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّهُ قَبِيحٌ عَلَى مِثْلِكَ عَظِيمٌ أَنْ تُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ هَذَا الدِّينِ، فَلَا يَوْجَدُ عِنْدَكَ مِنْهُ عِلْمٌ وَلَا مَخْرَجٌ.

فَقَالَ: أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ - وَاللَّهِ - عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ: أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ أَخْبِرَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ. مقدمة صحيح مسلم.

\* وعن ابن المنكدر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠) قَالَ: إِنْ الْعَالَمُ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَلْيَطْلُبْ لِنَفْسِهِ الْمَخْرَجَ. مسند الدارمي (١٣٩).

\* وقال بعضهم:

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا

عيون الأخبار ١/٣٨٠.

\* وقال عبد الله بن يزيد بن هُرْمُز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٨): يَنْبَغِي لِلْعَالَمِ أَنْ يَوْرَثَ جُلَسَاءَهُ قَوْلَ: «لَا أَدْرِي»، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ أَصْلًا يَفْرَعُونَ إِلَيْهِ. تهذيب السَّيَر ٧٢٩/٢.

\* وعن مروان بن محمد قال: سَمِعْتُ سَفِيَانَ بْنَ عَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٩٨)،

وسأله رجل عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال له: يا أبا محمد إنها قد كانت، فقال له سفيان، فإذا قد كان: قد كانت، وأنا لا أدري فايش يعمل. تهذيب الحلية ٤٤٠ / ٢.

\* وقال الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٠): لیتق أحدکم أن يقول أحلّ الله کذا وحرّم کذا، فيقول الله: کذبت لم أحل کذا ولم أحرّم کذا. جامع العلوم والحکم / ٣٧٥.

\* وسئل سُحنون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤٠): أيسعُ العالم أن يقول: لا أدري فيما يدري؟ قال: أمّا ما فيه کتابٌ أو سنةٌ ثابتة فلا، وأمّا ما كان من هذا الرأي، فإنّه يسعُه ذلك، لأنّه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ. تهذيب السّير ٩٨٢ / ٢.

\* وقال مسروق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٣): لأن أفتي يوماً بعدلٍ وحقٍّ، أحبُّ إليّ من أن أغزو سنة. تهذيب السّير ٤٤٥ / ١.

\* وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: ما رأيتُ عالماً قطُّ يقول: لا أدري أكثر من طاووس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٦). تهذيب السّير ٥٧٨ / ٢.

\* وقال الأشعث: كان محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) إذا سئل عن شيءٍ من الفقه، الحلال والحرام، تغيّر لونه، وتبدّل حتى كأنه ليس بالذي كان. (١) صفة

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: يَنْبَغِي لِلْمُفْتِي الْمَوْفَّقِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ الْمَسْأَلَةُ أَنْ يَنْبَغِتَ مِنْ قَلْبِهِ الْإِفْقَارُ الْحَقِيقِيُّ الْحَالِي لَا الْعِلْمِيُّ الْمَجْرَدُ إِلَى مُلْهِمِ الصَّوَابِ، وَمُعَلِّمِ الْخَيْرِ، وَهَادِي الْقُلُوبِ، أَنْ يُلْهِمَهُ الصَّوَابَ، وَيَفْتَحَ لَهُ طَرِيقَ السَّدَادِ، وَيَدُلَّهُ عَلَى حُكْمِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَمَتَى قَرَعَ هَذَا الْبَابَ فَقَدْ قَرَعَ بَابَ التَّوْفِيقِ، وَمَا أَجْدَرَ مَنْ أَمَلَ فَضْلَ رَبِّهِ أَنْ لَا يَحْرِمَهُ إِيَّاهُ، فَإِذَا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ هَذِهِ الْهِمَّةَ فِيهِ طَلَانِعُ بُشْرَى التَّوْفِيقِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُوجِّهَ وَجْهَهُ وَيَحْدَقَ نَظْرَهُ إِلَى مَبْنَعِ الْهُدَى وَمَعْدِنِ الصَّوَابِ وَمَطْلَعِ الرُّشْدِ، وَهُوَ التَّصَوُّصُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ الصَّحَابَةِ، فَيَسْتَفْرِغُ وَسْعَهُ فِي تَعَرُّفِ حُكْمِ تِلْكَ النَّازِلَةِ مِنْهَا، فَإِنْ ظَفَرَ بِذَلِكَ أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ بَادَرَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْإِكْتِسَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورُ اللَّهِ يَقْدِفُهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، وَالْهَوَى وَالْمَعْصِيَةُ رِيَاخٌ عَاصِفَةٌ تَطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ أَوْ تَكَادُ، وَلَا بُدَّ أَنْ تُضَعِفَهُ.

وَشَهِدْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ إِذَا أَعْيَنَتُهُ الْمَسَائِلُ وَاسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ فَرَّ مِنْهَا إِلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِاللَّهِ وَاللَّجَأِ إِلَيْهِ، وَاسْتِنْزَالِ الصَّوَابِ مِنْ عِنْدِهِ، وَالِاسْتِفْتَاخِ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ، فَقَلَمًا يَلْبَثُ الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ أَنْ يَتَّبَعَ عَلَيْهِ مَدًّا، وَتَرَدَّدَلُ الْفُتُوحَاتُ الْإِلَهِيَّةُ إِلَيْهِ بِأَيْتِهِنَّ =

الصفوة ٣ / ١٧٢ .

\* وعن زبيد الياحي قال: ما سألت إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦) عن شيء إلا عرفت الكراهية في وجهه، يقول: أرجو أن تكون وعسى. مسند الدارمي (١٣٣).

\* وقال الأعمش رَحِمَهُ اللهُ: ما سمعت إبراهيم النخعي يقول قطّ: حلال ولا حرام، إنما كان يقول: كانوا يتكروهون، وكانوا يستحبون. مسند الدارمي (١٩٠).

\* وقال بعضهم:

إِذَا مَا عَلِمْتَ الشَّيْءَ جَزْمًا فَقُلْ بِهِ      وَلَا تَقُلِ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ  
فَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَصَدِّرًا      وَيَكْرَهُ (لَا أَذْرِي) أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ

\* وعن ابن مهدي قال: سأل رجل مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩) عن مسألة، فقال: لا أحسنها، فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أي قلت لك: لا أحسنها. صفة الصفوة ٢ / ٥٠٤ .

\* وعن ابن وهب قال: لو شئت أن أملأ ألواح من قول مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ: لا أدري، فعلت. تهذيب الحلية ٣٥٦ / ٢ .

\* وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت رجلاً جاء إلى مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ يسأله عن شيء أياماً ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج قال: فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله يا هذا! إني إنما أتكلم فيما أحسب فيه الخير، وليس أحسن مسألتك هذه. تهذيب الحلية ٣٥٦ / ٢ .

= يَبْدَأُ، وَلَا رَبِّبَ أَنْ مَنْ وَفَّقَ هَذَا الْإِفْتِقَارَ عِلْمًا وَحَالًا، وَسَارَ قَلْبُهُ فِي مَيَادِينِهِ بِحَقِيقَةٍ وَقَصْدٍ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظُّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ، وَمَنْ حُرِمَهُ فَقَدْ مُنِعَ الطَّرِيقَ وَالرَّفِيقَ، فَمَتَى أَعِينَ مَعَ هَذَا الْإِفْتِقَارِ يَبْدُلِ الْجَهْدِ فِي دَرْكِ الْحَقِّ فَقَدْ سَلَكَ بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. أعلام الموقعين ٢ / ٤٩٧ .

\* وقال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ يَقُول: أدركت علماءنا يقول أحدهم إذا سئل: أكره هذا، ولا أحبه، ولا يقول حلال ولا حرام. جامع العلوم والحكم / ٣٧٥.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحدا أقتدي به يقول في شيء: هذا حلال وهذا حرام، وما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون نكره كذا، ونرى هذا حسنا، فينبغي هذا، ولا نرى هذا، ولا يقولون حلال ولا حرام، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩] الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله. أعلام الموقعين ٤٣/١.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرق قال: وكان يقال: «التأني من الله والعجلة من الشيطان. أعلام الموقعين ١/ ٥١٦.

\* وَقَالَ أَبُو مُضْعَبٍ: «قَالَ لَنَا الْمُغِيرَةُ: تَعَالَوْا نَجْتَمِعُ وَنَسْتَذْكُرُ كُلَّ مَا بَقِيَ عَلَيْنَا مَا نُرِيدُ أَنْ نَسْأَلَ عَنْهُ مَالِكًا.

فَمَكَّنَّا نَجْمَعُ ذَلِكَ، وَكَتَبْنَاهُ فِي قُنْدَاقٍ<sup>(١)</sup> وَوَجَّهَ بِهِ الْمُغِيرَةُ إِلَيْهِ، وَسَأَلَهُ الْجَوَابَ، فَأَجَابَهُ فِي بَعْضِهِ وَكَتَبَ فِي الْكَثِيرِ مِنْهُ: لَا أَدْرِي.

فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: يَا قَوْمُ! لَا وَاللَّهِ مَا رَفَعَ اللَّهُ هَذَا الرَّجُلَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُسْأَلُ عَنْ هَذَا فَيَرْضَى أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي؟ «.

وَالرَّوَايَاتُ عَنْهُ فِي لَا أَدْرِي وَ«لَا أَحْسِنُ»: كَثِيرَةٌ؛ حَتَّى قِيلَ: لَوْ شَاءَ رَجُلٌ أَنْ يَمْلَأَ صَحِيفَتَهُ مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ «لَا أَدْرِي» لَفَعَلَ قَبْلَ أَنْ يُجِيبَ فِي مَسْأَلَةٍ.

(١) بضم القاف: صحيفة الحساب.

\* وسئل رَحِمَهُ اللهُ مرةً عن نَيْفٍ وعشرين مسألةً فما أجابَ منها إلا في واحدة!.

\* وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ قَالَ لِلسَّائِلِ: «انصَرِفْ حَتَّى أَنْظُرَ فِيهَا»، فَيَنْصَرِفُ وَيَرُدُّ فِيهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَبَكَى وَقَالَ: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ لِي مِنَ الْمَسَائِلِ يَوْمٌ، وَأَيُّ يَوْمٍ؟».

\* وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «مَا شَيْءٌ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْقَطْعُ فِي حُكْمِ اللهِ، وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ بِبَلَدِنَا وَإِنْ أَحَدَهُمْ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَأَنَّ الْمَوْتَ أَشْرَفَ عَلَيْهِ».

وَرَأَيْتُ أَهْلَ زَمَانِنَا هَذَا يَشْتَهُونَ الْكَلَامَ فِيهِ وَالْفُتْيَا، وَلَوْ وَقَفُوا عَلَى مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ غَدًا لَقَلَّلُوا مِنْ هَذَا، وَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَعَلِيًّا وَعَامَّةَ خِيَارِ الصَّحَابَةِ كَانَتْ تَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْمَسَائِلُ وَهُمْ خَيْرُ الْقَرْنِ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانُوا يَجْمَعُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَسْأَلُونَ، ثُمَّ حِينَئِذٍ يُقْتَوْنَ فِيهَا، وَأَهْلُ زَمَانِنَا هَذَا قَدْ صَارَ فَخْرُهُمُ الْفُتْيَا؛ فَبَقَدْرِ ذَلِكَ يُفْتَحُ لَهُمُ مِنَ الْعِلْمِ. الموافقات للشاطبي ٥ / ٣٢٨، ترتيب المدارك للقاضي عياض ١ / ١٨٣.

\* وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤) في إحدى المسائل الفقهية: «هَذَا مِمَّا أَسْتَخِيرُ اللهَ عَزَّجَلَّ فِيهِ»!

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللهُ رَاوِي كِتَابِ الْأُمِّ عَنْ الشَّافِعِيِّ: وَقَدْ اسْتَخَارَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ. (١) الْأُمُّ لِلشَّافِعِيِّ: ٥ / ٢٤١.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حلَّ ولا حُرْمَ إلا من جهة العلم. وجهة العلم الخبر: في الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس. (٢) ١. هـ

(١) وقد توقف رَحِمَهُ اللهُ في كتابه الأم في إحدى عشرة مسألة ويقول فيها: أَسْتَخِيرُ اللهَ عَزَّجَلَّ فِيهَا!

(٢) تأمل كيف يتورّع هؤلاء الأئمة عن القول على الله بلا علم، وعن تحريم ما ليس فيه نصٌّ صريح. وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا﴾

الرسالة للشافعي: ٧٦.

\* وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): أما الحديث فقد استرحنا منه، وأما المسائل فقد عزمْتُ إن سألني أحد عَنْ شَيْءٍ أَنْ لَا أَجِيبَهُ. طبقات الحنابلة (١) / (١٣٩).

\* وقال أبو طالب رَحِمَهُ اللهُ: سألتُ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الْخُفَّاشِ يَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ يَبُولُ فَيَصِيبُ الرَّجُلَ، فقال: أَرْجُو أَنْ لَا يَضُرَّهُ.  
قلت: إِنْ كَانَ كَثِيرًا نَجَسٌ؟  
قَالَ: مَا أَدْرِي.

قلت: أليس البول قليله وكثيره يُغسل؟ قَالَ: ذَاكَ بَوْلُ الْإِنْسَانِ.  
قلت: هَذَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ يُغسل؟

= حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النحل: ١١٦]: فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ بِالْوَعْدِ عَلَى الْكَذِبِ عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ، وَقَوْلِهِمْ لِمَا لَمْ يُحَرِّمَهُ: هَذَا حَرَامٌ، وَلِمَا لَمْ يَحِلَّهُ: هَذَا حَلَالٌ، وَهَذَا بَيِّنٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَقُولَ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ إِلَّا بِمَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَحَلَّهُ وَحَرَّمَهُ. ١. هـ أعلام الموقعين: ١/ ٤٢-٤٣.

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ السَّلَفِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهِمْ فِيمَا لَا نَصَ فِيهِ صَرِيحًا، أَنْ يَقُولُوا هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ، وَيَتَحَامُونَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ، خَوْفًا مِمَّا فِي الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾. ١. هـ الاعتصام: ٣٣٣.

وتأمل كيف يتورع سلفنا الصالح عن الجزم بصواب آرائهم واجتهاداتهم المبنية على الظن. والشافعي رَحِمَهُ اللهُ كرر في كتابه الرسالة قول: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، «وَاللَّهُ أَعْلَمُ»: سِتًّا وَثَمَانِينَ مَرَّةً فِي الْمَسَائِلِ وَالْأَرْاءِ الَّتِي يَرْجِعُ فِيهَا.

وشيوخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَالْفَتَاوَى تَوَقَّفَ فِي سِتِّ عَشْرَةِ مَسْأَلَةٍ.  
والعلامة محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي الشَّرْحِ الْمَمْتَعِ تَوَقَّفَ فِي: أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ عَشْرَةِ مَسْأَلَةٍ.  
ثم تجد بعض طلاب العلم وغيرهم من المتجربين فِي الْفَتَوَى: لَا يَتَرَدَّدُ فِي أَيِّ مَسْأَلَةٍ!  
وربما جاء بالأغاليط والأقوال الغريبة والشاذة!



قَالَ: إِنْ كَانَ كَثِيرًا يُغْسَلُ. <sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (١ / ٨٣).

\* وسأله رجل فقال له: سَلْ مَنْ يَعْلَم، سَلْ مَنْ يَعْلَم. طبقات الحنابلة (١ / ٤٢٤).

\* وقال الشيخ عطية سالم عن شيخه العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣) رَحِمَهُمُ اللَّهُ: ومما لُوْحِظَ عليه في سنواته الأخيرة تباعده عن الفتيا، وإذا اضطر يقول: لا أتحمل في ذمتي شيئاً، العلماء يقولون: كذا وكذا. وسألته مرة عن ذلك، فقال: إِنْ الْإِنْسَانُ فِي عَافِيَةٍ مَا لَمْ يَبْتَغِ السُّؤَالَ ابْتِلَاءً؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ عَنْ اللَّهِ وَلَا تَدْرِي أَتَصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لَا، فَمَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ نَصٌّ قَاطِعٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجِبَ التحفظ فيه. ويتمثل بقول الشاعر:

إذا ما قتلت الشيء علما فقل به      ولا تقل الشيء الذي أنت جاهله  
فمن كان يهوى أن يرى متصدرا      ويكره لا أدري أصيبت مقاتله  
أ.هـ

أضواء البيان (٩ / ٥٠٤).

ي- حفظ اللسان من التكلم فيما لا يعني:

\* دُخِلَ عَلَى أَبِي دِجَانَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١) وهو مريض، ووجهه يتهلل، فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنين: لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً. ابن أبي الدنيا ٨٧ / ٧.

\* وقال رجل للأحنف رَحِمَهُمُ اللَّهُ (ت: ٧٢) وأراد عيبه: بِمَ سَدَّتْ قَوْمُكَ؟ قال: بتركِي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعينك. عيون الأخبار ٢٥٨ / ١.

(١) تورّع الإمام أحمد رَحِمَهُمُ اللَّهُ عن الجزم بأن بول ما لا يؤكل لحمه نجس، بل اكتفى بالأمر بغسله، وكان رَحِمَهُمُ اللَّهُ لا يكاد يقول عن شيء بأنه حرام أو واجب أو نجس ونحو ذلك إلا إذا ورد به النص.

\* وقال عبد الله بن أبي زكريا رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧): عالجت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة قبل أن أقدر منه على ما أريد.

وكان لا يدع أحدًا يغتاب في مجلسه أحدًا، يقول: إن ذكرتُم الله أعناكم، وإن ذكرتُم الناس تركناكم. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٢٠، المنتظم ٧ / ١٨١.

\* وروي أن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال لرجل: ما بقي من حلمك؟ قال: لا يعنيني ما لا يعنيني. ابن أبي الدنيا ٧ / ٨٩.

\* وقال بعض الحكماء: بترك ما لا يعينك تدرك ما يعينك. أدب الدين (٩٤).  
\* وقال بعض السلف: من تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه.<sup>(١)</sup> الزهد للبيهقي (٢٨٦).

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): تكلمت فيما لا يعينك فشغلك عما يعينك، ولو شغلك ما يعينك تركت ما لا يعينك. تهذيب الحلية ٣ / ٢٧.  
\* وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩): لا يصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه، فإذا كان كذلك أوشك أن يفتح الله في قلبه. ترتيب المدارك (١ / ١٨٠).  
\* وقال معروف الكرخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): كلام العبد فيما لا يعنيه، خذلان من الله تعالى. تهذيب الحلية ٣ / ١٠٢.

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٩٧): كنا نسأل محمد بن عبد الباقي عن مولده، فقال: أقبلوا على شأنكم، فإني سألت القاضي أبا المظفر هناد بن إبراهيم النسفي عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا الفضل محمد بن أحمد الجارودي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا بكر محمد بن علي بن زحر المنقري عن سنه فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا أيوب

(١) صدق رَحِمَهُ اللهُ، فمن تكلف ما لا يعنيه من الحديث في الناس والقدح في الآخرين - لاسيما أهل الخير والعلم - ضيع ما يعنيه من صلاح نفسه ومعرفة عيوبها.

الهاشمي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت أبا إسماعيل الترمذي عن سنه، فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت البويطي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه فقال لي: أقبل على شأنك، ثم قال لي: ليس من المروءة أن يخبر الرجل عن سنه. المنتظم ١٨/١٣.

\* وقال بعض السلف: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه. تهذيب الحلية ٤٥٣/٣.

ل- كلام السلف في تفضيل السكوت على الكلام أحياناً، والعكس:

\* وعن عبيد الله بن أبي جعفر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٦) قال: إذا كان المرء يحدث في مجلس فأعجبه الحديث، فليمسك، وإذا كان ساكناً، فأعجبه السكوت فليتحدث. (١) تهذيب السير ٢/٦٢٥، ابن أبي الدنيا ٧/٨٠.

\* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧): إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم. تهذيب السير ٢/٨٨٦.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): الصبر هو الصمت، والصمت من الصبر، ولا يكون المتكلم أروع من الصامت، إلا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه. تهذيب الحلية ٩٢/٣.

\* وسأل ابن دقيق العيد الشافعي (ت: ٧٠٢) ابن المنير المالكي (ت: ٦٨٣) رَحِمَهُمَا اللهُ يوماً عن الحجّة في كون عمل أهل المدينة حجة؟ فقال: وهل يتّجه غير

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وهذا حسن، فإن من كان كذلك كان سكوته وحديثه لمخالفة هواه وإعجابه بنفسه، ومن كان كذلك كان جديراً بتوفيق الله إياه وتسديده في نطقه وسكوته، لأن كلامه وسكوته يكون لله عَزَّوَجَلَّ.

وبكلّ حال فالتزام الصمت مطلقاً واعتقاده قرينة إما مطلقاً أو في بعض العبادات، كالحج والاعتكاف والصيام منهياً عنه. جامع العلوم والحكم ١٧٨ /

هذا! وذكر كلاما طويلا، فلم يتكلم ابنٌ دقيق العيد معه، فلمَّا خرج سُئل عن ترك الكلام معه، فقال: رأيت رجلاً لا يُتَّصَفُ منه<sup>(١)</sup> إلا بالإساءة إليه.<sup>(٢)</sup> طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٩١).

### م - حفظ اللسان من التقعر بالكلام<sup>(٣)</sup>:

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إن شقاشق الكلام من شقاشق

(١) يُقال: انتصف منه: إذا استوفى حقه منه كاملاً، حتى صار كلُّ على التَّصف سواء. تاج العروس (٢٤ / ٤١٤)

(٢) يا لها من حكمة تزن جبال الذهب، فمن الحِكمة إذا جرى جدال بينك وبين أحد فيه حدة وانتصار لقوله، وتهجَّم عليك تصريحاً أو تلميحاً؛ ألا تتماذى في الجِدال؛ لأنك لن تغلب عليه إلا بالإساءة، بزجره على حدته، أو على تسفيهه لك أو لحججك، أو على بذائه وسوء خلقه في جداله.

(٣) قال الجاحظ: كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً، ولا ساقطاً سوقياً؛ فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشياً، إلا أن يكون المتكلم به بدوياً أعرابياً؛ فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي.

وقال أيضاً: أفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه ظاهرًا في لفظه، وكان الله قد ألبسه من ثياب الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظ بليغاً، صحيح الطبع، بعيداً من الاستكراه، منزهاً عن الاختلال، مصوناً عن التكلف: صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة: كساها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة. البيان والتبيين: ١/ ٥٩، ٦١ دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى.

وقال ابن رشيق: الوحشي من الكلام: ما نفر عنه السمع، والمتكلف: ما بعد عن الطبع، والركيك: ما ضعفت بنيته، وقلت فائدته، واشتقاقه من الركة، وهي المطر الضعيف، وقيل: من الرك، وهو الماء القليل على وجه الأرض.

وإذا كانت اللفظة خشنة مستغربة: لا يعلمها إلا العالم المبرز، والأعرابي القح؛ فتلك وحشية، وكذلك إن وقعت غير موقعها، وأتى بها مع ما ينافرها، ولا يلائم شكلها. (العمدة) مكتبة الناشر بالقاهرة، الطبعة الأولى ١/ ٤٢).

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: البلاغة ليست على معاني مفردة، ولا ألفاظاً عارية، وإنما البلاغة أن تكون المعاني الصحيحة مستودعة في ألفاظ فصيحة.

فتكون فصاحة الألفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة. أدب الدين والدنيا (٤٥١).

الشیطان. ابن أبي الدنيا ٣١٣/٤.

\* وقال الأصمعي: كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٤) يتكلم، ظننته لا يعرف شيئاً، كان يتكلم كلاماً سهلاً. السَّير ٤٩٧/١١.

\* وقال إبراهيم بن المهدي (ت: ٢٢٤) لعبد الله بن صاعد كاتبه رَحِمَهُ اللهُ: إياك وتبع الوحشي من الكلام طمعاً في نيل البلاغة؛ فإن ذلك هو العي الأكبر، عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السُّفَل. العمدة لابن رُشيق ٢٠٢/١.

ز- مَنْ تجوز غيبته<sup>(١)</sup>:

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): ليس لفاجر حرمة. ابن أبي الدنيا ٣٨٠/٤.

\* وكان رجل قد خرج مع يزيد بن المهلب فكان الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) إذا ذكره هَرَّتْه.<sup>(٢)</sup> ابن أبي الدنيا ٣٨٠/٤.

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ قال: ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الخائن، وصاحب الهوى الذي يدعو إلى هواه، والفاسق المعلن فسقه. الزهد لأحمد: ٤٨٦.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: ليس بينك وبين الفاسق حرمة. ابن أبي الدنيا ٣٧٦/٤.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: ليس لمبتدع غيبة. ابن أبي الدنيا ٣٧٦/٤.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ إذا ظهر فجوره فلا غيبة له، نحو المخنث، ونحو

الحرورية. ابن أبي الدنيا ١٥٤/٧.

(١) وقد جمع محمد بن عوجان المواضع التي تباح فيها الغيبة ببيتين، فقال:  
القدح ليس بغيبة في ستة      متظلم ومعرف ومحذر  
ولمظهر فسقاً ومستفت ومن      طلب الإعانة في إزالة منكر

انظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ١/١

(٢) أي: طعن فيه.

\* وعن إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ قال (ت: ١٠٠): ثلاثة ليس لهم غيبة: الظالم، والفاسق، وصاحب البدعة. ابن أبي الدنيا ٣٧٧ / ٤.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: كانوا لا يرونها غيبة ما لم يُسمَّ صاحبها. ابن أبي الدنيا ٣٧٧ / ٤.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: ثلاث كانوا لا يُعدونَهُنَّ من الغيبة: الإمام الجائر، والمبتدع، والفاسق المجاهر بفسقه. ابن أبي الدنيا ١٥١ / ٧.

\* وكان إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) لا يرى غيبةً للمبتدع. مسند الدارمي (٤٠٨).

#### ط- حفظ اللسان من إخلاف الوعد:

\* لما حضرت عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) الوفاة قال: إنه كان خطب إلي ابنتي رجلٌ من قريش، وقد كان مني إليه شبيهٌ بالوعد، فو الله لا ألقى الله بثلاث النفاق، اشهدوا أني قد زوجتها إياه. ابن أبي الدنيا ٢٦٩ / ٧.

\* وكان أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولون: إذا وعد ابن مسعود (ت: ٣٢) فقال: إن شاء الله: لم يخلف. ابن أبي الدنيا ٢٧٢ / ٧.

\* وعن عبد ربه القصاب قال: واعدت محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) أن أشتري له أضحى فنسيت وعده بشغلٍ، ثم ذكرت بعدُ فأتيته قريبا من نصف النهار، وإذا محمد ينتظرني، فسلمت عليه، فرفع رأسه، فقلت: شُغِلْتُ! - وكان قد عنفني أصحابي في المجيء إليك وقالوا: قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة - فقال: لو لم تجيء حتى تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو حاجة لا بد منها. ابن أبي الدنيا ٢٧٠ / ٧.

\* وكان يقال: إذا سُئِلت فلا تَعِدْ، وقل: أسمع ما تقول، فإن يُقَدَّر شيءٌ يكن.

ابن أبي الدنيا ٢٧١ / ٧.

\* وعن شعبة رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: ما واعدت أيوب السخثاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) موعداً قط إلا قال لي حين يريد أن يفارقني: ليس بيني وبينك موعد، فإذا جئتُ وجدته قد سبقني. ابن أبي الدنيا ٧ / ٢٧٢.

\* وَقَالَ النّازم:

مَنْ قَالَ لَا فِي حَاجَةٍ      مَطْلُوبَةٍ فَمَا ظَلَمَ  
وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ      قَالَ لَا بَعْدَ نَعَمَ  
الآداب الشرعية ٢ / ١٢٤.

ن- حفظ اللسان من الفضاظة والحدّة:

\* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من لانت كلمته وجبت محبته. الكامل في اللغة / ٩٧.

\* وقال بعض السلف: ما تكلم الناس بكلمة شديدة إلا وإلى جنبها كلمة هي ألين منها تجزئ مجزأتها. مكارم الأخلاق للخرائطي (١٤٩).

\* وقال أبو العَالِيَةِ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٣) قوله تعالى في الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]: أي: قُولُوا لَهُمُ الطَّيِّبَ مِنَ الْقَوْلِ، وَجَارُواهُمْ بِأَحْسَنِ مَا تُحِبُّونَ أَنْ تُجَارَوْا بِهِ. <sup>(١)</sup> تفسير القرطبي (٢ / ٢٣٣).

\* وقال عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠): مكتوب في الحكمة: ليكن وجهك منبسطة، وكلمتك لينة: تكن أحب إلى الناس من الذي يعطيهم العطاء.

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: وَهَذَا كُلُّهُ حُضُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ قَوْلٌ لِلنَّاسِ لَيِّنًا، وَوَجْهُهُ مُنْبَسِطًا طَلْقًا، مَعَ الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالسُّنِيِّ وَالْمُبْتَدِعِ، مِنْ غَيْرِ مُدَاهَنَةٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ بِكَلَامٍ يَظُنُّ أَنَّهُ يُرْضِي مَذْهَبَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]، فَالْقَائِلُ لَيْسَ بِأَفْضَلَ مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ، وَالْفَاجِرُ لَيْسَ بِأَخْبَثَ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَقَدْ أَمَرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِاللَّيْنِ مَعَهُ. تفسير القرطبي (٢ / ٢٣٣).

\* وقال المتنبى (ت: ٣٥٤):

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ<sup>(١)</sup>

ديوان المتنبى (١٩٢).

\* وقال بعض الحكماء: الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوانح.

ابن أبي الدنيا ٧/ ١٩٧.

ش- حفظ اللسان من السؤال عما لم يقع:

\* جاء رجل يوما إلى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٧٣)، فسأله عن شيء لا أدري

ما هو، فقال له: ابن عمر: لا تسأل عما لم يكن، فإني سمعت عمر بن الخطاب

رضوان الله عليه (ت: ٢٣) يلعن من سأل عما لم يكن. مسند الدارمي (١٢٣).

\* وقال عمر رضوان الله عليه على المنبر: أُحْرَجَ بالله على رجل سأل عما لم

يكن، فإن الله قد بين ما هو كائن. مسند الدارمي (١٢٦).

\* وعن مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كنت أمشي مع أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٠)

فقال فتى: ما تقول يا عماء كذا وكذا؟ قال: يا ابن أخي، أكان هذا؟ قال: لا، قال:

فأعفنا حتى يكون. مسند الدارمي (١٥٢).

\* وقال الصلت بن راشد: سألت طاووسا رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) عن مسألة فقال

لي: كان هذا؟ قلت: نعم، قال: الله، قلت الله.

ثم قال: إن أصحابنا أخبرونا عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) أنه قال: يا

أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله، فيذهب بكم هاهنا وهاهنا، فإنكم إن لم

تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سُئِلَ سُدِّدَ،

وإذا قال وُفِقَ. مسند الدارمي (١٥٥).

(١) يقول لنفسه: ليس عندك خيل ولا غيرها من الأموال تهديها للذي تحب، مكافأة على إحسانه،

فأنت قادر على مدحه، فساعدته بالقول الجميل، إن لم يساعدك الحال على الأجر الجزيل..



\* وسئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) عن رجل أدركه رمضان، فقال: أكان أول لم يكن؟ قال: لم يكن بعد، قال: اترك بليته حتى تنزل. مسند الدارمي (١٥٦).  
ك- فوائد أخرى:

\* عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ما في المؤمن بضعة أحب إلى الله عَزَّجَلَّ من لسانه، به يدخله الجنة، وما في الكافر بضعة أبغض إلى الله عَزَّجَلَّ من لسانه، به يدخله النار. تهذيب الحلية ١/١٧٦.

\* وعن سلمان الفارسي (ت: ٣٣) قال: أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلامًا في معصية الله عَزَّجَلَّ. تهذيب الحلية ١/١٦٣.

\* وقال أبو حازم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٠): ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظًا للسان منه لموضع قدميه. تهذيب الحلية ١/٥١٩.

\* وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): لا تسأل أحدًا في يوم واحد أكثر من حاجة واحدة. تهذيب الحلية ٢/٤٠٥.

\* وعن ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٩٨) قال: انتهى حكيم إلى قوم يتحدثون، فوقف عليهم وسلم عليهم فقال: تحدثوا بكلام قوم يعلمون أن الله يسمع كلامهم، والملائكة يكتبون. تهذيب الحلية ٢/٤٤٢.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها، ومغارفها ألسنتها فانظر الرجل حتى يتكلم، فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه، من بين حلو وحامض وعذب وأجاج، يخبرك عن طعم قلبه اغترافُ لسانه. تهذيب الحلية ٣/٢٦٥.

\* وقال الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٧): الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب. تهذيب الحلية ٣/٣٨٠.

\* وقال بعض الحكماء لبنيه: أصلحوا ألسنتكم، فإنَّ الرجل تنوبه النائبة، فيستعير دابة أخيه وثوب أخيه، ولا يجد أحدًا يعيره لسانه. أخبار الشيوخ (٣٤٩).

\* وقال ابن المقفع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): اعلم أن لسانك أداة مُغَلَّبة، يتغالب عليه عقلك، وغضبك، وهواك، وجهلك، فكل غالب عليه مُسْتَمْتِع به، وصارفه في محبته، فإذا غلب عليه عقلك فهو لك، وإن غلب عليه شيءٌ من أشباه ما سميت لك فهو لعدوك.

فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك، لا يستولي عليه أو يشاركك فيه عدوك فافعل. الأدب الكبير (١٠١).



## الأمانة، والمسؤولية<sup>(١)</sup>

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): توشك القرى أن تخرب وهي عامرة، قيل: كيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها أبرارها، وساد<sup>(٢)</sup> القبيل منافقوها. ابن أبي الدنيا ٤ / ٤٤٠.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو مات جمل ضائعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عَزَّجَلَّ عنه. <sup>(٣)</sup> المنتظم ٤ / ١٤١.

\* وحينما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي نادى ابنه عبدالله فقال: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدِّينِ، فَحَسْبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنَّ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلَا تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ. صحيح البخاري (٣٧٠٠).

(١) قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو لم يكن من ذمّ الخيانة إلا ما يجده الخائن في نفسه من المذلة لكفاه زاجراً، ولو تصور عقبي أمانته وجدوى ثقته لعلم أنّ ذلك من أرباح بضائع جاهه، وأقوى شفعاء تقدّمه، مع ما يجده في نفسه من العز ويقابل عليه من الإعظام. أدب الدين (٥٢٧).

(٢) في الأصل: وسار، ولا معنى لها، والمثبت من جمع الأحاديث للسيوطي.

(٣) قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتَقَدَّرَ أَطِيرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَيْدُءَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَكَايِيرِ﴾ [النمل: ٢٠] قَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذَا يَدُلُّ مِنْ سُلَيْمَانَ عَلَى تَفَقُّدِهِ أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمْ، فَانْظُرُوا إِلَى الْهَيْدُءِ وَإِلَى صِغَرِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْهُ حَالُهُ، فَكَيْفَ بَعْظَايِمِ الْمُلْكِ؟ وَيَزَحِّمُ اللَّهُ عُمَرَ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى سِيرَتِهِ قَالَ: «لَوْ أَنَّ سَخْلَةَ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ أَخَذَهَا الذُّبُّ لَيْسَأَلَ عَنْهَا عُمَرُ، فَمَا ظَنُّكَ بِوَالٍ تَذْهَبُ عَلَى يَدَيْهِ الْبُلْدَانُ، وَتَضِيعُ الرَّعِيَّةُ، وَتَضِيعُ الرُّعْيَانُ! أَحْكَامُ الْقُرْآنِ ٣ / ٣٦٦.

\* وتقرر بطن عمر وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان قد حرم على نفسه السمن، قال: فنقر بطنه بأصبعه وقال: تقرر ما تقرر، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس. تهذيب الحلية ١/٦٩.

\* ولما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان، جيء بالخبيص<sup>(١)</sup> فذاقه فوجده حلواً، فقال: لو صنعتهم لأمير المؤمنين عمر من هذا، فجعل له سَفَطَيْنِ<sup>(٢)</sup> عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين فبعث بهما إليه، فلما قدما على عمر قال: أي شيء هذا؟ قال: هذا خبيص، فذاقه فإذا هو حلو، فقال: أكل المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قالوا: لا، قال: فردهما، ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس من كدك ولا من كد أهلك، ولا من كد أمك، أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك. مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٩١٧)، وأصله في صحيح مسلم (٢٠٦٩).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنا ننحر كل يوم جزورا، فأما ودكها وأطياها فلمن حضرنا من آفاق المسلمين، وأما عنقها فلا ل عمر يأكل هذا اللحم الغليظ، ويشرب هذا النبيذ الشديد، يقطع في بطوننا أن يؤذينا. الزهد لهناد (٦٩٥).

\* وعن معاوية بن خديج قال: بعثني عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفتح الإسكندرية، فقدمت المدينة في الظهيرة فأنخت راحلتي بباب المسجد ثم دخلت المسجد إذ خرجت جارية من منزل عمر فرأتني ساحبا علي ثياب السفر فانصرفت فقالت: أجب أمير المؤمنين فذكر الحديث، قال: يا جارية هل من طعام فأنت بخبز وزيت قال: كل فأكلت على حياء قال: كل، فإن المسافر يحب الطعام ثم قال: يا جارية هل من تمر؟ فأتتني بتمر في طبق، قال: كل، فأكلت على حياء ثم قال: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت: إن أمير

(١) الخبيص: المعمول من التمر والسمن.

(٢) السَفَط: وعاء مصنوع من أغصان الشجر أو القصب، توضع فيه الفاكهة ونحوها.

المؤمنين قائل، قال: بئس ما قلت: أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟! الزهد لأحمد: ٢٣٤.

\* وكان معيقب على بيت مال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكنس بيت المال يوماً فوجد فيه درهماً، فدفعه إلى ابنِ لعمر، قال معيقب: فانصرفت إلى بيتي فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده فقال لي: ويحك يا معيقب أوجدت علي في نفسك شيئاً؟ قال: قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم. ابن أبي الدنيا ١٣٦/١-١٣٧.

\* وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «حجبت مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما رأيته ضرب فُسْطَاطاً<sup>(١)</sup> حتى رجع. قيل له: كيف كان يصنع؟ قال: كان يستظل بالنَّطْع<sup>(٢)</sup> والكساء. الزهد لأبي داود (٨٣).

\* وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبلت فإذا الناس قعود بين أيديهم قِصَاع، فدعاني عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأتيته، فدعا بخبز غليظ وزيت، فقلت له: أتمنعني أن أكل الخبز واللحم ودعوتني إلى هذا؟ قال: إنما دعوتك على طعامي، وهذا طعام المسلمين. ابن أبي الدنيا ٧/٤٨٦.

\* وأُتِيَ له بخبز وزيت، فمسح على بطنه، وجعل يأكل ويقول: والله لَتُمَرَّرَنَّ أيها البطن على الخبز والزيت ما دام السمن يباع بالأواق. الزهد لأبي داود (٧٥). \* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: قدم على أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفدٌ من

(١) أي: خيمة.

(٢) أي: البساط من الجلد.

أهل البصرة مع أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: فكننا ندخل عليه، وله كل يوم خبز يلت، وربما وافيناه ما دوم بسمن، وأحيانا بزيت، وأحيانا باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت، ثم أغلي بماء، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل.

فقال لنا يوما: إني والله لقد أرى تعذيركم، وكراهيتكم طعامي، وإني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاما، وأرقكم عيشا، ولكني سمعت الله تعالى غير قوما بأمر فعلوه، فقال ﴿أَذْهَبَتْ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْنَعَتْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠].

فقال أبو موسى الأشعري: لو كلمتم أمير المؤمنين، ففرض لكم من بيت المال طعاما تأكلونه، فكلموه، فقال: يا معشر الأمراء، أما ترضون لأنفسكم ما أرضى لنفسي.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن المدينة أرض العيش بها شديد، ولا نرى طعامك يُغشى، ولا يؤكل، وإنا بأرض ذات ريف، وإن أميرنا يُغشى، وإن طعامه يؤكل. فنكس عمر ساعة، ثم رفع رأسه فقال: قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريين. الزهد لابن المبارك (٥٣٤).

\* ولما أُجذب الناس على عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما أكل سميناً ولا سمناً حتى أكل الناس. الزهد لابن المبارك (٥٣٤).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه لا أجده يحلّ لي أكل مالكم إلا عما كنت آكلا من صلب مالي: الخبز والزيت، والخبز والسمن. الزهد لهناد (٦٩٠).

\* وعن إبراهيم النخعي قال: كان عند عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجل يريد أن يستعمله، فجاء ابنُ لعمر، فقبله، فقال الرجل: إن لي منهم أربعة أو خمسة ما قبلت منهم صبيا قط، فقال عمر: أنت بالمؤمنين أقل رحمة، لا تل لي على عمل أبدا. الزهد لو كيع (٥٠٢).

\* وقدم الشام، فتلقيه أمراء الأجناد، وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين

أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة (ت: ١٨): قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه، وسأله، ثم قال للناس: انصرفوا عنا، فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه، وترسه، ورحله، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو اتخذت متاعاً؟.

قال أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلِّغنا المقييل. الزهد لابن المبارك (٥٤١).

\* وعن أبي صالح الحنفي قال: دخلت على أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٩) فقالت: ائتوا أبا صالح بطعام، فأتوني بمرقة فيها جنوب، فقلت: أتعلموني هذا وأنتم أمراء؟!.

قالت: كيف لو رأيت أمير المؤمنين علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠) وأتي بآترج فأخذ الحسن أو الحسين منها أترجةً لصبي لهم، فانتزعها من يده وقسمها بين المسلمين. ابن أبي الدنيا ٢/ ٢١٨.

\* ولما ولي عياض بن غنم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠) قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته، فلقيهم بالبشر، وأنزلهم، وأكرمهم، فأقاموا أياماً، ثم كلموه في الصلة، وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاء صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير وكانوا خمسة فردّوها وتسخطوا ونالوا منه. فقال: أي بني عم والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بُعد شقتكم، ولكن والله ما حصلتُ إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي، وبيع ما لا غنى بي عنه، فاعذروني قالوا: والله ما عذرك الله فإنك والي نصف الشام وتعطي الرجل منا ما جهده أن يبلّغه إلى أهله؟ قال: فتأمروني أسرق مال الله؟ فوالله لأن أشق بالمنشار أحب إلي من أن أخون فلساً أو أتعدى.<sup>(١)</sup> صفة الصفوة ١/ ٣٢١.

(١) فكيف بمن سرق الملايين، وتعدى على أموال المسلمين وأراضيهم!

\* وكان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) يقسم تفاح ألفيء، فتناول ابنٌ له صغيرٌ تفاحة، فانتزعها مِنْ فِيهِ فأوجعه، فسعى إلى أمه مستعبراً، فأرسلت إلى السوق فاشتريت له تفاحاً، فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة هل أتيت شيئاً من هذا الفيء؟ قالت: لا. وقصّت عليه القصة، فقال: والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما نزعناها عن قلبي، ولكن كرهتُ أن أَضَيِّع نصيبي من الله عَزَّجَلَّ بتفاحةٍ من فيء المسلمين.<sup>(١)</sup> صفة الصفوة ٢/ ٤٦٥.

\* وقال مولى لعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ له حين رجع من جنازة سليمان: ما لي أراك مغتماً؟ فقال عمر رَحِمَهُ اللهُ: لمثل ما أنا فيه يُغتم، ليس أحد من أمة محمد ﷺ في شرق ولا غرب إلا وأنا أريد أن أودي إليه حقه غير كاتب إليّ فيه ولا طالبه مني. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٧٠.

\* ولما قدم عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ المدينة والياً، فصلّى الظهر دعا بعشرة: عروة، وعبيد الله، وسليمان بن يسار، والقاسم، وسالمًا، وخارجة، وأبا بكر بن عبد الرحمن، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكون فيه أعواناً على الحق، ما أريدُ أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي مَنْ حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدّى، أو بلغكم عن عاملٍ ظلامه، فأحرّجُ بالله على مَنْ بلغه إلا أبلغني، فجزّوه خيراً، وافترقوا.<sup>(٢)</sup> تهذيب السّير ٢/ ٥٨٦.

(١) رَحِمَهُ اللهُ، يخاف أن يضيّع نصيبه من الله عَزَّجَلَّ بتفاحةٍ واحدة من فيء المسلمين! فكيف بنصيب من ضيّع الأموال العظيمة، وحرّمها أهلها، واستأثر هو وخاصته بها! سيقف كلّ مسؤول أمام الله تعالى وسيسأله عن كلّ صغير وكبير.

(٢) الواجب على من ولي أمر المسلمين من الولاة والأمراء والوزراء أن يُقربوا أهل العلم والفضل والأمانة، وأن يجعلوهم أصحاب مشورتهم، ويسمعوا لنُصَحهم، حتى يسود العدل، ويحفظ الله البلاد والعباد من الفتن، وتسلط الأعداء عليهم.



\* وكان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ لا يحمل على البريد إلا في حاجة المسلمين، وكتب إلى عامل له يشتري له عسلًا ولا يُسَخَّر فيه شيئًا، وأن عامله حملة على مركبة من البريد، فلما أتى قال: على ما حملة؟ قالوا: على البريد، فأمر بذلك العسل فبيع وجعل ثمنه في بيت مال المسلمين، وقال: أفسدت علينا عسلك. تهذيب الحلية ٢/٢٢١.

\* وعرض محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) حمارًا له على البيع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيتُ لك لم أبِعه. صفة الصفوة ٣/١٩٣.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخنونة. صفة الصفوة ٣/٢٠١.

\* وعن غسان بن المفضل قال: جاءت امرأة بِمِطْرَف خَزٍّ<sup>(١)</sup> إلى يونس بن عبيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٩)، فألقته إليه ليعرضه في السوق فنظر إليه. فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهمًا قال: فألقاه إلى جاره. فقال: كيف تراه؟ قال: بعشرين ومائة قال: أرى ذلك ثمنه أو نحوًا من ثمنه قال: فقال لها: اذهبي فاستأمرني أهلك في بيعه بخمسة وعشرين ومائة قالت: قد أمروني أن أبيع به بستين قال: ارجعي إليهم فاستأمرهم. تهذيب الحلية ١/٤٣٦.

\* وجاءت يونس بن عبيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٩) امرأةً بجبة خَزٍّ، فقالت له: اشتريها فقال: بكم تباعينها؟ قالت: بخمسمائة قال: هي خير من ذلك قالت: بستمائة قال: هي خير من ذلك، فلم يزل يقول: هي خير من ذلك حتى بلغت ألفًا، وقد بذلتها بخمسمائة. صفة الصفوة ٣/٢١٨.

\* وكان يَشْتَرِي الإبريسمَ مِنَ البصرة، فيبعثُ به إلى وكيله بالسُّوسِ، فإن

(١) المطرف: الثوب الذي في طرفيه علمان. والخَزُّ: ثياب تنسج من صوف.

كَتَبَ وَكَيْلُهُ إِلَيْهِ: إِنَّ الْمَتَاعَ عِنْدَهُمْ زَائِدٌ، لَمْ يَشْتَرِ مِنْهُمْ أَبَدًا حَتَّى يُخْبِرَهُمْ أَنَّ وَكَيْلَهُ  
كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّ الْمَتَاعَ عِنْدَهُمْ زَائِدٌ. السَّيَر ٦ / ٢٨٩.

\* وعن وكيع: حدثني أبي قال: كنت جالسًا مع زبيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٢) فَأَتَاهُ  
رَجُلٌ ضَرِيرٌ يَرِيدُ أَنْ يَسْأَلَهُ. فَقَالَ لَهُ زَبِيدٌ: إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ  
مَعِيَ غَيْرِي<sup>(١)</sup>. تَهْذِيبُ الْحِلْيَةِ ١٣٤ / ٢.

\* وعن عبيد بن غنم أنه قال: حدثني أبي قال: مرض حفص بن غياث رَحِمَهُ اللَّهُ  
(ت: ١٩٦) - القاضي - خمسة عشر يومًا فدفع إِلَيَّ مائة درهم فقال: امض بها إِلَى  
الْعَامِلِ وَقُلْ لَهُ: هَذِهِ رِزْقُ خَمْسَةِ عَشْرَ يَوْمًا لَمْ أَحْكَمْ فِيهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لَا حَظَّ  
لِي فِيهَا. الْمُنْتَظَمُ ٣٢ / ١٠.

\* وقال عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠): مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: لَا تَخُنْ  
الْخَائِنَ، خِيَانَتُهُ تَكْفِيهِ. الزَّهْدُ لِأَحْمَدَ: ٢٠٩.

\* وجاء رجل إِلَى الْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧) فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، هَذَا كِتَابُ  
صَدِيقِكَ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، فَقَالَ: مَتَى قَدِمْتَ؟ قَالَ: أَمْسَ، قَالَ ضَيَّعْتَ أَمَانَتَكَ.  
قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْأَمَانَةَ خَائِنًا فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرًّا مُسْنَدًا<sup>(٢)</sup>  
الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ ٤١ / ١.

\* وقال ابن وضاح: كَانَ سَعِيدُ الْخَيْرِ - عَمُّ الْأَمِيرِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاوِيَةَ - وَكَلَّ وَكَيْلًا يَخَاصِمُ لَهُ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ):

(١) أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ حَتَّى لَا يَظُنَّ هَذَا الضَّرِيرُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ فَيَقُولُ مَا فِي خَاطِرِهِ وَهُوَ لَا يَرِيدُ أَنْ  
يَسْمَعَ كَلَامَهُ غَيْرَ زَبِيدٍ.

(٢) الْمَشْهُورُ فِي كُتُبِ الشَّعْرِ وَالْأَدَبِ:

إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْخَوْنَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرًّا مُسْنَدًا

(١٩٨) في مطلب، قيم به عنده عليه، وكانت في يد سعيد وثيقة فيها شهادات جماعة من العدول، أتى الموت عليهم ما عدا شاهداً واحداً من أهل القبول، مع شهادة الأمير الحكم ابن أخيه، فاضطر عمّه إليها في خصومته.

فدخل سعيد على الأمير وعرفه حاجته إلى شهادته، وكان الحكم معظماً لعمّه، فقال له: يا عم، أعفني من هذه الكلفة، فقد تعلم أنا لسنا من أهل الشهادة عند حكامنا؛ إذ التبسنا من فتن هذه الدنيا بما لا نرضى به عن أنفسنا، ولا نلومهم على مثل ذلك فينا<sup>(١)</sup>، ونخشى أن تُوقفنا مع هذا القاضي موقفَ خزّي نفديه بملكنا، فسرّ في خصامك حيثما صيرك الحق، وعلينا خُلف ما ينقصك وأضعافه. فلبّج<sup>(٢)</sup> سعيد في ذلك وعزم عليه، إلى أن وجّه شهادته مع فقيهين يؤدّياهما إلى القاضي، فأدّياها إليه، فقال لهما: قد سمعت منكما فقوما راشدين.

وجاءت دولة وكيل سعيد الخير، فتقدم مدلاً واثقاً، فقال أيها القاضي: قد نقلت إليك شهادة الأمير، فما تقول؟.

فأخذ كتاب الشهادة وأعاد النظر فيها، ثم قال: هذه شهادة لا تعمل عندي، فجئني بغيرها.

فمضى الوكيل إلى سعيد فأعلمه، فركب من فوره إلى الحكم، فقال: ذهب سلطاننا، وأهينت عزّتنا، بتجري قاضيك الحروري<sup>(٣)</sup> على ردّ شهادتك! هذا ما لا يجب أن نتحمّله عليه.

وأكثر من هذا وأغرى بابن بشير، والأمير مطرق.

فلما فرغ من كلامه، قال له: يا عم، هذا ما قد ظننته، وقد آن لك أن تُقصر عنه بالحق، فالحق أولى بك.

(١) هذا يدل على رجاحة عقله.

(٢) أي: ألحّ.

(٣) أي: الخارجي، وهذا ديدن الضعفاء في رمي من خالفهم بأقبح الأوصاف، وأبشع التُّهم.

والقاضي قد أخلص يقينه لله، وفعل ما يجب عليه ويلزمه، ولو لم يفعل ما فعله لأَجَل<sup>(١)</sup> الله بصيرتنا فيه، فأحسن الله جزاءه عنا، وعن نفسه، ولست أعترض للقاضي بعدُ فيما احتاط لنفسه.<sup>(٢)</sup>

قال ابن حارث: إن حظية<sup>(٣)</sup> للأمر الحكم بات عندها في بعض الليالي، فافتقدته في بعض الليل، ولم تصبه، فهاجت غيرتها وقامت تقفو أثره، فأصابته قائماً تحت شجرة في الحائط يصلي ويدعو ويجتهد، فلما انصرف إلى مرقده ألحت عليه في السبب الموجب لذلك، وظنت أن أمراً طرقة، فقال: ما ذاك إلا أن محمد بن بشير القاضي مات فأشفقت من فقده، وأعجزني الاعتياض منه، فقد كنت جعلته فيما بيني وبين الله في أحكام الناس، فاستندت منه إلى ثقة؛ إذ كانت نفسي مستريحة إلى عدله، فناجيت الله تعالى ودعوته دعوة مضطر إلى إجابته، في أن يحسن عزائي عنه، ويجعل عَوْضي منه. ترتيب المدارك (١/ ٥٣٠-٥٣١).

\* وسافر الشيخ إبراهيم بن محمد الجردان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٩٩) للعمرة، وبعد أدائها عاد من مكة إلى بريدة يوم الخميس ليخطب ويصلي الجمعة إماماً في مسجده على أن يعود يوم السبت لمكة.

قال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٢٣): ومن هذا يتضح حرصه رَحِمَهُ اللهُ على الخطابة يوم الجمعة، وعدم الاعتماد على الغير؛ لمعرفته بحرص الكثير من المصلين على سماع خطبته والصلاة خلفه، فعاد يوم السبت إلى مكة. علماء نجد (١/ ٣٥٠).

\* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ اللهُ: أخبرني الشيخ صالح بن عبدالله الزغيبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٧٢) أنه في مدة إمامته في المسجد النبوي التي تجاوزت عشرين سنة لم يتخلف أبداً، وكان لا يُنيب أحداً. علماء نجد (٢/ ٤١٩).

(١) أي: أدار وصرف.

(٢) ياله من ردّ صدر من عاقل حكيم، وليت كلّ مسؤول يفهمه ويعيه.

(٣) المرأة الحظية: هي التي تُفَضَّل على غيرها في المحبة.

## الثبات على الدين والتضحية لأجله

\* قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تكونن إمعة قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول: أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطئن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر. المعجم الكبير للطبراني (٩ / ١٥٢).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا اشتد البلاء فلا يقولن أحدكم: لي بالناس أسوة. الزهد لأبي داود (١٤٢).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ، فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَذْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُواهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدَّ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالٌ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠)، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ. مسند الإمام أحمد (٣٨٣٢) وحسن إسناده محققه.

\* وسأل عمر بلاً عما لقي من المشركين، فقال خباب بن الارت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧): يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كالיום، قال: أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا ودك ظهري. تهذيب الحلية ١ / ١٢٨.

\* وعن سعيد بن المسيب قال: لما أقبل صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٨) مهاجراً نحو النبي ﷺ، فاتبعه نفر من قريش، نزل عن راحلته، وانتثل ما في كنانته،

ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أركامكم رجلاً، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم! فلما قدم على رسول الله ﷺ المدينة قال: (ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى) قال: ونزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] الآية. تهذيب الحلية ١/ ١٣٢.

\* وقال محمد ابن الحنفية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨١): إن الله عزَّ وجلَّ جعل الجنة ثمناً لأنفسكم، فلا تبعوها بغيرها. صفة الصفوة ٢/ ٤٣٥.

\* وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) يقول: ليس العجب ممن عطب كيف عطب، إنما العجب ممن نجا كيف نجا. الكامل في اللغة / ١٥٥.

\* وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٤): مر رجل من العباد على رجل فوجده مهموماً، فقال: ما شأنك؟ فقال: أعجبني أمر فلان، قد بلغ من العبادة ما قد علمت، ثم رجع إلى أهل الدنيا، فقال: لا تعجب ممن يرجع، ولكن اعجب ممن يستقيم. الزهد لابن المبارك (٤٩٤).

\* وعنه رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: مر رجل عابد على رجل عابد، فقال: مالك؟ قال: أعجب من فلان، إنه كان قد بلغ من عبادته ومالت به الدنيا فقال: لا تعجب ممن تميل به ولكن اعجب ممن استقام. الزهد لأحمد: ١٣٠ - ١٣١.

\* وقيل لابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: بم ارتفع ابن عون (ت: ١٦٠)؟ قال: بالاستقامة. (١) تهذيب الحلية ١/ ٤٤٤.

\* وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨): «كَانَ يُقَالُ: اسْلُكُوا سُبُلَ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشُوا مِنْ قِلَّةِ أَهْلِهَا». [الحلية (٧/ ٣٠٦)].

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. مدارج السالكين ٢/ ٣٣٩.

\* وعن عطاء بن يسار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٣) قال: تبدَّى إبليس لرجل عند الموت، فقال: نجوت مني!

قال: ما أمتك بعدُ. الزهد لابن المبارك (٢٩٣).

\* وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) قال: لَمَّا حضرتُ أبي الوفاةُ جلستُ عنده، ويدي الخرقة لأشدَّ بها لحييه، فجعل يعرق، ثم يَفِيقُ، ثم يفتح عينيه، ويقول بيده هكذا: لا بعد لا بعد، ففعل هذا مرّةً وثانيةً، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبة أي شيء هذا قد لهجتَ به في هذا الوقت؟ تعرق حتى نقول: قد قضيت، ثم تعود، فتقول: لا بعد لا بعد.

فقال لي: يا بني ما تدري ما قلت؟ قلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاصٌّ على أنامله يقول لي: يا أحمد فتني، فأقول: لا بعد لا بعد حتى أموت. صفة الصفوة ٢/ ٦١٥.

\* وعن ميمون بن الأصبع قال: كنت ببغداد، فسمعتُ ضجّةً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ يُمتحن، فدخلت، فلما ضُرب سوطاً قال: بسم الله، فلما ضُرب الثاني قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، فلما ضُرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضُرب الرابع قال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، فُضرب تسعة وعشرين سوطاً. صفة الصفوة ٢/ ٦١١.

\* وقال إسحاق بن راهويه: لولا أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ وبذل نفسه لِمَا بَدَّلَهَا له لذهب الإسلام. تهذيب الحلية ١٤٠/ ٣.

\* وَقَالَ الحسن بن عرفة رَحِمَهُ اللهُ: دخلت على أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ بعد المحنة فقلت له: يا أبا عبد الله قمتَ مقام الأنبياء.

فقال لي: اسكت<sup>(١)</sup>، فإني رأيتُ الناس يبيعون أديانهم، ورأيتُ العلماء ممن

(١) أمره بالسكوت كراهةً لسماعه المدح؛ هضمًا لنفسه وخوفًا عليها، وإلا فلا محذور في ذلك، قال =

كان معي يقولون ويميلون، فقلت: مَنْ أنا؟ وما أنا؟ وما أقول لربي غداً إذا وقفتُ بين يديه جَلَّالُهُ فقال لي: بعتَ دينك كما باعه غيرك؟.

ففكرتُ في أمري، ونظرتُ إلى السَّيفِ والسَّوطِ فاخترتهما وقلت: إن أنا مُتْ صِرْتُ إلى ربي عَزَّوَجَلَّ، فأقول: دُعِيتُ إلى أن أقول في صفةٍ من صفاتك مخلوقة فلم أقل، فالأمر إليه، إن شاء عذب وإن شاء رحم.

فقلت: وهل وجدتُ لأسواطهم أَلَمًا؟ قَالَ لي: نعم، وتجلّدت إلى أن تجاوزت العشرين، ثم لم أدر بعد ذلك، فلما حُلَّ الْعَقَابَانِ كَأَنِّي لم أجد له أَلَمًا، وصَلَّيتُ الظهر قائمًا.

قَالَ الحسن: فبكيْتُ، فقال لي: ما يُبكيك؟ قلت: بكيت مما نزل بك، قَالَ: أليس لم أَكْفُرْ؟ ما أبالي لو تَلَفْتُ. طبقات الحنابلة (١/ ٣٧٥-٣٧٨).

\* وذكر يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الْخَزَاعِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣١) فترحم عليه وقال: قد ختم له بالشهادة.

وقتل في خلافة الواثق؛ لامتناعه عَنِ الْقَوْلِ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ، سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وكان قد أخذه الواثق فقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله، قَالَ: أَفَتَرَى رَبَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: كذا جاءت الرواية به، فدعا الواثق بالصمصامة وقال: إذا قمتُ إليه فلا يقوم من أحد معي، فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربًّا لا نعبد ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد، وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه، ومشى إليه حتى ضرب

---

= الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٩): لا بأس أن يحب الرجل أن يُثْنَى عليه صالحاً ويُرى في عمل الصالحين، إذا قَصَدَ به وجه الله تعالى.

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته، لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة، وليس من الرياء أيضاً أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، بل ذلك دليل على إيمانه). مجموع فتاواه (٢/ ٢٩، ٣٠).



عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد، فنصب في الجانب الشرقي أياما وفي الجانب الغربي أياما.

قال جعفر بن محمد الصائغ رَحِمَهُ اللهُ: بصر عيني وإلا فعميتا، وسمع أذني وإلا فصمتا أحمد بن نصر الخزاعي حيث ضربت عنقه يقول رأسه: لا الله إلا الله. وذكره الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ فقال: رَحِمَهُ اللهُ، ما كان أسخاه، لقد جاد بنفسه. وقال إبراهيم بن إسماعيل بن خلف رَحِمَهُ اللهُ: رأيته في المنام وعليه السندس والاستبرق وعلى رأسه تاج، فقلت له: ما فعل الله بك يا أخي؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة. طبقات الحنابلة (١/ ١٩٨ - ٢٠٣).

\* وقال الربيع بن سليمان رَحِمَهُ اللهُ: دخلت على البويطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣١) أيام المحنة<sup>(١)</sup>، فرأيت مقيدا إلى أنصاف ساقيه، مغلولة يده إلى عنقه.. وهو يقول: إنما خلق الخلق بكن، فإذا كانت مخلوقة، فكل مخلوق خلق بمخلوق، ولئن أدخلت عليه<sup>(٢)</sup> لأصدقته. يعني الواصل، ولأموتن في حديدي هذا، حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم.<sup>(٣)</sup>

قال الربيع: وكتب إلي من السجن يقول: إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خُلقك مع أهل حلقك، واستوص بالغرباء خاصة خيرا، فكثيرا ما كنت أسمع الشافعي رَحِمَهُ اللهُ يتمثل بهذا البيت<sup>(٤)</sup>:

(١) أي: محنة القول بخلق القرآن، التي تزعمها المعتزلة بتحريض أحمد بن أبي دؤاد.  
(٢) أي: المأمون.

(٣) كم ثبت وصبر وضحي علماء المسلمين، ولم يقبلوا التنازل عن دينهم أو تحريف حرف منه رغبة ولا رهبة، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا، فلولا توفيق الله ثم صبرهم وثباتهم لما وصلنا الدين نقيا كما أنزل.

(٤) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عن هذا البيت: وغلط هذا القائل؛ فإن ذلك لا يصلح إلا لله وحده؛ فإنه كلما أهان العبد نفسه له أكرمه وأعزه، بخلاف المخلوق، فإنك كلما أهنت نفسك له ذلت عند الله وعند أوليائه وهنت عليه. إغاثة اللهفان ١/ ١٩٨.

أُهَيْنَ لَهُمْ نَفْسِي لَكِي يَكْرُمُونَهَا وَلَا تُكْرَمِ النَّفْسُ الَّتِي لَا تُهَيِّنُهَا  
المنتظم ١١/ ١٧٥.

\* وقال أبو عمر المستملي رَحِمَهُ اللَّهُ: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي رَحِمَهُ اللَّهُ يَقْرَأُ عَلَيْنَا كِتَابَ الْبُويْطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا فِيهِ: وَالَّذِي أَسْأَلُكَ أَنْ تَعْرِضَ حَالِي عَلَى إِخْوَانِنَا أَهْلَ الْحَدِيثِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَخْلُصَنِي بِدَعَائِهِمْ، فَإِنِّي فِي الْحَدِيدِ، وَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ مِنَ الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ، قَالَ: فَضَجَ النَّاسُ بِالْبَكَاءِ وَالِدَعَاءِ لَهُ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وبلغني أنه كان يغتسل يوم الجمعة، ويتطهر، ويتطيب، ويلبس ثيابه، ثم يخرج إلى باب السجن إذا سمع النداء فيرده السجن، ويقول له: ارجع يرحمك الله، فيقول: اللهم إني أجت داعيك فمنعوني. طبقات الشافعيين (١/ ١٦٠)، المنتظم ١١/ ١٧٥.

\* وقال عبد العزيز بن أبي رواد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٩): كان يقال: القول بالحق والصبر عليه يُعَدِّلُ بِأَعْمَالِ الشَّهْدَاءِ. ابن أبي الدنيا ٤/ ٦٠.

\* وقال شيخ الإسلام الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٨١): عُرِضْتُ عَلَى السِّيفِ خَمْسَ مَرَّاتٍ لَا يُقَالُ لِي: ارْجِعْ عَنْ مَذْهَبِكَ، لَكِنْ يُقَالُ لِي: اسْكُتْ عَمَّنْ خَالَفَكَ، فَأَقُولُ: لَا أَسْكُتُ. تهذيب السَّيَرِ ٣/ ١٤٣٧.

\* وقال أبو الوفاء ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: من صدر اعتقاده عن برهانٍ لم يبقَ عنده تَلَوُّنٌ يراعي به أحوال الرجال، ﴿أَفَايُنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؟ الآداب الشرعية ١/ ٢٠١.

\* وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لا يعظم عندك بذلُك نفسك في ذاتِ الله فهي التي بذلتها بالأمس في حبٍّ مغنية، وخاطرتَ بها في الأسفار لأجل زيادة الدنيا. فلما جئت

إلى طاعة الله تعالى عظمت ما بذلته، والله ما يحسن بذل النفس إلا لمن إذا أباد أعاد، وإذا أعاد أفاد، وإذا أفاد خلد فائدته على الآباد، وذلك الله الذي يحسن فيه بذل النفوس، وإبانة الرؤوس.. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

\* وقال القاضي أَبُو بَكْرٍ بن أَبِي طاهر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٣٥): أَسْرَتَنِي الروم، وبقيتُ في الأسر سنة ونصفاً، وكان خمسة أشهر الغل في عنقي، والسَّلاسل على يدي ورجلي.

وكانوا يقولون لي: قل: المسيح ابن الله حتى نفعل ونصنع في حقك، فامتنعتُ وما قُلت. ذيل الطبقات (١/ ٤٣٨).

\* ولما عُقِدَ مَجْلِسُ لابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨) عِينَ الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ لمناظرته، فَلَمَّا وَقَعَ الْكَلَامُ قَالَ لَهُ الصَّفِيُّ: أَنْتَ عُصْفُورٌ تَطِيرُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا.<sup>(١)</sup> طبقات الشافعية (٢/ ٢٤).




---

(١) لاقى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من خصومه الأشاعرة والمعتزلة من الإهانة والاستهزاء الشيء العظيم، فصبر وثبت حتى أظهره الله عليهم، ونشر علومه رُغم سعيهم في إتلافها.

## أحوال المنتكسين

\* قيل لكرز بن وبرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٩): من ذا الذي يبغضه البر والفاجر؟

قال: العبد يكون من أهل الآخرة ثم يرجع إلى الدنيا. ابن أبي الدنيا ١٢٨/٥.

\* وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: كان بشر المريسي (ت: ٢١٨) من كبار الفقهاء، ونَظَرَ في الكلام، فَغَلَبَ عليه، وانسلَخَ من الورع والتقوى، وَجَرَّدَ القولَ بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عينَ الجَهَمِيَّةِ في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم، وكفره عِدَّةٌ.

ذكره النديم، وأطنب في تعظيمه، وقال: كان دَيْنًا وَرِعًا متكلمًا. ثم حكى أَنَّ البلخي قال: بلغ من وَرَعِهِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَطَأُ أَهْلَهُ لِيَلَّا مَخَافَةَ الشُّبْهَةِ وَلَا يَتَزَوَّجَ إِلَّا مِنْ هِيَ أَصْغَرُ مِنْهُ بَعَشَرَ سَنِينَ مَخَافَةَ أَنْ تَكُونَ رَضِيعَتَهُ. تهذيب السَّيَرِ ٨٦٧/٢.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: الملحد، عدو الدين، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الرُّيُونْدِي (ت: ٢٩٨) صاحبُ التصانيف في الحطِّ من المِلَّةِ، وكان يُلَازِمُ الرَّافِضَةَ والملاحدة، فإذا عُوتِبَ قال: إنما أريدُ أَنْ أَعْرِفَ أَقْوَالَهم.

قال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ: عجبني كيف لم يُقتل! وقد صَنَّفَ الدَّمَاعَ يدمغُ به القرآن، والزُّمْرَدَةَ يُزِرِّي فيه على النُّبُوتِ.

وقال ابن الجوزي: فيه هذيان بارد لا يتعلَّقُ بشبهة! يقول فيه: إن كلام أکثم ابن صيفي فيه ما هو أحسنُّ من سورة الكوثر! وإن الأنبياء وقعوا بطلاسم! وألَّفَ لليهود والنصارى يحتجُّ لهم في إبطال نبوة سيِّد البشر.

قال البلخي: لم يكن في نظراء ابن الراوندي مثله في المعقول، وكان أول أمره حسن السيرة، كثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك لأسباب وكان علمه فوق عقله. لعن الله الذكاء بلا إيمان، ورضي الله عن البلاد مع التقوى<sup>(١)</sup>. تهذيب السير ١١٣٠ / ٣.

\* وقال رحمه الله: عمران بن حطان بن ظبيان (ت: ٨٤)، السدوسي البصري، من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج. عن ابن سيرين قال: تزوج عمران خارجية وقال: سأردّها، قال: فصرفته إلى مذهبها.

ومن شعره في مصرع عليّ رضي الله عنه:

يا ضربةً من تقّي ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه	أوفى البريّة عند الله ميزانا

تهذيب السير ٤٨١ / ١.

\* وعن عبدة بن عبد الرحمن رحمه الله قال: خرجنا في سرية إلى أرض الروم، فصحبنا شاب لم يكن فينا أقرأ للقرآن منه، ولا أفقه ولا أفرص، صائم النهار، قائم الليل، فمررنا بحصن فمال عنه العسكر، ونزل بقرب الحصن، فظننا أنه يبول، فنظر إلى امرأة من النصراني تنظر من وراء الحصن، فعشقتها فقال لها بالرومية: كيف السبيل إليك؟ قالت: حين تنصّر ويفتح لك الباب وأنا لك قال: ففعل فأدخل الحصن، قال: فقضينا غزاتنا في أشد ما يكون من الغم، كأن كل رجل منا يرى ذلك بولده من صلبه، ثم عدنا في سرية أخرى، فمررنا به ينظر من فوق الحصن مع النصراني، فقلنا: يا فلان، ما فعلت قراءتك؟ ما فعل علمك؟ ما فعلت

(١) صدق رحمه الله. فليحذر كل من رزقه الله ذكاء وفهما أن يغرر ويُعجب بهذا الذكاء. بل يجب عليه أن يعرف أن الفضل لله وحده، ويسأل الله أن لا يزيغ قلبه وأن يثبت على الدين.

صلواتك وصيامك قال: اعلموا أني نسيت القرآن كله ما أذكر منه إلا هذه الآية: ﴿زُبَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٢-٣]. المنتظم ٣٠٢/١٢.

\* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو -أي أحمد بن كليب الشاعر (ت: ٤٢٦)- أحد من هلك بالعشق، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاما يقال له «أسلم» من بني خالد، وكان فيهم وزارة -أي كانوا وزراء للملوك وحجابًا- فأنشد فيه أشعارًا تحدث الناس بها، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ، فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحى من الناس، وانقطع في داره، وكان لا يجتمع بأحد من الناس، فازداد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضًا شديدًا بحيث عاده منه الناس، ولا يدرون ما به، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء فسأله عن مرضه، فقال: أنتم تعلمون ذلك، ومن أي شيء مرضي، وفي أي شيء دوائي لو زارني أسلم ونظر إليَّ نظرة، ونظرته نظرة واحدة برأت، وإلا فأنا هالك، فرأى ذلك العالم أن من المصلحة أن لو دخل عليه أسلم، وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مختفيا، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته فانطلقا إليه فلما دخلا دربه تغير الغلام، واستحى من الدخول عليه، ورجع، فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى وانصرف، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه، وقد كان غلامه دخل عليه قبل ذلك، وبشره بقدوم أسلم عليه، ففرح بذلك جدا، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه، وقال لذلك الرجل الساعي بينهما: اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عني ما أقول، ثم أنشده:

أسلم ياراحة العليل	رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي	من رحمة الخالق الجليل

فقال له الرجل: ويحك اتق الله تعالى ما هذه العظيمة، فقال: قد كان، فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا على ذلك. وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبية لذوي البصائر والعقول أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعينوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد. البداية والنهاية ١٠٦/١٢.

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن عبيد الله الزَّاعُونِي رَحِمَهُ اللهُ، يحكي أن رجلاً اجتاز بباب امرأة نصرانية، فرآها فهويها من وقته، وزاد الأمر به حتى غلب على عقله، فحُمِلَ إلى المارِستان<sup>(١)</sup>، وكان له صديق يتردد إليه ويترسل بينه وبينها، ثم زاد الأمر به، فقالت أمه لصديقه: إنني أجيء إليه ولا يكلمني، فقال: تعالي معي. فأتت معه، فقال له: إن صاحبك قد بعث إليك برسالة، فقال: كيف؟ فقال: هذه أمك تؤدي رسالتها، فجعلت أمه تحدثه عنها بشيء من الكذب، ثم إنه زاد الأمر عليه، ونزل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجل وحان الوقت، وما لقيت صاحبتي في الدنيا، وأنا أريد أن ألقاها في الآخرة، فقال له: كيف تصنع؟ قال: أرجع عن دين محمد، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم، فقال ذلك ومات! فمضى صديقه إلى تلك المرأة، فوجدها مريضة، فدخل عليها وجعل يحدثها، فقالت: أنا ما لقيت صاحبي في الدنيا، وأريد أن ألقاه في الآخرة، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنا بريئة من دين النصرانية، فقام أبوها فقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل ليخرج، فقالت له: قف ساعة، فوقف، فماتت. ذم الهوى: ٣١٥.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: وبلغني عن رجل كان ببغداد، يقال له صالح المؤذن، أذن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنتَ رجلٍ نصرانيٍّ كان بيته إلى جانبِ المسجد، فافتتنَ بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: مَنْ؟ فقال: أنا صالحُ المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمَّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات، فما هذه الخيانة؟! فقال: إن وافقتيني على ما أريد وإلا قتلْتُكِ، فقالت: لا، إلا أن تترك دينك، فقال: أنا بريء من الإسلام، ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلتَ هذه لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك، فكلَّ من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرب الخمر، فشرب، فلما دبَّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفَّتَه في مَسح، فجاء أبوها فقصّت عليه القصّة، فأخرجه في الليل فرماه في السّكة، فظهر حديثه، فرُمي في مزبلة! (١) ذم الهوى: ٣١٥.

(١) للثبات على الهداية والاستقامة عدّة أسباب، منها:

السبب الأول: الدعاء الصادق بالثبات على الدين، فإذا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»! فغيره أحوج بالإكثار من هذا الدعاء.

السبب الثاني: البعد عن مواقع الفتن والشهوات، قال بعض السلف: مَنْ أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولاً: لم ينج أخيراً وإن كان جاهداً. ذم الهوى: ١٤٤

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: ما رأيت أعظم فتنة من مقاربة الفتنة، وقلَّ أَنْ يقاربها إلا من يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. صيد الخاطر / ٢١٧

فجلَّ من انتكس وارتدَّ عن الإسلام كان بسبب تساهله أوّل الأمر في التعرض للفتن.

فمَنْ قَلَّبَ مواقع الشبكة العنكبوتية، ومقاطع الفيديو وغيرها، ليستمتع ويبحث عن الغرائب والعجائب، فلا بد أن تظهر له صورٌ فاتنة، ومقاطعٌ فاضحة، وشبهاتٌ مُضِلَّةٌ، ومع الأيام يعتادُ على ذلك، ويستمرئُ هذا الشيء، ويُصاب بالفتنة وهو لا يشعر، فيصعب عليه التخلص من هذه الفتن والشهوات والشبهات.



\* وقال إبراهيم بن محمد بن الحسن رَحِمَهُ اللهُ: حضرتُ أَحْمَدَ بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) وقد أُدخل عَلَى الخليفة، وعنده ابن أبي دؤاد وأبو عبد الرحمن أَحْمَدُ بن يَحْيَى بن عبد العزيز الشافعي<sup>(١)</sup>، فأجلس بين يدي الخليفة، فقال لأبي عبد الرحمن: أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟<sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابن أبي دؤاد: انظروا رجلاً هو ذا يَقْدُم لَضَرْبِ العنق، يناظر في الفقه!. هذا أبو عبد الرحمن كان يأخذ عن الشافعي من القديم، ثم تَغَيَّرَ وذهب إلى الاعتزال.<sup>(٣)</sup> طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٠).

= قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فما اسْتُعِين على التخلص من الشر، بمثل البعد عن أسبابه ومظانه. ١. ه عدة الصابرين / ٨٦.

السبب الثالث: صدق النية في طلب الهداية والاستقامة، فالذي انتكس إنما انتكس لِأَنَّ نِيَّتَهُ في الالتزام لم تكن صادقة وخالصة لله.

السبب الرابع: الإِيْمَانُ الصادق، المبني على العلم بالله ودينه، أما الإِيْمَانُ والصلاح الناشئ عن التقليد: فإنه لا يكفي لثبات الإنسان، بل لابد من العلم الشرعي المؤصل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُؤْتَى إِيْمَانًا مَعَ نَقْصِ عِلْمِهِ، فَمِثْلُ هَذَا الْإِيْمَانِ قَدْ يُرْفَعُ مِنْ صَدْرِهِ.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ الْعِلْمَ مَعَ الْإِيْمَانِ فَهَذَا لَا يُرْفَعُ مِنْ صَدْرِهِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَزِيدُ عَنِ الْإِسْلَامِ قَطُّ، بِخِلَافِ مُجَرَّدِ الْقُرْآنِ أَوْ مُجَرَّدِ الْإِيْمَانِ فَإِنَّ هَذَا قَدْ يَزْفَعُ، فَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ.

لَكِنْ أَكْثَرُ مَا نَجِدُ الرَّدَّةَ فِيمَنْ عِنْدَهُ قُرْآنٌ بِلَا عِلْمٍ وَإِيْمَانٍ، أَوْ مَنْ عِنْدَهُ إِيْمَانٌ بِلَا عِلْمٍ وَقُرْآنٍ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ وَالْإِيْمَانُ فَحَصَلَ فِيهِ الْعِلْمُ فَهَذَا لَا يُرْفَعُ مِنْ صَدْرِهِ». مجموع الفتاوى:

٣٠٥ / ١٨

السبب الخامس: اختيار الصحبة الصالحة، وقضاء الوقت معهم، والبعد عن الفراغ والصحبة السيئة.

اللهم ثَبِّتْنَا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

(١) قال عَلِيُّ بن عَمَرَ الدارقطني: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشافعي المتكلم البغدادي: كَانَ من كبار أصحاب الشافعي الملازمين له ببغداد، ثم صار من أصحاب ابن أبي دؤاد واتبعه عَلَى رأيه. [تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/ ٤١٠).

(٢) المؤمن لا يزداد عند المحن والشدائد إلا قوة وثباتاً وعزّةً ويقيناً وإيماناً.

(٣) حينما صحب المبتدع ابن أبي دؤاد انتكس وترك ما عليه شيخه الإمام الشافعي، فإياك وصحبة المبتدعة والفساق والباطلين.

\* وقرأ إبراهيم بن بكروس (ت: ٦١١) الفقيه القرآن على عمه، وسمع الحديث من أبيه وعمه، وجماعة كثيرة من المتأخرين، واشتغل بالمذهب على أبيه وعمه، وبالخلاف على أبي الفتح بن المنّي رحمه الله، ولازمه مدة لسماح درسه، حتى برع وأفتى وناظر، ثم أقبل على إلقاء الدروس، وولي نظر ووقوف الجامع. ثم ولي النيابة بباب النوبي سنة أربع وستمئة، فغير لباسه، وتغيرت أحواله، وأساء السيرة بكثرة الأذى، والمصادرة، والجنايات للناس، والسعي بهم، ولم تكن تأخذه في ذلك لومة لائم.

قال ابن الساعي رحمه الله: حدّثني عبدالعزيز الناسخ رحمه الله، أنه وعظ ابن بكروس يوماً، فقال له: يا شيخ: أعلم أني فرشت حصيراً في جهنم! قال: فقممت متعجباً من قوله.

ولم يزل على ذلك، إلى أن قبض عليه سنة إحدى عشرة وستمئة، وضرب حتى تلف. ذيل الطبقات (٣/ ١٤٩-١٥٠).

\* وقال ابن الفرضي رحمه الله: كان أحمد بن عبدالله بن عروس (ت: ٣٦٦) فقيه بلده، وكتب عنه.

قال ابن الرازي رحمه الله: وكان الخليفة يُصرّفه في الأمانات.

قال ابن حيان رحمه الله: كان أولاً مرجوًّا، قرأ الحديث والفقه، وسلك سبيل العلماء. ولي القضاء ببعض النواحي، ثم صحب ابن أبي عامر، فتجرّد لطلب دنياه، وتحول عن طبقته<sup>(١)</sup>، فلحق أهل الخدمة<sup>(٢)</sup>، ونال الوزارة وتقلد المدينة، وارتكب الجرائم، وأغرق في ظلم العباد.

(١) وهي طبقة العلماء الربانيين.

(٢) أي: خدمة الأمير ابن عامر، فستان بين كونه في خدمة دين رب العالمين، وبين خدمة مخلوق

فلم تطل مدته حتى أخترمته المنية في شهر رمضان من سنة ست وستين وثلاثمائة. وترك من المال ما لا كفاية له مما غلّه، فحاز ابن أبي عامر أكثره.<sup>(١)</sup> ترتيب المدارك (٤/ ٢٤٠-٢٤١).

\* وكان الشيخ خضر الكردي (ت: ٦٧٦) شيخ الملك الظاهر بيبرس ينسب إليه أحوال ومكاشفات، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير: إنه سيلي الملك، فلهذا كان الملك الظاهر يعتقد ويبالغ في إكرامه بعد أن ولي المملكة، ويعظمه تعظيماً زائداً، وينزل إلى عنده إلى زاويته في الأسبوع مرة أو مرتين، ويستصحبه معه في كثير من أسفاره، ويكرمه ويحترمه ويستشيريه، فيشير عليه برأيه ومكاشفات صحيحة مطابقة لما رحمانية أو شيطانية، أو حال أو استفادة، لكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء، وكن لا يحتجبن منه، فوقع في الفتنة.

وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس، فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة، ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الاحتجاب، فلا يسلم العبد البتة منهن. فلما وقع ما وقع فيه حُوقق فاعترف، فأمر بسجنه. البداية والنهاية (١٧/ ٥٣٨).

(١) تأمل: كان هذا الرجل فقيه بلده، وولي القضاء، وسلك سبيل العلماء، ثم أخلد إلى الدنيا واتبع هواه فطلب الإمارة ونالها، فظلم وتجبّر وارتكب الجرائم وأغرق في ظلم الناس! فكم بين الحالين!

وماذا عن أمواله الكثيرة التي جمعها ظلماً وجوراً؟ أخذت كلها منه، وسيُحاسَب عليها كلّها، فما أعظمها من خسارة، وما أشأمها من تجارة.

وسبب نكوصه وهبوطه من مرتبة أهل الدين والعلم إلى حضيض أهل البغي والظلم: حبّ الدنيا، التي صاد الشيطان بها من كان ما بينه وبين الجنة إلا خروج نفسه من جسده، فكبّلها بحبال لذاتها، وألقى عليها شركاً مناصبها، وأغرقها بندن شهواتها.

فاللهم لا تعظم في قلوبنا دنيا قد حقّرتها، ولا تملأ في نفوسنا حبّ حياة قد زهدتنا فيها.

\* ومن تلاميذ الشيخ عبدالعزيز بن بشر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٥٩): عبدالله بن علي القصيمي (ت: ١٤١٦) صاحب «الأغلال»<sup>(١)</sup>.

ومن المكاشفات الغريبة أنَّ الشيخ عبدالعزيز بن بشر قد تفرَّس شرَّ الإلحاد بتلميذه عبدالله القصيمي من حين كان يأخذ عنه في الأحساء، فصدق حدسه فيه. وقد اجتمع كُلُّ من الشيخ عبدالله بن علي اليابس والشيخ عبدالعزيز بن راشد وعبدالله القصيمي، وعقدوا العزم على السفر إلى الهند لأخذ الحديث وعلومه عن علمائه، فمروا بالأحساء، فأقاموا فيه للقراءة على قاضيه عبدالعزيز بن بشر رَحِمَهُ اللهُ.

وبعد فترة غير قليلة توجَّهوا إلى بغداد في طريقهم إلى الهند، فأقاموا فيه للأخذ على علمائه، وأشهرهم السيد شكري الألوسي رَحِمَهُ اللهُ. ولأمور سياسية عدلوا عن الهند، وتوجَّهوا إلى مصر، فالتحق الثلاثة بالأزهر، فأخذوا عن علمائه واستفادوا منهم فائدة كبرى، فكان الثلاثة من كبار العلماء، ولم تتأثر عقيدتهم السلفية بشيء، بل ظلوا على تمسُّكهم بعقيدة السلف الصالح، يُوالونها ويدعون إليها ويُدافعون عنها، وهذا لم يردِّهم عن الاستفادة مما عند الأزهريين من علم التفسير والحديث وأصولهما، ومن توسُّع في علوم اللغة العربية.

وكان من أشدهم مدافعة ومهاجمة وردودا على المنحرفين - ولا سيما

---

(١) هو عبدالله بن علي النجدي القصيمي ولد في عام ١٩٠٧م، وتوفي ١٩٩٦م / ١٤١٦هـ، قدم أجداده إلى نجد مع جيش إبراهيم باشا عندما هاجمها. وكتابه «هذي هي الأغلال» ثار فيه على كل شيء عُرف عن المسلمين، لا فرق عنده بين عادات وتقاليد وخرافات وعقائد، وأثار الكتاب ضجَّةً عنيفة في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وما إن وصل خبر الكتاب إلى الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ حتى بادر بإرسال برقية إلى الشيخ فوزان السابق رَحِمَهُ اللهُ يطلب فيها منه أن يعلن براءته في الصحف من القصيمي.

الشيعة - هو عبدالله القصيمي، صاحب القلم السيال، والحجة القوية، واللسان الذرب، فكبتهم بكتاباتهِ العظيمة، وبرسائله «البروق النجدية»، وغيرها، إلا أنه انحرف -والعياذ بالله- بعد ذلك، وصار من أكبر الملاحدة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨) [آل عمران: ٨].<sup>(١)</sup> علماء نجد (٣/ ٣٤٢)، (٤/ ٢٦٠-٢٦١).




---

(١) تأمل كيف كان القصيمي من كبار العلماء، وكيف كان أشدهم ردوداً على المبتدعة، ومع ذلك انسلخ انسلخاً كاملاً من الدين! نعوذ بالله من ذلك. فاجعل جلّ وأكبر اهتمامك في صلاح سريرتك، وصلاح قلبك، بتجريد الإخلاص لله في كل أقوالك وأعمالك. وقد عُرف عن القصيمي بحبه للبروز والظهور والغلبة على الآخرين، وغروره وعُجبه بنفسه، وقد قال من اطلع على كثير من كتبه قبل إلحاده: «من يقرأ كتب القصيمي خصوصاً القديمة يلحظ بوضوح وجلاء نبرة الإعجاب بالنفس».

## التوبة والرجوع إلى الله<sup>(١)</sup>

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): جالسوا التوابين فإنهم أرق شيء أفئدة.<sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ١/ ٧١.

(١) صاحبُ الإيمان الصحيح يرى أنَّ له نسبةً إلى الرب العظيم خالق السماوات والأرض، وأنه سنده ومُمدُّه، وعند ذلك تعلو نفسه وترتفع كما قيل:

قَوْمٌ يُخَالِجُهُمْ زَهُوٌ بِسَيْدِهِمْ      والعبد يزهو على مقدار مولاة

ومن كان يشعر لنفسه بقيمة، أو يجد لها حقاً في أن تعز وتكرم: تراه إذا خلا بنفسه وتذكر أنه أَلَمَّ بنقيصةٍ أو معصيةٍ: يتألم ويتململ ويستعيز بالله من الشيطان الرجيم. وإذا تذكر أنَّ قلبه الذي تشرف بمعرفة الله تعالى، وأن شرف تلك المعرفة خلَّصه من العبودية لغيره، وصيَّره مربوباً لربِّ العالمين وحده: لم ير من اللائق بمثل هذا الاختصاص أن يُقابل الإحسان بالإساءة، وأن يرتكب ما يكون سبباً لانتقال من عزة العبودية له، إلى ذلِّ العبودية لغيره.

والقاعدة تقول: كلُّ من أعرض عن شيء من الحق وجحده: وقع في باطل مقابل لما أعرض عنه من الحق وجحده ولا بد، حتى في الأعمال: من رغب عن العمل لوجه الله وحده ابتلاه الله بالعمل لوجوه الخلق، فرغب عن العمل لمن ضرُّه ونفعه وموته وحياته وسعادته بيده فابتلي بالعمل لمن لا يملك له شيئاً من ذلك.

وكذلك من رغب عن الإنفاق في طاعة الله: ابتلي بإنفاقه لغير الله وهو راغم.

ومن رغب عن التعب لله ابتلي بالتعب في خدمة الخلق ولا بد.

ومن رغب عن الهدى بالوحي ابتلي بكِناسة الآراء وزبالة الأذهان ووسخ الأفكار.

فالعاقل لا يرغب عن ربِّه وخالفه، ومن لا مفرَّ له عن لقائه والوقوف بين يديه.

يُنظر: تفسير المنار ١/ ٣٠١، مدارج السالكين ١/ ١٦٥.

(٢) الذي في صفة الصفوة ٣/ ٧١: أن هذا القول هو من قول عون بن عبد الله.

\* وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): إني لأرجو أن يكون توبة العبد من ذنبه: ندامته عليه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٨٨.

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): أربع آيات في كتاب الله عزَّجَلَّ أحب إليَّ من حمر النعم وسودها، إذا مرَّ بهن العلماء عرفوهن، قالوا له: في أي سورة؟ قال:

١ - في سورة النساء قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٠﴾ [النساء: ٤٠].

٢ - وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٤﴾ [النساء: ٦٤].

٤ - وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١﴾ [النساء: ١١٠] الزهد لهناد (٩٠٣).

\* وقال زاذان رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت غلاما حسن الصوت، جيد الضرب بالطنبور، فكنت مع صاحب لي وعندنا نبذ وأنا أُغْنِيهِمْ، فمر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فدخل فضرب الباطية<sup>(١)</sup> بددها وكسر الطنبور، ثم قال: لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت، ثم مضى، فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود، فألقي في نفسي التوبة، فسعيت أبكي، وأخذت بثوبه، فأقبل علي فاعتنقني وبكى وقال: مرحبا بمن أحبه الله، اجلس، ثم دخل وأخرج لي تمرا. تهذيب السَّير ١/ ٤٩٨.

(١) قال في الحاشية: الباطية: هو كل إناء يجعل فيه الخمر.

\* وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قال: طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي كِتَابِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا. الزهد لهناد (٩٢٣).

\* وعن عبد الله بن عون رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠) قال: لو أن رجلاً انقطع إلى هؤلاء الملوك في الدنيا لانتفع، فكيف بمن ينقطع إلى من له السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟. صفة الصفوة ٣/ ٢٢٢.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها، والموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرقة أقرب، فداووها من الذنوب بالتوبة، فلرب تائب دعت توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها، وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب. تهذيب الحلية ٩٨/ ٢.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: اهتمام العبد بذنبه داع إلى تركه، وندمه عليه مفتاح للتوبة، ولا يزال العبد يهتم بالذنب يصيبه حتى يكون أنفع له من بعض حسناته. تهذيب الحلية ٩٨/ ٢.

\* وقالت رابعة العدوية رَحِمَهَا اللَّهُ (ت: ١٨٠): أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَلَّةِ صَدَقِي فِي قَوْلِي: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. صفة الصفوة ٤/ ٢٩٢.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): للتائب فخرٌ لا يعادله فخر، فرح الله بتوبته. صفة الصفوة ٣/ ٣٤٢.

\* وعن الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠) أنه قال لأصحابه: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود. صفة الصفوة ٣/ ٤٢.

\* وقال بعضهم: -البداية والنهاية ١٢/ ٦٣-.

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ



يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا      وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى      وَمَا لَكَ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالَفٌ  
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي      إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ  
وَكُنْ مُؤْنَسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَ مَا      يَصُدُّ ذَوُو الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمُؤَالَفُ  
لَنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي      أُرْجَى لِإِسْرَافِي فَإِنِّي تَالِفُ

\* وقال بعضهم: البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٧.

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ      خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ  
وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ يَغْفِلُ سَاعَةً      وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ  
لَهُنَا لَعْمَرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعْتُ      ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنْ ذُنُوبُ  
فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى      وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتُتُوبُ

\* وقال بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨): إِنْ أَنْتُمْ تَكْثُرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَاسْتَكَثَرُوا مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ اسْتِغْفَارًا سَرَّهُ مَكَانَ ذَلِكَ. تهذيب الحلية ٣٧٢ / ١.

\* وعن سعيد بن جبیر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: مَنْ أَعْبَدَ النَّاسُ؟ قَالَ: رَجُلٌ اجْتَرَحَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَكَلَّمَا ذَكَرَ ذُنُوبَهُ احْتَقَرَ عَمَلَهُ. تهذيب الحلية ١٠٥ / ٢.  
\* وعن سعيد الجريري قال: قُلْتُ لِلْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): يَا أَبَا سَعِيدَ الرَّجُلِ يَذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ، ثُمَّ يَذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ، ثُمَّ يَذْنِبُ ثُمَّ يَتُوبُ، حَتَّى مَتَى؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ هَذَا إِلَّا أَخْلَاقُ الْمُؤْمِنِينَ. تهذيب الحلية ٣١٥ / ٢.

\* وعن أَبِي قَلَابَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قَالَ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا لَعَنَ إِبْلِيسَ سَأَلَهُ النَّظْرَةَ فَأَنْظَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا أَخْرَجُ مِنْ جَوْفٍ - أَوْ مِنْ قَلْبٍ - ابْنَ آدَمَ مَا دَامَ فِيهِ الرُّوحُ قَالَ: وَعِزَّتِي لَا أَحْجُبُ عَنْهُ التَّوْبَةَ مَا دَامَ فِيهِ الرُّوحُ. تهذيب الحلية ٣٩٢ / ١.

\* وعن طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٢) قال: إِنَّ حَقْقَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بها العباد، وَإِنَّ نَعَمَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَلَكِنْ أَصْبَحُوا تَائِبِينَ، وَامْسُوا تَائِبِينَ. تهذيب السَّيَر ٥٦٧/٢.

\* وقال: المتنبِّي:

يا من ألوذ به فيما أوْمَلَهُ      ومن أعوذ به مما أحاذرُهُ  
لا يجبرُ الناسَ عظمًا أنت كاسره      ولا يهيضون عظمًا أنت جابرُهُ  
قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨): أنه كان ينكرُ على المتنبِّي هذه المبالغة ويقول: إنما يصلحُ هذا لجناب الله عزَّ وجلَّ.

وأخبرني العلامة شمس الدِّين ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه سمع الشيخ يقول: ربما قلتُ هذين البيتين في السجود. البداية والنهاية ٣٣٢/١١.

\* وعن عمر بن ذر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٣) قال: كُلُّ حَزَنٍ يَبْلَى إِلَّا حَزَنَ التَّائِبِ عن ذنوبه. تهذيب السَّيَر ٦٦٠/٢.

\* وكان الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): شاطرًا يقطعُ الطريقَ بين أَيْوَرْدَ وسَرْخَسَ، وكان سببُ توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦] فلما سمعها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، فأواه الليلُ إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فُضَيْلاً على الطريق يقطع علينا.

ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقومٌ من المسلمين ها هنا

يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلتُ  
توبتي مجاورة البيت الحرام. تهذيب السَّير ٧٧٣ / ٢.

\* وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤):

ولَمَّا قسا قلبي وضاعت مذهبِي      جعلتُ رجائي نحو عفوكَ سُلْمًا  
تعاظَمَني ذنبي فلَمَّا قرنتُهُ      بعفوكَ ربِّي كان عفوكَ أعظَمًا  
فمازلتُ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تزل      تجودُ وتعفو مِنَّةً وتكرُّما  
ديوان الشافعي / ١٢٠.

\* وقال ابن أبي الطيب: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ الصائغ أَنَّهُ كَانَ فِي جِوَارِ أَحْمَدَ بْنَ  
حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) رَجُلٌ، وَكَانَ مِمَّنْ يُمَارِسُ الْمَعَاصِيَ وَالْقَاذوراتِ، فَجَاءَ  
يَوْمًا إِلَى مَجْلِسِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّ أَحْمَدَ لَمْ يَرِدْهُ عَلَيْهِ مَرَدًّا تَامًّا  
وَانْقَبَضَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَمْ تَنْقَبِضْ عَنِّي؟ فَإِنِّي قَدْ انْتَقَلْتُ عَمَّا كُنْتُ  
تَعْتَدُ مِنِّي بِرُؤْيَا رَأَيْتَهَا، قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ  
عَلَى عَلْوٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَنَاسٌ كَثِيرٌ أَسْفَلَ مِنْهُ جُلُوسٌ، فَيَقُومُ رَجُلٌ إِلَيْهِ فَيَقُولُ: ادْعُ  
لِي، فَيَدْعُو لَهُ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنَ الْقَوْمِ غَيْرِي، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُومَ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ قَبِيحٍ  
مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي: يَا فُلَانُ لَمْ لَا تَقُومْ إِلَيَّ تَسْأَلُنِي أَدْعُو لَكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ  
اللَّهِ يَقْطَعُنِي الْحَيَاءُ لِقَبْحِ مَا أَنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ الْحَيَاءُ فَقُمْ فَسَلْنِي أَدْعُو لَكَ،  
فَإِنَّكَ لَا تَسْبُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَقُمْتُ فِدَعَا لِي، فَانْتَبَهْتُ وَقَدْ بَغَّضَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا  
كُنْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ لَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَا جَعْفَرُ، يَا فُلَانُ، حَدِّثُوا بِهَذَا وَاحْفَظُوهُ فَإِنَّهُ  
يَنْتَفِعُ بِهِ. <sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (١ / ٣٣٨).

(١) لعلنا نستفيد فائدتين: معاملة العاصي بما هو أهله، مع تحري حسن معاملته رجاء حيائه وتوبته،  
والثانية: أن المعصية يرجى الإقلاع عنها، أما البدعة فالتوبة منها صعبة.

\* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ذكروا أن أبا نواس (ت: ١٩٩) لما أراد الإحرام

بالحج قال: البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٦.

إلهنا ما أعدلك	مليك كل من ملك
ليك قد لبيت لك	ليك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك	ما خاب عبد سألك
ليك إن الحمد لك	والملك لا شريك لك
أنت له حيث سلك	لولاك يا ربي هلك
ليك إن الحمد لك	والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك	والسباحات في الفلك
على مجاري المنسلك	كل نبي وملك
وكل من أهل لك	سبح أو صلى فلك
ليك إن الحمد لك	والملك لا شريك لك
يا مخطئاً ما أغفلك	عجل وبادر أملك
واختم بخير عملك	ليك إن الحمد لك

\* وعن شقيق بن إبراهيم البلخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٤) قال: علامة التوبة البكاء

على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار. السَّير ٨ / ٧٢.

\* وقال بعضهم: - البداية والنهاية ١٢ / ١٤٥ -.

يا مَنْ يرى مدَّ البعوضِ جناحها	في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويَرى مناطَ عُروقها في نحرها	والمخ في تلك العظام النحل
امنن عليّ بتوبة تمحو بها	ما كان مني في الزمان الأول

## التأمل والتفكير<sup>(١)</sup>

\* عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. الزهد للإمام أحمد ٢٦٢.

\* وسئلت أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قالت: التفكير والاعتبار. الزهد لأحمد: ٢٥٦، الزهد لابن المبارك (٢٧٢).

\* وعن محمد بن واسع: أن رجلاً من البصرة ركب إلى أم ذر بعد وفاة أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يسألها عن عبادة أبي ذر، فأثاها فقال: جئتكَ لتخبريني عن عبادة أبي ذر قالت: كان النهار أجمع خالياً يتفكر. تهذيب الحلية ١/١٣٩.

\* وعن عصام بن يزيد قال: ربما كان يأخذُ سفيانَ الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) في التفكير، فينظر إليه الناظر فيقول: مجنون. تهذيب الحلية ٣٧٣/٢.

(١) أمر الله تعالى بالتفكير في خلق النفس والسموات والأرض في آيات كثيرة جداً، منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خَلَقَتْ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: ١٧]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، وإكثار القرآن من شيء دليل على تعظيم شأنه ووجوب الاهتمام به.

قال العلامة محمد رشيد رضا: فالقرآن الكريم يُلجُّ أشدَّ الإلحاح بالنظر العقلي، والتفكير والتدبر والتذكر، فلا تقرأ منه قليلاً إلا وتراه يغرض عليك الأكوان، ويأمرُك بالنظر فيها واستخراج أسرارها، واستجلاء حُكم اتفاقها واختلافها. اهـ تفسير المنار: ١/ ٢٠٨.

ومن يُوفق للتفكير في خلق الله تعالى في الكون وفي بدن الإنسان وفي الأرض: سيجد عبداً عظيمة، وآيات جليلة، تزيده إيماناً، وتعظيماً لله جل في علاه، وستتجلى له عظمته وقوته وسطوته من خلال آياته.

\* وعن إسحاق بن إبراهيم قال: سمعت سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨) يقول: الفكرة نور تدخله قلبك.

قال: وبلغني عن سفيان بن عيينة قال: التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب؟ تهذيب الحلية ٤٤٣ / ٢.

\* وعن عبد الأعلى بن زياد قال: رأيت داود الطائي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) يوماً قائماً على شاطئ الفرات مبهوئاً، فقلت: ما يوقفك ها هنا يا أبا سليمان؟ قال: أنظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى. تهذيب الحلية ٤٦٦ / ٢.

\* وعن يوسف بن سعيد بن مسلم قال: قلت لعلي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) كثير الصلاة؟ قال: لا ولكنه صاحب تفكر يجلس ليله يتفكر. تهذيب الحلية ٤٨٣ / ٢.

\* وقيل لإبراهيم رَحِمَهُ اللهُ: إنك لتطيل الفكرة، قال: الفكرة مخ العمل. تهذيب الحلية ٢٦ / ٣.

\* وقال شقيق البلخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٠): ولو أن رجلاً كتب جميع العلم لم ينتفع به حتى يكون فيه خصلتان: حتى يكون فعله التفكر والعبر، وقلبه فارغاً للتفكر وعينه فارغة للعبر، كلما نظر إلى شيء من الدنيا كان له عبرة. والمؤمن مشغول بخصلتين، والمنافق مشغول بخصلتين، المؤمن بالعبر والتفكر، والمنافق مشغول بالحرص ولأمل.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: متى أغفل العبد قلبه عن الله، والتفكر في صنعه ومنتته عليه ثم مات مات عاصياً؛ لأن العبد ينبغي له أن يكون قلبه أبداً مع الله، يقول: يا رب أعطني الإيمان، وعافني من البلاء واستر لي عيوبي، وارزقني، واجعل

نعمك متوالية علي، فهو أبداً متفكر في نعم الله عليه، فالتفكر في منّة الله شكر، والغفلة عنه سهو. تهذيب الحلية ٢/٥٠٢.

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. تهذيب الحلية ٣/٢٦.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللهُ: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. الزهد لأحمد: ٤٦٢.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٨): أبناء الدنيا يجدون لذة الكلام، وأبناء الآخرة يجدون لذة المعاني. تهذيب الحلية ٣/٢٦٥.

\* وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): سبحانك، ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم! ذيل الطبقات (١/ ٣٠١).



## العزلة، وأهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم

أ- اعتزال الناس وعدم الإكثار من مخالطتهم والحذر منهم<sup>(١)</sup>:

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): خذوا بحظكم من العزلة. ابن أبي

الدنيا ٥٠٣/٦.

\* وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: نعم صومعة المرء المسلم بيته،

(١) قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكلما طالت المخالطة: ازدادت أسباب الشر والعداوة وقويت. وهذا السبب كان الشر الحاصل من الأقارب والعُشراء: أضعاف الشر الحاصل من الأجانب والبُعداء. مفتاح دار السعادة ١/ ٤٢٧-٤٢٨.

وقال أيضًا: فكم جلبت خلطة الناس من نعمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية؟ وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على أبي طالب عند الوفاة أضر من قرناء السوء؟ والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير ويعتزلهم في الشر وفصول المباحات. فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم: فالحذر الحذر: أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم، فإنهم لا بد أن يؤذوه. وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فصول المباحات: فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس: طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك.

فإن أعجزته المقادير عن ذلك: فليُسَلِّ قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرا غائبا، قريبا بعيدا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم ورقى به إلى الملاء الأعلى، وما أصعب هذا وأشقاه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، فبين العبد وبينه: أن يصدق الله ويُدِيم اللُّجَأَ إليه. اهـ بتصرف. مدارج السالكين



يكف فيه بصره وسمعه وفرجه، وإياكم ومجالس الأسواق؛ فإنها تلغي<sup>(١)</sup> وتُلْهي. الزهد لأبي داود (٢٠٣)، الزهد لوكيع (٢٥١).

\* وعن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) - وكان من دهاة قريش - قال: أَقْلُ لعب المرء أن يُكثر الجلوس في بيته. الزهد لأبي داود (١٢١)، صححه ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في المطالب العالية (١٢ / ١٢٩).

\* وعن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥١) أنه قال: لولا الجمعة والجماعة لبنيت في أعلى داري هذه بيتاً فلم أخرج منه حتى أخرج إلى قبري. الزهد لأحمد: ٢٨١، الزهد لأبي داود (٣٣٣).

\* وقال وهيب بن الورد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠): خالطت الناس خمسين سنة، فما وجدت رجلاً غفر لي ذنباً فيما بيني وبينه، ولا وَصَلَنِي إِذَا قَطَعْتَهُ، ولا سَتَرَ عَلَيَّ عَوْرَةً، ولا أَمَتَهُ إِذَا غَضِبَ، فالا شتغال بهؤلاء حمق كبير. صفة الصفوة ٢ / ٥٣٢. \* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يقال: الحكمة عشرة أجزاء، فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس، فعالجت نفسي على الصمت، فلم أجدي أضبط كل ما أريد منه، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس. صفة الصفوة ٢ / ٥٣٢، ابن أبي الدنيا ٦ / ٥٣٧.

\* وقال السري السقطي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): من أراد أن يسلم دينه، ويستريح قلبه وبدنه، ويقل غمّه، فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة. صفة الصفوة ٢ / ٦٢٧. \* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: من قلة الصدق كثرة الخلطاء. صفة الصفوة ٢ / ٦٢٧. \* وعن ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: العزلة عبادة. صفة الصفوة ٣ / ١٧٤، ابن أبي الدنيا ٦ / ٥٠٣.

\* وعن مكحول رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢) قال: إن كان الفضل في الجماعة، فإن

(١) أي: تبعث على اللغو، وهو الكلام الذي لا يُفيد ولا ينفع.

السلامة في العزلة. تهذيب الحلية ١٨٢ / ٢، ابن أبي الدنيا ٥٠٥ / ٦.

\* وعن قتادة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨) قال: كان المؤمن لا يرى إلا في ثلاثة مواطن:

في مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لا بأس بها. ابن أبي الدنيا ١ / ٢٢٠.

\* وقال بعض العقلاء: إن الرجل ليحفوني، فإذا ذكرت استغنائي عنه وجدت

لجفائه بردا على كبدي. ابن أبي الدنيا ٧ / ٥١٠.

\* وعن مطرف رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) أنه كان يقول: احترسوا من الناس بسوء

الظن. (١) الزهد لأحمد: ٤١٧.

\* وقيل لابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١): إذا صليتَ معنا لم تجلس معنا؟

قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين!.

قالوا: ومن أين الصحابة والتابعون؟.

قال: أذهب أنظر في علمي فأدرِكْ آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم

تغتابون الناس، والبُعد من كثير من الناس أقربُ إلى الله، وفرّ من الناس كَفَرَارِكِ

من أسد، وتمسك بدينك يسلم لك مَجْهُودُكَ. الحلية (٨ / ١٦٥).

\* وكان رَحِمَهُ اللهُ يُكثر الجلوسَ في بيته، ف قيل له: ألا تستوحِش؟ فقال: كيف

أستوحِش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟! تهذيب السَّير ٢ / ٧٦٦.

\* وقال المتنبى (ت: ٣٥٤):

..... وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمانِ كِتَابٌ (٢)

ديوان المتنبى (٢٢٨).

(١) وهو مرويٌّ عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال بعضُ العلماء: المعنى: احترس بسوء الظن بنفسك لا بالناس،

أي اتهم نفسك بأنك لا تنصفهم من نفسك في معاملاتهم.

وقال بعضهم: المعنى: احترس بسوء الظن بالناس، إذا كان المظنون به ظاهر الفسق. وكلا المعنيين

صحيح.

(٢) لأنك لا تخشى غوائله ويؤدبك بآدابه، ويؤنسك عند الوحشة بحكمه. معجز أحمد (٤٠٤).

\* وعن يزيد بن توبة قال: قال لي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): إني لأفرح إذا جاء الليل ليس إلا لأستريح من رؤية الناس. تهذيب الحلية ٢/٣٧٢.

\* وعن عطاء بن مسلم الخفاف قال: قال لي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): يا عطاء احذر الناس واحذرني، فلو خالفت رجلاً في رُمَّانة، فقال: حامضة وقلت: حلوة، أو قال: حلوة وقلت: حامضة، لخشيت أن يشيط بدمي. تهذيب الحلية ٢/٣٧٥، ابن أبي الدنيا ٥٠٨/٦.

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): حب لقاء الناس من حب الدنيا، وتركهم من ترك الدنيا. تهذيب الحلية ٢/٤٨٥.

\* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٢٧): حب لقاء الناس حب الدنيا، وترك لقاء الناس ترك الدنيا. تهذيب الحلية ٣/٩٤.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: من عامل الله بالصدق استوحش من الناس. تهذيب الحلية ٣/٩٧.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ازهد في الناس، فعن معرفة مني بهم زهدت فيهم. ابن أبي الدنيا ٥٤٢/٧.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء. تهذيب الحلية ٣/٢٧، ابن أبي الدنيا ٥٠٦/٦.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: من خالط الناس لم يسلم، ولم ينبج من إحدى اثنتين:

- إما أن يخوض معهم إذا خاضوا في باطل.

- وإما أن يسكت إذا رأى منكراً أو سمعه من جلسائه، فلا يغير؛ فيأثم، ويشركهم فيه. ابن أبي الدنيا ٥٠٦/٦.

\* وقال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩): كان الناس الذين مضوا يحبون العزلة والانفراد من الناس. ابن أبي الدنيا ٥١٣/٦.

\* وكان حبيب أبو محمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٩) يخلو في بيته، فيقول: من لم تفر عينه بك فلا قرت، ومن لم يأنس بك فلا أنس. ابن أبي الدنيا ٥٢٠/٦.

\* وقال بعض السلف: من عاشر الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم<sup>(١)</sup>. ابن أبي الدنيا ٥٤٢/٧.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه خيرًا في أمر دينك: ففر منه. ابن أبي الدنيا ٥٣٣/٦.

\* وقال محمد بن أسلم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤٢): مالي ولهذا الخلق! كنتُ في صلب أبي وحدي، ثم صرت في بطن أمي وحدي، ثم دخلت إلى الدنيا وحدي، ثم تقبض روحي وحدي، فأدخل في قبري وحدي، فيأتيني منكر ونكير فيسألاني وحدي، فأصير إلى حيث صرت وحدي، وتوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي، وإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي، فما لي والناس!. المنتظم ١١/٣٠٣.

\* وسئل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): لم لا تصحب الناس؟ قال: لوحشة الفراق. طبقات الحنابلة (١٧/٢).

\* وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ قال: كان أبي أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحد إلا في مسجد، أو حضور جنازة، أو عيادة مريض. وكان يكره المشي في الأسواق. صفة الصفوة ٦١٠/٢.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: عجبت لمن عرف الطريق إلى ربه، كيف يعيش

(١) في الأصل: راياهم، وهو خطأ، والتصحيح من المصادر الأخرى؛ ككتاب العزلة والانفراد للمؤلف ابن أبي الدنيا.

مع غيره. <sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٤٥٨ / ٣.

\* وما أحسن قول الجُنيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٧). مكابدة العزلة أيسر من مداراة

الخلطة. فتح الباري ٤٠٢ / ١١.

\* وقال الخطَّابي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٨٨): لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من

الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يُقدَّر على إزالته لكان ذلك خيرًا كثيرًا. فتح

الباري ٤٠٢ / ١١.

\* وقال القُشيري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٤): طريق من أثر العزلة أن يعتقد سلامة

الناس من شره لا العكس فإن الأول يتجه استصغاره نفسه وهي صفة المتواضع

والثاني شهوده مزية له على غيره وهذه صفة المتكبر. فتح الباري ٤٠٤ / ١١.

\* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خَلِي      وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلامُ <sup>(٢)</sup>

ديوان المتنبي (٢٢٨).

\* وقال ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣): كان الوزير أبو شجاع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:

٣٧٢) كثير البر للخلق، كثير التلطف بهم، فقدم من الحج وقد اتفق نفور العوام

نفورًا أريقَت فيها الدماء، وانبسطوا حتى هجموا على الديوان، وبطشوا بالأبواب

والستور، فخرج من الخليفة إنكار عليه، وأمره أن يلبس أخلاق السياسة لتنحسم

مادة الفساد، فأدَّب وضرب وبطش، فانبسطت فيه الألسنة بأنواع التهم، حتى قال

قوم: ها هو إسماعيلي، وهبط عندهم ما تقدم من إحسانه.

قال ابن عقيل: فقلت لنفسي: أفلسي من الناس كل الإفلاس، ولا تثقي بهم،

(١) صدق رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) يقول: ليس لك صديق في الحقيقة إلا نفسك، فأنت صديق نفسك، لا من تسميه خليلًا، وإن

كثرت مجاملته، وأظهر لك الود بالكلام. معجز أحمد (٨٦)

فمن يقدر على إحسان هذا إليهم وهذه أقوالهم عنه. المنتظم ٢٥ / ١٧.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: متى حَدَّثْتُكَ نَفْسُكَ وفاءَ الناس فلا تصدِّق، هذا ابنُ رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup> أكثرُ الناس حقوقاً على الخلق، فقتلوا أصحابه وأهلكوا أولاده. الآداب الشرعية ١ / ٢٠٥.

ب- أهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم، وقطع منتهم <sup>(٢)</sup>:

\* عن أم الدرداء قالت: قال لي أبو الدرداء رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تسألي الناس شيئاً، قالت: فقلت: فإن احتجت؟ قال: فإن احتجت فتتبعي الحصادين فانظري ما سقط منهم فاحبطيه ثم اطحنه ثم كليه ولا تسألي الناس شيئاً. الزهد لأحمد: ٢٦٦.

\* وقال الشاعر:

لا تحسبن الموت موت البلى      فإنما الموت سؤال الرجال

(١) الحسين بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سؤال الناس مع القدرة على الكسب: حرام بلا نزاع؛ فمن حج على أن يسأل مع إمكان القعود فهو عاص، فقد جاء بضعة عشر حديثاً في النهي عن المسألة.

ويجوز سؤالهم إذا كان للسائل حق، كسؤال العلم؛ فإن الله أمر بسؤال أهل العلم كما في قوله تعالى ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> [النحل: ٤٣].

وكسؤال من له عند غيره حق؛ كالأمانات، فلصاحبها أن يسألها ممن هي عنده وكسؤال النفقة لمن تجب عليه، وكسؤال المسافرين الضيافة لمن تجب عليه، كما استطعم موسى والخضر أهل القرية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَعْظَمُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ قَدَرًا وَحُرْمَةً عِنْدَ الْخَلْقِ: إِذَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَيْهِمْ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ مَعَ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ: كُنْتَ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ، وَمَتَى اخْتَجْتَ إِلَيْهِمْ - وَلَوْ فِي شَرْبَةِ مَاءٍ - نَقَصَ قَدْرُكَ عِنْدَهُمْ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ...»

فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ: أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَأَفْقَرُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ. وَالْخَلْقُ أَهْوَنُ مَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ: أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِمْ».

يُنظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٨١-١٩٣) (١/ ٣٩-٤٠)، مختصر الفتاوى (٥٧٥).

كلاهما موت ولكنّ ذا  
أشدُّ من ذاك لِذُلِّ السَّوَالِ  
ابن أبي الدنيا ٢ / ٢٥١.

\* وقال الشاعر:

لا تخضعنّ لمخلوقٍ على طمع  
فإنّ ذاك مضرٌّ منك بالدين  
واسترزق الله مما في خزائنه  
فإنما هو بين الكاف والنون  
أدب الدين (٥٢٩).

\* وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١) لعلي بن الحسن فيما يوصيه:

يا أخي، عليك بالكسب الطيب، وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس  
أن تأكله أو تلبسه، فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس  
مخافة أن يمسكوا عنه.

ويا أخي، إن تناولت من الناس شيئاً قطعتَ لسانك، وأكرمتَ بعض الناس،  
وأهنتَ بعضهم، مع ما ينزل بك يوم القيامة، فإنّ الذي يعطيك شيئاً من ماله فإنما  
هو وسخه، وتفسير وسخه تطهير عمله من الذنوب.

وإن أنت تناولت من الناس شيئاً: إن دعوك إلى منكرٍ أجبتهم، وإن الذي  
يأكل أوساخ الناس كالرجل له شركاء في شيء ينبغي له أن يُقاسمهم.

يا أخي، جوعٌ وقليلٌ من العبادة خيرٌ من أن تشبع من أوساخ الناس وكثيرٍ من  
العبادة.

وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لَأَنْ يَخْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُرْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ  
لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»<sup>(١)</sup>.

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: من عمل منكم حمدناه، ومن لم يعمل  
اتهمناه، وقال: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم ولا تزيدوا الخشوع على ما في

القلب، استَبَقُوا في الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على الناس، فقد وضح الطريق.  
وقال علي بن أبي طالب: إن الذي يعيش من أيدي الناس كالذي يغرس شجرة في أرض غيره.

فاتق الله يا أخي، فإنه ما نال أحد من الناس شيئاً إلا صار حقيراً ذليلاً عند الناس، والمؤمنون شهود الله في الأرض، وإياك أن تكسب خبيثاً فتنفقه في طاعة الله، فإن تركه فريضة من الله واجبة، وإنه طيب لا يقبل إلا طيباً، أرايت رجلاً أصاب ثوبه بول ثم أراد أن يطهره فغسله ببول آخر؟ أترى كان ذلك يطهره؟ كلا! إن القذر لا يطهر إلا بطيب، فكذلك لا تُمحي السيئة إلا بالحسنة، وإن الحرام لا يُقبل في شيء من الأعمال. تهذيب الحلية ٢ / ٤٠٨.

\* وعن قتادة قال: وجدت خلود بن عبد الله العصري رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup> قال: تلقى المؤمن عفيفاً سوءاً، وتلقاه غنياً فقيراً.

قال: تلقاه عفيفاً عن الناس، سوءاً لربه عَزَّوَجَلَّ ذليلاً لربه، عزيزاً في نفسه، غنياً عن الناس، فقيراً إلى ربه.

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨). تلك أخلاق المؤمن، هو أحسن معونة وأيسر الناس مؤونة. الزهد لأحمد: ٤١٠.

\* وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُما اللهُ: حدثني علي بن الجهم بن بدر قال: كان لنا جار فأخرج إلينا كتاباً فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: نعم، هذا خط أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١)، فقلنا له: كيف كتب ذلك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان ابن عيينة رَحِمَهُ اللهُ، فقصدنا أحمد بن حنبل أياً ما فلم نره، ثم جئنا إليه لنسأل عنه، فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت، فجئنا

(١) من العباد الزهاد، ولم أقف على تاريخ وفاته.



إليه، والباب مردود عليه، وإذا عليه خُلُقَان<sup>(١)</sup>، فقلنا له: يا أبا عبد الله ما خبرك لم نرك منذ أيام؟ فقال: سُرقت ثيابي، فقلت له: معي دنانير، فإن شئت خذ قرصاً، وإن شئت صلة، فأبى أن يأخذه، وقال: اشتر لي ثوباً واقطعه بنصفين، فأومى أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر، وقال: جئني بقيتته، ففعلت وجئت بورق وكاغد<sup>(٢)</sup> فكتب لي، فهذا خطه. تهذيب الحلية ٣/١٤٢.

\* وحمل إلى الحسن بن عبد العزيز ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل رَحْمَةُ اللَّهِ ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبد الله، هذه من ميراث حلال، فخذها واستعن بها على عيلتك<sup>(٣)</sup>، قال: لا حاجة لي بها أنا في كفاية فردها ولم يقبل منها شيئاً. تهذيب الحلية ٣/١٤٢.

\* وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحْمَةُ اللَّهِ قال: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً، ما ذاق إلا مقدار ربع سويق، كل ليلة كان يشرب شربة ماء، وفي كل ثلاث ليال يستف حفنة من السويق، فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر، ورأيت موقيه دخلتا في حدقيته. تهذيب الحلية ٣/١٤٣.

\* وعن إسحاق بن موسى الأنصاري قال: دفع إليّ المأمون مالاً أقسمه على أصحاب الحديث، فإن فيهم ضعفاء، فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل رَحْمَةُ اللَّهِ فإنه أبى. تهذيب الحلية ٣/١٤٤.

ج- أقوال بعض السلف في تفضيل مخالطة الناس، وتوجيههم لمن خالطهم:

\* جاء رجل إلى وهب بن منبه رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١١٤) فقال: إني قد حدثت نفسي أن لا أخالط الناس فما ترى؟ قال: لا تفعل، إنه لا بد للناس منك، ولا بد لك

(١) جمع خَلَقَ، وهو الثوب البالي القديم.

(٢) أي: قرطاس.

(٣) أي: حاجتك وفقرك.

منهم، لك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعاً، أعمى بصيراً، سكوتاً نطوقاً. ابن أبي الدنيا ٧ / ٥٢٤.

\* وذكروا عند وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ عبادة بني إسرائيل وسياحتهم قال: فقال وهب رَحِمَهُ اللهُ: من خالط الناس فورع وصبر على أذاهم كان أفضل عندي. الزهد لأحمد: ٦١٧.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكُن بين المنقبض والمنبسط. تهذيب السير ٢ / ٨٥٣.

\* وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): يروى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «الذي يخالطُ الناس ويصبر على أذاهم»<sup>(١)</sup>، من يصبر على أذاهم؟ طبقات الحنابلة (١ / ٣٧٢).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إذا كانت الفتنه فلا بأس أن يعتزل الرجل حيث شاء، وأما إذا لم تكن فتنة فالأمصار خير. طبقات الحنابلة (٢ / ٥٤٣).

\* وسُئِلَ ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٣): فقليل له: ما تقول في عزلة الجاهل؟ فقال: خبالٌ ووبال، تضرُّه ولا تنفعه.

فقليل له: فعزلة العالم؟ قَالَ: مَا لَكَ وَلَهَا، معها حِذَاوُهَا وَسِقَاوُهَا، تَرِدُ الْمَاءَ وترعى الشجر، إلى أن يلقاها ربها. ذيل الطبقات (١ / ٣٢٤-٣٥٤).



(١) لفظ الحديث: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». رواه أحمد (٢٣٠٩٨)، وغيره.

## حال السلف عند الموت<sup>(١)</sup>

أ- قصص وأخبار:

\* لما احتضر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) جاءت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتمثلت بهذا

البيت:

من لم يزل دمه مُقَنَّعاً      فإنه لا بدّ مرةً مدْفُوق  
فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بل ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾<sup>(١١)</sup>  
[ق: ١٩]. الزهد لأبي داود (٦١).

\* ودخلوا عليه في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي، قالوا: ما قال؟ قال: إني فعال لما أريد. ابن أبي الدنيا ٣١٢/٥.

\* وعن ابن عمر قال: كان رأس عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي على الأرض، قال: فقلت: وما عليك

(١) الموت مصيبة وأي مصيبة! قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةَ الْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، ولو لم يكن من مصيبة الموت إلا أنّ الأعمال الصالحة التي كانت تُرفع تنقطع وتتوقف! إلا مَنْ مَنَّ الله عليه بأسباب دوامها، كالولد الصالح الذي يدعو له، والعلم الذي يُنتفع به، والصدقة الجارية، ومَنْ سَنَّ سنة حسنة فعمل الناس بها.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: الَّذِي يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْبَشَرِي، وَمَسَرَّةِ الْمَلَائِكَةِ بِلِقَائِهِ، وَرَفَقَتِهِ بِهِ، وَفَرَحِهِ بِلِقَاءِ رَبِّهِ: يُهَوِّنُ عَلَيْهِ كُلَّ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ أَلَمِ الْمَوْتِ، حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ لَا يُحْسُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. ١. فتح الباري ١١ / ٣٦٥.

كان على فخذني أم على الأرض؟ قال: ضعه على الأرض، قال: فوضعتة على الأرض، فقال: ويلى وويل أُمى إن لم يَغْفِرْ لي ربي. الزهد لأبي داود (٤٤).

\* وعن عثمان بن عفان قال: دخلت على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين طعن، ورأيتة في التراب، فذهبت أرفعه، فقال: دعني، ويلى وويل أُمى إن لم يغفر لي، ويلى وويل أُمى إن لم يغفر لي. الزهد لأحمد: ٢٣٨.

\* وبعث النبي ﷺ سبعين من القراء إلى بني عامر فلما قدموا: قال لهم حرام ابن ملحان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤): أتقدمكم، فإن أمتوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ وإلا كنتم مني قريباً، فتقدم فأمنوه، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه، فقال بالدم هكذا، فنضح على وجهه ورأسه، ثم قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة. صحيح البخاري (٣٨٦٥)، صحيح مسلم (٦٧٧).

\* وعن زياد مولى ابن عباس، قال: حدّثني من دخل على حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) في مرضه الذي مات فيه، فقال: لولا أني أرى هذا اليوم آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لم أتكلّم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات رَحِمَهُ اللهُ. المنتظم ١٠٦ / ٥.

\* وعن سلم بن بشير بن حجل قال: بكى أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) في مرضه، فقليل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أما إني ما أبكي على دنياكم هذه، ولكنني أبكي لبعد سفري، وقلة زادي، وإني أصبحت في صعود مهبطه على جنة ونار، فلا أدري أيهما يُسلك بي. «الزهد الكبير للبيهقي» (٢٢١).

\* ولما حضر معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ١٨) الوفاة قال: انظروا أصبحنا؟

فأتي فقيل: لم نصبح، حتى أتي في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها النار، مرحباً بالموت مرحباً، زائر مُغَيَّب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، إنك لتعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكُرِّي الأنهار، ولا لغرس الأشجار ولكن لظماً للهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر. صفة الصفوة ٢٣٤ / ١.

\* ولما احتضر أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) جعل يقول: مَنْ يَعْمَلْ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟. الزهد لأبي داود (١٩٤).

\* واجتهد أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قبل موته اجتهداً شديداً، فقيل له: لو أمسكت ورفقت بنفسك؟ قال: إِنَّ الْخِيلَ إِذَا أُرْسِلَتْ فَقَارِبَتْ رَأْسَ مَجْرَاهَا، أَخْرَجَتْ جَمِيعَ مَا عِنْدَهَا، وَالَّذِي بَقِيَ مِنْ أَجْلِي أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ. تهذيب السَّيَر ٢٨١ / ١.

\* ودعا أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتَيَانَهُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقَالَ: اذْهَبُوا وَاحْفَرُوا وَأَوْسِعُوا، وَأَعْمِقُوا فَجَاؤُوا فَقَالُوا: قَدْ حَفَرْنَا وَأَوْسَعْنَا وَأَعْمَقْنَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لِأَحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ، إِمَّا لِيُوسَعَنَّ عَلَيَّ قَبْرِي حَتَّى تَكُونَ كُلُّ زَاوِيَةٍ مِنْهُ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لِيُفْتَحَنَّ لِي بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَلَا نَظْرَنَ إِلَى أَزْوَاجِي وَمَنَازِلِي وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِي مِنَ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ لَا كُونَنَّ أَهْدَى إِلَى مَنَزِلِي مِنِّي الْيَوْمَ إِلَى بَيْتِي، ثُمَّ لِيُصَيَّبَنِي مِنْ رِيحِهَا وَرَوْحِهَا حَتَّى أُبْعَثَ، وَلَيْئِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى - وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهَا - لِيُصَيَّبَنَّ عَلَيَّ قَبْرِي حَتَّى يَكُونَ فِي أَضْيَقِ مِنَ الْقَنَافَةِ فِي الزَّجِّ، ثُمَّ لِيُفْتَحَنَّ لِي بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ فَلَا نَظْرَنَ إِلَى سَلَاسِلِي وَأَغْلَالِي وَفَرْنَائِي، ثُمَّ لَا كُونَنَّ إِلَى مِقْعَدِي مِنْ جَهَنَّمَ أَهْدَى مِنِّي الْيَوْمَ إِلَى بَيْتِي، ثُمَّ لِيُصَيَّبَنِي مِنْ سَمُومِهَا وَحَمِيمِهَا

حَتَّى أُبْعَثَ. <sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ١ / ٢٠١.

\* وقال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): عجباً لمن نزل به الموت، وعقله معه كيف لا يصفه؟ فلما نزل به الموت، ذكره ابنه بقوله، وقال: صفه، قال: يا بُنَيَّ! الموت أجل من أن يُوصف، ولكني سأصف لك، أجدني كأن جبال رضوى على عنقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأن نفسي يخرج من إبرة. تهذيب السير ١ / ٣٣٧.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث احتضر: اللهم أمرتنا بأمور، ونهيت عن أمور، فتركنا كثيرا مما أمرت، ووقعنا في كثير مما نهيت، اللهم لا إله إلا أنت، ثم أخذ بإبهامه، فلم يزل يهلل حتى فاض. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٦٨.

\* وبكى وهو في سياقة الموت طويلا وحوله وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟. فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نُعِدَّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. <sup>(٢)</sup>.

إني قد كنت على أطباق ثلاث. لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ مني. ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته. فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار.

فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبایعك، فبسط يمينه، قال فقبضت يدي، قال «مالك يا عمرو؟» قلت: أردت أن أشرط، قال: «تشرط بماذا؟» قلت: أن يُغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟».

(١) حتى على كل عاقل أن يستعد لما بعد الموت، بأن يعمر أوقاته بالطاعات والقربات، وأن يكف عن المعاصي، فالقبر أول منازل الآخرة، فإذا أن يُنعم فيه أو يُعذب.

(٢) في كتاب الزهد لابن المبارك (٤١٦): تركت أفضل من ذلك كله: شهادة أن لا إله إلا الله..

وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطق؛ لأنني لم أكن أملاً عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة.

ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها.

فإذا أنا مت، فلا تصبطني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شناً.

ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور، ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي. صحيح مسلم (١٢١).

\* ولما حضرت معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) الوفاة جعلوا يديرونه في القصر فقال: هل بلغنا الخضراء؟ فصرخت ابنته رملة! فقال: ما أصرحك؟ قالت: نحن ندور بك في الخضراء، وتقول هل بلغت الخضراء بعد؟ فقال: إن عَزَبَ عقلُ أبيك فطالماً وقر. ابن أبي الدنيا ٣١٩ / ٥.

\* ولما نزل به الموت قال: ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى، وأني لم آل<sup>(١)</sup> من هذا الأمر شيئاً. ابن أبي الدنيا ٣٢١ / ٥.

\* وقال بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٠) حين حضرته الوفاة: غدا نلقى الأحبة محمداً وحزبه، وتقول امرأته: واويلاه، يقول: وافرحاه. ابن أبي الدنيا ٣٧١ / ٥.

\* وبكى سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) عند الموت فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي ضناً بدنياكم، ولا جزعاً من الموت، ولكن قلة الزاد، وبعد المفاز. ابن أبي الدنيا ٣٧٨ / ٥.

\* وقال أنس بن سيرين: شهدت أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) وحضره

(١) أي أتول ولاية.

الموت، فجعل يقول: لقنوني: لا إله إلا الله، فلم يزل يقولها حتى قبض. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٠٧.

\* ولما أن حضر الحسن بن علي رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) الموت بكى بكاء شديداً، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي؟ وإنما تقدم على رسول الله ﷺ وعلى علي وفاطمة وخديجة، وهم ولدوك، وقد أجرى الله لك على لسان نبيه أنك سيد شباب أهل الجنة، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على قدميك خمس عشرة مرة حاجاً؟، وإنما أراد أن يطيب نفسه، فو الله ما زاده إلا بكاء وانتحاباً، وقال: يا أخي إني أقدم على أمر عظيم، وهول لم أقدم على مثله قط! (١) ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٥٩.

\* وعن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، أنه لما حضره الموت بكى، ف قيل له: ما يبكيك؟ قال: أما إني لا أبكي على الدنيا، ولكني أبكي أني أخاف أن أكون كنت أقول قولاً أحسبه هيناً، وهو عند الله عظيم. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٧٦.

\* وبكى إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦) عند موته ف قيل له: ما يبكيك؟ قال: أنتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار! الزهد لابن المبارك (٤١٣)، ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٣٩.

\* ولما احتضر عبد الرحمن بن الأسود رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٩) بكى، ف قيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفاً على الصوم والصلاة، ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات. ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٨.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ لما حضره الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ الْجُؤُورَ كُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ألا إن الأعمال محظورة، والأجور

(١) نعم والله! إنه أمر عظيم، وهول لم يقدم الحي على مثله قط، اللهم أحسن ختامنا، واجعل قبورنا رياضاً من رياض الجنة.



مكملة، ولكل ساع ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت، ثم بكى وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار غدا مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لوقوفك بين يدي ربك؟.

ثم بكى، فقيل له: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار، ثم بكى وقال: من يصلي لك يا يزيد؟ ومن يصوم؟ ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا أخوتاه لا تغترن بشبابكم، فكأن قد حل بكم ما حل بي من عظيم الأمر، وشدة كرب الموت، النجاء النجاء، الحذر الحذر، يا إخوتاه المبادرة رحمكم الله. ابن أبي الدنيا ٣٤٧/٥.

\* وحضرت الوفاة رجلا من عليّة هذه الأمة، فجزع جزعا شديدا، وبكى بكاء كثيرا، فقيل له في ذلك فقال: ما أبكي إلا على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم، ويصلي له المصلون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم، فذاك الذي أبكاني. ابن أبي الدنيا ٣٤٨/٥.

\* وقال سليمان التيمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٣): دخلت على رجل من أصحابي وهو بالموت، فرأيت من جزعه شيئا ساءني، فقلت له: ما هذا الجزع؟ فقال: وما لي لا أجزع؟ ومن أحق بذلك مني؟ والله لو أتتني المغفرة من الله للحقني الحياء من الله فيما أفضيت به إليه. الزهد لابن المبارك (١١٤٨).

\* وحضر الموت رجلا من الصالحين رَحِمَهُ اللهُ، فبكى فقيل له: علام تبكي، فإنما هي الدنيا التي تعرفها!، فقال: ليس عليها أبكي، ولكنني والله أبكي على فراق الذكر ومجالس أهله. ابن أبي الدنيا ٣٥٠/٥.

\* وَلَمَّا احْتَضَرَ عامر بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٠) بكى، فقيل: ما يُبكيك؟

قال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وعلى قيام ليالي الشتاء.<sup>(١)</sup> الزهد لابن المبارك (٢٦٥).

\* وسمع رَحْمَةُ اللَّهِ المؤذن وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب من المسجد، فقال: خذوا بيدي، فقيل له: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ركعةً، ثم مات. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٢.

\* وعن الحسن بن صالح بن حي أنه قال: قال لي أخي علي بن صالح بن حي رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٥٤) في الليلة التي توفي فيها: اسقني ماء، وكنت قائماً أصلي، فلما قضيت الصلاة أتيت به ماء فقلت: يا أخي، فقال: لبيك، فقلت: هذا ماء، فقال: قد شربت الساعة، فقلت: من سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال: أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني وقال لي: أنت وأخوك وأبوك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وخرجت روحه رحمة الله عليه. كرامات الأولياء للخلال (٤٣).

\* وكان عبد الرحمن بن أبان رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٠٨) يشتري أهل البيت ثم يأمر بهم فيكسون ويذهبون، ثم يعرضون عليه فيقول: أنتم أحرار لوجه الله أستعين بكم على غمرات الموت.

فمات وهو قائم في مسجده. المنتظم ٧/ ١٢٢.

\* ولما حضر صفوان بن سليم رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٣٢) حضره إخوانه، فجعل يتقلب، فقالوا: كأن لك حاجة قال: نعم، فقالت ابنته: ما له من حاجة، إلا أنه يريد

(١) كان كثير من السلف الصالح يبكي عند الموت، فيقال لهم: ما يبكيكم؟ فيقولون: ما نبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن نبكي على قيام ليالي الشتاء!

فكم فرط الكثير من المسلمين في قيام ليالي الشتاء الطويلة، التي طالما بكى على فراقها الصالحون حتى عند الموت، وتحسروا على لذاتها والدمعات التي سكبت فيها.

أن تقوموا عنه فيقوم فيصلي، فقام القوم عنه، وقام إلى مسجده فصلى، فوقع، فصاحت ابنته، فدخلوا عليه فحملوه ومات. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٥٧.

\* وعن فضالة بن دينار قال: حضرت محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) وقد سُجِّي للموت، فجعل يقول: مرحبا بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: وشممت رائحة طيبة لم أشمم مثلها، قال: ثم شَخَّصَ ببصره فمات. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٤٩.

\* وأتى صفوان بن سليم محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠) وهو في الموت، فقال: يا أبا عبد الله كأي أراك قد شق عليك الموت؟!، فما زال يهون عليه الأمر ويتجلى عن محمد، حتى لكأن وجهه المصباح، ثم قال له محمد: لو ترى ما ألقىه: لقرت عينك! ثم قضى. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٥٨.

\* وعن سعيد بن عبد العزيز قال: لا نعلم أحداً رأى حور العين عياناً إلا في المنام إلا ما كان من أبي مخرمة رَحِمَهُ اللهُ.

فإنه دخل يوماً لحاجته فرأى حوراء في قبتها وعلى سريرها فلما رآها صرف وجهه عنها، قالت: إليّ يا أبا مخرمة فإني أنا زوجتك وهذه زوجة فلان، قال: فانصرف إلى أصحابه فأخبرهم فكتبوا وصاياهم فلم يكتب أحد وصيته إلا استشهد. الزهد لأحمد: ٣١٠.

\* وقال مطرف رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) لما حضره الموت: اللهم خِرْ لي في الذي قضيته علي من أمر الدنيا والآخرة، وأمرهم بأن يحملوه إلى قبره، فختم فيه القرآن قبل أن يموت!. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٤١.

\* ولما احتضر العلاء بن زياد العدوي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) بكى ف قيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت والله أحب أن أستقبل الموت بالتوبة، قيل له: فافعل رحمتك الله، فدعا بطهور فتطهر، ثم دعا بثوب له جديد فلبسه، ثم استقبل القبلة، فأومأ

برأسه مرتين أو نحو ذلك، ثم اضطجع فمات! ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٤١.

\* وقال أبو جعفر التُّسْتَرِي: حضرنا أبا زرعة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٦٤) وكان في السَّوْق<sup>(١)</sup>، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التَّلْقِين، وقوله عَلَيْهِ السَّلَام: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>. فاستحيوا من أبي زرعة وهابوا أَنْ يَلْقَنُوهُ، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث، فقال محمد بن مسلم: أنبأ الضحَّاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر بن صالح ولم يجاوز، والباقون سكتوا فقال أبو زرعة وهو في السَّوْق: حدثنا بندار قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرَّة الحضرمي، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخرُ كلامه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٣)</sup> وتوفي رَحِمَهُ اللهُ. صفة الصفوة ٤ / ٣٣٩.

\* وكان الأسود بن يزيد النخعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٥) يجتهد في العبادة، ويصومُ حتى يخضِرَّ ويصفرَّ، فلما احتضِرَ بكى، فقليل له: ما هذا الجَزَعُ؟ فقال: مالي لا أَجْزَعُ، والله لو أُتيتُ بالمغفرة من الله لأهَمَّنِي الحياءُ منه ممَّا قد صنعتُ، إن الرجل ليكون بينه وبين آخرِ الذَّنْبِ الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحيًا منه. تهذيب السَّيَر ١ / ٤٤٠.

\* واحتضر سيبويه النحوي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٠)، فوضع رأسه في حجر أخيه، فقطرت قطرة من دموع أخيه على خده، فأفاق من غشيه، فقال:

أُخَيَّينَا كُنَا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى فَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَا

ابن أبي الدنيا ٥ / ٤٢٩.

(١) أي يحتضر.

(٢) رواه مسلم (٩١٦).

(٣) رواه أبو داود (٣١١٦).

\* وعن محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠): أنه جزع عند الموت، ف قيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آية من كتاب الله عَزَّجَلَّ قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فإني أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب. صفة الصفوة ٢ / ٤٨١.

\* وكان ابن عون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٠)؟ يقول عند الموت: السَّنة، السَّنة، وإيَّاكم والبدع، حتى مات. شرح السنة / ١٢٦-١٢٩.

\* واحتضر سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١)، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئاً من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت. تهذيب الحلية ٣٧٨ / ٢.

\* ولما حضرت مسعراً رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٢) الوفاة، دخل عليه سفيان الثوري، فوجده جزعاً، فقال له: لم تجزع؟ فوالله لوددت أني مت الساعة، فقال مسعر: أقعدوني فأعاد عليه سفيان الكلام فقال: إنك إذا لوائق بعملك يا سفيان، لكني والله لكأني على شاق جبل، لا أدري أين أهبط<sup>(١)</sup>، فبكى سفيان فقال: أنت أخوف لله عَزَّجَلَّ مني. تهذيب الحلية ٤٢٠ / ٢.

\* وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١): كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار.

فقلت له يوماً: يا أمير المؤمنين، ألا أخرج عنك عسى أن تُعفي شيئاً، فإنك لم تنم؟.

(١) وصفٌ دقيق لحال فراق الروح من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة.

قالت: فخرجت عنه إلى جنب البيت الذي هو فيه، فجعلت أسمعه يقول: ﴿تَلَاكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصل: ٨٣] يرددها مرارا، ثم أطرق، فلبث طويلا لا أسمع له صوتا، فدخلت عليه، فوجدته ميتا، قد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينه. الزهد لابن المبارك (٨٣٦)، ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٢٥.

\* وقال رجاء بن حيوة رَحِمَهُ اللَّهُ: كان عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ قد أوصى إليّ أن أغسله وأكفّنه، وأدفنه فإذا حللت عقدة الكفن، أن أنظر في وجهه، قال: فلمّا فعلت ذلك إذا وجهه كالقراطيس بياضا، وكان قد أخبرني أنّه دفن ثلاثة من الخلفاء فيحلّ عن وجوههم فإذا هي مسوذة. البداية والنهاية ٩ / ٣٥٩.

\* وعن محمد بن ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ذهبت ألقيّ أبي (ت: ١٣٣) عند الموت فقال: يا بني خل عني، فإني في وردي السابع، كأنه يقرأ ونفسه تخرج. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٤٢.

\* وقال محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣) وهو في الموت: يا إخوتاه! تدرون أين يُذهب بي؟ يُذهب بي والله الذي لا إله إلا هو إلى النار، أو يعفو عني! وجعل يقول: وما يُغني عني ما يقول الناس إذا أخذ بيدي ورجلي فألقيت في النار؟. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٤٦.

\* ودخلوا على مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) وهو في الموت، فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دُؤوب أبي يحيى.

ورفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٤٦، ٣٧١.

\* وكان بعض السلف رَحِمَهُ اللَّهُ إذا جاء الليل قال: ذهب من عمري يوم كامل،

فإذا أصبح قال: ذهبت ليلة كاملة من عمري، فلما احتضر بكى وقال: قد كنت أعلم أن لي من كركم علي يوماً شديداً كربه، شديداً غصصه، شديداً غمه، فلا إله إلا الذي قضى الموت على خلقه، وميزه عدلاً بين عباده، ثم جعل يقرأ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] ثم تنفس فخرجت نفسه. ابن أبي الدنيا ٣٤٩/٥.

\* ونزل الموت برجل من أهل المدينة فجزع، فقيل له: أتجزع؟ فقال: ولم لا أجزع؟ فوالله إن كان رسول أمير المدينة ليأتييني فأفزع لذلك، فكيف برسول رب العالمين؟! ابن أبي الدنيا ٣٥٤/٥.

\* وقال عطاء السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦) عند الموت: اللهم ارحم في الدنيا عُربتي، وارحم عند الموت صرعتي، وارحم في القبر وَحْدَتِي، وارحم مقامي بين يديك يوم النشور. ابن أبي الدنيا ٣٥٩/٥.

\* ومرض جليس للحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠)، فسأل عنه فقيل: مريض وقد أحب أن تأتيه، فأتاه فدخل عليه، وإذا الرجل لما به فقال: إِنَّ أَمْرًا<sup>(١)</sup> يصير إلى هذا لأهل أن يُزهد فيه، ثم قال: إِنَّ أَمْرًا<sup>(٢)</sup> أهونه هذا لأهل أن يُتقى. ابن أبي الدنيا ٣٦٠/٥.

\* وصدق القائل:

إن عيشا يكون آخره الموتُ      لعيشٌ معجَّلُ التنغيصِ

\* وعن ثابت قال: دخلت أنا والحسن على صفوان بن محرز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٤) نعوذه وهو ثقيل، فقال: إنه من كان في مثل حالي ملأت الآخرة قلبه، وكانت الدنيا أصغر في عينه من الذباب.<sup>(٣)</sup> ابن أبي الدنيا ٣٧٠/٥.

(١) أي: الدنيا.

(٢) أي: الآخرة.

(٣) فينبغي للمؤمن أن يُوقن بهذا في صحته فينبغه ذلك، قبل أن يُوقن به عند موته فلا ينفعه ولا يستفيد بوقوفه على هذه الحقيقة التي أكثر الله تعالى من بيانها في كتابه.

\* ولما حضرت الوفاة الشيخ الكاساني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٨٧) شرع في قراءة سورة إبراهيم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يُنِثُّ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فخرجت روحه عند فراغه من قوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾. طبقات الحنفية (٢٤٥).

\* وقال أبو علي الحسن بن نصر السوسي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣١٤) ليلة من الليالي لابنه في مرضه الذي توفي فيه: يا بني، اربط لي حبلاً في السقف، لعلي أقدر أصلي قائماً، قال: ففعلت، وحملناه حتى وقف، وغُلب ولم يستطع القيام فبكى، وقال: واحزنه، حيل بيني وبين طاعة ربي، فذكرت له الصلاة جالساً، فقال: يا بني، العمر قصير، والعمل قليل، وإنما أردت أن أعمل أكثر مما عملت، ولَمَّا أطال به المرض قال لزوجته: قد تولَّيت مني خيراً، فاصبري، فما أشك أن أجلي قد اقترب، فإني سمعت هاتفاً من هذا الطاق يقول: أَحْسِنْ غَدًا صلاة الظهر يفرج عنك، فمات ذلك الوقت. ترتيب المدارك (٣/ ٣١٨).

\* وجدَّ الفخر ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٢٢) في الاشتغال والبحث، ثم أخذ في التدريس والوعظ والتصنيف، وشرع في إلقاء التفسير بكرة كل يوم، بجامع حران في سنة ثمان وثمانين، وواظب على ذلك حتى قرأ القرآن الكريم خمس مرات، انتهى آخرها إلى سنة عشر وستمائة، فكان مجموع ذلك في ثلاث وعشرين سنة، ذكر ذلك في أول تفسيره الذي صنَّفه.

وكان الشيخ فخر الدين رجلاً صالحاً..

قرأت بخط ولده: لما مات الوالد كان في الصلاة؛ لأنني ذكرته بصلاة العصر، وأخذته إلى صدري، فكبر وجعل يُحرِّك حاجبه وشفتيه بالصلاة، حتَّى شَخَصَ بصره.



وَقَدْ ذَكَرَ وَلَدَهُ لَهُ مَنَامَاتٌ صَالِحَةٌ رُئِيتُ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

منها: أَنَّ رَجُلًا حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَأَى وَالِدَهُ الشَّيْخَ فخر الدين جالسًا عَلَى تَحْتِ<sup>(١)</sup> عَالٍ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ جَمِيلَةٌ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي مَا هَذَا؟ فَقَرَأَ: ﴿مُكَيِّنَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ﴾ [الإنسان: ١٣].

ورَأَى آخَرَ الشَّيْخِ الفَخْرِ فِي المَنَامِ.. قَالَ: فَقُلْتُ لِلشَّيْخِ الفَخْرِ: يَا سَيِّدِي أَخْبِرْنِي، الْمَوْتُ كَيْفَ هُوَ؟.

قَالَ: وَاللهِ الْمَوْتُ وَقْتُ حُضُورِهِ صَعْبٌ شَدِيدٌ، وَبَعْدَ الْمَوْتِ كُلُّهُ هِينٌ.  
ثُمَّ قَالَ لِي: الصَّلَاةُ يَا عَبْدَ اللهِ، مَا شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَمَنْ وَاظَبَ عَلَيْهَا وَحَافِظَ عَلَى السُّنَّةِ، وَالْجَمَاعَةِ؛ مَا يَلْقَى إِلَّا الْخَيْرَ الْكَثِيرَ.

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ سَمَّاهُ -وَكَانَ فِيهِ دِينٌ وَصَلَاحٌ- قَالَ: رَأَيْتُ فِي النُّومِ قَائِلًا يَقُولُ: الشَّيْخُ الْفَخْرُ كَانَ صَادِقًا مَعَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: الشَّيْخُ الْفَخْرُ كَانَ مِنَ الصَّدِيقِينَ، قَالَ: وَبَعْدُ رَأَيْتُ كَأَنَّنِي دَخَلْتُ إِلَى الْجَامِعِ، فَإِذَا الشَّيْخُ عَلَى الْكَرْسِيِّ يَتَكَلَّمُ، وَهُوَ يَرُدُّ هَذِهِ الْأَيَّاتَ:

طوبى لعبداً أحبَّ مولاه	إِذَا خَلَا فِي الظُّلَامِ نَاجَاهُ
قَدْ كَشَفَ الْحُجُبَ عَنْ بَوَاطِنِهِ	فَنُورُ مَوْلَاهُ قَدْ تَغَشَّاهُ
يَقُولُ يَا غَايَتِي وَيَا أَمْلِي	مَا خَابَ عَبْدٌ تَكُونُ مَوْلَاهُ

وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ فِي مَجَالَسِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ يَرُدُّهَا كَثِيرًا فِي كَلَامِهِ فِي الْوَعظِ، قَالَ: فَطَرِبْتُ لِسَمَاعِ صَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ. ذِيلُ الطَّبَقَاتِ (٣/ ٣٢٣-٣٣٥).

\* وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٩٥): أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَقَارِبِ فخر الدين بن البعلبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٣٢) -وَكَانَ يَخْدُمُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ- قَالَ: آخِرُ مَا

سمعت عند موته أن قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ كَانَ آخِرَ قَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ثُمَّ مَاتَ. ذيل الطبقات (٥ / ٣٩).

\* وجمع القاضي ابن الصائغ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٨٣) أهله عند احتضاره، وتوضأ وصلى بهم، وقال: هَلَّلُوا معي، وبقي يهلل معهم ساعة حتى تُوفِّي، وذكروا أن آخر كلامه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فرحمه الله. صفة الصفوة ٥٥٦ / ٢، طبقات الشافعيين (٢ / ٣٦٠).

\* وعن جعفر قال: شهدت أبا عمران الجوني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٣) وهو في الموت، قال: فدخل عليه أيوب السخيتاني فقال لابنه: لقن أباك: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فقال أبو عمران لابنه: ما يقول؟ قال: يقول: لقن أباك، فقال أبو عمران: يا أيوب إنها أمامي لا أعرف غيرها. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٧٢.

\* ودخلوا على ورقاء بن عمر <sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ وهو في الموت فجعل يهلل ويكبر ويذكر الله، وجعل الناس يدخلون عليه أرسالا يسلمون فيرد عليهم ويخرجون، فلما كثروا عليه أقبل على ابنه فقال: يا بني اكفني رد السلام على هؤلاء، لا يشغلوني عن ربي. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٧٤.

\* وعن سيار بن سلامة قال: دخلت على أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣) في مرضه الذي مات فيه، فقال: إِنْ أَحَبَّهُ إِلَيَّ أَحَبَّهُ إِلَى اللَّهِ. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٧٤.

\* وعن مالك بن أنس قال: كان عمر بن حسين رَحِمَهُ اللَّهُ من أهل الفضل والفقه والمشورة في الأمور والعبادة، وكانت القضاة تستشيريه، قال مالك: ولقد أخبرني من حضره عند الموت فسمعه يقول: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (١١) [الصفات: ٦١] فقل لمالك: أتراه قال هذا لشيء عاينه؟ قال: نعم! ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٧٦.

(١) الإمام الثقة العابد، أبو بشر الشكري، ولم أقف على تاريخ وفاته.

\* وحضرت إبراهيم بن هانئ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٦٥) الوفاة، فقال لابنه إسحاق: أنا عطشان، فجاءه بماء، فقال: غابت الشمس؟ قال: لا قال: فردّه، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم خرجت روحه. المنتظم ١٢ / ١٩٨.

\* لما تغير الحال على أبي عثمان الحيري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٠٠) وقت وفاته مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال: يا بني خلاف السنة في الظاهر، رياءً باطنٌ في القلب. تهذيب الحلية ٣ / ٣٦٤.

\* وعن أبي محمد الحريري أنه قال: كنت واقفاً على رأس الجُنَيْد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٧) وقت وفاته وهو يقرأ القرآن، فقلت: يا أبا القاسم أرفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد ما رأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت وهو يطوي صحيفتي. المنتظم ١٣ / ١١٩.

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال: أسندته - أي عبد الأول بن عيسى الهروي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٥٣) - إلي فمات فكان آخر كلمة قالها: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٣٧﴾ [يس: ٢٦-٢٧]. ومات. المنتظم ١٨ / ١٢٧.

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: حدثني شيخنا أبو الفضل بن ناصر عن عبد الله بن إبراهيم الخبري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٨٩)، قال: كان يكتب المصاحف فينا هو يوماً قاعداً مستنداً يكتب وضع القلم من يده واستند، وقال: والله إن كان هذا موتاً فهذا موت طيب ثم مات. المنتظم ١٧ / ٣٤.

\* وعن محمد بن إبراهيم قال: حضرت وفاة الشبلي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٣٤) فأمسك لسانه وعرق جبينه، فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته ونسيت التخليل، تخليل لحيته، فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها، فبكيت وقلت:

أي شيء يتهيأ أن يقال لرجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزوع روحه وإمساك لسانه وعرق جبينه؟. تهذيب الحلية ٣/٤٦١.

\* وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن بشر النهشلي قال: دخلنا على أبي بكر النهشلي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٦) وهو في الموت، وهو يومئ برأسه يرفعه ويضعه، وكأنه يصلي، فقال له بعض أصحابه: في مثل هذه الحال رحمك الله؟ قال: إني أبادر طي الصحيفة. ابن أبي الدنيا ٥/٤٢.

#### ب- أهمية تذكر الموت والاستعداد له:

\* قالت صفية بنت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: إن امرأة اشتكت إلى عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قساوة القلب، فقالت: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت، فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. ابن أبي الدنيا ٥/٤٤٢.

\* وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): من ارتقب الموت سارع في الخيرات. ابن أبي الدنيا ٢/٩٢.

\* وقال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): إذا مات الميت قالت الملائكة: ما قدم؟ ويقول الناس: ما ترك؟ الزهد لأبي داود (٢٥٢).

\* وجاء رجل إلى أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) فقال: أوصني، قال: اذكر الله في السراء والضراء، وإذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم، وإذا أشرفت نفسك على شيء من الدنيا، فانظر إلى ما تصير. ابن أبي الدنيا ٥/٥١٣.

\* وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أكثر عبد ذكر الموت، إلا قل فرحه وقل حسده. ابن أبي الدنيا ٥/٥١٤.

\* وعن رجاء بن حيوة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٢) قال: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الفرح والحسد. ابن أبي الدنيا ٥/٤٢٩.

\* وروي عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) أنه قال: لو فارق ذكر الموت قلبي، لخشيت أن يفسد عليّ قلبي. تهذيب السيّر ٥٠٦/٢.

\* وقال مطرف بن الشخير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥): إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه. صفة الصفوة ١٥٩/٣.

\* وصدق القائل:

وَكُلُّ سَلَامَةٍ تَعُدُّ الْمَنَايَا	وَكُلُّ عِمَارَةٍ تَعُدُّ الْخَرَابَا
وَكُلُّ مُمْلَكٍ سَيَصِيرُ يَوْمًا	وَمَا مَلَكَتْ يَدَاهُ مَعًا تُرَابَا
كَأَنَّ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا سَرَابٌ	وَأَيُّ يَدٍ تَنَاولَتْ السَّرَابَا
فَيَا عَجَبًا تَمُوتُ وَأَنْتَ تَبْنِي	وَتَتَّحِذُ الْمَصَانِعَ وَالْقِبَابَا
أَرَاكَ وَكُلَّمَا فَتَحْتَ بَابًا	مِنَ الدُّنْيَا فَتَحْتَ عَلَيْكَ نَابَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ غُدُوَّةَ كُلِّ يَوْمٍ	تَزِيدُكَ مِنْ مَنِيِّكَ اقْتِرَابَا

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١): أكثر من ذكر الموت، فإنك لا تكون في واسع من الأمر إلا ضيقه عليك، ولا تكون في ضيق من الأمر إلا وسعه عليك. الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (٧٩).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ حينما عُزي على ابنه عبد الملك: إن الموت أمرٌ كنا وطنا أنفسنا عليه، فلما وقع لم نستكره. ابن أبي الدنيا ٤١٠/٥.

\* وقال الإمام الحافظ البخاري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٦):

اغتنم في الفراغ فضل ركوع	فعسى أن يكون موثك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سُقم	ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

وكان من العجائب أنه هو وقع له ذلك، حيث تهيأ لركوب دابته في آخر حياته، ولبس خفيه وعمامته، فقال رَحِمَهُ اللهُ: أرسلوني فقد ضعفت، فدعا بدعوات

\* وقال الشاعر:

إِذَا كُنْتُ أَغْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ      بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٌ  
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا      وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ؟<sup>(١)</sup>  
نفع الطيب: ٧٤ / ٢.

\* وكتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ إِلَى بعض أهل بيته: أما بعد، فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك بغض إليك كل فان، وحب إليك كل باق، والسلام. ابن أبي الدنيا ٥ / ٥٧٣.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): عَجَبًا لِمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مَصِيرُهُ، وَالْقَبْرَ مَوْرَدُهُ، كَيْفَ تَقْرُّ بِالدُّنْيَا عَيْنُهُ؟ وَكَيْفَ يَطِيبُ فِيهَا عَيْشُهُ؟ ثُمَّ يَبْكِي. صفة الصفوة ٣ / ١٩٨.

\* وَقَالَ الشَّاعِرُ:

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا      وَحَاجَةٌ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي  
تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ      وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ  
أدب الدين (٨٧).

\* وعن عبد الواحد بن صفوان قال: كنا مع الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) في جنازة، فقال: رحم الله امرأً عمل لمثل هذا اليوم، إنكم اليوم تقدرُونَ على ما

---

(١) الحياة الدنيا كساعة بالنسبة للحياة الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرَّبِّهِمْ يُبْشِرُهَا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يِعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]، وكما قال سبحانه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فالعاقِل يستغل هذه الساعة القصيرة، ولا يُضيعها فتضيع عليه آخرته الباقية التي لا نهاية لها.

لا يقدر عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور، فاعتموا الصحة والفراغ قبل يوم  
الفرع والحساب. ابن أبي الدنيا ٥ / ١٤.

\* وعن مالك بن دينار قال: كنا مع الحسن رَحْمَةُ اللَّهِ فِي جنازة، فسمع رجلاً يقول  
لآخر: من هذا الميت؟ فقال الحسن: هذا أنا وأنت رحمك الله، أنتم محبسون  
على آخرنا حتى يلحق آخرنا بأولهم. ابن أبي الدنيا ٥ / ٥٧٨.

\* وأنشد أبو العباس بن أبي العرب رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٢٦٥):

الموت لا بدَّ آتٍ فاستعدَّ له	إنَّ اللبیب بذکر الموت مشغولٌ
وكيف يلهو بعيشٍ أو يلدُّ له	مَنْ التُّرابُ على العينين مجعول

ترتيب المدارك (٢ / ٣٩٧).

\* وقيل لأبي الفضل يوسف بن مسرور رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٣٢٥) فلان يتكلم فيك،  
فقال: إنما مثلي ومثله كمثل رجل حُمِلَ لضرب عنقه، فقذفه رجل في الطريق،  
فقال لنفسه: أنتَ تُحْمَلُ للقتل، تسأل عمن يقذفك؟ وأنا سائر إلى الموت، لا  
أدري متى يأتيني، أسأل عمن يتكلم في؟ في الموت ما يُشغِلني عن ذلك. ترتيب  
المدارك (٣ / ١١٨).

\* وقال بعض السلف: قَصَّرَ أملك فإن العمر قصير، وأحسن سيرتك فالبر  
يسير.

وقال الشاعر:

نسير إلى الآجال في كل ساعة	وأيامنا تُطوى وهن رواحل
ولم نرمثل الموت حقاً كأنه	إذا ما تخطته الأمانى باطل
ترحل عن الدنيا بزد من التقى	فعمرك أيام تُعدُّ قلائل

أدب الدين (٢٠٣).

\* وقال الشاعر:

تَزَوَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ ظَاعِنٌ      وَإِنَّكَ مِثْلُ الرِّكْبِ سَوْفَ تَسِيرُ  
وقال الآخر:

تَزَوَّدَ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التَّقَى      فَكُلْ بِهَا ضَيْفٌ وَشَيْكٌ رَحِيلُهُ  
\* وقال الشاعر رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَرِثِي فِيهَا وَلَدَهُ:

حكم المنية في البرية جار      ما هذه الدنيا بدار قرار  
بينما يرى الإنسان فيها مخبراً      حتى يُرى خبراً من الأخبار  
طُبعت على كدر وأنت تريدها      صفواً من الأقدار والأكدار  
ومُكَلِّف الأيام ضد طباعها      متطلبٌ في الماء جذوة نار  
كان الشيخ تقي الدين ابن تيمية (ت: ٧٢٨): يتمثل كثيراً بالبيت الثالث والرابع. الآداب الشرعية ٢/ ١٧١.

\* وقال معروف الكرخي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤): رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ (ت: ٢٤١) فَتَى عَلَيْهِ آثَارُ النَّسْكِ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَلَامًا جَمَعَ فِيهِ الْخَيْرَ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ نُسِيَ أَحْسَنَ وَلَمْ يُسَيَّ. طبقات الحنابلة (٢/ ٤٧٨).  
ج- ما قيل في الموت ورهبته:

\* عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ نَفْسَيْنِ اتَّفَقَ مَوْتُهُمَا فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ، وَاحِدٍ فِي الْمَشْرِقِ، وَوَاحِدٍ فِي الْمَغْرِبِ، كَيْفَ قُدْرَةُ مَلِكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: مَا قُدْرَةُ مَلِكِ الْمَوْتِ عَلَى أَهْلِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَالظُّلُمَاتِ وَالْهُوَاءِ، وَالْبُحُورِ، إِلَّا كَرَجُلٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مَائِدَةٌ، يَتَنَاوَلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ. ابن أبي الدنيا ٤٦٤/٥.

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): إِنْ الْمُؤْمِنُ لِيَعْمَلِ السَّيِّئَةَ فَيَشُدُّ



عليه بها عند موته ليكون بها<sup>(١)</sup>، وإن الفاجر ليعمل الحسنة، فيخفف بها عليه عند موته ليكون بها. <sup>(٢)</sup> الزهد لوكيع (٩٢).

\* وعن زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٦) قال: إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغها بعمله شُدد عليه الموت، ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا في الدنيا يهون عليه الموت، ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا، ثم يصير إلى النار. ابن أبي الدنيا ٥ / ٤٥٠.

\* وسأل بعض ولاة المدينة إبراهيم بن يزيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦) عن ملك الموت، كيف يقبض روحا في الهند وروحا في أقصى المغرب، وآخر بمصر، وآخر بالعراق في وقت واحد؟.

فقال له إبراهيم: لما صعب عليك عرض هؤلاء الحرس والأعوان بين يديك حسبت أمر الخالق عليه وقدرته، وسأمثل لك مثلا: الشمس تطلع على كل بلد في حين واحد، فلو أُمِرَت بقبض الأرواح في جميعها لكانت تقدر؟ قال: نعم، قال: فكذلك ملك الموت، أُعْطِيَ من القدرة مثل ذلك. ترتيب المدارك (٤١١ / ٢).

\* وقيل لكعب الأحبار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٢): أخبرني عن الموت فقال: هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم، وليس منه عرق ولا مفصل إلا فيه شوك، ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينزعها. ابن أبي الدنيا ٥ / ٤٥١.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها. ابن أبي الدنيا ٥ / ٤٥١.

(١) أي: ليكون تشديد الموت عليه تكفيرا لسيئته.

(٢) أي: ليكون تخفيف الموت عليه مُكَافَأَةً على حسنته..

\* وقال الشاعر:

ومؤمل والموت دون رجائه      ومحاذر أكفانه لم تغزل  
ابن أبي الدنيا ٥ / ٥١٩.

وقال الشاعر:

هبك قد نلت كل ما تحمل الأر      ض فهل بعد ذاك إلا المنيه؟  
ابن أبي الدنيا ٥ / ٥٢٠.

\* وكان العلاء بن زياد العدوي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) يقول: لينزل أحدكم نفسه  
أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه تعالى نفسه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ. (١)  
تهذيب الحلية ٣٧٩ / ١.

\* وقال الشاعر:

وقِفْ بالقصور على دجلة      حزينا فقل: أين أربابها  
وأين الملوك ولالة العهو      درقاة المنابر غلابها  
تجيئك آثارهم عنهم      إليك، فقد مات أصحابها  
ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٤.

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١): لقد نغص هذا الموت على  
أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزهرتها، فبينما هم فيها كذلك وعلى ذلك،  
أتاهم حاد من الموت فاخترمهم مما هم فيه، فالويل والحسرة هنالك لمن لم  
يحذر الموت، ويذكره في الرخاء، فيقدم لنفسه خيرا يجده بعدما يفارق الدنيا  
وأهلها، ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء، فقام. ابن أبي الدنيا ٥ / ٤٠٤.

\* وعن عبد العزيز أبي مرحوم، قال: دخلنا مع الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت:

(١) وإذا كان بين المقابر وحده، والقبر الذي قد جُهِز بين يديه: كان أنفع وأخشع للقلب.

(١١٠) على مريض نعوذه، فلما جلس عنده قال: كيف تجدك؟ قال: أجدني أشتهي الطعام، فلا أقدر أن أسيغه، وأشتهي الشراب فلا أقدر على أن أتجرعه، قال: فبكي الحسن، وقال: على الأسقام والأمراض أُسّست هذه الدار، فهبك تصح من الأسقام، وتبرأ من الأمراض، هل تقدر على أن تنجو من الموت؟ قال: فارتج البيت بالبكاء. ابن أبي الدنيا ٥/٥٢٣.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: الْمَلْفُوفُ نَزَلَ تَرَى وَأُتِمَّتْ. ابن أبي الدنيا ٥/٥٥١.  
\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: فضح الموتُ الدُّنيا، فلم يترك فيها لذي لُبٍّ فرحًا. تهذيب السير ٢/٥٦٣.

\* وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: أصبت رقعة في الجنازة فيها مكتوب: وهبتم همكم للدنيا، وتناسيتم سرعة حلول المنيا، أما والله ليحلنَّ بكم من الموت يوم مظلم، ينسيكم طول معاشرة النعمة، ولتندمن ولا تنفعكم الندامة، الحذر! الحذر! قبل بُغْتان المنيا، ومجاورة أهل البلى. ابن أبي الدنيا ٥/٥٥٨.  
\* وقال الشاعر:

فلو أنا إذا متنا تركنا	لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا	ونسأل بعده عن كل شي

ابن أبي الدنيا ٥/٥٧٠.

\* وقال رجل لبعض السلف: أوصني، قال: عسكر الموتى ينتظرونك. ابن أبي الدنيا ٥/٥٧٢.

\* وسئل عكرمة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٥): أيبصر الأعمى ملك الموت إذا جاء يقبض روحه؟ قال: نعم. ابن أبي الدنيا ٥/٤٦١.

وعن الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٠) قال: «ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت». الزهد لابن المبارك (٢٥٩).

\* وقال الشاعر:

الموت بابٌ وكل الناس داخله      فليت شعريَ بعد الباب ما الدار  
الدار جناتٌ عدن إن عملت بما      يرضي الإله وإن خالفت فالنار  
هما محلان ما للناس غيرهما      فانظر لنفسك ماذا أنت مختار  
أدب الدين (٢٠٧).

\* وقال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤): ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده، حتى إذا كان آخر مرض يمرضه، أتاه ملك الموت، فقال: أذاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به، وقد أذاك رسول يقطع أثرك من الدنيا. تهذيب الحلية ١٢ / ٢.

\* وقال الشاعر:

لو كنت تعقل يا مغرور ما رَقَأْتُ      دموعَ عينك من خوف ومن حذر  
ما بال قوم سهام الموت تخطفهم      يفاخرون برفع الطين والمدر  
ابن أبي الدنيا ٥ / ٤٢٥.

\* وعن عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) قال: ما أحد يُنزل الموت حقَّ منزلته، إلا عدَّ غداً ليس من أجله، كم من مستقبل يوماً لا يستكملُه؟ وراج غداً لا يبلغه؟ لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره. تهذيب الحلية ٩٥ / ٢.

\* ومَرَّ بعض السلف بقوم يسوون نعشاً لميت، فقال: من هذا الغريب بين أظهركم؟.

قالوا: ليس بغريب بل هو قريب حبيب.

فبكى وقال: ومن أغرب من الميت بين الأحياء!!.

فبكى القوم جميعاً. تهذيب الحلية ٣٤٣ / ٢، ابن أبي الدنيا ٥ / ٥٤٨.

\* وعن إبراهيم بن الأشعث قال: كنا إذا خرجنا مع الفضيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧) في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكي حتى لكأنه يودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها. <sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٣ / ٣.

\* وعن عبد الرحمن بن عمر قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨)، وسئل عن الرجل يتمنى الموت، قال: ما أرى بذلك بأساً، إذ يتمنى الموت الرجل مخافة الفتنة على دينه، ولكن لا يتمنى الموت من ضرِّ به أو فاقة أو شيء مثل هذا.

ثم قال عبد الرحمن: تمنى الموت أبو بكر وعمر رَحِمَهُمَا اللهُ ومن دونهما. وسمعتهم ونحن مقبلون من جنازة عبد الوهاب فقال: إني لأشم ريح فتنة، إني لأدعو الله أن يسبقني بها.

وسمعتهم يقول: كان لي أخوان فماتوا ودفع عنهم شر ما نرى، وبقينا بعدهم، وما بقي لي أخ إلا هذا الرجل - يحيى بن سعيد - وما يغبط اليوم إلا مؤمن في قبره. تهذيب الحلية ١١٥ / ٣.

\* وقال الشاعر:

تَرَى الْمَرْءَ يَبْكِيهِ الَّذِي عَاشَ بَعْدَهُ      وَمَوْتُ الَّذِي يَبْكِي عَلَيْهِ قَرِيبُ

المجالسة وجواهر العلم (٣٢٢).

(١) نُقِلَ عن الفضيل رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: لو خفت الموت ما نفعتك طعام أو شراب ولا شيء من الدنيا، ولو عرفت الموت حق معرفته ما تزوجت ولا طلبت الولد!

وهذا الكلام - إن صح - مردود، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إمام المتقين وأعرف الناس برب العالمين، تزوج ورزق الولد وتسرى وأكل الطيب، مع أَنَّهُ رَأَى النار والجنة عياناً ودخل الجنة، وهو أخوف الناس من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

د- ما قيل في الجنائز والمقابر والاحتضار<sup>(١)</sup>:

\* عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) قال: إذا وضع الكافر في قبره فیری مقعده من النار، قال: (رب ارجعون)، حتى أتوب وأعمل صالحًا، فيقال: قد عُمِّرت ما كنت معمراً، فيضيق عليه قبره، فهو كالمنهوش ينام ويفزع، تهوي إليه هوام الأرض، حياتها وعقاربها. ابن أبي الدنيا ٥/٤٧٨.

\* وخرج أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إلى جنازة، وأتى أهل بيت الميت فيكون عليه، فقال: مساكين، موتى غدٍ يكون على ميت اليوم. ابن أبي الدنيا ٥/٥٧٨.

\* وعن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٦) قال: إن كانوا يشهدون الجنازة فيظلون الأيام محزونين، يُعرف ذلك فيهم. الزهد لابن المبارك (١٨٦).

قال: وإنكم في جنازكم تتحدثون بأحاديث دنياكم. ابن أبي الدنيا ٦/٦٣.

\* وعن الأعمش رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٨) قال: إن كنا لنشهد الجنازة، فلا ندري أيهم يُعزى من حزن القوم. الزهد لوكيع (٢٠٨)، ابن أبي الدنيا ٦/٦٣.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: أدركت الناس وإذا كانت فيهم جنازة جاءوا فجلسوا صموتا

(١) من المخالفات الشرعية في المقابر:

١- الكلام في أمور الدنيا، ووصل الحال ببعضهم إلى أنه يرد على جواله، وبعضهم مشغول بالسلام على الأصدقاء، وبعضهم مستغرق في الضحك! وهذا يدل على الغفلة والجهل وقسوة القلب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا لم يخشع القلب في هذا المكان فمتى يخشع؟ وإذا لم يتعظ في هذا الموطن فمتى يتعظ؟  
٢- رفع الصوت ولو بالوعظ والنصيحة، فقد روى الإمام أحمد (١٨٦١٤) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فجلس على القبر وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير.

فقلوه: كأن على رؤوسنا الطير: قال العلماء: هو كناية عن السكون والوقار، وعن إطراقهم رؤوسهم، وسكونهم، وعدم التفاتهم يمينا وشمالا؛ لأن الطير لا يكاد يقع إلا على شيء ساكن.

لا يتكلمون، فإذا وُضعت نظرت إلى كل رجل واضعا حبوته على صدره، كأنه أبوه أو أخوه أو ابنه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٧.

\* وتوفي محمد بن عمر بن لبانة رَحِمَهُمُ اللَّهُ (ت: ٣١٤) وتزاحم الناس على نعشه، فقال أبوه: لو تزاحموا على علمه لا على نعشه!  
فسمعت منه، وكُتبت عنه. ترتيب المدارك (٣/ ١٢٩).

\* وسمع أبو قلابه رَحِمَهُمُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قاصًا رافعًا صوته في جنازة فقال: إن كانوا ليعظمون الموت بالسكينة. الزهد لوكيع (٢٠٩)، الزهد لأحمد: ٥١٠.

\* وكان يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُمُ اللَّهُ (ت: ١٢٩) إذا حضر جنازة لم يتعش تلك الليلة، ولم يقدر أحد من أهله أن يكلمه من شدة حزنه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

\* وقال صالح المري رَحِمَهُمُ اللَّهُ (ت: ١٧٢): أدركت بالبصرة شبابا وشيوخا يشهدون الجنائز، يرجعون منها كأنهم نشروا من قبورهم، فيُعرف فيهم والله الزيادة بعد ذلك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٣.

\* وعن محمد بن واسع رَحِمَهُمُ اللَّهُ (ت: ١٢٣) أنه حضر جنازة، فلما رجع إلى أهله أتي بغدائه فبكى، وقال: هذا يوم منغصٌ علينا نهاره، وأبى أن يطعم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٤.

\* وعن سلام بن أبي مطيع رَحِمَهُمُ اللَّهُ قال: شهدت قتادة رَحِمَهُمُ اللَّهُ (ت: ١١٨) في جنازة فلم يتكلم حتى انصرف، وشهدت الحريري رَحِمَهُمُ اللَّهُ في جنازة فلم يزل يبكي حتى تفرق القوم، وشهدت محمد بن واسع رَحِمَهُمُ اللَّهُ (ت: ١٢٣) في جنازة فلم يزل مقنّع الرأس، مطرقا، ما يلتفت يمينا ولا شمالا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٤.

\* وقيل لسفيان بن عيينة رَحِمَهُمُ اللَّهُ (ت: ١٩٨): لأي شيء كان يُستحب خفض الصوت عند الجنائز؟ قال: شبهوه بالحشر إلى الله، أما سمعته يقول: ﴿وَحْشَعَتِ

الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ إِلَّا هَمْسًا ﴿طه: ٨٠١﴾. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٧.

\* وكان الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) في جنازة، فرأى رجلاً يحدث صاحبه ويتبسم إليه، فقال: يا سبحان الله! أما كان في الذي بين يديك مشغل عن التبسم؟! قال الحسن: كانوا يعظمون الموت أن يُرفع عنده صوت. ابن أبي الدنيا ٦/ ٦٨.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: يومان وليلتان لم تسمع الخلأث بمثلهن قط، ليلة تبیت مع أهل القبور لم تبّت قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوما يأتيك البشير من الله إما بالجنة وإما بالنار، ويوما تُعطى كتابك إما بيمينك وإما بشمالك. ابن أبي الدنيا ٦/ ٨١.

\* وعن سعيد بن جبیر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٤) أنه كره رفع الصوت عند الجنازة، وعند قراءة القرآن، وعند القتال. الزهد لوكيع (٢١٢).

\* وعن أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١) قال: كان يقال: من كرامة الميت على أهله تعجيله إلى حفرة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩٨.

\* وكان عمرو بن عتبة بن فرقد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥) يخرج على فرسه ليلاً، فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور قد طويت الصحف، وقد رفعت الأعمال، ثم يبكي ويصف بين قدميه حتى يصبح، فيرجع فيشهد صلاة الصبح. تهذيب الحلية ٢/ ٧٣.

\* وقال مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ (ت: ١٣١):

أَتَيْتِ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهُ	مَنْ أَيْنَ الْمَعْظَمُ وَالْمَحْتَقَرُ
وَأَيْنَ الْمُدِلُّ بِسُلْطَانِهِ	وَأَيْنَ الْمَزْكِيُّ إِذَا مَا افْتَحَرَ

قال: فنوديت من بينها ولا أرى أحداً:

تَفَانُوا جَمِيعًا فَمَا مُخْبِرٌ	وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبِرُ
-----------------------------------	--------------------------------------



تروح وتغدو بناتُ الثرى      وتُمحَى محاسنُ تلك الصُّورِ  
فيا سائلي عن أناسٍ مَضُّوا      أَمَّا لك فيما ترى مُعْتَبَرُ  
قال: فرجعت وأنا أبكي. عيون الأخبار ٦٧٩ / ٢.

\* وعن محمد بن كعب قال: أتيت عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) وهو خليفة، فلما دخلت عليه أدمت النظر إليه، فقال: إنك لتنظر إلي نظرا ما كنت تنظره إلي بالمدينة -لما كان واليًا عليها- قلت: أجل يا أمير المؤمنين، أعجبني ما كُلٌّ من جسمك، وتغير من لونك، ورث من شعرك، فقال: كيف لو رأيته بعد ثلاث في القبر، وقد سقطت حدقتي على وجنتي، وخرج الصديد والدود من منخري وفمي، كنت أشد لي نكرة. ابن أبي الدنيا ٦ / ٨٠.

\* ووُجد على قبر مكتوب:

أنا في القبر وحيدا      قد تبرأ الأهل مني  
أسلمتوني بذنوبي      خبت إن لم يعف عني  
ابن أبي الدنيا ٦ / ١١٥.

\* وكان على قبر مكتوب:

عشت دهرًا في نعيم      وسرورٍ واغبطاطٍ  
ثم صار القبر بيتي      وثرى الأرضِ بساطي  
ابن أبي الدنيا ٦ / ١١٥.

\* ودخل قوم قصرًا قد خرب، فإذا بفنائه قبر، وعلى بعض حيطان القبر مكتوب:

يا من يعلل باللذات مُهَجَّتَه      أما ترى قبر رب القصر مهجورًا؟  
ابن أبي الدنيا ٦ / ١١٥.

\* وقال الشاعر:

باتوا على قُللِ الجبالِ تَحْرُسُهُمْ      غَلَبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَمْنَعَهُمُ الْقُلُلُ  
وَاسْتَنْزِلُوا مِنْ أَعَالِي عِزِّ مَعْقِلِهِمْ      فَأُسْكِنُوا حُفْرَةً يَا بَشَرُ مَا نَزَلُوا  
ناداهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا      أَيْنَ الْأَسِرَّةُ وَالْتِيْجَانُ وَالْحُلُلُ  
أَيْنَ الوجوهَ التي كانت مُحِبَّةً      مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكُلُلُ  
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ      تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَتِلُ  
قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا نَعِمُوا      فَأَصْبَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا  
المجالسة وجواهر العلم (٢١).

\* و مر صالح المري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٢) بقصر خرب، بفنائنه قبران، وأسود جالس عندهما، فقال: يا صالح هذان ربا هذا القصر صارا إلى ما ترى!، وعلى القبر مكتوب:

يا أيها الركب سيروا اليوم واعتبروا      فعن قليل تكونوا مثلنا عبرا  
كنا وكانت لنا الدنيا بلذتها      فما اعتبرنا وما كنا لننزعجرا  
حتى رمانا الردى منه بأسهمه      فلم يُبَقِّ لنا عينا ولا أثرا  
ابن أبي الدنيا ١١٥/٦.

\* وقال الشاعر:

مُلْكُ المدائن بالآفاق خاويةٌ      أُمِسَتْ خرابا وذاقَ الموتَ بانيها  
أين الملوك التي عن حظها غفلت      حتى سقاها بكأس الموت ساقياها  
ابن أبي الدنيا ١١٩/٦.

\* وَقَالَ رجل للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): أوصني؟ فقال له:  
انظر إلى أحب ما تريد أن يجاورك في قبرك فاعمل به. طبقات الحنابلة (١/١٩٢).

\* ووجد على قبر مكتوب: قهرنا مَنْ قهرنا فصرنا للناظرين عبرة. أدب الدين (٢٠٥).

\* وقال الشاعر:

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا أَقْمَنَا قَلِيلًا بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا  
المجالسة وجواهر العلم (٥٤٨).

ل- القبر راحة المؤمن:

\* عن أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إذا مات الرجل على الحال الصالحة، قال: هنيئًا لك، يا ليتني كنت مكانك، فقالت أم الدرداء له في ذلك، فقال: هل تعلمين أن الرجل يصبح مؤمنًا، ويمسي منافقًا، يسلب إيمانه وهو لا يشعر، فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصيام. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٠٧.

\* وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) قال: إذا قُبِضَتْ نفسُ العبد تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يَلْقَوْنَ البشير في الدنيا، فيقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أَنْظِرُوا أَحَاكِمَ حَتَّى يَسْتَرِيحَ، فإنه كان في كرب، فيقبلون عليه فيسألونه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوا عن الرجل قد مات قبله قال لهم: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربية، قال: فَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا، وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتَمِّمِهَا، وإن رأوا سوءًا قالوا: اللهم راجع بعبدك. <sup>(١)</sup> الزهد لابن المبارك (١٤٩).

(١) وروى النسائي (١٨٣٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ حديثًا ذكر فيه سؤال الأموات بعضهم لبعض. وصححه الألباني وغيره.

\* وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) قال: إذا مات الميت استقبله ولده كما يُستقبل الغائب. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٨٢.

\* وقال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤): إن الرجل ليشير بصلاح ولده في قبره. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩١.

\* وعن الضحاک رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٥) في قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]، قال: يعلم أين هو قبل أن يموت. ابن أبي الدنيا ٥/ ٤٩٤.

\* وغسل سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١) رجلا فقال: أما إنه الآن يرى ما نصنع به. ابن أبي الدنيا ٣/ ٢٥.

\* وقال مسروق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٣): ما من بيت خيرٌ للمؤمن من لحد، قد استراح فيه من هموم الدنيا، وأمن عذاب الله. الزهد لوكيع (٨٧)، ابن أبي الدنيا ٦/ ٨٧.

\* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧): نعم المنزل القبر لمن أطاع الله. ابن أبي الدنيا ٦/ ٨٧.

#### هـ- تلقين المحتضر الشهادة:

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): احضروا موتاكم وذكروهم،

= قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الأرواح قسمان:

أرواح معذبة، وأرواح منعمة.

فالمعذبة في شغل مما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي.

والأرواح المنعمة المرسلّة غيرُ المحبوسة تتلاقى وتزاور وتتذكر ما كان منها في الدنيا وما

يكون من أهل الدنيا، فتكون كلُّ روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها.

وروحُ نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى.

وقد تواترت المراتي بذلك.. وجاءت سنّة صريحة بتلاقي الأرواح وتعارفها.

الروح: ١/ ٤٤ - ٥٠.

فإنهم يرون ما لا ترون، ولقنوههم شهادة أن لا إله إلا الله. ابن أبي الدنيا ٣٠٥ / ٥.  
 \* وقال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥): إذا احتضر الميت فلقنوه: لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة. ابن أبي الدنيا ٣٠٤ / ٥.

\* وقال الحسن بن الربيع: سمعت ابن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨١) حين حضرته الوفاة وأقبل نُصِير يقول له: يا أبا عبد الرحمن قل: لا إله إلا الله، فقال له: يا نُصِير قد ترى شدة الكلام عليّ، فإذا سمعتني قُلْتُها فلا تردّها عليّ حتى تَسْمَعَنِي قد أحدثتُ بعدها كلامًا، فإنما كانوا يستحبّون أن يكون آخر كلام العبد ذلك. صفة الصفوة ٣٨٠ / ٤.

ن- ذكر مَنْ توفّي فجأةً وكان بحال طاعة:

\* توفّي شرف الدين أَبُو مُحَمَّد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجأةً وَهُوَ يتوضأ للمغرب. ذيل الطبقات (٣٤ / ٥).

\* وتوفّي أَبُو الحسن العكبري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجأةً في الصلاة، في شهر رمضان، سنة ثمان وستين وأربعمائة. طبقات الحنابلة (٤٣٥ / ٣).

\* وتوفّي المَزْرُقي المقرئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ساجدًا، سنة سبع وعشرين وخمسمائة. معرفة القراء (٩٣٨ / ٢).

\* وتوفّي إسماعيل بن علي الحنفي الزاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يتبسّم. تاج التراجم (٦٦).

\* وتوفّي سعد بن عثمان بن مرزوق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ساجدًا في صلاته..

وذكر ابن النجار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان قد قرأ يومًا في الصلاة التي توفّي فيها: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ بُعِيرٌ ﴿٨٩﴾. [الواقعة: ٨٨، ٨٩]. ذيل الطبقات (٤٢١ - ٤١٧ / ٢).

\* وكان موت أبي علي الزاهد رَحِمَهُ اللهُ فجأة؛ فإنه دخل إلى بيته ليتوضأ لصلاة الظهر، فقاء فمات، وكان قد تزوج وعزم تلك الليلة على الدخول بزوجه. ذيل الطبقات (٢/ ٣٩).

\* وكانت وفاة العلامة أبي سعد الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ ليلة الجمعة في صلاة المغرب، وهو يقرأ: ﴿إِنَّكَ مَبْعُودٌ وَإِنَّكَ نَسْعِيْتُ﴾ [الفاتحة: ٥] ثم فاضت نفسه. طبقات الشافعيين (١/ ٢٧٨).

\* وذكر الحافظ بن موسى المدني أَنَّ الْحَاكِمَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُمَا اللهُ (ت: ٤٠٥) دخل الحمام، واغتسل وخرج، فقال: آه، وقبض روحه، وهو متزر، ولم يلبس القميص بعد. طبقات الشافعيين (١/ ٣١٧).

\* ولم يزل الحافظ الكبير الدميّاطي رَحِمَهُ اللهُ (٦١٣-٧٠٥) في إسماع الحديث إلى أن أدركته وفاته وهو صائم في مجلس الإملاء غشي عليه فحمل إلى منزله فمات من ساعته. [البداية والنهاية (١٨ / ٦١)].

\* وتوفي أَبُو بَكْرٍ الْخِطَّاطُ الْمَقْرِيُّ الْبَغْدَادِي رَحِمَهُ اللهُ (٣٧٦-٤٦٧)، في الصلاة في رمضان. طبقات الحنابلة (٣/ ٤٣٣).

\* وتوفي عبدالعزيز بن أبي حازم رَحِمَهُ اللهُ بالمدينة في سجدة سجدها بالروضة بمسجد النبي ﷺ يوم الجمعة، في آخر سجدة منها. ترتيب المدارك (١/ ٣٢١).

\* ولما انصرف أبو مروان بن مالك رَحِمَهُ اللهُ من صلاة العشاء بمسجده أوى بعد حين إلى فراشه فقبض أسهل قبض، لم يعلم به ضجيعه حتى جفّ. ترتيب المدارك (٤/ ٣٩٠).

\* ومات محمد بن شجاع رَحِمَهُ اللهُ ساجدا في صلاة العصر. تاج التراجم (١٩١).

## وممن توفوا فجأة<sup>(١)</sup>

- ١ - المقرئ المعروف بالدهان رَحْمَةُ اللَّهِ. معرفة القراء (٣ / ١٣٣٩).
- ٢ - أبو محمد التوني رَحْمَةُ اللَّهِ. معرفة القراء (٣ / ١٤١٦).
- ٣ - الإمام العلامة ابن جبارة رَحْمَةُ اللَّهِ. معرفة القراء (٣ / ١٤٨٤).
- ٤ - الإمام المقرئ اللبان رَحْمَةُ اللَّهِ. معرفة القراء (٣ / ١٥٠٠).
- ٥ - أبو عبدالله البيضاوي رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعيين (١ / ٢١٤).
- ٦ - أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعيين (١ / ٢٩٢).
- ٧ - الحافظ السلفي رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعيين (٢ / ١٩٩).
- ٨ - ضياء الدين الطوسي رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعية (٢ / ١٣).
- ٩ - أبو العباس ابن صصرى رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعية (٢ / ٤٢).
- ١٠ - تقي الدين الأيوبي رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعية (٢ / ٤٨).
- ١١ - القاضي ابن البارزي رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعية (٢ / ٥٨).
- ١٢ - ابن سيد الناس رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعية (٢ / ٨١).
- ١٣ - أبو عبدالله المراكشي رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعية (٢ / ١٢٧).
- ١٤ - الإمام العلامة أبو محمد الإسنوي رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعية (٢ / ١٧٣).
- ١٥ - إبراهيم بن عبد الرّحيم الكِنَاني رَحْمَةُ اللَّهِ. طبقات الشافعية (٢ / ٢١٢).

(١) كنت قد قُتِدَت من مات فجأة بلا سبب ظاهر، وهناك غيرهم ممن لم يتيسر لي تقييده، وأكثرَ منهم من يُذكر في الكتب، وقد كثر في زماننا موت الفجأة، والعافل يستعد للموت الذي قد يُباغته، نسأل الله حسنَ الخاتمة.

- ١٦- الشيخ فخر الدين البرماوي رَحِمَهُ اللهُ. طبقات الشافعية (٢/ ٢٧٤).
- ١٧- القاضي إسماعيل بن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ. ترتيب المدارك (٢/ ٢٩٠).
- ١٨- القاضي هارون بن إبراهيم بن حماد رَحِمَهُ اللهُ. ترتيب المدارك (٣/ ٢٣٢).
- ١٩- القاضي أبو عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي رَحِمَهُ اللهُ. ترتيب المدارك (٤/ ١٩٤).
- ٢٠- ابن الضُّحَى رَحِمَهُ اللهُ. ترتيب المدارك (٤/ ٢٢٨).
- ٢١- أحمد بن أيوب بن أبي الربيع رَحِمَهُ اللهُ. ترتيب المدارك (٤/ ٣١٨).
- ٢٢- إبراهيم بن محمد الضويان رَحِمَهُ اللهُ، صاحب كتاب: منار السبيل في شرح الدليل. علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٣٦٦).
- ٢٣- الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن آل شيخ رَحِمَهُ اللهُ، وهو يوقع معاملات وزارة التعليم العالي عام (١٤٠٧). علماء نجد (٢/ ٣٧).
- ٢٤- الشيخ راشد بن عبد اللطيف آل مبارك رَحِمَهُ اللهُ. علماء نجد (٢/ ١٤٣).
- ٢٥- شيخ المحدثين أبو محمد الدميّاطي رَحِمَهُ اللهُ، لم يحصل له مرض، بل حضر الميعاد وأصابه عقب ذلك غشي، فحمل إلى منزله، فمات ساعته، سنة خمس وسبع مائة. طبقات الشافعيين (٢/ ٣٧٤).
- ٢٦- وقُدِّم إلى الخليفة المقتدي بأمر الله الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصحة، ثم غسل يده وجلس ينظر في العهد بعدما وقع عليه، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار قالت: فنظر إلي وقال: من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن؟ قالت: فالتفت فلم أر أحدا ورأيت أنه قد تغيرت حالته واسترخت يده ورجلاه وانحلت قواه وسقط إلى الأرض، قالت: فظننت أنه غشي عليه فحللت أزرار ثيابه فإذا هو لا يجيب داعيا، فأغلقت عليه الباب وخرجت. البداية والنهاية (١٦/ ١٤٠).



## الشوق إلى لقاء الله وجنته

أ- أحوالهم وأقوالهم في الشوق إلى لقاء الله وجنته:

\* عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله. ابن أبي الدنيا ٥ / ٤١٢.

\* وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥) قال -وتحجر كلمه للبرء<sup>(١)</sup>- اللهم إنك تعلم أن ليس أحدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أن أجاهد فيك من قوم كَذَّبُوا رسولك ﷺ، وأخرجوه، اللهم فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني أجاهدهم فيك، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها، واجعل موتي فيها. فانفَجَرَ مِنْ لَيْلَتِهِ، فَمَا زَالَ يَسِيلُ حَتَّى مَاتَ. صحيح البخاري (٤١٢٢)، صحيح مسلم (١٧٦٩).

\* ودُخِلَ على مكحول رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢) في مرضه الذي مات فيه، فقيل له: أحسن الله عافيتك أبا عبد الله؟ فقال: الإلحاق بمن يُرجى عفوهُ، خير من البقاء مع من لا يؤمن شره. تهذيب الحلية ١٨٠ / ٢.

\* ولما ثَقُلَ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) دُعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سقي السم، ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره إليه فقال: ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم؟ قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإني

(١) أي ييس جرحه وكاد أن يبرأ.

أخاف أن تذهب نفسك، قال: ربي خير مذهب إليه، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته، اللهم خِرْ لعمر في لقاءه، فلم يلبث إلا أياما حتى مات رَحِمَهُ اللهُ. ابن أبي الدنيا ٣٢٦/٥.

\* وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١): ما نفس تخرج أحب إلي من نفسي، ولو كانت في يدي لأرسلتها. تهذيب الحلية ٣٧٣/٢.

ب- حال بعض السلف الذين يرغبون طول العمر للزيادة في العمل:

\* قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله، لولا أن أضع جبهتي لله، أو أجلس في مجالس يُتَقَى فيها طيب الكلام كما ينقى جيد التمر، أو أن أسير في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحلية ١/٧١.

\* وعن أبي الدرداء (ت: ٣٢)، أنه قال: لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا. فقلت: وما هن؟ فقال: لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي، في اختلاف الليل والنهار، يكون مقدمة لحياتي، وظمأ الهواجر، ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة، وتمام التقوى أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ العبد، حتى يتقيه في مثل مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، يكون حازما بينه وبين الحرام. إن الله تعالى قد بين لعباده الذي هو يصيرهم إليه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] فلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه، ولا شيئا من الخير أن تفعله<sup>(١)</sup>.

تهذيب الحلية ١٦٩/١.

\* ولما بلغ مصلح الدين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٩٠) عقد الثمانين قَالَ: أسأل الله أن يمهلني إلى التسعين، وأن يوفقني كل يوم لختمه، فاستجيب دعوته، فكان يختم كل يوم ختمه. ذيل الطبقات (٢/ ٤٠٦).

(١) وقد تقدم في باب: «حال السلف عند الموت» تأسف كثير من السلف عند الموت على فراق قيام الليل والصيام والذكر ونحوها من الطاعات.

## حال بعض الملوك والأمراء والمذنبين عند الموت

- \* قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): وهو في الموت: اللهم لا ذو قوة فأنتصر، ولا ذو براءة فاعتذر، اللهم إني مقرٌّ، مذنب، مستغفر. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٣٠.
- \* ولما حضرت عبد العزيز بن مروان (ت: ٨٥) الوفاة قال: اتئوني بكفني الذي تكفوني فيه، فلما وضع بين يديه، ولأَهم ظهره، فسمعوه وهو يقول: أفٌّ لك<sup>(١)</sup>، أفٌّ لك، ما أقصر طويلك، وأقل كثيرك. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٣١.
- \* وَلَمَّا أَتَاهُ الْبَشِيرُ يُبَشِّرُهُ بِمَالِهِ الْوَاصِلِ فِي الْعَامِ، فَقَالَ: مَالِك؟ قَالَ: هَذِهِ ثَلَاثُ مِائَةِ مُدٍّ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: مَالِي وَلَهُ، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ بَعْرًا حَائِلًا بِنَجْدٍ.
- قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا قولُ كُلِّ مُلِكٍ كَثِيرِ الْأَمْوَالِ، فَهَلَّا يُبَادِرُ بِبَذْلِهِ؟ تهذيب السَّيَر ١ / ٤٩٠.
- \* ولما احتضر بشر بن مروان (ت: ٧٣) قال: والله لوددت أني كنت عبدا حبشيا لأسوأ أهل البادية ملكة، أرعى عليهم غنمهم، وأني لم أكن فيما كنت فيه.
- \* ومرض عبد الملك بن مروان (ت: ٨٦) فجعل في مرضه يذم الدنيا ويقول: إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل، وأنا منك لفي غرور.
- ونظر إلى غسال يلوي ثوبًا بيده، فقال: لوددت أني كنت غسالا أكل من كسب يدي ولم آل شيئًا من هذا الأمر.
- فبلغ ذلك أبا حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا احتضروا يتمنون ما نحن فيه، وإذا احتضرنا لم نتمن ما هم فيه.

وقال سفيان: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم. المنتظم  
٢٧٣/٦، ابن أبي الدنيا ٣٢٢/٥، ٣٣١/٥.

\* ولما احتضر هشام بن عبد الملك (ت: ١٢٥) أبصر أهله ليكون حوله،  
فقال: جاد عليكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع وتركتم  
عليه ما حمل، ما أعظم متقلب هشام إن لم يغفر له!. ابن أبي الدنيا ٣٢٨/٥.  
\* وجعل المنتصر (ت: ٢٤٨) يقول وهو يكيد بنفسه وقائل يقول: لا بأس  
عليك يا أمير المؤمنين فقال: ليس إلا هذا؟ لقد ذهبت الدنيا والآخرة!. ابن أبي  
الدنيا ٣٢٩/٥.

\* وجعل هارون (ت: ١٩٣) أمير المؤمنين يقول وهو في الموت: واسوءتاه  
من رسول الله ﷺ!. ابن أبي الدنيا ٣٢٩/٥.

\* وعن عكرمة بن خالد، أنه دخل على أحد الأمراء يعوده، فرآه ثقيلا فقال له:  
اتق الله وأكثر ذكره، فولى بوجهه إلى الجدار فلبث ساعة، ثم أقبل علي فقال: يا أبا  
خالد ما أنكر ما تقول، ولوددت أني كنت عبدا مملوكا لبني فلان بن كنانة - أشقى  
أهل بيت من كنانة - وأني لم أَلِ من هذا العمل شيئا قط. ابن أبي الدنيا ٣٨١/٥.  
\* وقال الربيع بن برة رَحِمَهُ اللهُ: رأيت بالشام رجلا يقال له وهو في الموت: قل  
لا إله إلا الله، فقال: اشرب واسقه!. ابن أبي الدنيا ٣٦١/٥.

\* وقيل لرجل وهو في الموت: قل لا إله إلا الله، قال: هيهات! حيل بيني  
وبينها. ابن أبي الدنيا ٣٦١/٥.

\* وقال عبد العزيز بن أبي رواد رَحِمَهُ اللهُ: حضرت رجلا في النزع فجعلت أقول  
له: قل لا إله إلا الله، فكان يقول، فلما كان في آخر ذلك قلت له: قل لا إله إلا الله،  
قال: كم تقول؟ إني كافر بما تقول، وقُبُضَ على ذلك، فسألت امرأته عن أمره

فقلت: كان مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب فإنما هي أوقعته.<sup>(١)</sup>  
جامع العلوم والحكم / ٧٨، ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٧٠.

\* وعن زرقان بن أبي داود قال: لما احتضر الواثق (ت: ٢٣٢) جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشتركٌ لا سُوقَةٌ منهمُ يبقى ولا ملك  
ما ضرَّ أهلَ قليلٍ في تفأقُرهم وليس يُغني عن الأملاك ما ملكوا  
ثم أمر بالبسط فطويت، وألصق خده بالأرض، وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه. المنتظم ١٨٥ / ١١.

\* واحتضر رجلٌ فقيل له: قل لا إله إلا الله فقال:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي فبداء الهوى يموت الكرام  
ثم قال: يا من لا يموت أرحم من يموت، ثم لم يلبث أن مات! ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٧٤.

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: لَمَّا احتضر عضد الدولة (ت: ٣٧٢) جعل يتمثل بقول القاسم بن عبيد الله:

قتلت صناديد الرجال فلم أدع عدواً ولم أمهل على ظنِّه خَلْقاً

---

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في قول رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليعمل عملَ أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإنَّ الرجلَ ليعمل عملَ أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»: زاد البخاري في رواية له: «إنما الأعمال بالخواتيم». وقوله: «فيما يبدو للناس» إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأنَّ خاتمة السوء تكون بسبب دسياسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره، فتوجب له حسن الخاتمة. جامع العلوم والحكم / ٧٨.

وأخليت دور الملك من كل نازل      فشردتهم غربا وبددتهم شرقا  
فلما بلغت النجم عزاً ورفعة      وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا  
رماني الردى سهماً فأحمد جمرتي      فها أنا ذا في حفرتي عاطلا ملقى  
فأذهبتُ دنيايَ ودينِي سفاهةً      فمن ذا الذي مني بمصرعة أشقى

ثم جعل يقول: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩] فرددها إلى أن توفي. المنتظم ٢٩٥ / ١٤.

\* وقال أيضاً: قال علماء السير: لما احتضر محمد المعتصم بن الرشيد (ت: ٣٢٧) جعل يقول: ذهبت الحيلُ ولا حيلة، ولو علمت أن عمري قصير هكذا ما فعلت. المنتظم ١٢٨ / ١١.

\* وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قيل لبعضهم: قل: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فقال: آه، لا أستطيع أن أقولها. وقيل لآخر: قل (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فقال:

يا رَبِّ قائلة يوماً وقد تعبت      كيف الطريق إلى حمام منجاب؟

ثم قضى. وقيل لآخر: قل (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فجعل يهذي بالغناء، ويقول: تاتنا تتنا، حتى قضى. وقيل لآخر ذلك، فقال: ما ينفعني ما تقول، ولم أدعُ معصية إلا ركبتها، ثم قضى ولم يقلها. وقيل لآخر ذلك، فقال: وما تغني عني وما أعرف أني صليت لله صلاة؟ ولم يقلها. وقيل لآخر ذلك، فقال: هو كافر بما تقول، وقضى. وقيل لآخر ذلك، فقال: كلما أردت أن أقولها ولساني يمسك عنها.

قال رَحِمَهُ اللهُ: وأخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته، فجعل يقول: فلس لله، فلس لله، فلس لله، حتى قضى. وأخبرني بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده، وجعلوا يلقنونه (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا

مشتري جيد، هذه كذا، حتى قضى. <sup>(١)</sup> الداء والدواء / ٩٧-٩٨.

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: ولقد سمعت بعض من كنت أظن فيه كثرة الخير

وهو يقول في ليالي موته: ربي هو ذا يظلمني. <sup>(٢)</sup> صيد الخاطر / ٩٥.



(١) قال رَحِمَهُ اللهُ: وسبحان الله! كم شاهد الناس من هذا عبرًا؟ والذي يخفي عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم، فإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوّته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان، واستعمله فيما يريد من معاصي الله، وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى، وعطّل لسانه عن ذكره، وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن به عند سقوط قواه، واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزاع؟ وجمّع الشيطان له كل قوّته وهِمّته، وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه فرصته فإن ذلك آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحال، فمن ترى يسلم على ذلك؟ فهناك ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فكيف يوفق بحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه، وكان أمره فُرطًا؟ فبعيد من قلب بعيد من الله تعالى، غافل عنه، متعبد لهواه، أسير لشهواته، ولسانه يابس من ذكره، وجوارحه معطلة من طاعته، مشغلة بمعصيته: أن يوفق للخاتمة بالحسنى. الداء والدواء / ٩٨.

(٢) قال رَحِمَهُ اللهُ: فلم أزل منزعجا بتحصيل عدة ألقى بها ذلك اليوم.

وقال أيضًا: ولا بد من لقاء البلاء ولو لم يكن إلا عند صرعة الموت فإنها إن نزلت والعياذ بالله فلم تجد معرفة توجب الرضى أو الصبر أخرجت إلى الكفر.

\* عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت جاراً لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣)، فما رأيت أحداً من الناس كان أفضل من عمر؛ إن ليله صلاة، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس. فلما توفي عمر سألت الله عَزَّجَلَّ أن يرنيه في النوم، فرأيتُه في النوم مقبلاً متشحاً من سوق المدينة، فسلمت عليه وسلم علي ثم قلت: كيف أنت؟ قال: بخير، فقلت له: ما وجدت؟ قال: الآن فرغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت رباً رحيماً. تهذيب الحلية ١/٧٤.

\* وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصُهَا عَلَى النَّبِيِّ

(١) الرؤى لا تثبت حكماً شرعياً جديداً، ولكن يُمكن أن تؤكّد عليه؛ لأن الله -تعالى- أكمل الدين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ».

لكنّ لها منافع عظيمة، وأسراراً لطيفة، ومن أهم منافعها وثمارها:

١- البشرى بما يرد على الإنسان من خير.

٢- الإنذار بما يتوقعه من شر.

٣- الاطلاع على الحوادث في العالم قبل وقوعها.

٤- أنها سبب في هداية ضال، وتعليم جاهل، وإسلام كافر.

٥- استصلاح أحوال الناس والنجاة بهم من الهلكة، فكم تغيرت حال مصر، بعد تعبير يوسف عَلَيْهِ السَّلَام لرؤيا المَلِك!

ولقد كانت رؤيا ملك مصر بعد إيمانه بها وبعد أن نفذ مقتضاها: منجاة لشعبٍ بكامله مما ينتظره من مآسٍ وويلات.



ﷺ، قَالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيْ الْبِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرْعَ، فَفَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةٍ، فَفَصَصْتُهَا حَفْصَةً، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا. صحيح البخاري (١١٢١) صحيح مسلم (٢٤٧٩).

\* وقال أبو معاوية: رَأَيْتُ الثَّوْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) فِي النَّوْمِ، وَهُوَ فِي بُسْتَانٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَوْ يَقْرَأُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» [الزمر ٧٤]. أخبار الشيوخ (١٠٣).

\* وعن بشر بن المفضل قال: رَأَيْتُ بَشْرَ بْنَ مَنْصُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٠) فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: مَا صَنَعَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: وَجَدْتُ الْأَمْرَ أَهْوَنَ مِمَّا كُنْتُ أَحْمِلُ عَلَى نَفْسِي. تهذيب السَّيَر ٢/ ٧٦٤.

\* وقال محمد بن فضيل بن عياض: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨١) فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟ قَالَ: الْأَمْرُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ. قُلْتُ: الرَّبَاطُ وَالْجِهَادُ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: غُفِرَ لِي مَغْفَرَةٌ مَا بَعْدَهَا مَغْفَرَةٌ، وَكَلَّمَتْنِي امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ امْرَأَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ. صفة الصفوة ٤/ ٣٨١.

\* وعن بعض السلف رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كُنْتُ آتِي قَبْرَ أَبِي كَثِيرًا، قَالَ: شَهِدْتَ جَنَازَةً، فَلَمَّا قُبِرَ صَاحِبُهَا تَعَجَّلْتُ لِي حَاجَةٌ وَلَمْ آتِ قَبْرَ أَبِي، فَأَرَيْتَهُ فِي النَّوْمِ، فَقَالَ: يَا بَنِي لَمْ تَأْتِنِي؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ بِي؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ يَا بَنِي، إِنَّكَ لَتَأْتِنِي

فما أزال أنظر إليك من حين تطلع القنطرة حتى تقعد إلي، وتقوم من عندي فما أزال أنظر إليك موليا حتى تجوز القنطرة.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٢٩/٣.

\* وكان الرجل إذا سأل ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) عن الرؤيا قال: اتق الله عَزَّجَلَّ في اليقظة، ولا يضرك ما رأيت في المنام. صفة الصفوة ٣/١٧٥.

\* وعن إسماعيل بن طاهر البلخي قال: رأيت سليمان الشاذكوني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٤) في النوم، فقلت: ما فعل الله بك يا أبا أيوب؟ فقال: غفر الله لي.

قلت: بماذا؟ قال: كنت في طريق أصبهان أمر إليها فأخذتني مطرة، وكانت معي كتب، ولم أكن تحت سقف ولا شيء، فانكبت على كتبي حتى أصبحت وهدأ المطر، فغفر لي الله بذلك. المنتظم ١١/٢١٤.

\* وعن مالك بن دينار قال: رأيت مسلم بن يسار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٩). في منامي، بعد موته بسنة، فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، فقلت: لم لا ترد علي السلام؟ قال: أنا ميت فكيف أرد السلام، فقلت: ماذا لقيت يوم الموت؟ قال: لقد لقيت

(١) ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَخْيَاءِ تَتَلَقَّى فِي النَّوْمِ، كَمَا تَتَلَقَّى أَرْوَاحَ الْأَخْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ. الروح: ٣٢.

بل إِنَّ رُوحَ النَّائِمِ قَدْ تَلْتَقَى مَعَ رُوحِ الْيَقْظَانِ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فَإِنْ قِيلَ: فَالنَّائِمُ يَرَى غَيْرَهُ مِنَ الْأَخْيَاءِ يَحْدِثُهُ وَيَخَاطِبُهُ، وَرُبَّمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ، وَيَكُونُ الْمَرْتِيُّ يَقْظَانًا، وَرُوحُهُ لَمْ تَفَارِقْ جَسَدَهُ، فَكَيْفَ التَّقَتْ رُوحَاهُمَا؟

قِيلَ: هَذَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَثَلًا مَضْرُوبًا ضَرَبَهُ مَلَكُ الرُّؤْيَا لِلنَّائِمِ، أَوْ يَكُونُ حَدِيثَ نَفْسٍ مِنَ الرَّائِي، تَجَرَّدَ لَهُ فِي مَنَامِهِ.

وَقَدْ تَنَاسَبَ الرُّوحَانِ وَتَشَدَّ عِلَاقَةُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، فَيُشْعِرُ كُلُّ مِثْلِهِمَا بَعْضَ مَا يَحْدُثُ لِصَاحِبِهِ، وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ بِمَا يَحْدُثُ لغيره لشدَّةِ العِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا، وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ عَجَائِبَ. ١. الروح: ٣٢.

وَأَرْوَاحُ الْأَحْيَاءِ تَتَلَقَّى أَيْضًا، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَكَرَّ مِنْهَا اخْتَلَفَ». رواه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨).

أهوالاً وزلازل عظماً شداداً، قلت: وماذا كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات، وعفا لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات. تهذيب الحلية ٣٩٦/١.

\* وقال أحمد بن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): يا أحمد إني محدّثك بحديث فلا تحدّث به أحداً حتى أموت: نمت ذات ليلة عن وِرْدِي فإذا أنا بحوراء تنبّهني وتقول: يا أبا سليمان تنام وأنا أُرَبِّي لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟. صفة الصفوة ٤/٤٤٢.

\* وعن أبي بيان الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله، محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤) ابن عمك، هل نفعته بشيء؟ أو خصصته بشيء؟ قال: نعم، سألت الله تعالى أن لا يحاسبه، فقلت: بماذا يا رسول الله؟ قال: إنه كان يصلي عليّ صلاة لم يصل بمثل تلك الصلاة أحد، فقلت: وما تلك الصلاة؟ قال: كان يصلي عليّ اللهم صلى على محمد كلما ذكره الذاكرون، وصل على محمد كلما غفل عنه الغافلون. المنتظم ١٣٨-١٣٩/١٠.

\* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد رأى أبا نواس بعض أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بأبيات قلتها في النرجس:

تفكر في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك  
عيون من لجين شاخصات بأبصار هي الذهب السبيك  
على قصب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك  
وفي رواية عنه أنه قال: غفر لي بأبيات قلتها وهي تحت وسادتي، فجاؤوا فوجدوها برقعة في خطه:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

أدعوك ربي كما أمرت تضرعا      فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم  
 إن كان لا يرجوك إلا محسن      فمن الذي يرجو المسيء المجرم  
 مالي إليك وسيلة إلا الرجا      وجميل عفوك ثم إني مسلم  
 البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٨.

\* وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: رويناه بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان قال: سمعت البخاري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٦) يقول «رأيت النبي ﷺ وكأني واقفٌ بين يديه، وبيدي مروحةٌ أذبُ بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: «أنت تذبُّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح». فتح الباري: ١ / ٧.

\* وكان الشيخ عبدالله بن منصور آل زامل رَحِمَهُ اللهُ -وكان من الأتقياء الصالحين- يكره الشيخ المقرئ الفقيه النحويّ عبدالله بن عائض رَحِمَهُ اللهُ (١٢٤٩-١٣٢٢)؛ لِمَا يسمع من أعداء ابن عائض المغرورين، فرأى في المنام النبي ﷺ فقال له: بَشِّرْ أول من يدخل المسجد الجامع بالجنة -وذلك في آخر الليل-، فذهب عبدالله آل زامل إلى المسجد، فكان أول داخل هو الشيخ ابن عائض، فسكت عنه ولم يبشّره، ولم يزل هكذا ثلاث ليال، ثم قابله في الثالثة وأكبّ عليه يُقَبِّلُهُ، ويطلب منه السماح ويبشّره بهذه الرؤيا المتكررة. <sup>(١)</sup> علماء نجد (١٤٢/٤).



(١) فيإياك ومعاداة من ظاهره الصلاح، مهما بلغك عنه من كلام، ما لم تتحقق بنفسك حقيقة ما يُقال عنه، فربما كان من أولياء الله، وممن رضي الله عنه وأحبه، فهل يليق أن تعادي من يحب ربك؟

## أحوال يوم القيامة، والحساب

\* قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) إن الفجار يُلْجَمهم العرق يوم القيامة قبل الحساب.

قيل له: أين المؤمنون؟

قال: على كراسي قد ظلل عليهم بالغمام ما طول ذلك اليوم عليهم إلا كأمر الساعة من نهار. الزهد لهناد (٣٢٥).

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) في قول الله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]: كل آدمي في عنقه قلادة، تكتب فيها نسخة عمله، فإذا طويت قُلْدُها، فإذا بعث نُشِرت له، وقيل: ﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

يا ابن آدم، أنصفك من خلقك، جعلك حسيب نفسك. الزهد لهناد (١١٨٥).





\* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: إذا سكن أهل الجنة: نُورُ سَقَفِ مساكنهم نُورُ عرشه. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٢٠.

\* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الظل الممدود: شجرة في الجنة على ساق، قدر ما يسير الراكب المُجِد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، قال: فيخرج إليها أهل الجنة، أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم، ويذكر لهُوَ الدنيا، فيرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهُوَ كان في الدنيا. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٢٨.

\* وصدق الناظم:

ريحا تهز ذوائب الأغصان	قال ابن عباس ويرسل ربنا
نسان كالنغمات بالأوزان	فتثير أصواتا تلذ لمسمع الإ
بلذاذة الأوتار والعيان	يا لذة الأسماع لا تعوضي

نونية ابن القيم ٣٢٥.

\* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نخل الجنة: جذوعها زمرد أخضر، وكُرْبها ذهب

(١) لن تجد وصفًا للجنة أجمع وأعظم من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الحديث القدسي: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾» [السجدة: ١٧] رواه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى من الجنة.

أحمر، وسعفها كسوة أهل الجنة، منها مُقَطَّعَاتُهُمْ وحلّهم. الزهد لهناد (١ / ٩١).  
 \* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الرمانة من رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير يأكلون منها، فإن جرى على ذكر أحدهم شيء يريد وجده في موضع يده حيث يأكل. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٤٦.

\* وقال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧١) في هذه الآية ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ قال: يتناولونها وهم نيام وهم جلوس، وعلى أي حال شاءوا. الزهد لهناد (١ / ٩٢).  
 \* وصدق الناظم:

وطعامهم ما تشتهيهِ نفوسهم      ولحوم طيرٍ ناعم وسمان  
 وفواكه شتى بحسب مُناهم      يا شبعةً كملت لذي الإيمان  
 لحمٌ وخمرٌ والنسا وفواكه      والطيب مع رُوحٍ ومع ريحان  
 نونية ابن القيم ٣٢٧.

\* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾  
 [الكوثر: ١] قال: الكوثر نهر في الجنة، حافته قصب الذهب، مجراه على الدرّ والياقوت، ماؤه أشدّ بياضا من الثلج، وأشدّ حلاوة من العسل، تربته أطيب من ريح المسك. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٣٤.

\* وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخذود في الأرض؟ لا والله، إنها سائحة على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوت، وطينه المسك الأذفر.

قيل: ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط له. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٣٤.

\* وصدق الناظم:

أنهارها في غير أخذود جرت      سبحان ممسكها عن الفيضان

من تحتهم تجري كما شاؤوا مفرج  
 مرة وما للنهر من نقصان  
 غسل مصفى ثم ماء ثم خم  
 ر ثم أنهار من الألبان  
 والله ما تلك المواد كهذه  
 لكن هما في اللفظ مجتمعان  
 نونية ابن القيم ٣٢٦.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ فَضَّاحَتَانِ﴾ ﴿٦٦﴾ [الرحمن: ٦٦]  
 قال: بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة، كما ينضخ المطر على دور  
 أهل الدنيا. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٣٥.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ﴿٣٥﴾ [ق: ٣٥] قال: يتجلى لهم  
 كل جمعة. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٤٠.

\* وقال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٠) وهو يخطب على منبر  
 البصرة: إن الله عَزَّجَلَّ يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة، فيقول: يا أهل الجنة  
 هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحلي والحلل، والثمار والأنهار،  
 والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم أنجزنا ما وعدنا، ثم يقول الملك: هل أنجزكم  
 الله ما وعدكم؟ ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئا مما وُعدوا، فيقولون: نعم، فيقول:  
 قد بقي لكم شيء، إن الله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ألا إن  
 الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم. البعث والنشور للبيهقي (٢٦٢).

\* وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) قال: إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي  
 الشراب من شراب الجنة، فيجيء الإبريق فيقع في يده فيشرب، ثم يعود إلى  
 مكانه. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٤٨.

\* وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٥) قال: في الجنة عِتَاق الخيل، وكِرَام  
 النجائب، يركبها أهلها. ابن أبي الدنيا ٦ / ٣٧٠.



\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العنقود - يعني في الجنة -: أبعد من صنعاء - وهو بعمّان بالشّام - . الزهد لهناد (٩٤).

\* وقال ابن أبي ليلى رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٠): فما ظنكم بهم حين ثقلت موازينهم، وحين صارت الصحف في أيّمانهم، وحين جاوزوا جسر جهنم، وأدخلوا الجنة، وأعطوا ما أعطوا من الكرامة والنعيم، كأن لم يكن شيئاً رآوه. ابن أبي الدنيا ٣٤٠ - ٣٤١ / ٦.

\* وقال ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٣): لقد أُعطي أهل الجنة خصالاً، لو لم يُعطوها لم ينتفعوا بها، يشبّون فلا يهرمون أبداً، ويشبعون فلا يجوعون أبداً، ويكسبون فلا يعرفون أبداً، ويَصِحُّون فلا يسقمون أبداً، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلبٌ واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا. ابن أبي الدنيا ٣١٨ / ٦.

\* وعن عطاء بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: في الجنة نخل من ذهب، جذوعها من ذهب، وسعفها كأحسن حلل رآه الناس، وشماريخها وعراجينها من ذهب، وثمرها مثل القلال<sup>(١)</sup>، وأشدّ بياضاً من اللبن والفضة، وأطيب من المسك، وأحلى من السكر، وألين من الزبد والسمن. ابن أبي الدنيا ٣٢٩ / ٦.

\* وعن عبد الرحمن بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٢) قال: وُصِفَ أَهْلُ الْجَنَّةِ بالضحك والسرور والتفكه، حتى يُعلم أن حلوات الدنيا مراراتُ الآخرة، ومرارات الدنيا حلواتُ الآخرة. ابن أبي الدنيا ٢٨٧ / ٣.

\* وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) في قوله تعالى ﴿وَذُلِّكَ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ ﴿١٤﴾ [الإنسان: ١٤]: إذا قام ارتفعت، وإذا قعد تدلّت حتى يتناولها، وإذا اضطجع تدلت، فذلك تذليلها. ابن أبي الدنيا ٣٤٥ / ٦.

(١) الْقِلَال: بِكَسْرِ الْقَافِ جَمْعُ قُلَّةٍ، وَهِيَ الْجَرَّةُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي يُقْلَلُهَا الرَّجُلُ بَيْنَ يَدَيْهِ، أَيْ يَحْمِلُهَا.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]:  
«أنفسهن وأبصارهن وقلوبهن مقصورات على أزواجهن لا يُردن غيرهم في خيام اللؤلؤ». الزهد لهناد (١ / ٥٦).

\* وعن بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ قال: بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل، ولا يزور الأسفل الأعلى. ابن أبي الدنيا ٣٥٨ / ٦.

\* وعن الضحاك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٥) في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَمَسَّ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٤] قال: بعضهم أفضل من بعض، فيرى الذي فُضِّلَ به فضيلة، ولا يرى الذي أسفل منه: أنه فُضِّلَ عليه أحد من الناس. ابن أبي الدنيا ٣٥٩ / ٦.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] قال: على النجائب عليها الرِّحال. ابن أبي الدنيا ٣٧٠ / ٦.

\* وقال الزهري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٤): لسان أهل الجنة عربي. ابن أبي الدنيا ٣٦٣ / ٦.

\* وقال له رجل: هل في الجنة من سماع؟ فإنه حبيب إلي السماع قال: أي والذي نفس ابن شهاب بيده، إن في الجنة لشجرا حَمَلَهُ اللؤلؤ والزبرجد، تحته جوارى ناهدات، يتغنين بالقيان، يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت. فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضا، فأجبن الجواري، فلا يدري أصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر. ابن أبي الدنيا ٣٧٣ / ٦.

\* وعن محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠): قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن مجالس اللهو، ومزامير الشيطان، أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تحمدي وتمجيدي. ابن أبي الدنيا ٣٧٤ / ٦.

## النار وعذابها<sup>(١)</sup>

- \* عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في قوله: ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، قال: عقارب أنيابها كالنخل الطوال. الزهد لأسد بن موسى (٢٨).
- \* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]: في توابيت من حديد مبهمة<sup>(٢)</sup> عليهم. الزهد لهناد (١٦١).
- \* وقال رجل لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثنا عن النار كيف هي؟ قال: لو رأيتهما لزال قلبك من مكانه. ابن أبي الدنيا ٤١١/٦.
- \* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لو أن دلوا من غساق<sup>(٣)</sup> يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا. ابن أبي الدنيا ٤١٦/٦.
- \* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا لأفسدت على الناس معاشهم. ابن أبي الدنيا ٤١٧/٦.
- \* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ونادوا يا مالك) قال: يمكث عنهم ألف سنة ثم يجيبهم: (إنكم ماكثون). الزهد لأسد بن موسى (١٦).
- \* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يستعيز أهل النار من الحر، فيُعَاثُونَ بريح بارد، يصدع العظم برُدِّها، فيسألون الحر. ابن أبي الدنيا ٤١٧/٦.

---

(١) ثبت في الصحيحين (البخاري ٦٥٦١، ومسلم ٢١٢) أَنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ تُوَضَّعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاعُهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا أَهْلُ النَّارِ فَكَيْفَ بغيره! اللهم نجنا من النار يا أرحم الراحمين.

(٢) أي: مقفلة عليهم لا يهتدون لمكان فتحها.

(٣) الغساق: بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار وغسلتهم، وقيل الزمهرير.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠] قال: ينادي الرجل أخاه: يا أخي، قد احترقت فأعطني، فيقول: ﴿لَا تَكُ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥١.

\* وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: يُرسل على أهل النار الجوع، حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، قال: فيستغيثون، فيغاثون بالضريع الذي (لا يسمن ولا يغني من جوع)، قال: فيستغيثون، فيغاثون بطعام ذي غصة، قال: فيذكرون أنهم يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، قال: فيرفع إليهم الحميم بكلايب الحديد، فإذا دنا من وجوههم شوى وجوههم، وإذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم، فيقولون: كلموا خزنة النار، فيقولون: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]، فيجيبونهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠]. فيقولون: كلموا مالكا فيقولون: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزحرف: ٧٧] فيجيبهم: ﴿إِنَّكُمْ مِّنْكُمْ مَّا﴾ [الزحرف: ٧٧]، فيقولون: ادعوا ربكم، فإنه ليس أحدٌ خيرا لكم من ربكم. فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، قال: فيجيبهم: ﴿أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، قال: فعند ذلك يأسون من كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والثبور. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٧.

\* وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: أهل النار مكبلون بأصفاد النار، معلقون بشجر في النار، وإن جلودهم لتقطر بصهارة الحميم، خالدين فيها، لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب عظيم، ولو أن رجلا أُخرج من أهل النار إلى الدنيا، لمات أهل الدنيا من وحشة منظره وتتن ريحه، ثم بكى عبد الله بن عمرو بكاء شديدا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٦.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أهل النار نادوا: ﴿يَدْنِيكَ لِيَقْضَىٰ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: فخلى عنهم أربعين عاما ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُمْ تَكُونُونَ﴾ (٧٣) ، فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٠٧) قال: فخلى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم: ﴿اخْشَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ (١٠٨) قال: فلم ينس القوم بعد ذلك بكلمة، إن كان إلا الزفير والشهيق. ابن أبي الدنيا ٤٣٦/٦.

\* وعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) قال: «يؤتى بالصراط، حُدُّه كحدِّ موسى، فتقول الملائكة: يا ربنا من يجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، قال: فيقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك. الزهد لأسد بن موسى (٣٨).

\* وعن أبي حمزة قال: كنت أمشي مع رباح القيسي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٦) فمر بصبي يبكي، فوقف عليه يسأله ما يبكيك يا بني؟ وجعل الصبي لا يحسن يجيبه ولا يرد عليه شيئا، فبكى ثم التفت إلي فقال: يا أبا حمزة ما لأهل النار راحة ولا معول إلا البكاء، وجعل يبكي. ابن أبي الدنيا ٢١٨/٣.

\* وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللَّهُ: كان بعض الواعظين يقول إذا حدث بهذا: أنت تحتل محاورة مالك؟ ومالك المسلط على ما هنالك، مالك إن زجر النار التهب حريقا لزجره، وتوقدت مستعرة انصياعا لأمره، واحتدمت تلظيا على العصاة من غضبه، ومتى يرضى من غضب عليهم لغضب ربه؟ إذا غضب مالك على النار أكل بعضها بعضا، ولم تَخْبُ من الاستعار على المعذبين خيفة غضبه. ومتى يرضى من فطره الله على طَوَالِ الغضب عليهم، ومن تعبد الله بما يوصل من أليم الهوان إليهم؟ استغاثوا بمن لا يرحمهم من ضرِّ أصابهم، ولا يرثي لهم من جهدِ بلاءٍ نزل بهم، يدعون مالكا وقد شوَّهتهم النار غير مرة فأنضجتهم، ثم جددوا لها خَلْقًا مستأنفا فأكلتهم، ويلك أيها المستغيث بمالك، إنَّ مالكا اشتدت سَوْرَةُ غضبه، فهو دائبٌ يشتفي ممن أقدم صُرَاحا على معصية ربه، فلا تسل عن

جَهْدٍ يَلْقَوْنَهُ بِشِدَّتِهِ، وَطَعَامٍ زَقُومٍ اعْتَرَضَ فِي حُلُوقِهِمْ بَحْرُهُ وَخَشُونَتُهُ، وَصَدِيدٌ لَمْ يَسِيغُوهُ إِذَا جَرَعُوهُ عَلَى كِرَاهَتِهِ، وَلَقَدْ نَادَوْا بِالْوَيْلِ عِنْدَ أَوَّلِ نَفْحَةٍ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُسْتَهْمٌ، وَأَقْرَأُوا بِالظُّلْمِ حِينَ قَرَنُوا بِنِدَامَتِهِمْ. ابن أبي الدنيا ٦/٤٣٦-٤٣٧.

\* وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) في قوله: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ [الغاشية: ٣، ٢] قال: لم تخشع لله في الدنيا، فأخشعها وأنصبها في النار، فذلك عملها. ابن أبي الدنيا ٦/٤٢٧.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (١٥) [الفرق: ٦٥] قال: الغرام: اللازم الذي لا يفارق صاحبه أبداً، وكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام. ابن أبي الدنيا ٦/٤٤٤.

\* وعن أبي عمران الجوني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٨) قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار عنيد، وبكل شيطان، وبكل من كان يخاف الناس شره في الدنيا، فأوثقوا في الحديد، ثم أمر بهم إلى النار، ثم أوصد عليهم، ولا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا والله لا ينظرون إلى أديم السماء أبداً، ولا والله ما تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا والله لا يذوقون فيها برد شراب أبداً، ثم يقال لأهل الجنة: فَتَّحُوا الْأَبْوَابَ، ولا تخافوا شيطاناً ولا جباراً، وكلوا اليوم: ﴿وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِئَةِ﴾ (٢٤) [الحاقة: ٢٤] قال: أبو عمران الجوني: هي والله أيامكم هذه. ابن أبي الدنيا ٦/٤١٣.

\* وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) في قوله: ﴿فَأَسْكُوْهُ﴾ (٣٢) [الحاقة: ٣٢] قال: بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه. ابن أبي الدنيا ٦/٤١٥.

\* وعن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٨) في قوله: ﴿وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَكِيدٍ﴾ (١٦) [إبراهيم: ١٦] قال: ماء يسيل من لحمه وجلده. ابن أبي الدنيا ٦/٤١٨.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [٤٤: الحجر]: هِيَ وَاللَّهُ مَنَازِلُ بِأَعْمَالِهِمْ. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٦/ ٤٠١.

\* وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤) قَالَ: إِنْ فِي النَّارِ لَزْمَهْرِيرَا يَعَذَّبُونَ بِهِ، فَيَهْرَبُونَ مِنْهَا إِلَى ذَاكَ الزَّمْهَرِيرِ، فَإِذَا وَقَعُوا حَطَمَ عِظَامُهُمْ حَتَّى تَسْمَعَ لَهَا نَقِيضًا. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٦/ ٤٢٢.

\* وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْثِ﴾ [المعارج: ١٦] قَالَ: نَزَعَ الْجِلْدَ وَاللَّحْمَ عَنِ الْعِظَمِ. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٦/ ٤٢٨.

\* وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مَنبِهِ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٤) قَالَ: إِنْ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا لَا يَهْدُوْنَ، وَلَا يَنَامُونَ، وَلَا يَمُوتُونَ، يَمْشُونَ عَلَى النَّارِ، وَيَجْلِسُونَ عَلَى النَّارِ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَيَأْكُلُونَ مِنْ زُقُومِ النَّارِ، لُحْفَهُمْ نَارٌ، وَفَرْشُهُمْ نَارٌ، وَقَمَصُهُمْ نَارٌ وَقَطْرَانٌ، ﴿وَتَعْنَى وَجُوهَهُمْ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، ثُمَّ بَكَى. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٦/ ٤٢٦.

\* وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ: كُتِبَ أَهْلُ النَّارِ، وَالْعُرْيُ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ<sup>(١)</sup>، وَأَعْطُوا الْحَيَاةَ، وَالْمَوْتَ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ<sup>(٢)</sup>. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٦/ ٤٣٩.

\* وَعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٠) قَالَ: إِنْ أَهْلُ النَّارِ لَا يَخْرُجُ لَهُمْ نَفْسٌ، إِنَّمَا تَرَدَّدُ أَنْفُسُهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ. ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ٦/ ٤٣٤.

(١) قَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، أَي: قَمَصُهُمْ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا، وَاحِدُهَا: سَرِبَالٌ.

(٢) قَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَنَادَوْا بِكَفِّكَ لِقَبْضِ عَلَيْنَا﴾ [الزخرف: ٧٧]. قُلْتُ: فَلْيَتَعَطَّ مِنْ لَبَسٍ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاسْتَمْتَعَ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ، فَإِنَّهُ سَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ عَارِيًّا حِينَمَا يُلْبَسُ ثِيَابًا مِنْ نَارٍ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ.

وَلْيَتَعَطَّ مِنْ أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ هَمَّةً وَغَايَتَهُ، وَلَمْ يُرَاعِ حَقَّ اللَّهِ وَشَرْعَهُ فِي سَبِيلِ الْحَصُولِ عَلَى مَتَاعِ الدُّنْيَا وَالْمَنَاصِبِ وَالْمَلِكِ وَالْمَالِ، فَسَيَأْتِي يَوْمَ يَتَمَنَّى فِيهِ الْمَوْتَ وَلَا يَجِدُهُ، لَمَّا يَجِدُهُ مِنْ مَرَارَةِ الْحَيَاةِ.

\* وعن السدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٧) في قوله: ﴿وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [١٦: إبراهيم] قال: إذا سال من جلودهم سال حتى يسيل منه القيح والدم، ثم يُكَلَّف شربه، فلا يكاد يسيغه. ابن أبي الدنيا ٤٣٨ / ٦.

\* وعن رجاء بن ميسور قال: كنا في مجلس صالح المري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) وهو يتكلم، فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى! فقرأ الفتى: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] فقطع صالح عليه القراءة، وقال: كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك والله لو رأيت الظالمين، وأهل المعاصي، يساقون في السلاسل والأنكال، إلى الجحيم، حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم، ذائبة أجسادهم، ينادون: يا ويلنا، يا ثورنا، ماذا نزل بنا؟! ما ذا حل بنا؟! أي يذهب بنا؟! ماذا يُراد منا؟! والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يجرون على وجهم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين، من بين باك دمًا بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت.

إنك والله لو رأيتهم على ذلك، لرأيت منظرًا لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرارٍ قدمك!.

ثم نحب وبكى، وبكى الناس. ابن أبي الدنيا ٤٩٦ / ٥.

\* وقال بعض السلف: بلغنا أن أهل النار يكون الدموع حتى تنفنى، ثم يكون الدماء، فيقول لهم الخزنة: يا معشر الأشقياء، لو كان هذا في الدار المقبول فيها العمل، كان نعم الذخر لكم. ابن أبي الدنيا ٤٤٥ / ٦.

\* وقال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢] قال: الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا انقطعت



الدنيا وصاروا إلى الله استأنفوا بكاء لا ينقطع عنهم أبدا. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤٦.

\* وعن عبد الأعلى رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠) قال: ما جلس قوم مجلسا فلم يذكروا الجنة والنار إلا قالت الملائكة: أغفلوا العظيمتين. ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٩٩.

\* وعن سليمان التيمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٣) قال: في قوله: ﴿خُذُوهُ﴾ [الدخان: ٤٧]، قال: لا يضع يده على شيء إلا دقه، فيقول: أما ترحمني؟ فيقول: كيف أرحمك وأرحم الراحمين لم يرحمك؟. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٢.

\* وقال محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨): بلغني: «أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩] سألوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب، فرد عليهم الخزنة: ﴿أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [غافر: ٥٠]، فردت عليهم الخزنة: ﴿فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠] ولما يسوا مما عند الخزنة، ﴿وَنَادَوْا بِمَلِكٍ﴾ [الزخرف: ٧٧] وهو عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليه ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أَدْنَاهَا، فقالوا: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. سألوا الموت، فمكث عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة، والسنة ستون وثلاثمائة يوم، والشهر ثلاثون يوما، واليوم ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] لحظ إليهم بعد الثمانين: ﴿إِنَّكُمْ مِّنْكَوْتٍ﴾ [الزخرف: ٧٧] فلما سمعوا ما سمعوا مما قبله، قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون، فهلموا فلنصبر، فلعل الصبر ينفعنا، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا. فأجمعوا رأيهم على الصبر».

قال: «فتصبروا، فطال صبرهم، ثم جزعوا، فنادوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا

مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] - أي: ملجأ - فقام إبليس عند ذلك فخطبهم: ﴿إِنَّ

اللَّهُ وَعَذَابُكُمْ وَعَذَابُ الْخَلْقِ وَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴿٢٢﴾ [إبراهيم: ٢٢]، يقول: بمغن عنكم شيئا. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ ر فلما سمعوا مقالته فقتلوا أنفسهم فنودوا: ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَفْنَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ [غافر: ١٠-١١] فرد عليهم: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ يُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (١٢) [غافر: ١٢] قال: «هذه واحدة».

قال: «فنادوا الثانية: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٣) [السجدة: ١٢] فرد عليهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣] يقول: لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٤) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴿[السجدة: ١٣-١٤] يقول: بما تركتم أن تعملوا ليوكم هذا. ﴿إِنَّا نَسِينَكُمْ﴾ [السجدة: ١٤]: إنا تركناكم، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥) [السجدة: ١٤] فهذه اثنتان».

قال: «فنادوا الثالثة: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ (١٦) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَنَيْنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٤٦) [إبراهيم: ٤٤-٤٦] قال: «هذه الثالثة».

قال: «ثم نادوا الرابعة: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] قال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ الْتَذِيرُ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٣٧) [فاطر: ٣٧]. فمكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ تُنَادِي عَلَى كُفْرِكُمْ فَكُنتُمْ

بِهَا تُكَذَّبُونَ ﴿١٠٥﴾ [المؤمنون: ١٠٥]. فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنا ربنا. وقالوا عند ذلك: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] أي الكتاب الذي كتبت علينا. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧] فقال عند ذلك: ﴿اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم، وأقبل بعضهم على بعض، ينبح بعضهم في وجه بعض، وأطبقت عليهم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٤.

\* وقال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَنْفِي بَوَجهِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٢٤]: تشد أيديهم وأرجلهم، فكلما جاءهم نوع من العذاب، اتقوه بوجوههم. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٨.

\* وعن مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) قال: إذا أحس أهل النار في النار بضرب المقامع انغمسوا في حياض الجحيم فيذهبون سفالاً سفالاً كما يغرق الرجل في الماء في الدنيا يذهب سفالاً سفالاً. الزهد لأحمد: ٥٣٤.



## تقلب الأحوال، وفجاءة النقم

\* عن محمد بن الفضل الجرجاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٣) أنه تحدث في وزارته للمعتصم قال: كنت أتولى ضياع عجيف - وهو أحد القواد - فرفع عليّ أنني جئت وأخربت الضياع، فأنفذ إليّ، فأدخلت عليه وهو يطوف في داره على ضياع فيها، فلما رأي شتمني وقال: أخربت الضياع، ونهبت الارتفاع والله لأقتلنك، هاتوا السيّاف. فأحضرت ونحيت للضرب، فلما رأيت ذلك ذهب عقلي وبُلت على ساقِي، فنظر كاتبه إلي فقال: أعزّ الله الأمير، أنت مشغل القلب بهذا البناء وضرب هذا أو قتله في أيدينا ليس يفوت فتأمر بحبسه، وانظر في أمره، فإن كانت الرقعة صحيحة فليس يفوتك عقابه، وإن كانت باطلة لم تستعجل الإثم وتنقطع عما أنت بسبيله من المهم. فأمر بي إلى الحبس فمكثت أيامًا، وقتل المعتصم عجيفًا، فاتصل الخبر بكاتبه فأطلقني: فخرجت وما أهتدي إلى حبة فضة فما فوقها، فقصدت صاحب الديوان بسر من رأى فسُرَّ بإطلاقي، وقُلّدي عملاً فنزلت دارًا، فرأيت مستحماها غير نظيف، فإذا تل فجلست أبول عليه، وخرج صاحب الدار فقال لي: أتدري على أي شيء بُلت؟ قلت: على تل تراب. فضحك وقال: هذا رجل من قوَّاد السلطان يُعرف بعجيف سخط عليه، وحمله مقيدًا، فلما صارها هنا قتل، وطُرح في هذا المكان تحت حائط، فلما انصرف العسكر طرحن الحائط ليواريه من الكلاب، فهو والله تحت هذا التل التراب.

قال: فعجبت من بولي خوفاً منه ومن بولي على قبره. المنتظم ١١ / ٨٥ -

٨٦.

\* وعن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء. ابن أبي الدنيا ١٨ / ٦.

\* وخرج زياد حتى أتى حُرقة بنت النعمان بن المنذر، فقال: أخرجوها إلي، وقد لبست المُسوح، فخرجت، فقال حَدَّثَنِي عن أهلك؟ قالت: أصبحنا وما في العرب أحد إلا يرجونا أو يخافنا، وأمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا. ابن أبي الدنيا ١٨ / ٦.

\* وعن بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ قال: مررت بدار من دور الكوفة، فسمعت جارية تنادي من داخل الدار.

ألا يا دار لا يدخلك حُزن ولا يذهب ساكنك الزمان  
ثم مررت بالدار فإذا الباب وقد علته كآبة ووحشة، فقلت: ما شأنهم؟ قالوا:  
مات سيدهم، مات رب الدار، فوقفت على باب الدار فقرعته، وقلت: إني سمعت  
من ههنا صوت جارية تقول:

ألا يا دار لا يدخلك حُزن ولا يذهب ساكنك الزمان  
فقلت امرأة من الدار وبكت: يا عبد الله إن الله تعالى يُغَيِّر ولا يُغَيِّر، والموت  
غاية كل مخلوق، فرجعت والله من عندهم باكياً. ابن أبي الدنيا ١٩ / ٦.

\* ودخل محمد بن زيدان الكاتب يوماً على يحيى بن خالد بن برمك (ت: ١٩٠)، فرآه مهموماً مفكراً، ينكت في الأرض، فقلت: أصلحك الله قد طال فكري، ففيم ذاك، هذا ابنك الفضل على خراسان، وجعفر على العراق، ومحمد على اليمن، وموسى على الجبال، وأنت فيما أنت فيه، فقال: ويحك ففي هذا

كان فكري، ولما نحن فيه كثر همي، أنا علمت أن جدي برمك كان ينزل النُّوبهار، وكان يقدم في كل سنة على هشام بن عبد الملك، فكان يألف دَهْقانا بالجبل ينزل عليه ذاهبا وينزل عليه راجعا، وكان في دنيا عريضة، وأمرٍ واسع جدا، فقال له جدي مرة في بعض نزوله عليه: إنك من الدنيا لفي أمرٍ واسع وخير كثير، هؤلاء ولدك قد ساووك، وأموالك منتشرة، وجاهك عريض، قال: وما ينفعني من ذلك وقد تكدر كل ما أنا فيه بصاحبتي أم أولادي، هي الدهر باكية ليلها ونهارها، فما أتهنى بشيء مما أنا فيه، قلت: أفتأذن لي في كلامها؟ قال: نعم شأنك وذاك، فقلت: يا هذه إنكم من الدنيا في سعد، ومن العيش فيما أنتم فيه، وقد أفسدت ذاك على صاحبك بطول بكائك، ودوام حزنك، فمم ذاك؟ قالت: نحن أهل بيت لم نصب بمصيبة، ولم تنزل بنا جائحة، ولم نُثْكل ولدا، فقد علمت أن هذا لا يتم على ما أرى، ونفسي متوقعة أمرا ينزل بنا، فطول بكائي ودوام حزني لذلك، فقلت لها: فلم تعجلين البكاء دعي الأمر حتى يقع؟ قالت: إن نفسي تأبى أن تسكن مع تغير ما تعلم، قال: فارتحلت من عندهم إلى هشام، ثم رجعت فمررت بهم، فإذا الأعراب والأكراد قد أغاروا عليهم، فقتلوا الدهقان وولده، وأخذوا أموالهم، وأخربوا ضياعهم، فأتيت المرأة فتوجعت لها مما نزل بهم، فقالت: أبا فلان قد حل بنا ما كنا نتوقع، فهل عندك من شيء؟ فقال يحيى بن خالد: ويحك فإنما طال فكري للأمر الذي نحن فيه.

قال: فما لبث البرامكة أن حل بهم ما حل. ابن أبي الدنيا ٦ / ٢٦.

\* وعن نابل بن نجيح قال: كان باليمامة رجلان ابنا عم، فكثر مالهما، فوقع بينهما ما يقع بين الناس، فرحل أحدهما عن صاحبه، قال: فإني ليلة قد ضجرت برغاء الإبل والغنم والكثرة، إذ أخذت بيدي صبيًّا لي وعلوت في الجبل، فأنا

كذلك إذ أقبل السيل، فجعل مالي يمر بي ولا أملك منه شيئاً، حتى رأيت ناقة لي قد علق خطامها بشجرة، فقلت: لو نزلت إلى هذه فأخذتها لعلي أنجو عليها أنا وبُنَيَّ هذا، فنزلت فأخذت الخطام وجذبها السيل، فرجع علي غصن الشجرة فذهب ماء إحدى عيني، وأفلت الخطام من يدي، فذهبت الناقة، ورجعت إلى الصبي فوجدته قد أكله الذئب، فأصبحت لا أملك شيئاً، فقلت: لو ذهبت إلى ابن عمي لعله يعطيني شيئاً، فمضيت إليه، فقال لي: قد بلغني ما أصابك، والله ما أحببت أنه قد أخطأك، فكان ذلك أشد مما أصابني، فقلت: أمضي إلى الشام فأطلب، فلما دخلت إلى دمشق إذا الناس يتحدثون أن عبد الملك بن مروان أصيب بابن له، فاشتد حزنه عليه، فأتيت الحاجب فقلت: إني أحدث أمير المؤمنين بحديث يعزيه عن مصيبتة هذه، فقال: أذكر ذلك له وذكره، فقال: أدخله فأدخلني فحدثته بمصيبتني، فقال: قد عزيتني بمصيبتك عن مصيبتني، وأمر لي بمال فعدت وتراجعت حالي. ابن أبي الدنيا ٢٧/٦.



## الأمل

أ- ما قيل في الأمل وأنه غريزة في الإنسان:

\* عن أبي عثمان النهدي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) قال: بلغت نحوًا من ثلاثين ومائة سنة، ما من شيء إلا قد عرفت النقص فيه إلا أُملي كما هو. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠٨.

\* وَكَانَ الْمُفْضَلُ بْنُ فَضَالَةَ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١). السَّيَر ٧/ ٢٢٤.

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: لولا السهو والأمل ما مشى المسلمون

في الطريق. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠٩.

\* وقال مطرف بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥): لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله مَنْ عَلَى عِبَادِهِ بِالْغَفْلَةِ عَنِ الْمَوْتِ، وَلَوْ لَا الْغَفْلَةُ مَا تَهَنَّؤُوا بِعَيْشٍ، وَلَا قَامَتْ بَيْنَهُمُ الْأَسْوَاقُ. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٠٩.

ب- الحث على قصر الأمل<sup>(١)</sup>:

\* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): إِنْ أَخُوفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قصر الأمل: هو من أنفع الأمور للقلب، وبنائه على أمرين: يتقن زوال الدنيا ومفارقتها، ويتقن لقاء الآخرة وبقائها ودوامها، ثم يقايس بين الأمرين، ويؤثر أولاهما بالإيثار. ١. هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٣٢.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: طول الأمل داء عضال ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه، ولم يفارقه داءٌ ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء.

وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحبُّ لها والإعراض عن الآخرة. تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٦-١٧٨).



اثنتين: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق، وأما طول الأمل: فينسي الآخرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. الزهد لوكيع (١٩١)، صحيح البخاري، باب: في الأمل وطوله.

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ما منكم إلا ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل، والعارية مؤداة إلى أهلها. أخرجه الطبراني: ٨٤٥٥.

\* وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) لابنه: يا بني إذا صليت فصلّ صلاة مودّع لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حستين، حسنة قدّمها، وحسنة أخرها. صفة الصفوة ١ / ٢٣١.

\* وعن الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى من ورائكم. ابن أبي الدنيا ٣ / ٣١١.

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أطال عَبْدُ الأَمَلِ إِلَّا أَسَاءَ العمل<sup>(١)</sup>. قصر الأمل لابن أبي الدنيا (٥٠١).

\* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): إنما أمس مثل، واليوم عمل، وغداً أمل. تهذيب السيّر ٢ / ٧٧٤.

\* وقال بعض السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما نمت نوماً قط، فحدثت نفسي أني أستيقظ منه. ابن أبي الدنيا ٣ / ٣١١.

(١) قال القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالأمل يُكسل عن العمل، ويورث التراخي والتواني، ويُعقب التشاغل والتعاس، ويُخلد إلى الأرض، ويُميل إلى الهوى. وهذا أمر قد شُهد بالعياء، فلا يُحتاج إلى بيان، ولا يُطلب صاحبه برهان، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويحث على المسابقة. تفسير القرطبي (١٢/ ١٧٦-١٧٨).

\* وكان محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) إذا أراد أن ينام قال لأهله: أستودعكم الله فلعلمها أن تكون مني التي لا أقوم منها وكان هذا دأبه إذا أراد النوم. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

\* وكانت امرأة متعبدة بمكة إذا أمست قالت: يا نفس، الليلة ليلتك، لا ليلة لك غيرها، فاجتهدت، فإذا أصبحت قالت: يا نفس اليوم يومك، لا يوم لك غيره فاجتهدت. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

\* وقال بكر المزني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨): إذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل: لعلي لا أصلي غيرها. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

\* وقال معروف الكرخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): نعوذ بالله من طول الأمل، فإنه يمنع خير العمل. جامع العلوم والحكم / ٥٠٣.

\* وطرق بعضهم باب أخ له فسأل عنه فقيل له: ليس هو في البيت، فقال: متى يرجع؟ فقالت له جارية من البيت: من كانت نفسه في يد غيره من يعلم متى يرجع؟ جامع العلوم والحكم / ٥٠٣-٥٠٤.

\* ولأبي العتاهية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٣) من جملة أبيات:

وما أدري وإن أملت عُمر	العلي حين أصبح لستُ أمسي
ألم تر أن كل صباح يوم	وعُمرُك فيه أقصر منه أمس

وهذا البيت الثاني أخذه مما روي عن أبي الدرداء (ت: ٣٢) والحسن (ت: ١١٠) أنهما قالوا: ابن آدم إنك لم تزل في هدم عُمرُك مذ سقطت من بطن أمك، ومما أنشد بعض السلف:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها	وكل يوم مضى يدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا	فإنما الربح والخسران في العمل

جامع العلوم والحكم / ٥٠٣-٥٠٤.

\* وعن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) قال: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٠.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللَّهُ: يقال: من قَصُرَ أمله هان عليه عيشه.

قال سفيان: يعني في المطاعم والملابس. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١١.

\* وقال داود الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): لو أملت أن أعيش شهراً: لرأيتني قد أتيت عظيمًا!، وكيف أومل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلق في ساعات الليل والنهار. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٢.

\* وعن شميظ بن عجلان رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٢٦) قال: إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة: فقد مضى أمس بما فيه، وغدا أملٌ لعلك لا تدركه، إنك إن كنت من أهل غد فإن غدا يجيء برزق غد، إن دون غد يوما وليلة تُخترم فيه أنفس كثيرة، لعلك المخترم فيها. كفى كل يوم همًّا.

ثم قد حَمَلْتَ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ الصيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف لآخرته؟.

كلُّ يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوفي رزقك وأنت لا تحزن!.

أعطيت ما يكفيك فأنت تطلب ما يُطغيك؟ لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع!.. وكيف لا يستبينُ بعالمٍ جهله وقد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغترٌّ في طلب الزيادة؟ أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقطع من الدنيا شهوته، ولا تنقضي منها نهمته؟.

فالعجب كلُّ العجب لمن يصدّق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور! (١)

ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٦.

(١) هذا الكلام يُكتب بماء الذهب، حريّ به يُحفظ ويسمعه الناس.

\* وعن إبراهيم بن نَشِيط قال: قال لي أبو زرعة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩١): لأقولنَّ لك قولاً ما قلته لأحد سواك: ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة فحدثت نفسي أن أرجع إليه. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٨.

\* وبينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام، إذ أُتِيَ بحجر منقور، فطلب من يقرؤه، فأُتِيَ بوهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤)، فقرأه، فإذا فيه: ابن آدم، إنك لو رأيت قريب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصّرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاتك غداً ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الولد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة، فبكى سليمان بكاء شديداً. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣١٨.

\* وعن يزيد الرقاشي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: إلى متى نقول: غداً أفعل كذا، وبعد غد أفعل كذا، وإذا أفطرت فعلت كذا، وإذا قدمت من سفري فعلت كذا؟! أغفلت سفرك البعيد، ونسيت ملك الموت؟.

أما علمت أن دون غد ليلة تُخترم فيها أنفس كثيرة؟.

أما علمت أن ملك الموت غير مُنتظر بك أملك الطويل؟.

أما علمت أن الموتَ غايةٌ كل حي؟.

ثم يبكي حتى يبيل عمامته، ثم يقول: أما رأيته صريعاً بين أحبابه لا يقدر على

رد جوابهم، بعد أن كان جدلاً خصماً، سمحاً كريماً عليهم؟.

أيها المغتر بشبابه! أيها المغتر بطول عمره!.

ثم يبكي حتى يبيل عمامته. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٢٣.

\* وقال الشاعر رَحِمَهُ اللهُ:

يا أيها<sup>(١)</sup> ذا الذي قد غره الأمل      ودون ما يأمل التنغيص والأجل  
ألا ترى أنما الدنيا وزينتها      كمنزل الركب داراً ثمة ارتحلوا  
خوفها رَصَد وعيشها نكد      وصفوها رَنَقٌ<sup>(٢)</sup> وملكها دُول  
المرء يشقى بما يسعى لو ارثه      والقبر وارثُ ما يسعى له الرجل  
ابن أبي الدنيا ٣ / ٣٢٣.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعداً!

وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً!

وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفاً!

فعلام تُعرجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟

الموت؟

فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشر.

يا إخوانه، سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً. ابن أبي الدنيا ٣ / ٣٣٧.



(١) في الأصل: يا أيهذا، وهو خطأ.

(٢) أي: كَدَرٌ.

## ذم الطمع والبخل<sup>(١)</sup>

\* قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣): أَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ؟. صحيح البخاري (٤٣٨٣).

\* وكان عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ، وَإِنَّ الْيَأْسَ غِنَى، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا يَتَسَّ مِنَ الشَّيْءِ اسْتَغْنَى عَنْهُ». الزهد لابن المبارك (٥٨٦)، القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا (١٨٧) واللفظ له.

\* وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): ويل لكل جماع فاجرٍ فاه كأنه مجنون، يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عَزَّوَجَلَّ، لو يستطيع لوصل الليل بالنهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد. الزهد لأحمد: ٢٦٧.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما في ماله عند موته، قيل: ما هما؟ قال: يُؤْخَذُ مِنْهُ كُلُّهُ وَيُسْأَلُ عَنْهُ كله. الزهد للخطيب (٦١).

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا كَانَ عِنْدَكَ مَا أَعْطَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ نَوْحًا وَإِبْرَاهِيمَ

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ أَسْبَابِ شَرِّهِ الصَّدْرِ: الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمَكِّنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحَ النَّاسَ صَدْرًا، وَأَطْيَبَهُمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمَهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحْسَانٌ، أَضَيَّقُ النَّاسَ صَدْرًا، وَأَنْكَدَهُمْ عَيْنًا، وَأَعْظَمَهُمْ هَمًّا وَعَمًّا. وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الصَّحِيحِ، مَثَلًا لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُتَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، أَيْ دِرْعَانِ، كُلُّمَا هَمَّ الْمُتَّصِدِّقُ بِصَدَقَةٍ، اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ وَانْبَسَطَتْ، وَكُلُّمَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِالصَّدَقَةِ، لَزِمَتْ كُلُّ حَلْفَةٍ مَكَانَهَا، وَلَمْ تَتَّسِعْ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَثَلُ أَنْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَّصِدِّقِ، وَانْفِسَاحِ قَلْبِهِ، وَمَثَلُ ضَيْقِ صَدْرِ الْبَخِيلِ وَانْحِصَارِ قَلْبِهِ. زاد المعاد ٢/ ٢٤.

وموسى وعيسى ومحمدًا عليهم الصلاة والسلام: لا تراه شيئاً<sup>(١)</sup>، وإنما تريد ما أعطى الله نمرود وفرعون وهامان<sup>(٢)</sup> فمتى تفلح؟. صفة الصفوة ٤ / ٤٨٤.

\* وقال عليُّ بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨): إِنِّي لَأَسْتَحِي من الله أن أرى الأخ من إخواني، فأَسْأَلُ الله لَهُ الْجَنَّةَ وَأَبْخَلَ عَلَيْهِ بِالدُّنْيَا، فَإِذَا كَانَ غَدًا قِيلَ لِي: لَوْ كَانَتِ الْجَنَّةُ بِيَدِكَ لَكُنْتُ بِهَا أَبْخَلَ وَأَبْخَلَ. تهذيب السَّيَر ٢ / ٥١٩.

\* وقال بنانُ الحمَّال رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣١٦): الحرُّ عبد ما طَمِعَ، والعبدُ حرٌّ ما قَنَعَ. تهذيب السَّيَر ٣ / ١١٦٩.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور، ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل، ولو قيل: ما غايتك قال: الحرمان. تهذيب الحِلْيَةِ ٣ / ٣٥٨.

\* وقال الشاعر:

إذا كنت جماعاً لمالك ممسكا      فأنت عليه خازنٌ وأمين  
تؤدِّيه مذموماً إلى غير حامد      فيأكله عفواً وأنت دفين  
أدب الدين (٢٩٨).

\* وقال الآخر:

وما ضاع مال ورث الحمد أهله      ولكن أموال البخيل تضيع  
أدب الدين (٣٠٤).

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤):

ولا ترجُ السماحةً من بخيلٍ      فما في النارِ للظمآنِ ماءٌ  
ديوان الشافعي (٣٢).

\* وقال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٨): ما أَقْبَحَ بالعالمِ الداعي إلى الله الحرصَ وجمعَ المالِ! تهذيب السَّيَر ٣ / ١٣٥١.

(١) أعطاهم الإيمان والعمل الصالح.

(٢) أعطاهم المال ومتاع الدنيا.

## فوائد الطاعة والأعمال الصالحة، وتوجيهات السلف في ذلك<sup>(١)</sup>

أ- محبة الله للمطيع، وتحبيب الناس له، وتيسير أموره:

\* قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إِنْ الْعَبْدَ إِذَا عَمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَحَبَّهَ إِلَى خَلْقِهِ، وَإِذَا عَمَلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَبَغَضَهُ إِلَى خَلْقِهِ. الزهد لوكيع (٥٢٤)، الزهد لأبي داود (٢١٠).

\* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]: حَفِظَهُمَا بِصَالِحِ أَبِيهِمَا، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْهُمَا صَالِحًا. الزهد لأبي داود (٢٩٢)، الزهد لابن المبارك (٣١٥).

\* وعن إسماعيل بن عبيد الله، قال: بَيْنَا أَبُو ثَعْلَبَةَ الْحُشْنِي (ت: ٧٥)، وَكَعْبُ الْأَحْبَارِ (ت: ٣٣) رَحِمَهُمَا اللَّهُ جَالِسِينَ، إِذْ قَالَ أَبُو ثَعْلَبَةَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، مَا مِنْ عَبْدٍ

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: يُنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَزْهَدَ فِي قَلِيلٍ مِنَ الْخَيْرِ أَنْ يَأْتِيَهُ، وَلَا فِي قَلِيلٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَجْتَنِبَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْحَسَنَةَ الَّتِي يَرْحَمُهَا اللَّهُ بِهَا، وَلَا السَّيِّئَةَ الَّتِي يَسْخَطُ عَلَيْهِ بِهَا. فتح الباري ١١ / ٣٩٠.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لطيفة عجيبة في هذا الباب فقال: كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ مَأْمُورٌ بِشُحُودِ الْقَدَرِ وَتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ: فَهُوَ مَأْمُورٌ بِذَلِكَ عِنْدَمَا يُنْعَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، فَيَشْهَدُ قَبْلَ فِعْلِهَا حَاجَتَهُ وَفَقْرَهُ إِلَى إِعَانَةِ اللَّهِ لَهُ، وَتَحَقُّقِ قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ١١].

فَشُحُودُ الْقَدَرِ فِي الطَّاعَاتِ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْعَبْدِ، وَعَيْبُهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَضَرِّ الْأُمُورِ بِهِ. مجموع الفتاوى ٨ / ٣٣٠.



تفرَّغَ لعبادة الله إلا كفاه الله مؤونة الدنيا، قال كعب: فَإِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُتَزَلِّ: مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، فَجَعَلَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا هَمَّهُ، وَضَمَّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَكَانَ رِزْقُهُ عَلَى اللَّهِ وَعَمَلُهُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ فَرَّقَ هُمُومَهُ، فَجَعَلَ فِي كُلِّ وَادٍ هَمًّا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّهَا هَلَكَ.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: مِنَ التَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ السَّعْيُ فِي السَّبَبِ، وَلَا سِيَمَا لِمَنْ لَهُ عِيَالٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبٍ يَمِينِهِ». أما من يعجز عن السبب لضعف، أو لِقِلَّةِ حيلة، فقد جعل الله له حظًّا في الزكاة. تهذيب السَّيَر ١ / ٣٠٥.

\* وعن كعب الأحبار رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ما استقر لعبد ثناء في الأرض حتى يستقر في السماء. (١) الزهد لابن المبارك (٤٢٨)، الزهد لأبي داود (٣٧٤).

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ رَبِّهِ فَانْظُرُوا مَاذَا يَتَّبِعُهُ مِنْ حَسَنِ الثَّنَاءِ. الزهد لأبي داود (٣٨٢).

\* وقال رجل للحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): أَوْصِنِي، قَالَ: «أَعِزَّ أَمْرُ اللَّهِ يَعْزُكَ اللَّهُ».

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): عَلَى قَدَرِ خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدَرِ حُبِّكَ لِلَّهِ يَحْبُكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدَرِ شُغْلِكَ بِاللَّهِ يَشْتَغِلُ الْخَلْقُ بِأَمْرِكَ. صفة الصفوة ٤ / ٣٤٣.

\* وقال هَرْمٌ بن حَيَّان (ت: ٤٦) ومحمد بن واسع (ت: ١٢٣) رَحِمَهُمَا اللَّهُ: مَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بَقْلَبِهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَرْزُقَهُ وَدَّهَمَ. تهذيب السَّيَر ١ / ٤٤١، تهذيب الحِلْيَةِ ١٠ / ١.

(١) فإذا وضع الله القبول للإنسان عند أهل الصلاح والخير والإيمان، ومدحوه وأثنوا عليه: كان هذا علامة على أن الله وضع له القبول عند ملائكته، وعلامة على محبة الله له.

\* وعن موسى بن أعين قال: كنا نرعى الشاء بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١)، وكانت الوحوش والذئاب ترعى في موضع واحد، فبينما نحن ذات ليلة، إذ عرض الذئب لشاء، فقلنا: ما نرى الرجل الصالح إلا مات. فحسبوا فوجدوه مات تلك الليلة. ابن أبي الدنيا ٥٠٣/٤.

\* وقال السري السقطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥١): من أطاع مَنْ فوقه أطاعه مَنْ دونه، ومن خاف الله، خافه كُلُّ شيء. صفة الصفوة ٦٢٧/٢.

\* وسئل بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧): ما كان بدء أمرك؟

قال: كنت رجلاً عيَّاراً<sup>(١)</sup> فجُزْتُ يوماً فإذا أنا بقرطاس في الطريق، فرفعته فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم»، فمسحته وجعلته في جيبِي، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية<sup>(٢)</sup>، ومسحته في القرطاس، فمنت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلًا يقول لي: يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق، وطيبته، لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة ثم كان ما كان. تهذيب الحلية ٣/٨٩.

\* وقال إبراهيم الخواص رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩١): على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يلبسه الله من عزه، ويقيم له العز في قلوب المؤمنين. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] تهذيب الحلية ٣/٤٢١.

\* وقال الفقيه أبو الفتح الأشتري معيدُ النُظامِ ببغداد، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٩) قال: وكان يحافظُ على الصلوات في أوقاتها في جماعة بتمام شروطها وأركانها ورُكوعها وسجودها، وكان كثير الصلاة بالليل، والابتهاال إلى الله عَزَّجَلَّ في أموره كُلِّها.

(١) العيار: اللص الماهر في السرقة.

(٢) نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.

قال: وبلغنا عن جماعة من الصوفية ممن يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام الفرنج، فسمع الكفار يقولون: ابن القسيم يغنون نور الدين له مع الله سر؛ فإنه ما يظفر علينا بكثرة جنده وجيشه، وإنما يظفر علينا بالدعاء وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل، ويرفع يده إلى الله ويدعو، فالله سبحانه وتعالى يستجيب له دعاءه ويعطيه سؤله، وما يرُدُّ يده خائبة، فيظفر علينا.

قال: فهذا كلام الكفار في حقه رحمه الله. البداية والنهاية ١٢ / ٣٦٥.

ب- اللذة، والأنس، وانسراح الصدر<sup>(١)</sup>:

\* قال مالك بن دينار رحمه الله (ت: ١٣١): خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قالوا: وما هو؟ قال: معرفة الله عز وجل. صفة الصفوة ٢٠١ / ٣.

\* وعن الحسن البصري رحمه الله (ت: ١١٠) قال: تفقدوا الحلاوة في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق<sup>(٢)</sup>. تهذيب الحلية ٣ / ٣٠٤.

(١) قال ابن القيم رحمه الله: أعلى حالات الإنسان وأشرفها: إثارة إلهه ومعبوده وفطره بالمحبة والطاعة وابتغاء الوسيلة إليه، والقرب والتودد إليه، كما يتودد المحب الصادق الذي لا غنى له عن محبوبه إليه؛ فمحبوبه أحب شيء إليه، وهو أفقر شيء وأحوج إليه؛ فلا يزال ناظرا إليه بقلبه، لا يلهيه عنه شيء، ليس له هم إلا في مرضاته، ولا حديث نفس إلا به؛ إن نطق نطق به، وإن سكت سكت به، وإن غضب فلاجله؛ وإن رضي فلاجل رضاه.

وهذا في سروره ونعيمه وبهجه ولذته في الدنيا كأهل الجنة في الآخرة، فبين نعيم هذا ونعيم أهل الدنيا بدنيهم أعظم تباين. مجموع رسائل ومسائل ابن القيم ص: ٩١.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: سمعت شيخ الإسلام يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانسراحا: فاتهمه، فإن الرب شكور.

يعني أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انسراح وقرّة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول. مدارج السالكين ٢ / ٢٧٣.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: إن الله يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره آنسه بقربه، وإن قصر في الشكر أجرى الذكر على لسانه وسلبه حلاوته به. تهذيب الحلية ٤٥٣ / ٣.

\* وعن بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ أنه قيل له: ما النعيم؟ قال: طيب النفس، قيل: فما الغنى؟ قال: صحة الجسد. الزهد لأحمد: ٦٤٨.

\* وقال ابن بشار: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) وأبو يوسف الغسولي، فمررنا بنهر يقال له: نهر الأزدن، فقعنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملاًها، ثم قال: بسم الله، وشرب الماء، ثم قال: الحمد لله. ثم إنه خرج من النهر فمد رجله، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب.

فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطؤوا الطريق المستقيم. فتبسم ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟. الزهد للخطيب (١٣٣).

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ: ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا عن حج، ولا عن صدقة، ولا عن صلة رحم، ولا عن مواساة.

نحن -والله- الملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجلوا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله. الزهد للخطيب (١١٠).

\* وقال مسلم بن يسار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٩): ما تلتذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحلية ٣٩٥ / ١.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ في قول الله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] لنزقنه طاعة يجد لذتها في قلبه. تهذيب الحلية ٣/ ٨٤، ابن أبي الدنيا ٥٣٧/ ٦.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: إن الله عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربهِ، وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل لهم نصيبهم من كل كائن. تهذيب الحلية ٣/ ٣٦٦.

\* وَلَمَّا رَكِبَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨) على باب الحبس قال له رجل: يا سيدي هذا مقام الصبر!.

فقال: بل هذا مقام الحمد والشكر، والله إنه نازل على قلبي من الفرح والسرور شيء لو قُسم على أهل الشام ومصر لفضل عنهم، ولو أن معي في هذا الموضع ذهباً وأنفقته ما أدت عشر هذه النعمة التي أنا فيها. الجامع لسيرة شيخ الإسلام ١٥٠/ ١.

\* وقال بعض أقاربه: كان في بداية أمره يخرج أحياناً إلى الصحراء يخلو عن الناس لقوة ما يرد عليه، فتبعته يوماً فلما أصحرت نفس الصعداء، ثم جعل يتمثل بقول الشاعر، وهو لمجنون ليلي في قصيدته الطويلة:

وأخرج من بين البيوت لعني      أحدث عنك النفس بالسر خالياً  
وكان يتمثل كثيراً:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى      وصوت إنسان فكدت أطيّر  
وكان يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخل جنة الآخرة.

ويقول: العارف يسير إلى الله عزَّ وجلَّ بين مشاهدة المنة<sup>(١)</sup> ومطالعة عيب النفس.

مدارج السالكين ٣/ ٥٩، الرد الوافر / ٦٩.

(١) أي: مَنَّةُ الله تعالى عليه في نفسه وأهله وصلاحيه وسائر أموره، وإذا شاهد ذلك: تخلص من العجب والكبر.

\* وأرسل رسالةً لأصحابه وهو محبوس في حَبْسِ الإسكندرية يقول فيها:  
إِنِّي -وَاللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ- فِي نِعَمٍ مِنَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا فِي عُمْرِي  
كُلِّهِ، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ أَبْوَابِ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ وَخَزَائِنِ جُودِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا  
لَمْ يَكُنْ بِالْبَالِ، وَلَا يَدُورُ فِي الْخِيَالِ.

وقال وهو في الحبس كذلك: أَنَا فِي نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ سَابِغَةٍ وَرَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ أَعْجَزُ  
عَنْ شُكْرِهَا. مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٢٤٩، ٢٨ / ٣٠.

\* وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ورأيت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه-  
في المنام وكأني ذكرت له شيئاً من أعمال القلوب. وأخذت في تعظيمه ومنفعته  
-لا أذكره الآن- فقال: أما أنا فطريقتي: الفرح بالله والسرور به أو نحو هذا من  
العبارة.

وهكذا كانت حاله في الحياة يبدو ذلك على ظاهره، وينادي به عليه حاله.  
وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إن في الدنيا جنة  
من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جتتي وبستاني في صدري، إن رحت  
فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.  
وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بَدَّلْتُ لَهُمْ مِلَّةَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ذَهَبًا مَا جَزَيْتَهُمْ  
عَلَى مَا تَسْبُوا لِي فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني ذكرك وشكرك  
وحسن عبادتك» ما شاء الله.

وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره  
هواه.

ولما أُدخل إلى القلعة وصار داخل السور نظر إليه وقال: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] [٥٧ / ١٣].

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيّب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسهرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاعت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه: فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً، وقوة ويقينا وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. مدارج السالكين: ٣ / ٥٩ - ٦٠.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ وهو محبوس بسبب تصنيفه العقيدة الواسطية: أَنَا عَلَى أَيْ شَيْءٍ أَخَافُ؟ إِنْ قُتِلْتُ كُنْتُ مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَدَاءِ، وَكَانَ عَلَيَّ الرَّحْمَةُ وَالرَّضْوَانُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ عَلَيَّ مَنْ قَتَلَنِي اللَّعْنَةُ الدَّائِمَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ. لِيَعْلَمَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنِّي إِنْ قُتِلْتُ: لِأَجْلِ دِينِ اللَّهِ.

وَإِنْ حُبِسْتُ: فَالْحَبْسُ فِي حَقِّي مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ. ووالله ما أطيّق أن أشكر نعمة الله عليّ في هذا الحبس، وليس لي ما أخاف الناس عليه، لا أقطاعي، ولا مدرستي، ولا مالي، ولا رياستي، وجاهي.

وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَيْكُمْ إِذَا ذَهَبَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ، وَفَسَدَ دِينُكُمْ الَّذِي تَنَالُونَ بِهِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا كَانَ مَقْصُودَ الْعَدُوِّ الَّذِي أَثَارَ هَذِهِ الْفِتْنَةَ. <sup>(١)</sup> مجموع فتاوى ابن تيمية ٣ / ٢١٥ - ٢١٦.

(١) إن هذه السعادة التي يشعر بها هؤلاء الأئمة والصالحون، واللذة والحلاوة والأنس، لم تكن =

ج- الذلّ عند الطاعات، والعزّ عند المعاصي:

\* قال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): كانوا يقولون: ذلوا عند الطاعة، وعزوا عند المعصية.<sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٩٧ / ٢.

\* وكان سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١) يكتب إلى إخوانه بأربعة أحرف: ذل عند الطاعة، واستعص عند المعصية، وجالس الناس على قدر تقواهم، ولا تصلح القراءة إلا بالزهد. الزهد للبيهقي (٢٨٤).  
\* وقال بعض السلف: العارف لا يلزم حالة واحدة ولكن يلتزم من ربه في الحالات كلها.<sup>(٢)</sup> الزهد الكبير للبيهقي (٢٩٨).

=لولا الإيمان الذي نور قلوبهم، والعلم الذي قوى عزائمهم، وهما ركننا السعادة النعيم، الذي يُشبهه نعيم الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ يُشَبُّهُ نَعِيمُ الْآخِرَةِ إِلَّا نَعِيمُ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ. مجموع الفتاوى ٢٨ / ٣١.

(١) أي: ينبغي للمؤمن أن يكون ذليلاً لله عند قيامه بالطاعة، حتى لا يُصاب بالعجب والغرور، وأن يكون عزيزاً عندما يوسوس له الشيطان بالمعصية، فإنّ من الذل والصغار أن ينقاد له، ومن العز وكبر النفس أن يعصيه ويُخالف هواه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: من الناس من يتقيد بلباس لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس فيه غيره، أو مشية لا يمشي غيرها، أو بزّي وهيئة لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه، فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيدتهم العوائد والرسوم والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل.

وقال عن أهل الصدق والإيمان والاستقامة: لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يُعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم، ولا إشارة، ولا اسم، ولا بزّي، ولا طريق وضعي اصطلاحى، بل إن سُئل عن شيخه قال: الرسول، وعن طريقه قال: الإتياع، وعن مذهبه قال: تحكيم السنة، وعن مقصوده ومطلبه قال: (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ). ا.هـ.



## أضرار المعصية

أ- شؤم المعصية وما ينتج عنها<sup>(١)</sup>:

\* قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلمه، للخطيئة يعملها. الزهد لوكيع (٢٦٩).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها. ابن أبي الدنيا ٤٣١ / ٤.

\* وعن جبير بن نفير قال: لما فتحت قبرس فرق بين أهلها فبكى بعضها إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله عَزَّ وَجَلَّ إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله، فرأيتهم كما ترى. صفة الصفوة ١ / ٣٠٣.

\* وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: من أسخط الناس برضا الله كفاه الناس، ومن أَرْضَى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس. الزهد لأحمد: ٣٠٣.

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الجواب الكافي عددًا من أضرار المعاصي، منها:

حرمان العلم، حرمان الرزق، الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس ولا سيما أهل الخير منهم، تعسير أموره عليه، حرمان الطاعة، هوان العاصي على ربه، تورث الذل، تفسد العقل، تطبع على القلب، تجلب الفساد في الأرض، تطفئ الغيرة، تذهب الحياء، تنسي الله جَلَّ جَلَالُهُ عبده، تضعف القلب، تزيل النعم، تلقي الخوف الرعب في القلب، تسقط الكرامة، تمحق البركة، تجعل صاحبها من السفلة، تجرئ على الإنسان أعداءه، تضعف العبد أمام نفسه

\* وعن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورجل معه، فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة، فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمر، وضربوا بالمغاني، وغار الله عَزَّوَجَلَّ في سمائه، فقال للأرض تزلزلي بهم. فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم، قال: قلت: يا أم المؤمنين أعذاب لهم؟ قالت: بل موعظة ورحمة وبركة للمؤمنين، ونكال وعذاب وسخط على الكافرين.

قال أنس: ما سمعت حديثا بعد رسول الله ﷺ أنا أشد فرجا مني بهذا الحديث. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٣٣.

\* وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) قال: ما استخف قوم بحق الله عَزَّوَجَلَّ إلا بعث الله عَزَّوَجَلَّ عليهم من يستخف بحقهم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٤١.

\* وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: كاد الضب يموت في حجره هزلا من ظلم بني آدم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٠١.

\* وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم. ابن أبي الدنيا ٤/ ٥٠١.

\* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) أنه قال: يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، وكما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، قلّة حياك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب الذي صنعت، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته. صفة الصفوة ١/ ٣٧٢.

\* وقال كعب الأحبار رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢): إذا رأيت السيوف قد عريت، والدماء

قد اهريقته، فاعلم أن أمر الله قد ضيع في الأرض فانتقم الله من بعضهم لبعض، وإذا رأيت قطر السماء قد منع فاعلم أن الزكاة قد منعت فمنع الله ما عنده، وإذا رأيت الوباء قد فشا فاعلم أن الزنا قد فشا. تهذيب الحلية ٢/٢٥٦.

\* وقال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤): ما أكرمت العبادُ أنفسهم بمثل طاعة الله عَزَّجَلَّ، ولا أهانتُ أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمؤمن نصرةً من الله عَزَّجَلَّ أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله. صفة الصفوة ٢/٤٣٨.

\* وقال أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠): لا يُحسِن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يُعور فيما بينه وبين الله عَزَّجَلَّ إلا أعور فيما بينه وبين العباد، ولمُصانعةٍ وجهٍ واحدٍ أيسرُ من مُصانعة الوجه كلها<sup>(١)</sup>، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجه كله إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شئتُك الوجه كلها. صفة الصفوة ٢/٤٨٩.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: إذا رأيت الله عَزَّجَلَّ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره. ابن أبي الدنيا ١/٤٧٣، صفة الصفوة ٢/٤٨٩.

\* وعن مسعر بن كدام رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٥): قال: بلغني أن ملكاً أمر أن يخسف بقرية، فقال: يا رب فيها فلان العابد، فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ، فإنه لم يتمعر وجهه في ساعة قط.<sup>(٢)</sup> ابن أبي الدنيا ٤/٤٣٣.

(١) ما أعظم هذه العبارة! وما أشرف معناها، فمن صانع وداهن الناس فلن يرضوا عنه مهما عمل وأنفق وصانع، فالناس مختلفون في طباعهم وأمزجتهم وأهوائهم، وأكثرهم سريع التقلب، كثير التغير، فمصانعتهم ومجاملتهم عسير ومستحيل.

ولكن من السهل النافع: إرضاء الله تعالى والإقبال عليه، فهو الغفور الذي يغفر الزلة، والشكور الذي يشكر الحسنة، والستير الذي يستر العيب.

وأما الناس فلا يكادون يشكرون المعروف، ولا يسترون القبيح، ولا يغفرون الزلة، ولا ينظرون للنوايا الحسنة إلا من شاء الله، فهل يلتفت عاقل إليهم ويترك الالتفات إلى الله؟

(٢) تقدم قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ - في حق من لا يغار إذا انتهكت محارم الله، ولا يغضب الله، ولا =

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها      من الحرام ويبقى الإثم والعار  
تبقى عواقب سوء من مغبتها      لا خير في لذة من بعدها النار  
صفة الصفوة ٩٢ / ٣.

\* وقيل لو هيب بن الورد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦٠): أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا ولا من يهم بالمعصية. صفة الصفوة ٥٣٣ / ٢.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): من خان الله عَزَّجَلَّ في السرِّ هتك سِرِّه في العلانية. صفة الصفوة ٣٤٥ / ٤.

\* وعن الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٥) قال: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ونسيان القرآن من أعظم المصائب». الزهد لابن المبارك (٧٥).

\* وعن خالد بن معدان رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) قال: من اجترأ على الملاوم<sup>(١)</sup> في موافقة الحق ردّ الله تلك الملاوم حمداً، ومن التمس المحامد في مخالفة الحق ردّ الله عليه تلك المحامد ذمّاً. الزهد لأبي داود (٣٩٧).

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئاً. صفة الصفوة ١٦٥ / ٣.

\* وقال له شاب: أعياني قيام الليل فقال: قيّدتك خطاياك. صفة الصفوة ١٦٦ / ٣.

= يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يجاهد في سبيل الله:- فهذا فاسق مارق، بل كافر وإن

أظهر الإسلام فهو منافق، وإن كان له نصيب من الزهد والعبادة ما كان فيه.. الاستقامة: ٣٥٠

(١) جمع ملامة.

\* وكتب رجل إلى أخ له: إِنَّكَ قد أوتيتَ علماً فلا تُطْفِئَنَّ نورَ علمك بظلمة الذنوب فتَبْقَى في الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم. عيون الأخبار ٥٢٤ / ٢.

\* وقال سليمان التيمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٣): الحسنَةُ نور في القلب وقوة في العمل، والسيئة ظلمة في القلب وضعف في العمل. تهذيب الحلية ٤٤١ / ١.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): إنما عَصَى الله عَزَّجَلَّ من عَصَاه لهُوَ أَنهم عليه، ولو كَرَّمُوا عليه لحجَّزهم عن مَعَاصِيهِ. صفة الصفوة ٤ / ٤٤٢.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه، فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك، كيف ترى تكون حالك؟. صفة الصفوة ٢ / ٥٤٦.

\* وعن داود بن مهران قال: وقفت على فضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ - وأنا غلام فسلمت عليه - وعيناه مفتوحتان وأنا أظن أنه ينظر إليَّ - فمكث طويلاً ثم أطرق فقال: منذ كم أنت ههنا يا بني؟ قلت: منذ طويل، قال: أنت في شيء ونحن في شيء. ثم قال: حدثنا سليمان بن مهران - وكان لا يقول الأعمش - عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء قال: حذر<sup>(١)</sup> امرؤ أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قال: العبد يخلو بمعاصي الله عَزَّجَلَّ، فليقلبي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر. تهذيب الحلية ١٧٢ / ١.

\* وعن بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ قال: إن العبد ليزنب الذنب فيما بينه وبين الله، فيجيء إخوانه فيرون أثر ذلك عليه. تهذيب الحلية ٣٠٢ / ٣.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يقول: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني، فأوحى الله تعالى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل قل له:

(١) لعل الصواب: ليحذر، كما رواه أبو نعيم في موضع آخر في الحلية (٧ / ٣٠٠)، وعند أبي داود في الزهد (٢٢٠) بلفظ: أحذر.

كم أعاقبك وأنت لا تدري، ألم أسلبك حلاوة مناجاتي؟. تهذيب الحلية ٣/٣١٩.

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١): لا تغترّ بتأخير عقوبة الله تعالى عنك، وإنما يُعَجَّلُ مَنْ يخاف الفوت. <sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٤/٤٩٧.

\* وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): إن الفتنة والله ما هي إلا عقوبة من الله عَزَّجَلَّ تحل بالناس. ابن أبي الدنيا ٤/٤٣٥.

\* وعن مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) قال: قرأت في الحكمة أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: أنا ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، ولا تشغلوا أنفسكم بسب <sup>(٢)</sup> الملوك، ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم. ابن أبي الدنيا ٤/٤٣٦.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ: ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ: إن الله تعالى عقوباتٍ، فتعاهدوهنَّ من أنفسكم في القلوب، والأبدان، وضمك في المعيشة، ووهن في العبادة، وسخطة في الرزق. ابن أبي الدنيا ٤/٤٤٩، صفة الصفوة ٣/٢٠٤.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ: إن الله عَزَّجَلَّ إذا غضب على قوم: سلط عليهم صبيانهم. ابن أبي الدنيا ٤/٤٤٦.

\* وعن الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٧) قال: إن أول ما استنكر الناس من أمر دينهم: لعب الصبيان في المساجد. ابن أبي الدنيا ٤/٤٤٦.

\* وعن محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) قال: الذنب على الذنب يميم القلب. ابن أبي الدنيا ٤/٤٤٦.

(١) أي: إنما يُعَجَّلُ بالعقوبة مَنْ يخاف فوت الجاني والمخطئ، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يُعَجَّلُ فيها.

(٢) في الأصل: بسبب، وفي كتاب العقوبات والتوبة للمصنف والحلية: بسب، وهو الأظهر.

\* وعن بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: ما نزل بلاء إلا نزلت معه رحمة، فيكون ناس في الرحمة وناس في البلاء. ابن أبي الدنيا ٤ / ٤٤٧.

\* وقال حماد بن سلمة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٧): ليست اللعنة سوادًا يُرى في الوجه، إنما هي ألا تخرج من ذنب إلا وقعت في ذنب. ابن أبي الدنيا ٤ / ٤٥٠.

\* وقال سليمان بن معتمر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٣): إن الرجل ليزنب الذنب في السر، فيصبح وعليه مذلته. ابن أبي الدنيا ٤ / ٤٤٥.

\* وَسُئِلَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨) عَنْ غَمٍّ لَا يُعْرَفُ سَبَبُهُ؟ قَالَ: هُوَ ذَنْبٌ هَمَمْتَ بِهِ فِي سِرِّكَ وَلَمْ تَفْعَلْهُ فَجَزَيْتَ هَمًّا بِهِ. (١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤ / ١١١).

\* وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩): أول المعاصي الكبر والحسد والشح، حسد إبليس وتكبر، فقال: ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال الله تعالى: ﴿فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ١٩] فشح آدم حتى أكل منها. ترتيب المدارك (١ / ١٨٠).

\* وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يَدُومَ اللَّهُ لَكَ عَلَى مَا تُحِبُّ فَدُمْ لَهُ عَلَى مَا يُحِبُّ، وَالْخَيْرُ فِيمَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ خَيْرًا. الآداب الشرعية ٢ / ٢٤.

\* وقال أبو الحسين بن سمعون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٨٧): رَأَيْتُ الْمَعَاصِيَ نَذَالَةً، فَتَرَكْتُهَا مُرْوَةً، فَاسْتَحَالَتَ (٢) دِيَانَةً. طبقات الحنابلة (٣ / ٢٧٩).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فَالذُّنُوبُ لَهَا عُقُوبَاتٌ: السُّرُّ بِالسُّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ. مجموع الفتاوى (١٤ / ١١١).

قلت: يعني أن ذنوب السر كالحسد وسوء الظن: تكون العقوبة عليها من جنسها، أي في القلب والباطن، وأما ذنوب العلانية كالسرقة والغيبة والفاحشة، فتكون عقوبتها علانية، إما بالفضيحة، وإما بالأمراض والأوجاع الجسدية، وإما بالفقر وإما بالانتكاسة والعياذ بالله.

(٢) أي: تحولت.

ب- ما قيل في المعاصي، والحذر منها، وفضل من تجنبها:

\* قال سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣): إذا أسأت سيئة في سريرة، فأحسن حسنة في سريرة، وإذا أسأت سيئة في علانية، فأحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه. صفة الصفوة ١/ ٢٥٨.

\* وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) قالت: من سرّه أن يسبق الدّائب المجتهد فليكشف نفسه عن الذنوب؛ فإنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب. الورع لابن أبي الدنيا (٤١).

\* وسئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) عن الرجل يجتهد في العمل ويصيب من الذنوب، ورجل لا يجتهد ولا يذنب؟ قال: السلامة أحبُّ إليّ. الزهد لأبي داود (٢٩٠).

\* وكان أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٢) إذا أتى خربة وقف عليها ثم قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم، انقطعت الشهوة وبقيت الخطيئة، ابن آدم ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة. الزهد لأحمد: ٦٥١.

\* وقال بعض السلف: لترك دائق<sup>(١)</sup> مما يكره الله، أحب إلي من خمس مائة حجة. ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٩.

\* وعن معاوية بن قرّة قال: تذاكروا عند الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) أي الأعمال أفضل، قال: فكأنهم اتفقوا على قيام الليل.

فقلت أنا: ترك المحارم.

فانتبه الحسن لها فقال: تم الأمر تم الأمر. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٠٠.

\* وعنه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه.

ابن أبي الدنيا ١/ ١٩٦.

(١) الدائق: سدس درهم، وهو مال يسير جدا.



\* وقال سهل بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٣): ليس مَنْ عَمِلَ بطاعة الله صار حبيبَ الله، ولكن من اجتنب ما نهى عنه الله صار حبيب الله.

ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرب.

وأما أعمال البر يعملها البر والفاجر. تهذيب الحلية ٣/ ٣٣٧.

\* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧): إن لم تعمل فلا تعص. تهذيب الحلية ٣/ ٩٧.

\* وعن قتادة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] قال: كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٨٧.

\* وعن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤) قال: الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد ذلك. ابن أبي الدنيا ٣/ ٣٩٣.

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١): إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ولكن إذا عمل المنكر جهارًا استحقوا العقوبة كلهم. الزهد لأحمد: ٤٩٦.

\* وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠): إن المعصية إذا أُخفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أُعلنت فلم تُغيّر ضرّت العامة. الزهد لابن المبارك (١٠٦١)، صفة الصفوة ٤/ ٤٣٥.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: لا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنْ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ. الزهد لابن المبارك (٦٤).

\* وعن مكحول الدمشقي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٢) قال: أرق الناس قلوبًا أقلهم ذنوبًا. الزهد لأحمد: ٦٤١.

\* وقال رجل لحاتم الأصم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٧): ما تشتهي؟ قال: أشتهي عافية يومي إلى الليل، فقيل له أليست الأيام كلها عافية؟ قال: إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه. تهذيب الحلية ٢/ ٥١٤.

\* وقال علي بن خُشرم: ما رأيتُ بيد وكيع بن الجراح رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٩٧) كتابًا قطُّ، إنما هو حفظٌ، فسألتُهُ عن أدوية الحِفْظِ، فقال: إن عَلِمْتَكَ الدواءَ استعملته؟ قلتُ: إي والله؟ قال: تركُ المعاصي، ما جَرَّبْتُ مثله للحفظ. تهذيب السَّير ٢ / ٨١٠.

\* وقال الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٢٠٤):

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي  
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي  
ديوان الشافعي (١٠٦).

\* وكان يزيد الرقاشي رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٣٠) يقول: يا معشر الشيوخ الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم، فيا ليتهم إذ ضعفوا عنها لا يتمنون أن تعود لهم القوة عليها حتى يعملوا بها. ابن أبي الدنيا ٤ / ٦٥.

\* وعن علي بن زيد قال: خطبنا عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٠١) فقال: أرى أفضل العبادَةِ: اجتناب المحارم، وأداء الفرائض. ابن أبي الدنيا ١ / ١٩٦.  
ج- نظرة السلف للمعصية وللعاصي<sup>(١)</sup>:

(١) ذكر ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ عدة مشاهد يشهدها المؤمن في المعصية، منها:

١ - مشهد الحكمة: وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يبغضه سبحانه، ويكرهه ويلوم ويعاقب عليه، وأنه لو شاء لعصمه منه، ولحال بينه وبينه، وأنه سبحانه لا يُعصى قَسْرًا، وأنه لا يكون في العالم شيء إلا بمشيئته ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقد قال تعالى لملائكته لما قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فأجابهم سبحانه بقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فكم من آية في الأرض بينه دالة على الله، وعلى صدق رسله، وعلى أن لقاء الله حق: كان سببها معاصي بني آدم وذنوبهم، كآيته في إغراق قوم نوح، وعلو الماء على رؤوس الجبال حتى أغرق جميع أهل الأرض، ونجى أوليائه وأهل معرفته وتوحيده، وكذلك إهلاكه قوم عاد، وثمود، وفرعون وقومه، لولا كفرهم ومعاصيهم لم تظهر تلك الآيات والعجائب.

= وكذلك إظهاره سبحانه ما أظهر من جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم بسبب ذنوب قومه ومعاصيهم.

وكذلك اتخاذ الله تعالى الشهداء والأولياء والأصفياء من بني آدم، بسبب صبرهم على أذى بني آدم من أهل المعاصي والظلم، ومجاهدتهم في الله.

ويكفي من هذا مثال واحد: وهو أنه لو لا المعصية من أبي البشر بأكله من الشجرة: لما ترتب على ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالى، من امتحان خلقه وتكليفهم وإرسال رسله، وإنزال كتبه، وإظهار آياته وعجائبه.

٢- مشهد التوحيد: وهو أن يشهد انفراد الرب تعالى بالخلق والحكم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته.

٣- مشهد التوفيق والخذلان: وقد أجمع العارفون بالله على أن التوفيق هو أن لا يكللك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك.

فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه: علم شدة ضرورته وحاجته إلى التوفيق في كل نفس، وكل لحظة، وطرفة عين.

٤- مشهد الرحمة: فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة، والكيفية الغضبية التي كانت عنده لمن صدر منه ذنب، حتى لو قدر عليه لأهلكه، وربما دعا الله عليه أن يهلكه ويأخذه غضبا منه لله، فلا يجد في قلبه رحمة للمذنبين الخاطئين، ولا يراهم إلا بعين الاحتقار والازدراء، ولا يذكرهم إلا بلسان الطعن فيهم والعيب لهم والذم، فإذا جرت عليه المقادير وخُلِّيَ ونفسه: استغاث الله، والتجأ إليه، ودعاه دعاء المضطر، فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين: رقة، وتلك القساوة: رحمة ولينا، مع قيامه بحدود الله، وتبدل دعاؤه عليهم دعاء لهم، فيورثه ذلك:

٥- مشهد الضعف والعجز وأنه عاجز عن حفظ نفسه، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول إلا بربه. والعبد مُلقَى بين الله وبين أعدائه من شياطين الإنس والجن، فإن حماه منهم وكفَّهم عنه: لم يجدوا إليه سبيلا، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه طرفة عين، فهو نصيب من ظفر به منهم، وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقًا ويعرف ربه. فحينئذ يطلع منه على:

٦- مشهد الذل والانكسار، والخضوع والافتقار لله تعالى: فيحصل لقلبه كسرة خاصة لا يشبهها شيء، فحينئذ يستكثر في هذا المشهد ما من ربه إليه من الخير، ويرى أنه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرا.

= فإذا استبصر في هذا المشهد، وتمكن من قلبه، ترقى منه إلى:

\* قيل لبعض السلف: مالك إذا رأيت العاصي لا تحقد عليه، وتقبح فعله وتهجره؟ فقال: لأني أنظر إلى الصانع في الصنع فيهن علي المصنوع. تهذيب الحلية ٣/٣٦٢.

\* وكان رجلٌ على حالٍ حسنة، فأذنب ذنبًا، فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦)، فقال: تداركوه وعِظُوهُ ولا تدعوه. صفة الصفوة ٣/٦١.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم؛ ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه، وقل اشتغاله بهم. تهذيب الحلية ٣/٣٥٩.

\* وقال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٠): لولا الظلم الجائر: ما حصلت الشهادة للشهيد، ولولا أهل المعاصي ما بانت بلوى الصابر في الأمر بالمعروف، ولو كان المجرمون ضعفاءً لقهروا فلم يحصل ذلك المعنى.<sup>(١)</sup> ذيل الطبقات (٢/١٥٧).

= ٧- مشهد العبودية والمحبة، والشوق إلى لقاءه، والفرح والسرور به، فتقر به عينه، ويسكن إليه قلبه، وتطمئن إليه جوارحه، ويستولي ذكره على لسانه وقلبه، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية، وحرركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حرركاتها بالمعاصي، فإن هذه الكسرة لها تأثير عجيب في المحبة لا يُعبر عنه.

وكان شيخ الإسلام يقول: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية. اهـ بتصرف. مدارج السالكين ١/٦٩٠-٧٤٢

(١) فوجود الكفار والمعاصي والفساق نعمة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «كفر الكافر نعمة في حق المؤمنين، فإنه لولا وجود الكفر والفسوق والعصيان، ولولا وجود شياطين الإنس والجن: لم يحصل للمؤمنين من بغض هذه الأمور ومعاداتها ومجاهدة أهلها ومخالفة الهوى فيها، ما ينالون به عليّ الدرجات وعظيم الثواب».

فلا ينبغي النظر دائماً لما يحدث من كفر وظلم بعين الأذى والحزن والشؤم، فله في تقدير ذلك حكم عظيمة لا يمكن حصرها.

### د- الستر على العاصي، وعدم إفشاء معصيته:

\* كان شرحبيل بن السمط على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضاً فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فكتب إليه: «لا أم لك، تأمر قومًا ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم! الزهد لو كيع (٤٥٥)، الزهد لهناد (٢/ ٦٤٦).

\* وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت<sup>(١)</sup> امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها<sup>(٢)</sup>، فاقض فيّ ما شئت، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد سترك الله، لو سترت نفسك. صحيح مسلم (٢٧٦٣).

\* وعن طارق بن شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ رجلاً خطب إليه ابنة له، وكانت قد أخذت له، فجاء إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فذكر ذلك له فقال عمر: ما رأيت منها؟ قال: ما رأيت إلا خيراً، قال: فزوجها ولا تخبر. مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٠٦٨٩).

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كان يقال: من سمع بفاحشة فأفشاها كان فيها كالذي بدأها. الزهد لو كيع (٤٥)، الزهد لهناد (١٤٠١)، ابن أبي الدنيا ٤٠٠/٤.



(١) أي تناولها واستمتع بها.

(٢) المراد بالمس الجماع، ومعناه: استمتعت بها بالقبلة والمعانقة وغيرهما من جميع أنواع الاستمتاع إلا الجماع.



### أ- أهمية وفضل محاسبة النفس:

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَ يُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]. تهذيب الحلية ١/ ٧٢.

\* وقال السري السقطي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥١): من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٠.

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عَزَّجَلَّ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا

#### (١) محاسبة النفس لها ثلاثة أركان:

أحدها: أن تقايس بين نعمة الله عليك وجنائتك، فحينئذ يظهر لك التفاوت، وتعلم أنه ليس إلا عفوه ورحمته أو الهلاك والعطب.

وبهذه المقايسة يظهر لك أن نفسك منبع كل شر، وأساس كل نقص، وأن حَدَّها: الجاهلة الظالمة، وأنه لو لا فضل الله ورحمته بتزكيتها لها ما زكت أبدا.

ثم تقايس بين الحسنات والسيئات فتعلم بهذا أيهما أكثر وأرجح قدرا وصفة.

الركن الثاني: أن تميز بين مالك وما عليك، وإعطاء كل ذي حق حقه، فالذي لك: هو المباح الشرعي، والذي عليك: عبادة الله والتزام الطاعة واجتناب المعصية.

الركن الثالث: أن تعرف أنَّ كل طاعة رضيتها منك فهي عليك، وكل معصية عَيَّرَتْ بها أخاك فهو أعظم إثما من ذنبه وأشد من معصيته، لما فيه من صولة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها.

يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم ١/ ١٨٩.

أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يَفْجُوهُ الشيءُ يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكنَّ والله ما من صلةٍ إليك، هيهات هيهات، حيلٌ بيني وبينك. ويفرط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه، فيقول: ما أردت إلى هذا. مالي ولهذا؟ والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن، وحال بينهم وبين هلكتهم. إن المؤمن أسيرٌ في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله عَزَّجَلَّ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه. صفة الصفوة ١٦٥ / ٣ - ١٦٦.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إن الرجل كان يشاك الشوكة يقول: إني لأعلم أنك بذنب وما ظلمني ربي عَزَّجَلَّ. الزهد لأحمد: ٤٧٧.

\* وقال مسروق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٣): المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، فيذكر ذنوبه، فيستغفر الله تعالى منها. مسند الدارمي (٣٢٣).

\* وقال بعضهم: خير الناس للناس خيرهم لنفسه. الكامل في اللغة / ١٨٦.

\* وقال ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): إني لأعرف الذنب الذي حُمِلَ به عليّ الدَّيْنُ ما هو، قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس.

\* فحدَّثت به أبا سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥)، فقال: قلت ذنوبهم، فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبي وذنوبك، فليس ندري من أين نُؤْتَى؟<sup>(١)</sup>. صفة الصفوة ١٧٤ / ٣.

\* وقال بعضهم:

يا من يسوّف بالأعمال مرتقباً      وقت الفراغ وقد ألهمته أشغال

(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: كان السلف لقلة ذنوبهم يعدونها. مجموع رسائل ابن رجب ١ / ٣٦٤.

سِرُّ أَعْرَجًا أَوْ كَسِيرًا غَيْرَ مُنْتَظَرٍ لَصَحَّةٍ فَمَرْجِي ذَاكَ بَطَالٍ

طبقات المفسرين للداوودي (١ / ٤٣١).

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): من أشد عيوب الإنسان خفاء عيوبه عليه؛ فَإِنَّ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ خَفِيَتْ عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ، وَمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُ نَفْسِهِ وَمَحَاسِنُ غَيْرِهِ فَلَنْ يُقْلَعَ عَنْ عَيْبِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ، وَلَنْ يَنَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ الَّتِي لَا يَبْصُرُهَا أَبَدًا. الأدب الصغير (٤٣).

ب- توجهات ونصائح في محاسبة النفس:

\* قال الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٠): إِذَا تَكَلَّمْتَ فَادْكُرْ سَمْعَ اللَّهِ إِلَيْكَ، وَإِذَا هَمَمْتَ فَادْكُرْ عِلْمَهُ بِكَ، وَإِذَا نَظَرْتَ فَادْكُرْ نَظْرَهُ إِلَيْكَ، وَإِذَا تَفَكَّرْتَ فَادْكُرْ أَطْلَاعَهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. صفة الصفوة ٣ / ٤٦.

\* وعن ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧) قال: لَا يَكُونُ الرَّجُلُ تَقِيًّا حَتَّى يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ، وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ. الزهد لنهاد (١٢٢٨)، تهذيب السَّيَر ٤ / ٤١٤ واللفظ له.

\* وعن فضيل بن زيد الرقاشي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٠) - وكان غزا مع عمر سبع غزوات - قال: لَا يَلْهِيَنَّكَ النَّاسُ عَنْ ذَاتِ نَفْسِكَ، فَإِنْ الْأَمْرُ يَخْلُصُ إِلَيْكَ دُونَهُمْ، وَلَا تَقْطَعْ النَّهَارَ بِكَيْتٍ وَكَيْتٍ، فَإِنَّهُ مُحْفُوظٌ عَلَيْكَ مَا قُلْتَ. الزهد لو كيع (٢٧٤).

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُحْصِيَ عَلَى نَفْسِهِ مَسَاوِيَهَا فِي الدِّينِ، وَفِي الْأَخْلَاقِ، وَفِي الْأَدَابِ، فَيَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي صَدْرِهِ، أَوْ فِي كِتَابٍ، ثُمَّ يَكْثُرُ عَرْضُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَيَكْلِفُهَا إِصْلَاحَهُ، وَيُوظِفُ ذَلِكَ عَلَيْهَا تَوْظِيفًا مِنْ إِصْلَاحِ الْخَلَّةِ وَالْخَلْتَيْنِ وَالْخِلَالِ فِي الْيَوْمِ أَوْ الْجُمُعَةِ أَوْ الشَّهْرِ.



فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محوٍ استبشر، وكلما نظر إلى ثابت أكتأب. <sup>(١)</sup> الأدب الصغير (١٦-١٧).

### ج- قصص ووقائع في محاسبة النفس:

\* رأى عمر أبا بكر (ت: ١٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما وهو مدل لسانه آخذه بيده فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: وهل أوردني الموارد إلا هذا. الزهد لأحمد: ٢١٨، الزهد لابن المبارك (٣٥٣)، الموطأ: ٣٦٢١.

\* وعن أنس بن مالك قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) يوماً - وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته وهو يقول وبينى وبينه جدار وهو في جوف الحائط -: عمر أمير المؤمنين بخ بخ والله بُنِيَ الخطاب لتقين الله أو ليعذبنك. الزهد لأحمد: ٢٢٣، الزهد لأبي داود (٧٣).

\* وعن سلمة بن منصور، عن مولى لهم كان يصحب الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢) قال: كنت أصحبه، فكان عامّةً صلاته بالليل الدعاء.

وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟. صفة الصفوة ٣/ ١٤٠.

\* وقال الجنيد: قال لي محمد السمين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦١): كنت في وقت من الأوقات أعمل على الشوق <sup>(٢)</sup>، وكنت أجد من ذلك شيئاً أنه به مشغول، فخرجت إلى الغزو، وهذه الحالة حالي، وغزا الناس، وغزوت معهم. فكثر العدو على المسلمين، وتقاربوا، والتقوا، ولزم المسلمين من ذلك خوف لكثرة الروم.

قال محمد: فرأيت نفسي في ذلك الموطن وقد لحقها روع، فاشتد ذلك عليّ، وجعلت أوبّخ نفسي، وألومها، وأقول لها: كذّابة تدّعين الشوق، فلما جاء الموطن

(١) هذه طريقة ناجحة مجربة.

(٢) أي: الشوق إلى الله وإلى الجنة.

الذي يؤمل في مثله الخروج<sup>(١)</sup> اضطربت وتغيرت؟ صفة الصفوة ٢ / ٦٤١.

\* وقال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠): مثَلْتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثَلْتُ نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: أي شيء تريد؟ قالت: أريد أن أُرَدَّ إلى الدنيا فأعمل صالحًا، قال: قلت: فأنت في الأمانة فاعلمي. صفة الصفوة ٣ / ٦٢.

\* واستطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٨) فقال: أستغفر الله من الذنب الذي سُلِّطَ به عليّ. عيون الأخبار ٣٢٦ / ١.

\* ومر حسان بن أبي سنان رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥١) بغرفة فقال: مذ كم بنيت هذه؟ قال: ثم رجع إلى نفسه فقال: وما عليك مذ كم بنيت، تسألين عما لا يعينك. تهذيب الحلية ٤٧٢ / ١.

\* وكان رجلٌ يتبع سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١)، فيجده أبدأً يخرج من لبنة رقعةً ينظر فيها، فأحب أن يعلم ما فيها، فوقع في يده الرقعة، فإذا فيها مكتوب: سفيان اذكر وقوفك بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ. تهذيب الحلية ٣٧٤ / ٢.

\* ورؤي عن المروزي قال: قلتُ لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح مَنْ رَبُّهُ يُطالِبُهُ بأداء الفرائض، ونبيُّه يُطالِبُهُ بأداء السُّنة، والملكُان يطُلبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالِبُه بهواها، وإبليسُ يُطالِبُه بالفحشاء، ومَلَكُ الموت يُراقب قبْضَ روحه، وعِياله يُطالِبونه بالنفقة؟! تهذيب السَّير ٩٣٠ / ٢.

\* وعن أبي سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥) أنه قال: سمعت أبا جعفر المنصور يبكي في خطبته يوم الجمعة. الحلية ٩ / ٢٧٢.

\* وقال السري السقطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥١): خفيت عليّ علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة ن بكر إلى الجمعة، ولنا أماكن قد عرفت بنا، لا نكاد أن نخلو عنها، فمات رجل من جيراننا يوم الجمعة، فأحببت أن أشيع جنازته، فشيعتها وأضحيت عن وقتي، ثم جئت أريد الجمعة، فلما أن قربت من المسجد، قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت، وتخلفت عن وقتك، فشق ذلك عليّ، فقلت لنفسي: أراك مرآية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري؟ فتركت ذلك المكان الذي كنت آتية، فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه. تهذيب الحلية ٣/٢٩٠.

\* وحدث أبو القاسم أحمد بن يوسف - معلّم الخليفة هشام - قال: كمّا انصرفت من الحج صيرني ولي العهد الحكم لمقابلة كتبه، وأجرى لي على ذلك رزقاً، فأتاني أبو بكر ابن السليم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٦٧) وهو يومئذ معتزل عن السلطان، على غاية من التقشف، ففقد عندي، وأقبل يعذلني ويقول: يا أبا القاسم بعد طلب العلم، وتقييد الحديث، والرحلة فيه، ركنت إلى هؤلاء القوم، واستهوتك دنياهم!.

فقلت له: وما الذي وليت لهم؟ إنما هي كتب علم، لمثلها كان سعيي، أصححها لهم بأجرة.

فقال لي: لا تقل هذا، فقد اعتقلتك حباهم فلن تغفلتها، ومن هنا يزفونك إلى غيره، ولا يمكنك خلافهم، فإننا لله وإننا إليه راجعون على عظم المصائب بك، ثم مدّ يده إلى كفه، وأخرج منه حجرين، وقال لي: خذهما واضرب بهما صدرك، ونح على نفسك، سلام عليك.

وخرج عني، وتركني أبكي على نفسي، فما مضت إلا الأيام حتى صار إلي

منزلي، ثم ارتقى إلى الشورى، ثم إلى المظالم، ثم إلى قضاء الجماعة، فأنتهى الغاية. فأردت مقارضته<sup>(١)</sup>، فأمرت جارًا لي من الصّحّارين<sup>(٢)</sup> بحمل حجرين ضخمين، وبعثت معه غلامًا بعد صلاة العتمة، حتى أنزلهما باب القاضي ابن السليم، وأسندهما إلى مصراعيه.

فلما قام القاضي لصلاة الفجر وفتح بابه سحرًا، ألقى الحجرين مسندين إليه، فبقي مفكرًا، ومضى إلى المسجد مشغول البال، إلى أن دخلت غدوة، فما هو إلا أن رأني اهتدى إلى وجه القصة، فقربني وقال لي: أنت صاحبه؟ فقلت: هما الحجران اللتان دفعت إليّ، رفعتهما عندي حتى كبرتَا وصرفتهما إليك؛ إذ كبرت حالك، فبكى، وقال: هو حقك، والبادئ أظلم، فإنّا لله وإنا إليه راجعون على عظم منّسِنَا، وخسرانِ صفقتنا.<sup>(٣)</sup> ترتيب المدارك (٤/ ٨٦).

د- أهمية معرفة عيوب النفس وأفاتها، وترك عيب الناس:

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله فإنه رحمة. ابن أبي الدنيا ٤/ ٣٥٩.

\* وقال أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحبُّ الناسِ إليّ مَنْ أَهْدَى إِلَيّ عُيُوبِي. عيون الأخبار ٤١٠ / ٢.

\* وقيل لبعض الحكماء: أتحب أن تُهدى إليك عيوبك؟ قال: نعم، من ناصح. أدب الدين (٣٨٤).

(١) أي: مجازاته.

(٢) أي: الذين يعملون في الصخور.

(٣) كان ابن السليم راسخًا في العلم، مجتهدًا في طلبه، عالمًا بالحديث والفقه، وكان مع علمه من أهل الزهد والبر، وقد طال هربه من السلطان إلى أنشبه المقدار، فنال رئاسة الدين والدنيا بالأندلس، فما تغيّر عن هدية ولا غرته الدنيا بوجه. ويُستفاد من هذه القصة أنّ البلاء مُوَكَّلٌ بالمنطق.

\* وقال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): انتهى عجبي إلى ثلاث:

- ١- المرء يفر من القدر وهو لاقيه.
- ٢- وهو يبصر في عين أخيه القذى<sup>(١)</sup> فيعييه ويكون في عينه الجذع<sup>(٢)</sup> فلا يعييه.
- ٣- ويكون في دابته الصَّعَر<sup>(٣)</sup> فيقومها بجهد، ويكون فيه الصَّعَر فلا يقوم نفسه. الزهد لابن المبارك (١١٢٢).

\* وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): لا تكلفوا الناس ما لم يكلفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم، ابن آدم عليك نفسك؛ فإنه من تتبع ما يرى في الناس يطل حزنه، ولا يشف غيظه. تهذيب الحلية ١/١٦٨.

\* وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩): يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه. الزهد لأحمد: ٣٢٣.

\* وكان بكر بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٨) يقول: عليكم بأمر إن أصبتم أجرتم وإن أخطأتم لم تأثموا، وإياكم وكل أمر إن أصبتم لم تؤجروا، وإن أخطأتم أثمتم. قيل: ما هو؟ قال: سوء الظن بالناس فإنكم لو أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم. تهذيب الحلية ١/٣٧١.

\* وقال مكحول رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٢): رأيت رجلاً يصلي، وكلما ركع وسجد بكى، فاتهمته أنه يرائي ببكائه فحرمت البكاء سنة. تهذيب الحلية ٢/١٨٢.

\* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٢) قال: كان أبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٦) يقول: أي بني كيف تعجبك نفسك؟ وأنت لا تشاء أن ترى من عباد الله من هو خير منك إلا رأيته، يا بني لا ترى<sup>(٤)</sup> أنك خير من أحد يقول لا إله إلا

(١) القذى: جمع القذاة، وهي ما يتكوّن في العين من رمص وغمص وغيرهما.

(٢) أي: غصن الشجرة.

(٣) الصعر: داء في العنق لا يستطيع معه الالتفات.

(٤) كذا في الأصل، وفي مختصر تاريخ دمشق: «تر» وهو الصواب؛ لأن «لا» الناهية تجزم الفعل بعدها.

الله، حتى تدخل الجنة ويدخل النار، فإذا دخلت الجنة ودخل النار تبين لك أنك خير منه. تهذيب الحلية ١٧/ ١.

\* وعن محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨) قال: إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خصالٍ: فقهاً في الدين، وزهادةً في الدنيا، وبصراً بعيوبه. صفة الصفوة ٢/ ٤٧٣.

\* وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠): ذَكُرْكَ حَسَنَاتِكَ وَنَسِيَانُكَ سَيِّئَاتِكَ غَرَّة. صفة الصفوة ٤/ ٤٣٥.

\* وقال الشاعر:

يَمْنَعُنِي مِنْ عَيْبٍ غَيْرِي الَّذِي      أَعْرِفُهُ عِنْدِي مِنَ الْعَيْبِ  
عَيْبِي لَهُمْ بِالظَّنِّ مَنِي لَهُمْ      وَلَسْتُ مِنْ عَيْبِي فِي رَبِّ  
طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩).

\* وكان يقال: مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخَطُونَ عَلَيْهِ. عيون الأخبار ٣٢٦/ ١.  
\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): يَا بَنَ آدَمَ إِنَّكَ لَا تَصِيبُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا تَعِيبَ النَّاسَ بَعِيبَ هُوَ فَيْكَ، وَحَتَّى تَبْدَأَ بِصَلَاحِ ذَلِكَ الْعَيْبِ مِنْ نَفْسِكَ فَتَصْلَحَهُ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ تَصْلَحْ عَيْبًا إِلَّا وَجَدْتَ عَيْبًا آخَرَ لَمْ تَصْلَحْهُ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ شَغْلُكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَنْ كَانَ كَذَلِكَ. صفة الصفوة ٣/ ١٦٥، ابن أبي الدنيا ٧/ ١٣٨.

\* وقال بعض السلف: إِنِّي لِأَعْظُ وَمَا أَرَى لِلْمَوْعِظَةِ مَوْضِعًا، وَمَا أَرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا نَفْسِي. تهذيب الحلية ١٧/ ٥٢٧.

\* وقال ابن المنكدر لأبي حازم (ت: ١٤٠) رَحِمَهُمَا اللهُ: يَا أَبَا حَازِمٍ مَا أَكْثَرَ مَنْ يَلْقَانِي فَيَدْعُوْنِي بِالْخَيْرِ، مَا أَعْرِفُهُمْ وَمَا صَنَعْتُ إِلَيْهِمْ خَيْرًا قَطْ.

قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك؟ ولكن انظر الذي ذلك من قبله فاشكره. تهذيب الحلية ١/٥٢٠.

\* وقال إياس بن معاوية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢١): كل رجل لا يعرف عيبه فهو أحمق، قالوا: يا أبا وائلة ما عيبك؟ قال: كثرة الكلام. تهذيب الحلية ١/٤٧٦.

\* وقال عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): ما أحسب أحداً تفرغ لعب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه. تهذيب الحلية ٢/٩٨.

\* وقال محمد بن علي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨): كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، تهذيب الحلية ١/٥١٠.

\* وعن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤) قال: من أعز نفسه<sup>(١)</sup>: أذل دينه، ومن أذل نفسه<sup>(٢)</sup>: أعز دينه. تهذيب الحلية ٢/١٠.

\* وعن عمرو بن قيس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٦) قال: إذا شغلت بنفسك ذهلت عن الناس، وإذا شغلت بالناس ذهلت عن ذات نفسك. تهذيب الحلية ٢/١٥٤.

\* وروي عن بعض السلف أنه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدركت قومًا كانت لهم عيوب، فكفوا عن عيوب الناس، فنسيت عيوبهم أو كما قال. جامع العلوم والحكم / ٤٥١.

\* وقال بعض السلف: لولا أن تكون مدحة لدممت لكم نفسي. الزهد لأحمد: ٥٢٤.

\* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٣/ ١٠٣-:

---

(١) بالتكبر والعجب، أو بالانتقام لها، وعدم مسامحة من أخطأ عليها.  
(٢) بالتواضع وهضم النفس، وعدم الانتقام لها، ومسامحة من أخطأ عليها، والقيام بطاعة الله بذلٍّ وخشوع وخضوع.

وتعذر نفسك إمّا أسأت      وغيرك بالعدر لا تعذر  
وتُبصر في العين منه القذى      وفي عينك الجذع لا تبصر

\* وعن أبي قلابة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤) قال: إذا كان الإنسان أعلم بنفسه من الناس، فذاك قَمِنٌ<sup>(١)</sup> أن ينجو، وإذا كان الناس أعلم به من نفسه، فذاك قَمِنٌ أن يهلك. تهذيب الحلية ١/٣٩٢.

\* وقال محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): من مقت نفسه في ذات الله أَمَنَهُ من مقتته. تهذيب الحلية ١/٤١٤.

\* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٢/٤١٦.

لا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا      فَيَكْشِفَ اللَّهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَ  
واذكر مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذَكَّرُوا      وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ  
عيون الأخبار ٢/٤١٦.

\* وعن حماد بن زيد قال: رجعنا من جنازة فدخلنا على عطاء السلمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٦)، فلما رأنا كأنه خاف أن يدخله شيء - أي لكثرتنا -، فقال: اللهم لا تمقتني، ثم قال: سمعت جعفر بن زيد العبد يقول: مر رجل فجلس فأثنوا عليه خيرًا فلما جاوزهم قام وقال: اللهم إن كان هؤلاء يعرفوني فأنت تعرفني.<sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ٢/٣٢٣.

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) لِمُزَاحِمٍ مَوْلَاهُ: إِنْ الْوُلَاةَ جَعَلُوا الْعْيُونَ عَلَى الْعَوَامِ وَأَنَا أَجْعَلُكَ عَيْنِي عَلَى نَفْسِي، فَإِنْ سَمِعْتَ مِنِّي كَلِمَةً تَرَبَّأْتُ بِهَا عَنْهَا أَوْ فَعَالًا لَا تُحِبُّهُ فِعْظُنِي عِنْدَهُ وَأَنْهَنِي عَنْهُ. عيون الأخبار ٢/٤١٦.

(١) أي جديرٌ.

(٢) هذه هي أخلاق السلف الصالح، أصحاب القلوب السليمة، ولو حصل مثل هذا لكثير من الناس لفرح وأعجب بنفسه، ورأى أنَّ هذا يدلُّ على مكانته وشرفه وربما صلاحه كذلك.



\* وقال بعضهم:

ابداً بنفسك فأنهها عن غيرها  
فإنك تُعذر إن وعظت ويُقتدى  
لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله  
فإذا انتهت عنه فأنت حَكِيمٌ  
بالقول منك ويُقبلُ التعلِيمُ  
عارٌ عليك إذا فعلت عظيمٌ  
عيون الأخبار ٤١٦ / ٢.

\* وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١): إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك. تهذيب الحلية ٣٧٢ / ٢.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: الظن ظنان، فظن فيه إثم، وظن ليس فيه إثم، فأما الظن الذي فيه إثم فالذي يتكلم به، وأما الظن الذي ليس فيه إثم، فالذي لا يتكلم به. تهذيب الحلية ٣٧٩ / ٢.

\* وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: نسمع التشديد فنخشى، ونسمع اللين فنرجوه لأهل القبلة، ولا نقضي على الموتى ولا نحاسب الأحياء، ونكل ما لا نعلم إلى عالمه، ونتهم رأينا لرأيهم.<sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٣٨٤ / ٢.

\* وعن سُفْيَانِ بْنِ عِيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٩٨) قال: كان رجل يقول: علمي بصالح نفسي علمي بفسادها، وبحسب امرئ من الشر أن يرى من نفسه فساداً: لا يُصلحها.<sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ٤٢٥ / ٢.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): يكون شغلك في نفسك، ولا يكون شغلك في غيرك، فمن كان شغله في غيره فقد مُكْرَبه. تهذيب الحلية ٢٠ / ٣.  
\* وعن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) قال: كنا نتحدث أن أكثر الناس خطايا أفرغهم لذكر خطايا الناس. ابن أبي الدنيا ٧ / ١٠١.

(١) يا له من منهج ما أعظمه، فحريٌّ بالمؤمن أن يأخذ به.

(٢) ينبغي أن يتنبه لهذا الكلام المتين: من إذا نُبه على بعض عيوبه، قال: هذا ما اعتدت عليه، أو هذا طبعي ومن الصعب تغييره، أو نحوًا من هذا الكلام.

\* وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): ما تكلم أحدٌ في الناس إلا سَقَطَ.  
بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد (٨).

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٨): أَلْقَ حَسَنَ الظَّنِّ عَلَى الْخَلْقِ،  
وَسُوءَ الظَّنِّ عَلَى نَفْسِكَ، لِتَكُونَ مِنَ الْأَوَّلِ فِي سَلَامَةٍ، وَمِنَ الْآخِرِ عَلَى الزِّيَادَةِ.  
تهذيب الحِلْيَةِ ٢٦٥ / ٣.

\* وقال السري السقطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥١): إِنْ فِي النَّفْسِ لَشُغْلًا عَنِ النَّاسِ.  
تهذيب الحِلْيَةِ ٢٦٥ / ٣.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: مِنْ عِلَامَةِ الْإِسْتِدْرَاجِ، الْعَمَى عَنْ عِيُوبِ النَّفْسِ.<sup>(١)</sup>  
صفة الصفوة ٢ / ٦٢٧.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: أَقْوَى الْقُوَّةِ غَلَبَتُكَ نَفْسُكَ، وَمَنْ عَجَزَ عَنْ أَدَبِ نَفْسِهِ  
كَانَ عَنْ أَدَبٍ غَيْرِهِ أَعْجَزَ. صفة الصفوة ٢ / ٦٢٧.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: لَا تَفْتَشْ عَنْ مَسَاوِيِّ النَّاسِ، وَرَدَاءَةِ أَخْلَاقِهِمْ، وَلَكِنْ  
فَتَشْ وَابْحَثْ فِي أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ مَا حَالَتْ فِيهِ، حَتَّى تَسْلَمَ وَيَعْظُمَ قَدْرُهُ فِي نَفْسِكَ  
وَعِنْدِكَ. تهذيب الحِلْيَةِ ٣٣٢ / ٣.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: لَا يَطْلُعُ عَلَى عَثَرَاتِ الْخَلْقِ إِلَّا جَاهِلٌ، وَلَا يَهْتَكُ سِتْرَ  
مَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا مَلْعُونٌ. تهذيب الحِلْيَةِ ٣٣٦ / ٣.

\* وسئل أبو العباس بن عطاء رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٠٩) عَنْ أَقْرَبِ شَيْءٍ إِلَى مَقْتِ  
اللَّهِ وَالْعِيَاذِ بِاللَّهِ، فَقَالَ: رُؤْيَا نَفْسٍ وَأَفْعَالُهَا، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ مَطَالِبَةُ الْأَعْوَاضِ عَنْ

(١) قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: فَعِلَامَةُ السَّعَادَةِ أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُ الْعَبْدِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَسَيِّئَاتُهُ نُصَبَ عَيْنَيْهِ،  
وَعِلَامَةُ الشَّقَاوَةِ أَنْ يَجْعَلَ حَسَنَاتِهِ نُصَبَ عَيْنَيْهِ وَسَيِّئَاتِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٩٥.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: فَطُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْنُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَوَيْلٌ لِمَنْ نَسِيَ عَيْنُهُ وَتَفَرَّغَ لِعُيُوبِ  
النَّاسِ. مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٩٧.

أفعالها. <sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٣/٤٠١.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: لا تزن الخلق بميزانك، وزن نفسك بميزان المؤمنين، لتعلم فضلهم وإفلاسك. <sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ٣/٤٤٢.

و- مجاهدة النفس:

\* قال أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٢): أرايتم نفساً إذا أكرمتموها ونعمتموها ذمتني غداً عند الله، وإن أنا أهنتها وأنصبتُها وأعملتُها مدَحَتنِي عند الله غداً؟ قالوا: مَنْ تيك يا أبا مسلم؟ قال: تلكَ والله نفسي. صفة الصفوة ٤/٤٢٩.

\* وقال قتادة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨): ابن آدم إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا بنشاط، فإن نفسك إلى السَّامة وإلى الملل أميل، ولكنَّ المؤمنَ هو المتحامل،

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات:

١- رؤيته وملاحظته، والذي يُخلصه من هذه البلية: مشاهدته لمنة الله عليه وفضله وتوفيقه له وأنه بالله لا بنفسه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَا مِنْكَ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١] وقال أهل الجنة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

٢- طلب العوض عليه، والذي يخلصه من هذه البلية: علمه بأنه عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته سيده عوضاً ولا أجره.

٣- رضاه به وسكونه إليه، والذي يخلصه من هذه البلية أمران:

أ- مطالعة عيوبه وآفاته، وتقصيره فيه، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان، فقلَّ عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قلَّ، وللنفس فيه حظ.

ب- علمه بما يستحقه الرب من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة وشروطها، وأن العبد أضعف وأعجز وأقل من أن يوفيه حقاً، وأن يرضا بها لربه، والعارف لا يرضا بشيء من عمله

لربه، ويستحي من مقابلة الله بعمله. ١. هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣١٦/٢

(٢) عبارة عظيمة، ومعناها: لا تُقارن نفسك بأهل زمانك، فترى نفسك أفضلهم أو من أفضلهم وأصلحهم وأعلمهم، ولكن قارن نفسك بالصحابة والتابعين والسلف الصالح، لتعلم فضلهم وإفلاسك، وصدقهم في دينهم وإيمانهم وضعفك، وعلمهم برهم وبدينه وجهلك.

والمؤمن المتقوى<sup>(١)</sup>، وما زال المؤمنون يقولون ربنا ربنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم. تهذيب الحلية ١ / ٤٠٨.

وصدق أبو تمام (ت: ٢٣١) حين قال:

بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا      تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ  
ديوان أبي تمام ١ / ٤٥.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): يقولون الجهاد! أنا من نفسي في جهاد.<sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ١ / ٤٢٠.

\* وصدق القائل:

دَبِيتَ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا      جَهْدَ النَّفُوسِ وَالْقَوَا دُونَهُ الْأَزْرَا  
فَكَابَدُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ      وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبِرَا

(١) صدق رَحِمَهُ اللهُ، فإنَّ الذي تعود على حبِّ الراحة، والخلود إلى الخمول: يعتاد على الكسل والخور، فلا يكاد يعمل شيئاً إلا بمشقة عظيمة، ولا يكاد يصرف نفسه عن أمر محظور شرعاً أو عرفاً أو طباً إلا بصعوبة بالغة.

ويجد نفسه تتأقل عن فعل الطاعات والأعمال الفاضلة والنافعة الدينية والدنيوية، حتى ولو تيقن نفعها ومصالحها، والمفاسد التي ستواجهه إن تكاسل عنها.

فهذا شيء من التعب الذي يواجهه كل من أحب الراحة، وقدمها على الحزم والعمل. وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدْرَكُ بالنعيم، وأن من رافق الراحة فارق الراحة، فإنه على قدر التعب تكون الراحة.

وقد أثبت التجارب أنَّ حُبَّ الرَّاحَةِ يَجْلِبُ التَّعَبَ.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ونفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليه، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهها كان نبيه عبادة لله، وعملاً صالحاً، وثبت عنه رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: (المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله)، فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها، وهو إلي جهاد نفسه أحوج، فإن هذا فرض عين وذاك فرض كفاية، والصبر في هذا من أفضل الأعمال، فإن هذا الجهاد حقيقة ذلك الجهاد، فمن صبر عليه صبر على ذلك الجهاد. كما قال: (والمهاجر من هجر السيئات). مجموع الفتاوى ٣١٣ / ١٠.

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ ثَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ  
أُمالي القالي ١ / ١١٣ .

\* وقال: محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠): كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامت. <sup>(١)</sup> صفة الصفوة ٢ / ٤٧٩ .

\* وسأل رجلُ ابنَ المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١) عن الرباط فقال: رباط بنفسك على الحق، حتى تقيمها على الحق، فذلك أفضل الرباط. تهذيب الحلية ٤٠ / ٣ .  
\* وقال أبو يزيد البسطامي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٧٠): دعوت نفسي إلى الله فأبت عليَّ واستصعبت، فتركها ومضيت إلى الله. <sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ٤٨ / ٣ .

\* وقال الجنيد (ت: ٢٩٨): الإنسان لا يعاب بما في طبعه إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه. <sup>(٣)</sup> تهذيب الحلية ٣٨١ / ٣ .

(١) وبعض الناس يُكابِدُ نفسه بضعة أيام في قيام الليل أو طلب العلم أو التحلُّم والتخلُّق وغيرها من العبادات والأخلاق الحميدة، ثم يفتر ويملّ ويعجز، ويقول: حاولت ولكنه شاقُّ عليَّ، أو هذا طاقتي وقدرتي!

(٢) أي: دعوتها إلى القيام بالعبادات طوعية ورغبة، بحيث يقوم بها وهو منشراح الصدر، مُتَلَذِّذًا بها، ويجد نفسه تنقاد لها، لكنها أبت وعصت، وعجز عن ذلك، فتركها ومضى لله تعالى، وقام بالعبادات على مشقةٍ وتعبٍ وعناء.

وهذا هو الذي ينبغي على كلِّ مؤمن صاحب همة وصدق مع الله، ومَن عامل الله على حسب رغبات النفس وشهواتها: لم يصدق مع الله، ولن يبلغ المنازل العالية في الدنيا والآخرة. وكم من داعية بدأ في الدعوة ثم تركها، وكم من شيخ بدأ في درس ولم يُكْمَلْهُ، وكم من طالب علم بدأ في قراءة كتاب فلم يُتِمِّمْهُ، وبدأ في حضور درسٍ علمٍ فانقطع، وذلك بسبب ما يُوجِهه هؤلاء من الفتور وعدم استمرار النشاط الذي حصل في بادئ الأمر، وهؤلاء شأؤوا أم أبوا: إنما دفعهم على العمل ما وجدوه من الأُنْس والنشاط في البداية، فإذا انقطع انقطعوا، وليس هذا دأب أهل الصدق والإخلاص مع الله تعالى، والمؤمن لا يُعامل الله تعالى بحسب شهواته ورغباته، بل يعمل لله ولو كرهت نفسه ذلك، إذا كان العمل مما يُرضي الله تعالى.

(٣) قيل لبعض حكماء العجم: بماذا ينتقم الإنسان من عدوِّه؟ قال: بأن يزداد فضلًا في نفسه.

## الإخوة والصحبة

أ- فضل الإخوة والصحبة في الله، والإحسان إليهم<sup>(١)</sup>:

\* قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣): إن دعاء الأخ لأخيه في الله عَزَّوَجَلَّ يستجاب. الزهد لأحمد: ٢١٧.

\* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: إن من الإيمان أن يحب الرجل الرجل ليس بينهما نسب قريب ولا مال أعطاه إياه ولا محبة إلا لله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٦.

\* وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٨٦) قال: من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله استكمل الإيمان. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٧.

\* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: أَحَبُّ في الله، وَأَبْغَضُ في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولا يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك. ابن أبي الدنيا ٨/ ١٥٧.

\* وعن كعب الأحرار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: رب قائم مشكور له، ورب نائم

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا أَحْبَبْتَ الشَّخْصَ لِلَّهِ كَانَ اللَّهُ هُوَ الْمَحْبُوبَ لِذَاتِهِ، فَكُلَّمَا تَصَوَّرْتَهُ فِي قَلْبِكَ تَصَوَّرْتَ مَحْبُوبَ الْحَقِّ فَأَحْبَبْتَهُ فَازْدَادَ حُبُّكَ لِلَّهِ، كَمَا إِذَا ذَكَرْتَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْأَنْبِيَاءَ قَبْلَهُ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَصْحَابَهُمُ الصَّالِحِينَ، وَتَصَوَّرْتَهُمْ فِي قَلْبِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْذِبُ قَلْبَكَ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ وَبِهِمْ، إِذَا كُنْتَ تُحِبُّهُمْ لِلَّهِ فَالْمَحْبُوبُ لِلَّهِ يَجْذِبُ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَالْمُحِبُّ لِلَّهِ إِذَا أَحَبَّ شَخْصًا لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَحْبُوبُهُ، فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَجْذِبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكُلُّ مَنْ الْمُحِبِّ لِلَّهِ وَالْمَحْبُوبِ لِلَّهِ يُجْذِبُ إِلَى اللَّهِ. مجموع الفتاوى: ١٠ / ٦٠٩-٦١٠.

مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي، فرضي الله صلاته ودعائه، فلم يرد عليه من دعائه شيئاً، فذكر أخاه ذلك في دعائه من الليل، فقال: يا رب أخي فلان اغفر له فغفر الله له وهو نائم. تهذيب الحلية ٢/٢٥٣.

\* وقال بعض السلف: مثل الذي يشكو إلى أخيه كمثل الذي يغسل إحدى يديه بالأخرى. الزهد ابن المبارك (٨٢٣).

\* وصدق القائل:

ولا بدّ من شكوى إلى ذي مروءة      يواسيك أو يُسليك أو يتوجّع  
ديوان ابن نباتة المصري (٢٩٥).

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): من المعونة على تسلية الهموم، وسكون النفس: لقاء الأخ أخاه، وإفضاء كلّ واحد منهما إلى صاحبه ببثّه. وإذا فُرّق بين الأليف وأليفه: فقد سلب قراره، وحُرم سروره.. الأدب الصغير (٢٠).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء، وعُدّة<sup>(١)</sup> في الشدة، ومعونة على خير المعاش والمعاد<sup>(٢)</sup>، فلا تفرّطن في اكتسابهم، وابتغاء الوُصَلات والأسباب إليهم.<sup>(٣)</sup> الأدب الكبير (١٠٢).

\* وقال محمد بن سُوقة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠): ما استفاد رجل أخاً في الله إلا رفعه الله بذلك درجة. تهذيب الحلية ٢/١٢٩.

\* وعن عليّ بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨) قال: فقد الأحبة غُربة. تهذيب

السَّير ٢/٥٥٤.

(١) العدة: ما أعدته لحوادث الدهر من مال وسلاح.

(٢) المعاش والمعاد: الحياة الدنيا والآخرة.

(٣) الوصلة: الاتصال، الأسباب، جمع سبب: وهو كلّ ما ربط به شيء بآخر من حبل ونحوه.

\* وعن واصل مولى ابن عيينة قال: كنت مع محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت):  
 (١٢٣) بمرور، فأتاه عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان، فقال عطاء لمحمد: أي عمل  
 في الدنيا أفضل؟ قال: صحبة الأصحاب، ومحادثة الإخوان إذا اصطحبوا على  
 البر والتقوى، فحينئذ يذهب الله بالخلاف من بينهم فواصلوا وتواصلوا ولا خير  
 في صحبة الأصحاب ومحادثة الإخوان إذا كانوا عبيد بطونهم، لأنهم إذا كانوا  
 كذلك ثَبَطَ بعضهم بعضًا عن الآخرة. ابن أبي الدنيا ٢/ ٣٩٩ - ٤٠٠.

\* وعن يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٩) قال: لا يُؤْذَنُ للأسفل بزيارة  
 الأعلى، إلا من كان يزور في الله عَزَّجَلَّ، فإنه يُؤْذَنُ له يزور من الجنة حيث يشاء.  
 ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٥٨.

\* وقال القاسم بن محمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): قد جعل الله في الصديق البار  
 عَوْضًا عن الرَّحِمِ المُدْبِرَةِ. عيون الأخبار ٣/ ٩٠.

\* وعن مكحول رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٢) قال: من أحب رجلًا صالحًا فإنما أحب  
 الله. تهذيب الحلية ١٨١/ ٢.

\* وقال محمد بن يوسف رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٢٠) - وذكر الإخوان - فقال: وأين  
 مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقسمون ميراثك، وهو قد تفرد بجدتك<sup>(١)</sup>، يدعو لك  
 وأنت بين أطباق الأرض. تهذيب الحلية ٥٤/ ٣.

\* وعن أبي زرعة بن عمرو بن جرير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩١) قال: ما تحاب رجلان  
 في الله عَزَّجَلَّ إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه. الزهد للإمام أحمد / ٦٣٠.

\* وعن قتادة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨) قال: وجوه المتحابين من نور. ابن أبي الدنيا



\* وقيل له رَحِمَهُ اللهُ: أَحَبُّ في الله؟.

قال: إنما أحببت ربك. ابن أبي الدنيا ١٥٨ / ٨.

\* وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠): أَخُ لَكَ كُلُّمَا لَقَيْكَ ذَكَرَكَ بِحُطِّكَ من الله خيرٌ لك من أخٍ لك كُلُّمَا لَقَيْكَ وَضَعَ في كَفِّكَ دينارًا. الحِلْيَةُ ٥ / ٢٢٥.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): ليس سرورٌ يعدلُ صُحبةَ الإخوان، ولا همٌّ يعدلُ فراقهم. طبقات الشافعيين (١ / ٦٥).

\* وقيل للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): ما الحب في الله؟ قال: هو أن لا تحبه لطمع في دنياه. طبقات الحنابلة (١ / ١٣٩).

\* وقال أبو عمر مُحَمَّد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٤٥): تَرَكُ قَضَاءِ حَقِّ الإِخْوَانِ مَذَلَّةً، وَفِي قَضَاءِ حَقِّهِمْ رِفْعَةً، فَاحْمَدُوا اللهَ عَلَى ذَلِكَ، وَسَارِعُوا إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ وَمَسَارِّهِمْ؛ تَكْفَرُوا عَلَيْهِ. طبقات الحنابلة (٣ / ١٢٨).

\* وقال الشاعر:

ما في زمانك من يعزّ وجوده      إن رمتَه إلا صديق مخلص<sup>(١)</sup>

وقال الآخر:

ما ضاع من كان له صاحب      يُقَدَّرُ أن يصلح من شأنه  
فإنما الدّنيا بسُكَّانِها      وإنما المرء بإخوانه

طبقات المفسرين للدّواودي (١ / ١٩١، ٤٣٧).

(١) من أنفس وأندر المكاسب في هذه الحياة، ولو حزت الدنيا كلها بدونه كانت ناقصة: الصديق المخلص الوفي الذي يبحث عن رضاك، ويسارع إلى لقاءك، ويُقربك إلى مولاك، ويستريح عيبك، ويلتمس عذرَكَ، ويتحاشى سخطك، ومع هذا فهو رهن إشارتك. والصدقة مراتب، وهذه أعلاها.

ب- أقوال وآراء بعض السلف الذين يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب:

\* قال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٤): استكثر من الإخوان ما استطعت، فإن استغنيت عنهم لم يضرُّوك، وإن احتجت إليهم نفعوك. تهذيب السَّير ٢ / ٥٥٤.

\* وقال الصعلوكي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٠٤): إنا نحتاج إلى إخوان العُشرة لوقت العُشرة. تهذيب السَّير ٣ / ١٣٣٧.

\* وكان يقال: أعجزُ الناس مَنْ فَرَّطَ في طلب الإخوان، وأعجزُ منه مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ به منهم. عيون الأخبار ٣ / ٥.

\* وقال بعضهم: - عيون الأخبار ٣ / ٥ -.

لعمرك ما مألُ الفتى بذخيرة ولكنَّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

\* وكان يقال: الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمَالٍ. عيون الأخبار ٣ / ٦.

\* وقال إبراهيم النَّخَعِي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٦): إِنَّ المعرفةَ لتَنفَعُ عند الأسدِ

الهصورِ والكلبِ العقورِ فكيف عند الكريم الحسيب! عيون الأخبار ٣ / ٢٠.

\* وقال فرقد السبخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣١): الغريب من ليس له حبيب. تهذيب

الحلية ٤٦٤ / ١.

ج- أقوال وآراء بعض السلف الذين لا يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب:

\* عن عمرو بن العاص رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ (ت: ٤٣) قال: إذا كثر الأخلاء كثر الغرماء.

قيل لموسى - الراوي -: ما الغرماء؟ قال: الحقوق. ابن أبي الدنيا ٦ / ٥٣٢.

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠): إياك وكثرة الإخوان والمعارف.

ابن أبي الدنيا ٦ / ٥٣٢.

\* وقال الحميدي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٩):

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهديان من قيلٍ وقال

فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال  
تهذيب السَّير ٤ / ١٤٦٩.

\* وقال بشر بن منصور رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٠): أقل من معرفة الناس؛ فإنك لا تدري ما يكون، فإن كان شيء (يعني: فضيحة في الدنيا) كان من يعرفك قليل.<sup>(١)</sup>  
ابن أبي الدنيا ٦ / ٥٢٠.

د- قصص ومواقف في الإحسان إلى الأخ والصديق:

\* عن أمِّ الدرداء قالت: كان لأبي الدرداء رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٢) ست وثلاث مئة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك، فقال: إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلا وَكَّلَ اللهُ به ملكين يقولان: ولك بمثل، أفلا أرغبُ أَنْ تدعُو لي الملائكة؟. تهذيب السَّير ١ / ٢٧٣.

\* وقال كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٠) فِي حَدِيثِهِ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ

(١) الذي يظهر أنه ليس بين القولين اختلاف، فإن الذين لا يرون الإكثار من الأصدقاء لا يقصدون الأصدقاء الأوفياء الصالحين.

بل يعنون المعارف والعلاقات العامة، التي يُتَّخَذُ منها الصديقُ الذي لم يُسْتَوْتَقْ مِنْ إِخْلَاصِهِ، ولم يُخَبَّرْ دِينُهُ وَوَفَاؤُهُ.

فهؤلاء أقلُّ ضررٍ يجنيه المُكثَرُ منهم أنهم يُرْهَقُونَهُ بِزِيَارَاتِهِمْ، وَيُثْقِلُونَهُ بِمَطَالِبِهِمْ.

والذين يرون الإكثار منهم لا يقصدون إلا الأصدقاء الناصحين الصالحين.

والقاعدة العامة في التعامل مع هذين النوعين: ما قاله أحدُ الحكماء العقلاء: «الإخوان صنفان: إخوانُ الثقة، وإخوان المكاثرة؛ فأما إخوان الثقة فهم الكهف والجنّاح والأهل والمال، فإذا كنت من صاحبك على حدِّ الثقة فابذل له مالك ويدك، وصاف من صافاه، واكتم سرّه وغيبه، وأظهر منه الحسن.

واعلم أنهم أقلُّ من الكبريت الأحمر.

وأما إخوان المكاثرة فإنك تُصيب منهم لَدَّتْكَ، فلا تقطعن ذلك فيهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان». يُنظر: التذكرة الحمدونية، لابن حمدون: ٢ / ٣٤.

غَزَوَةَ تَبُوكَ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ: وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، إِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٦) يُهْرُولُ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهُ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، لَا أُنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. صحيح البخاري (٤٤١٨).

\* وكان سبب حبس إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠): أن الحجاج طلب إبراهيم النخعي، فجاء الذي طلبه، فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، فأخذه وهو يعلم أنه إبراهيم النخعي. فلم يستحل أن يدلّه عليه، فجاء به الحجاج، فأمر بحبسه في الدّيماس، ولم يكن لهم ظلٌّ من الشمس ولا كِنٌّ من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فجاءته أمه في الحبس، فلم تعرفه حتى كلمها، فمات في السجن. صفة الصفوة ٣/ ٦٣.

\* وطلب ابن أخي محمد بن سوقة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) منه شيئاً فبكى، فقال له: والله يا عمّ لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك، قال: ما بكيت لسؤالك، إنما بكيت؛ لأنني لم أبتدئك قبل سؤالك. صفة الصفوة ٣/ ٨٢.

\* وعن مطرّف بن الشخير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥) أنّه قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني واكتبها في رُقعة فإني أكره أن أرى في وجهك ذلّ السؤال. تهذيب السّير ٣/ ١٦٠.

\* وأقام طاووسٌ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) على رفيق له مريض حتى فاته الحج. تهذيب الحلية ٣٠/ ٢.

\* وعن جرير بن حازم قال: كنا عند الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) فقال ابنه: خففوا عن الشيخ فإنه لم يطعم وقد انتصف النهار، فانتهره الحسن وقال: مه

دعهم فوالله إن كان الرجل من المسلمين ليزور أخاه فيتحدثان ويذكران ربهما حتى يمنعه قائلته. الزهد لأحمد: ٤٧٥.

\* وقال يعقوب بن شيبه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٦٢): أَظَلَّ الْعِيدُ رَجُلًا، وَعِنْدَهُ مِئَةُ دِينَارٍ لَا يَمْلِكُ سِوَاهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ صَدِيقٌ يَسْتَرْعِي مِنْهُ نَفَقَةً، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بِالمِئَةِ دِينَارًا، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ رَقْعَةٌ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَذْكُرُ أَنَّهُ أَيْضًا فِي هَذَا الْعِيدِ فِي إِضَاقَةٍ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالصُّرَّةِ بَعَيْنَهَا قَالَ: فَبَقِيَ الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ عِنْدَهُ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى الثَّالِثِ وَهُوَ صَدِيقُهُ يَذْكُرُ حَالَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الصُّرَّةَ بِخَتْمِهَا قَالَ: فَعَرَفَهَا، وَرَكِبَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: خَبَّرَنِي مَا شَأْنُ هَذِهِ الصُّرَّةِ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَرَكِبَا مَعًا إِلَى الَّذِي أَرْسَلَهَا، وَشَرَحُوا الْقِصَّةَ، ثُمَّ فَتَحُوهَا وَاقْتَسَمُوهَا.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٨): إِسْنَادُهَا صَحِيحٌ. تهذيب السير ٢ / ٩٦٢.

\* وقال الشاعر:

خَلَّ إِذَا جِئْتُهُ يَوْمًا لِسَأَلِهِ      أَعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كَفَّاهُ وَاعْتَدَرَا  
يُخْفِي صَنَائِعَهُ وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا      إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتُهُ ظَهَرَ

أدب الدين (٣٢٧).

\* وكان عامر بن عبد القيس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٠) إِذَا فَصَلَ غَازِيًا وَقَفَ يَتَوَسَّمُ الرِّفَاقَ، فَإِنْ رَأَى رَفِيقَةً تَوَافَقَهُ قَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكُمْ عَلَى أَنْ تَعْطُونِي مِنْ أَنْفُسِكُمْ ثَلَاثَ خِلَالٍ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ:

١- أَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا لَا يَنَازِعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ الْخِدْمَةَ.

٢- وَأَكُونُ مُؤَدِّنًا لَا يَنَازِعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ الْأَذَانَ.

٣- وَأُنْفِقُ عَلَيْكُمْ بِقَدْرِ طَاقَتِي.

فَإِذَا قَالُوا لَهُ: نَعَمْ، انْضَمَّ إِلَيْهِمْ، وَإِنْ نَازَعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، ارْتَحَلَ مِنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ. الزهد لابن المبارك (٨١٦).

\* وكان ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١) إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري له، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه.

تهذيب السَّير ٧٦٦/٢.

\* وقال الشاعر:

وتركي مواساة الأخلاء بالذي      تنال يدي ظلمٌ لهم وعقوق  
وإني لأستحيي من الناس أن أرى      بحال اتساع والصديق مضيق  
المنتظم ٩/٦٢.

\* وعن جعفر قال: حدثنا بعض أصحابنا قال: كان مورك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨) يتجر فيصيب المال، فلا تأتي عليه جمعة وعنده منه شيء، يلقي الأخ فيعطيه أربعمائة خمسمائة ثلاثمائة، فيقول: ضعها عندك حتى نحتاج إليها ثم يلقاه بعد ذلك فيقول: شأنك بها. فيقول الأخ: لا حاجة لي فيها. فيقول: إنا والله ما نحن بأخذها أبدًا فشأنك بها. وقال: كره أن يعطيهم على وجه الصدقة. تهذيب الحلية ١/٣٧٤.

\* وعن الأعمش قال: ربما دخلنا على خيشمة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٠) فيخرج السلة من تحت السرير فيها الخبيص والفالودج، فيقول: ما أشتهيه، كلوا أما إني ما جعلته إلا لكم، وكان يصبر الدراهم وكان موسراً فإذا رأى الرجل من أصحابه منخرق القميص أو الرداء أو به خلة؛ تَحَيَّنَه، فإذا خرج من الباب خرج هو من باب آخر حتى يلقاه فيعطيه، فيقول: اشتر قميصا، اشتر رداء، اشتر حاجة كذا. تهذيب الحلية ٢/٦٣.

\* وقال بعضهم: عيون الأخبار ١/١٢٩

وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه لم تدْرِ أيُّهما أخو الأرحام  
\* وعن مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قدم أبو محمد المروزي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٠) على بغداد يريد مكة، فكنت أحب أن أصحبه، فأتيته فاستأذنته في الصحبة، فلم يأذن لي في تلك السنة، ثم قدم سنة ثانية وثالثة فأتيته فسلمت عليه وسألته فقال: اعزم على شرط يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر: فقلت: أنت الأمير! فقال: يا أبا محمد لا! بل أنت الأمير! فقلت: أنت أسن وأولى! فقال: نعم، ولا يجب أن تعصيني! فقلت: نعم! فخرجت معه، فكان إذا حضر الطعام يؤثرني فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشرط عليك أن لا تخالفني؟ فكان هذا دأبنا، حتى ندمت على صحبتته لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخلنا مكة. المنتظم ١٨-١٩/١٣.

\* وقال بعض الشعراء:

همومٌ رجالٍ في أمور كثيرة      وهمي من الدنيا صديقٌ مساعد  
نكون كُرواح بين جسمين قُسِّما      فجسماهما جسمان والروح واحد  
أدب الدين (٢٦٢).

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): إذا نابت أخاك إحدى النوايب من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمؤاساة<sup>(١)</sup>، فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان، فتحتمل العار.

فالتمس المخرج عند أشباه ذلك، وآثر مروءتك على ما سواها.  
فإن نزلت الجائحة<sup>(٢)</sup> التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها: فأجمل<sup>(٣)</sup>، فلعل الإجمال يسعك، لقلّة الإجمال في الناس. الأدب الكبير (١٠١).  
و- الصبر عليهم، والتجاوز عن تقصيرهم، والتماس العذر لهم<sup>(٤)</sup>:

\* قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا تظنَّ بكلمة خرجت من فيّ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً. ابن أبي الدنيا ٥٢٦/٧.  
\* وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(٣٤)</sup> وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ<sup>(٣٥)</sup> [فصلت: ٣٤-٣٥] قال: الرجل يشتمه أخوه، فيقول: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك. ابن أبي الدنيا ٥٢٥/٧.

(١) آسى فلانا: أي: عزّاه وسلاه، وشاطره الأسى.

(٢) أي: النازلة العظيمة.

(٣) أي: اصنع الجميل، ولو بالكلام الطيب الذي يسليّه ويشرح صدره ويُذهب غمّه.

(٤) ما أحوجنا لهذا الخلق، فيه يسلم الصديق من التّحامل على صديقه، ويسلم الخاطر من المُكدرات والمُنغصات.

س يبقى الدهر ليس له صديق

ومن يبغ الصديق بغير عيب

وأني جواد لا يكبو، وأني صارم لا ينيو؟

والصديق إذا لم يكن مع صديقه كما قال الشاعر:

ولئن ذممتك إنني لك حامد

كن كيف شئت فإنني بك واثق

فليس هو الصديق الواثق من صديقه، الذي قد وثق من باطنه كما وثق من ظاهره.



\* وكان بين سعد بن أبي وقاص (ت: ٦٠) وخالد بن الوليد (ت: ١٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلام، فذهب رجلٌ يقع في خالد عند سعد، فقال: مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. ابن أبي الدنيا ٣٩٨/٤.

\* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): ما بلغني عن أخٍ مكروه قطّ إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقِي عرفتُ له قدره، وإن كان نظيري تفضّلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به، هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرضُ الله واسعة. <sup>(١)</sup> صفة الصفوة ١/ ٣٧١.

\* وعن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠١) قال: إذا سمعت كلمةً من مسلم فاحملها على أحسن ما تجد، حتى لا تجد محملاً. ابن أبي الدنيا ٥٢٥/٧.

\* وعن أبي قلابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠٤) قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه، فالتمس له العذر جُهدك، فإن لم تجد له عذراً، فقل في نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه. صفة الصفوة ٣/ ١٦٨، ابن أبي الدنيا ٥٢٥/٧.

\* وقال بعضهم:

إذا رأيتُ أزواراً من أخِي ثقةً ضاقتُ عليّ برُحْبِ الأرضِ وأوطاني  
فإن صددتُ بوجهي كي أكافئه فالعين غَضَبِي وقلبي غيرُ غضبان  
عيون الأخبار ٣/ ١١٢.

\* وعن عطاء الخراساني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٤٠) قال: تعاهدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، وإن كانوا مشاغل فأعينوهم، وإن كانوا نسوا فذكروهم، وكان يقال: امش ميلاً وعد مريضاً، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثاً وزر أخاً في الله. تهذيب الحلية ٢/ ١٨٥.

---

(١) ويا لها من سيرة ما أعظمها وأكملها، ومن سار عليها سلم من أذى الناس وسلموا من أذاه، وقد سار عليها كثير من أصحاب العقول الكبيرة، كالأحنف بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في تهذيب السيرة ١/ ٤٥١

\* وعن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فأياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمي له المُبَلَّغ، فإن أنكر ذلك، فقل له: أنت أصدق وأبر لا تزيدن على ذلك شيئاً، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهاً لعذر، فاقبل منه، وإن لم تر ذلك، فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهاً لعذر وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخيار: إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدّها، ثم ابدر له إحساناً بهذه السيئة، ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه.

يا يونس إذا كان لك صديق فشد يدك به، فإن اتخاذه الصديق صعب ومفارقة سهل. <sup>(١)</sup> صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

\* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣/ ٢١.

أَغْمَضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي      مَخَافَةٌ أَنْ أَعِيشَ بِمَا لِلصَّدِيقِ

\* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٣/ ٢١.

وَمَنْ لَا يُغْمَضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ      وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُّ وَهُوَ عَاتِبٌ

وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ      يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ

\* وقال بعضهم: - عيون الأخبار ٣/ ٢١ -:

(١) ما أجلّ كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ هذا، وما أحرى كلَّ إنسان بأن يحفظه ويعمل به.

إذا ما صديقي رابني سوء فعله ولم يك عماً ساءني بمُفِيق  
صبرت على أشياء منه تربيني مخافة أن أبقى بغير صديق  
\* وقيل لخالد بن صفوان<sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللهُ: أي إخوانك أحب إليك؟ قال: الذي  
يَغْفِرُ زَلِّي، وَيَقْبَلُ عِلِّي، وَيَسُدُّ خَلِّي. عيون الأخبار ٢٢ / ٣.  
\* وقال الشاعر:

أخوك الذي إن سُؤْتُهُ قَالَ إِنَّنِي أَسَأْتُ وَإِنْ عَاتَبْتُهُ لَانَ جَانِبُهُ  
فِعْشٌ وَاحِدًا أَوْ صِلُ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفٌ ذَنْبَ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئَتْ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ  
المجالسة وجواهر العلم (٥١٩).

\* ويروى عن رجاء بن حيوة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٢) قال: مَنْ لَمْ يُؤَاخِ إِلَّا مَنْ لَا  
عَيْبَ فِيهِ قَلَّ صَدِيقُهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنْ صَدِيقِهِ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لَهُ دَامَ سُخْطُهُ،  
وَمَنْ عَاتَبَ إِخْوَانَهُ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ كَثُرَ عَدُوُّهُ. تهذيب السَّيَر ٥٥٨ / ٢.  
\* وقال الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): الْمُؤْمِنُ لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ وَلَا  
يَأْتُمُ فِيمَنْ يَحِبُّ. عيون الأخبار ١٤ / ٣.

\* وقال بعضهم: - عيون الأخبار ١٥ / ٣ -  
وَعَيْنُ السَّخَطِ تُبْصِرُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ أَخِي الرِّضَا عَنْ ذَاكَ تَعْمَى  
\* وقال بعضهم: - عيون الأخبار ١٦ / ٣ -

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا  
\* وتوفي ابنُ ليونس بن عبيد رَحِمَهُمَا اللهُ (ت: ١٣٩) تعالى فقليل له: إِنَّ ابْنَ عَوْنٍ  
لَمْ يَأْتِكْ!.

(١) العلامة، البليغ، فصيح زمانه، أبو صفوان المنقري، الأهمشي، البصري وقد وفد على عمر بن عبد  
العزیز، ولم أظفر له بوفاة، إلا أنه كان في أيام التابعين. السَّيَر (٦ / ٢٢٦).

فقال: إنا إذا وثقنا بمودة أخٍ لا يضرنا ألا يأتينا! <sup>(١)</sup> شعب الإيمان (٨٠٤١).

\* وحكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الله بن عوف <sup>(٢)</sup> الزهري - وكان أجود قریش في زمانه -: ما رأيت قوماً ألام من إخوانك، قال: ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك. لزوجها. قال: هذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم. <sup>(٣)</sup> أدب الدين (٢٨٩).

\* وقال ابن المقفع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): اجعل غاية نيتك في مؤاخاة من تؤاخي، ومواصلة من تواصل، توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك، وإن ظهر لك منه ما تكره، فإنه ليس كالمملوك تعتقه متى شئت، أو كالمراة التي تطلقها إذا شئت، ولكنه عرضك ومروءتك، فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخذانه. <sup>(٤)</sup> الأدب الكبير (٩٩).

#### ل- نصائح وتوجيهات للصديق:

\* عن بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨) قال: تذلل المرء لإخوانه <sup>(٥)</sup>.

(١) يا له من جوابٍ سديد، وردّ رشيد، من رجلٍ فَقَدَ صاحبه في أحلك الظروف، وهو موثٌ ابنه وفلذة كبده، ومع ذلك لم يحمل عليه في خاطره، ولم تنزل مودته من قلبه، ولم تهتز ثقته به من نفسه.

(٢) في الأصل: طلحة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو خطأ.

(٣) قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسناً، وظاهر غدرهم وفاء.

وهذا محض الكرم ولباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم. أدب الدين (٢٨٩).

(٤) أي: أصحابه.

(٥) بتواضعه لهم، ومغفرته لزلاتهم، وتجاوزه عن تقصيرهم، ومبادرته بطلب العفو والمسامحة عند الاختلاف.

تعظيم له في أنفسهم. تهذيب الحلية ١/٣٧١.

\* وقالت أعرابية لابنها: يا بني، إياك وصُحبة مَنْ مودَّته بِشْرُهُ فإنه بمنزلة الريح. عيون الأخبار ٣/٨٠.

\* وقال بعضهم:

إِنَّ الْهَدْيَةَ حُلُوءٌ      كَالسَّحَرِ تَجَلِبُّ الْقُلُوبَا  
تُدْنِي الْبَغِيضَ مِنَ الْهَوَى      حَتَّى تُصَيِّرَهُ قَرِيبَا  
عيون الأخبار ٣/٤١.

\* وعن عبد الله بن طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٦) قال: قال لي أبي: يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم، وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم. تهذيب الحلية ٢/٣١.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٥٨): ليكون حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تُفرِّحه فلا تغمه، وإن لم تمدِّحه فلا تدممه. الزهد للخطيب (١١٤).

\* وقال بعضهم:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَابِعًا      وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غَيْبًا  
عيون الأخبار ٣/٣٣.

\* وقال بعضهم:

أَقْلَلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيقِ      قَدْ يَرَاكَ كَالثُوبِ اسْتَجَدَّهُ  
إِنَّ الصَّدِيقَ يُمْلَأُ      أَلَّا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهُ  
عيون الأخبار ٣/٢٣.

\* وعن جعفر بن برقان قال: قال لي ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٧): يا

جعفر! قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره.<sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٢/٥٤.

\* وصدق الشاعر:

وقد رمى بك في تيهاء مهلكة      من بات يكتمك العيب الذي فيك  
\* وقال بعضهم:

من عفّ خفّ على الصديق لقاءه      وأخو الحوائج وجهه مملو  
عيون الأخبار ٣/١٩٣.

\* وقال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): لا تكرم أخاك بما يكره. الزهد لأحمد: ٥١٥.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: كانوا يقولون: لا تكرم صديقك بما يشق عليه. الزهد لأحمد: ٥١٥.

\* وكان يقول:

إنك إن كلفتني ما لم أطق      ساءك ما سرك مني من خلق  
تهذيب الحلية ١/٣٩٠.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا فانبذ عنك صحبته. تهذيب الحلية ٢/٣٣٤.

(١) إن من يُخبرُ صديقه عن عيبه: مُحسِنٌ إليه، ومن يُنبِّهه على أخطائه: مُتَفَضِّلٌ عليه، فلا ينبغي أن يُقابله بالحق والغضب، فأين نجدُ في هذا الزمان من يُنبِّهنا على أخطائنا، ويُصَارِحُنَا بِعُيُوبِنَا، فهذا هو الناصح حقًا.

وليس الصديق الوفي، الذي يراك غارقًا في عيوبك، غافلًا عن أخطائك، وهو ساكتٌ لا يُحرك ساكنًا.

وما قيمة الصديق إذا لم يكن مرآة صافية لصديقه، ولم يُخبره بعيوبه ليُصلحها، وأخطائه ليُصحَّحها.

\* وعن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١) قال: اصحب من شئت ثم أغضبه ثم دس إليه من يسأله عنك. تهذيب الحلية ٣٧٥ / ٢.

\* وقال بعض الحكماء: لا تكن في الإخاء مكثراً ثم تكون فيه مدبراً؛ فيعرف سرك في الإكثار بجفائك في الإدبار. المجالسة وجواهر العلم (١٨٠).

\* وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨): كان يقال: أن يكون لك عدو صالح، خير من أن يكون لك صديق فاسد، لأن العدو الصالح يحجزه إيمانه أن يؤذيك أو ينالك بما تكره، والصديق الفاسد لا يبالي ما نال منك. تهذيب الحلية ٤٣٢ / ٢.

\* وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩): عليك بمجالسة من يزيد في علمك قوله، ويدعوك لحال الآخرة فعله، وإياك ومجالسة من يعللُك قوله، ويعيبك دينه، ويدعوك إلى الدنيا فعله. ترتيب المدارك (١ / ١٨٠).

\* وقال الشاعر:

وجدت قريب الوُدَّ خيرًا وإن نأى	من الأبعد الوُدَّ القريب المناسب
ورُبَّ أخٍ لم يُدِّنه منك والدُّ	أبرُّ من ابن الأم عند النوائب
ورُبَّ بعيدٍ حاضرٍ لك نفعه	ورُبَّ قريبٍ شاهدٍ مثلُ غائب

الآداب الشرعية ٣٣٩ / ١.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): لا تقصر في حق أخيك اعتمادًا على مودته. طبقات الشافعيين (١ / ٦٥).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: ليس بأخيك مَنْ احتجَّتْ إلى مداراته. طبقات الشافعيين (١ / ٦٥).

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: من صدق في أخوة أخيه قبل عِلَّه، وسدَّ خَلَّه، وغفر زَلَّه. طبقات الشافعيين (١ / ٦٥).

\* وَقَالَ أَبُو عبيد القَاسِمِ بن سلام رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٤): زُرتُ أَحْمَدَ بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١)، فلما دخلتُ عليه بيته؛ قام فاعتنقني وأجلسني في صدر مجلسه، فقلت: يا أبا عبدالله أليس يقال: صاحب البيت أو المجلس أحقُّ بصدر بيته أو مجلسه؟.

قَالَ: نعم، يَقْعُدُ وَيُقْعَدُ مَنْ يُرِيدُ.

فقلتُ في نفسي: خُذْ إليك أبا عبيد فائدة.

ثم قلتُ: يا أبا عبدالله لو كنت آتيك على حقٍّ ما تستحقُّ لأتيتك كل يوم.  
فقال: لا تقل ذاك، فإن لي إخوانًا ما ألقاهم في كل سنة إلا مرة، أنا أوثق في مودتهم ممن ألقى كل يوم.

قلتُ: هذه أخرى يا أبا عبيد.

فلما أردتُ القيام؛ قام معي، قلت: لا تفعل يا أبا عبدالله.

فقال: قَالَ الشعبي رَحِمَهُ اللهُ: من تمام زيارة الزائر أن يمشي معه إلى باب الدار، ويؤخذ برِكابه.

قلتُ يا أبا عبيد: هذه الثالثة. طبقات الحنابلة (٢ / ٢١١).

\* وقال يَحْيَى بن أَكْثَم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤٢) ذَاكِرْتُ أَحْمَدَ بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ يومًا، بعض إخواننا وتغيره علينا، فأنشأ أَبُو عبدالله يقول:

وليس خليلي بالملول ولا الذي إذا غبت عنه باعني بخليل

ولكن خليلي من يدوم وصاله ويحفظ سري عند كل دخيل

طبقات الحنابلة (٢ / ٥٤٧).

\* وَقَالَ الحسن بن ثواب: كنتُ إذا دخلتُ إلى أبي عبدالله -الإمام أحمد

رَحِمَهُ اللهُ- يقول لي: إني أفشي إليك ما لا أفشيه إلى ولدي ولا إلى غيرهم، فأقول



له: لك عندي ما قالَ العَبَّاس لابنه عبدالله: إنْ عَمَرَ بُن الخطاب يكرمك ويقدمك فلا تفشين له سرًّا، فإن أمت فقد ذهب، وإن أعش فلن أحدث بها عنك يا أبا عبدالله، فيفشي إليه أشياء كثيرة. <sup>(١)</sup> طبقات الحنابلة (١/ ٣٥٣).

\* وقال شقيق البلخي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٠): اصحب الناس كما تصحب النار، خذ منفعتها، واحذر أن تحرقك. تهذيب الحلية ٢/ ٥٠٧.

\* وقال السري السقطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥١): لا تصحب الأشرار، ولا تشغل عن الله بمجالسة الأخيار. <sup>(٢)</sup> تهذيب الحلية ٣/ ٢٨٩.

\* وقال الشاعر:

لَمْ يَخْشَ فَقْرًا مُنْفِقٌ مِنْ صَبْرِهِ	أَنْفَقَ مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ
حُسْنَ الْمَقَالِ إِذَا أَتَاكَ بِهِجْرِهِ	وَاحْلَمْ وَإِنْ سَفَهَ الْجَلِيسُ وَقُلْ لَهُ
بصديقه في سره أو جهره	وَأَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ أَبْشُهُمُ
بِطَلَاقَةٍ فَسَلَّتُ مَا فِي صَدْرِهِ	يَارَبِّ مُضْطَغِنِ الْفَوَادِ لِقِيَتُهُ

ديوان أبي نواس / ٢٠١.

(١) يفشي الصديق إلى صديقه إليه أسرار ما لا يفشيه إلى أقرب الناس إليه، وهذا يدل على أن الصديق الوفي أقرب الناس إلى صديقه.

(٢) ما أجمل هذه الوصية العظيمة، المشتمة على نصيحتين:  
الأولى: لا تُجالس ولا تُصاحب جلساء السوء، فإنك لا محالة آخذ من طبعهم، ومُقتدٍ بسلوكهم وفجورهم.

واحذر معاشرَةَ الدنيءِ فإنها... تُعدي كما يعدي الصحيحُ الأجربُ  
الثانية: لا تشغل عن الله بمجالسة الأخيار، وما أجمل أن يعي هذا الكلام ويفهمه أولئك الأخيارُ الصالحون، الذين أنشغلوا بأصدقائهم عن العلم وتحصيله، وعن الخلوة بالله ولذة الأنس به، وعن حقوق الأهل والوالدين، فحال الكثير منهم كحال الشمعة، تُضيء للناس وتنفعهم، لكنها في المقابل تُحرق وتُفني نفسها، ولا بدَّ مع الأيام أن ينطفئ ضوءُ الشمعة.

\* وقال الشاعر:

وَإِذَا صَاحَبْتَ فَاصْحَبْ مَا جِدَّا      ذَا حَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَكَرَمٍ  
قَوْلُهُ لِلشَّيْءِ لَا إِنْ قُلْتَ لَا      وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ قَالَ نَعَمْ

المجالسة وجواهر العلم (٤٧٨).

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٤): إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْكَ مُقْبِلٌ بَوَدَّه فسرَكَ أَلَا

يَدْبِرُ عَنْكَ، فَلَا تُنْعِمِ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>، وَالتَفَتَّحْ لَهُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ طَبَعَ عَلَى ضَرَائِبٍ<sup>(٢)</sup> لَوْمْ، فَمَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَرَحَلَ عَمَّنْ لَصِقَ بِهِ، وَيَلْصِقَ بِمَنْ رَحَلَ عَنْهُ، إِلَّا مَنْ حَفِظَ بِالْأَدَبِ نَفْسَهُ، وَكَابَرَ طَبْعَهُ. الْأَدَبُ الْكَبِيرُ (٩٦).

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَطَنُ نَفْسِكَ فِي صَحْبَةٍ مِّنْ صَاحِبَةٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَنْ تَقْبَلَ

مِنْهُ الْعَفْوُ، غَيْرَ مَعَاتِبٍ، وَلَا مُسْتَبْطِئٍ، وَلَا مُسْتَزِيدٍ؛ فَإِنَّ الْمَعَاتِبَةَ مَقْطَعَةٌ لِلوَدِّ، وَإِنْ الْإِسْتِزَادَةُ مِنَ الْجَشْعِ، وَإِنَّ الرِّضَا بِالْعَفْوِ وَالْمَسَامَحَةِ فِي الْخَلْقِ مَقَرَّبٌ لِّكَ كُلِّ مَا تَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُكَ، مَعَ بَقَاءِ الْعَرَضِ وَالْمُودَةِ وَالْمَرْوَةِ. الْأَدَبُ الْكَبِيرُ (١١٦).

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا تَلْتَمِسْ غَلْبَةَ صَاحِبِكَ وَالظَّفَرَ عَلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ وَرَأْيٍ،

وَلَا تَجْتَرِئَنَّ عَلَى تَقْرِيعِهِ<sup>(٣)</sup> بِظَفْرِكَ إِذَا اسْتَبَانَ، وَحَجَّتَكَ عَلَيْهِ إِذَا وَضَحْتَ. الْأَدَبُ الْكَبِيرُ (١١٧).

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لِيَعْلَمْ صَاحِبُكَ أَنَّكَ تُشْفِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، وَإِيَّاكَ إِنْ

عَاشَرَكَ أَمْرُؤٌ أَوْ رَافَقَكَ أَنْ لَا يَرَى مِنْكَ بِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ رَافَقَةً، فَإِنْ ذَلِكَ يَأْخُذُ مِنَ الْقُلُوبِ مَأْخِذًا، وَإِنَّ لَطْفَكَ بِصَاحِبِ صَاحِبِكَ أَحْسَنُ عِنْدَهُ مَوْقِعًا مِنْ لَطْفِكَ بِهِ فِي نَفْسِهِ. الْأَدَبُ الْكَبِيرُ (١٢٠).

(١) أي: لا تبالغ في الإقبال عليه.

(٢) أي: طبائع.

(٣) أي: لومه وتعنيفه.

ي- فوائد أخرى:

\* سمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) رجلاً يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا.

قال: أخالطته؟ قال: لا.

قال: والله الذي لا إله غيره ما تعرفه. <sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٧/ ٣٢٩.

\* وقال رجل لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إن فلاناً يُقرئك السلام؛ فقال: هديّة حسنة ومَحْمَل خفيف. عيون الأخبار ٣/ ٤٧.

\* وقال أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢): من أراد أن يكثر علمه، ويعظم حلمه؛ فليجلس في غير مجلس عشيرته. ابن أبي الدنيا ٦/ ٥١٩.

\* وقال بعضهم:

فأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرّضت أيقنت أن لا أخاليا

عيون الأخبار ٣/ ٨٦.

(١) أشار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أنه لا ينبغي أن نحكم على أحد بأنه صديقٌ صادقٌ مُخلص، ولا نثني عليه ثناءً مُطلقاً، ولا نخلص له الوُدَّ والمحبّة، حتى نُجربَه في أربعة أمورٍ أو بعضها: الأمر الأول: في السفر، فكم من صديقٍ مُعجَبٍ بصديقه أيما إعجاب، ويمدّحه بإطراءٍ وإسهاب، فما إن سافر معه، وأسفر عن أخلاقه ودقائق طباعه، حتى عاد من سفره ذاملاً له، كارهاً مُجالسته، بل بعضهم لم يُكمل سفره وغاد إلى وطنه. الأمر الثاني: ائتمانه على سرٍّ أو مالٍ أو غير ذلك من أنواع الأمانات، فالصديق المخلص لا يخون ولا يغدر.

الأمر الثالث: حال الخصومة وسوء التفاهم، فبعض الناس قَمّة في الأخلاق والبشاشة والأدب، ولكن حينما يرى أمراً لا يُعجبه من صديقه، أو حصل نقاشٌ أو خلافٌ أو خصامٌ تبدّلت أخلاقه الحسنة، وأصبح مُرّ المذاق، عسير الأخلاق، سريع الشقاق.

الأمر الرابع: كثرة المخالطة، فكم من إنسانٍ يُغريك مظهره، ويسحرك لسانه، فتطمع في صحبته، فما إن تُخالطه وتكثر من مُجالسته حتى تفوح منه ريحٌ نتنة، ويغورَ طيبُ فعاله وأقواله ليُطَفَحَ قُبْحُه وسوءُ خِلاله.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): كنت أنظر إلى الأخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيته شهراً.

وقال: إنما الأخ الذي تعظك رؤيته قبل أن يعظك بكلامه. صفة الصفوة ٤ / ٤٤٤.

\* وعن عبد الله بن الوليد قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن علي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨): يُدخل أحدكم يده كيسَ صاحبه، فيأخذ ما يريد؟ قال: قلنا: لا قال: فلستم إخواناً كما تزعمون.<sup>(١)</sup> صفة الصفوة ٢ / ٤٦٠.

\* وكان يقال: لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له. عيون الأخبار ٣ / ٢٣.

\* وقال بعضهم:

لعمرك ما وُدُّ اللسان بنافع  
إذا لم يكن أصل المودة في القلب  
عيون الأخبار ٣ / ٨١.

\* وقال بعضهم:

ولا خير في وُدِّ إذا لم يكن له  
على طول مرّ الحادثات بقاء  
عيون الأخبار ٣ / ٨٢.

\* وعن مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١) قال: كل جليس لا تستفيد منه خيراً فاجتنبه. تهذيب الحلية ١ / ٤٢٥.

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الإِذْنَ العُرْفِيَّ فِي الإِسْتِبَاحَةِ، أَوْ التَّمَلُّكِ، أَوْ التَّصَرُّفِ بِطَرِيقِ الْوَكَاةِ، كَالِإِذْنِ اللَّفْظِيِّ. وَعَلَى هَذَا يُخْرَجُ مُبَايَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ تَبَعَةَ الرُّضْوَانِ، وَكَانَ غَائِبًا، وَإِذْخَالُهُ أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَنْزِلِ جَابِرٍ بِدُونِ اسْتِئْذَانِهِمَا؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمَا رَاضِيَانِ بِذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ مَا يُؤَثَّرُ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ أَصْحَابَهُ لَمَّا دَخَلُوا مَنْزِلَهُ وَأَكَلُوا طَعَامَهُ قَالَ: «ذَكَرْتُ مُنِي أَخْلَاقَ قَوْمٍ قَدْ مَضَوْا»، وَكَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِ أَبِي جَعْفَرٍ: «إِنَّ الْإِخْوَانَ مَنْ يُدْخِلُ أَحَدُهُمْ يَدَهُ إِلَى جَيْبِ صَاحِبِهِ فَيَأْخُذُ مِنْهُ مَا شَاءَ». القواعد النورانية: ١٧٥.

\* وعن الزهري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٤) قال: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب. تهذيب السَّير ٦٠٧/٢.

\* وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠): يريد صحبتك، فقال له إبراهيم: ما معك؟ فأخرج دراهم فأخذ منها إبراهيم دراهم فقال: اذهب فاشتر لنا موزًا، فقال الرجل: موزًا بهذا كله؟ فقال إبراهيم: ضم دراهمك وامض، ليس تقوى على صحبتنا. تهذيب الحلية ٤٧٨/٢.

\* وقال له رجل: قصدتك يا أبا إسحاق من خراسان لأصحبك، فقال له إبراهيم: على أن أكون بمالك أحق به منك، قال: لا، قال إبراهيم: قد صدقتني فنعم الصاحب أنت. تهذيب الحلية ٤٨٩/٢.

\* وقال المأمون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٨): الإخوانُ ثلاثُ طبقاتٍ: طبقةٌ كالغذاء لا يُستغنى عنه، وطبقةٌ كالدواء لا يُحتاجُ إليه إلا أحيانًا، وطبقةٌ كالداء لا يحتاج إليه أبدًا.<sup>(١)</sup> عيون الأخبار ٧/٣.

\* وعن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٤) قال: ثلاثٌ يُصَفِّينَ لَكَ وَدَّ أَخِيكَ: أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحبِّ أسمائه إليه. وثلاثٌ من العيِّ: أن تعيبَ على الناس ما تأتي، وأن ترى من الناس ما يخفى عليك من نفسك، وأن تؤذي جليسك فيما لا يعنيك. عيون الأخبار ١٣/٣.

\* وقال بعضهم:

فكأنوها ولكن للأعادي	وإخوانٌ حسبتهم دروعا
فكانوها ولكن في فؤادي	وخلتهم سهاما صائباتٍ

---

(١) قيل لبعض حكماء العجم: أخوك أحبُّ إليك أم صديقك؟ قال: إنما أحبُّ أخي إذا كان صديقًا. عيون الأخبار ١٠/٣.

وقالوا قد صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ      لقد صدقوا ولكن عن ودادي

طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٤٢٦).

\* وشكا إلى أبي ميسرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٣٧) بعض إخوانه بُعِدَ عهده به، فقال:  
إنما فائدة الاجتماع الدعاء، فإذا ذكرتني دعوتَ لي، وإذا ذكرتكَ دعوتُ لك،  
فكأنَّا التقينا، ولم نلتق. ترتيب المدارك (٣/ ٣١٢).

\* وقال أبو تمام الطائي (ت: ٢٣١) في التأخر عن عيادة المريض:

ولئن جفوتك في العيادة إنني      لبقاء جسمك في الدعاء لجَاهِد

ولربما ترك العيادة مشفقٌ      وطوى على غلّ الضمير العائد

الآداب الشرعية ١/ ٢٥٨.

\* وأنشد أبو بكر الشاشي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٢٧) في الاعتذار عن الإقلال من

الزيارة:

إني وإن بعدت داري لمقترب      منكم بمحض موالاة وإخلاص

ورُبُّ داني وإن دامت مودته      أدنى إلى القلب منه النازح القاصي

طبقات الشافعيين (٢/ ٩٦).

\* وكان يقال: لا يكن حُبُّكَ كَلَفًا ولا بُغْضُكَ تَلَفًا. أي: لا تسرف في حبك

وبغضك. عيون الأخبار ٣/ ١٣.

\* وقال بعضهم:

أبلغ أحمًا ما تولى الله صحبتنا      أني وإن كنت لا ألقاه ألقاه

وأن طرُفي موصولٌ برويته      وإن تباعدَ عن مشوأيَ مشواه

الله يعلمُ أني لستُ أذكره      وكيف أذكره إذ لستُ أنساه

عيون الأخبار ٣/ ٣٤.

## تقوى الله وأثرها على المسلم <sup>(١)</sup>

\* قال علي رضي الله عنه (ت: ٤٠): كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يقلَّ عمل مع التقوى، وكيف يقلَّ عمل يتقبل؟ تهذيب الحلية ١/ ٨١.

(١) قال ابن القيم رحمه الله: التقوى: هي اجتناب ما نهى الله عنه، والمتقي ميسرة عليه أمور دنياه وآخرته، وتارك التقوى وإن سرت عليه بعض أمور دنياه تعسر عليه من أمور آخرته بحسب ما تركه من التقوى، وأما تيسير ما تيسر عليه من أمور الدنيا فلو اتقى الله لكان تيسيرها عليه أتم، ولو قدر أنها لم تيسر له فقد يسر الله له من الدنيا ما هو أنفع له مما ناله بغير التقى، فإن طيب العيش ونعيم القلب ولذة الروح وفرحها وابتهاجها من أعظم نعيم الدنيا وهو أجل من نعيم أرباب الدنيا بالشهوات واللذات، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝١﴾ [الطلاق: ٤] فأخبر أنه يسر على المتقي ما لا يسر على غيره، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَنَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۝﴾ [الطلاق: ٢-٣] وهذا أيضا يسر عليه بتقواه، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سَبِيلًا ۝٥ وَيُغْنِهِ عَنْ سَبِيلَيْهِ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ۝٦﴾ [الطلاق: ٥] وهذا ييسر عليه بإزالة ما يخشاه وإعطائه ما يحبه ويرضاه، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَقُولُوا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۝﴾ [الأنفال: ٢٩] وهذا ييسر بالفرقان المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل، وتكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وذلك غاية التيسير، وقال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩﴾ [البقرة: ١٨٩] والفلاح غاية اليسر، كما أن الشقاء غاية العسر، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ۝١٩٠ يُوَفِّكُمُ كَلِمَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۝١٩١﴾ [الحديد: ٢٨] فضمن لهم سبحانه بالتقوى ثلاثة أمور:

أحدها: أعطاهم نصيبين من رحمته، نصيبا في الدنيا ونصيبا في الآخرة، وقد يضاعف لهم نصيب الآخرة فيصير نصيبين.

الثاني: أعطاهم نورا يمشون به في الظلمات.

الثالث: مغفرة ذنوبهم، وهذا غاية التيسير، فقد جعل سبحانه التقوى سببا لكل يسر، وترك التقوى سببا لكل عسر. التبيان في أقسام القرآن: ٢ / ٥٨.

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) في قوله تعالى: ﴿حَقُّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر. الزهد لأبي داود (١٤٧).

\* وجاء سائل إلى عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣)، فقال لابنه: أعطه دينارًا، فلما انصرف قال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه. فقال: لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة، وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين. صفة الصفوة ١ / ٢٧٣.

\* وعن نافع أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقي راعيا بطريق مكة قال له: بعني شاة؟ قال: ليست لي، قال له: فتقول لأهلك أكلها الذئب؟ قال: فأين الله؟ قال: اسمع، وإفني هاهنا إذا رجعت من مكة، ومُرْ مولاك يوافيني هاهنا، فلما رجع لقي رب الغنم واشترى منه الغنم، واشترى منه الغلام، فأعتقه ووهب له الغنم. الزهد لأبي داود (٢٦٢).

\* وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) أنها كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إنك إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا، فاتق الله. الزهد لأبي داود (٢٨١).

\* وقال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣): إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم: من صبر على البلاء، ورضي بالقضاء، وشكر النعمة، وذلل لحكم القرآن. الزهد لأبي داود (٣٢٥).

\* وعن إبراهيم بن أبي بكر بن عياش رَحِمَهُمَا اللَّهُ قال: شهدت أبي (ت: ١٩٣) عند الموت فبكيت، فقال: يا بني ما تبكي؟ فما أتى أبوك فاحشة قط. ابن أبي الدنيا ٥ / ٣٨٠.



\* وقيل لسفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١): أرى الناس يقولون سفيان الثوري، وأنت تنام الليل، فقال لي: اسكت، ملاكُ هذا الأمر التقوى. صفة الصفوة ٣/ ١٠٣.

\* وعن قتادة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨) قال: من يتق الله يكن الله معه، ومن يكن الله عَزَّجَلَّ معه فمعه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل. صفة الصفوة ٣/ ١٨٥.

\* وَلَمَّا كَانَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الْأَشْعَثِ قَالَ طَلْقَ بَنَ حَبِيبٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٢): اتَّقَوْهَا بالتقوى.

ف قيل له: صف لنا التقوى؟ فقال: التقوى عَمَلُ بطاعة الله، على نور من الله، رجاء رحمة الله، وتركُ معصية الله، على نور من الله، خيفة عقاب الله. الزهد لابن المبارك (١٠٥٤).

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٤٨): أَبَدَعَ وَأَوْجَزَ، فَلَا تَقْوَى إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٍ إِلَّا بِتَرَوٍّ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِتِّبَاعِ، وَلَا يَنْفَعُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ. لَا لِيَقَالَ فُلَانٌ تَارَكَ لِلْمَعَاصِي بَنُورَ الْفَقْهِ، إِذِ الْمَعَاصِي يَفْتَقِرُ اجْتِنَابُهَا إِلَى مَعْرِفَتِهَا، وَيَكُونُ التَّرْكُ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، لَا لِيُمدَحَ بِتَرْكِهَا، فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ فَقَدْ فَازَ. تهذيب السَّير ٢/ ٥٦٦.

\* وعن سلام بن أبي مطيع أو غيره قال: ما كان يونس بن عبيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٩) بأكثرهم صلاةً ولا صومًا، ولكن لا والله ما حضر حق الله إلا وهو مُتَهَيِّئٌ له. تهذيب السَّير ٢/ ٦٥٢.

\* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧): لَا تَجِدُ حِلَاوَةَ الْعِبَادَةِ حَتَّى تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ سَدًّا. تهذيب السَّير ٢/ ٨٨٦.

\* وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨): إِنَّمَا سَمَوِا الْمُتَّقِينَ لِأَنَّهُمْ اتَّقَوْا مَا لَا يَتَّقَى. تهذيب الحلية ٤٣٤/ ٢.

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١): التقِي مُلْجَمَ، لا يستطيع كل ما يريد. شعب الإيمان (٥٤٠٤).

\* وعن داود الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠): قال: ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى، إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس. تهذيب الحلية ٢ / ٤٦٦.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٥): لو مر المطيعون بالمعاصي مطروحة في السكك ما التفتوا إليها. تهذيب الحلية ٣ / ١٩٢.

\* وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: دخلت البصرة لأسمع من حماد بن زيد، فقدمت فإذا هو قد مات، فشكوت ذلك إلى عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨)، فقال: مهما سُبِّحَتْ به فلا تُسَبِّحَنَّ بتقوى الله. معرفة القراء (١ / ٣٦٥).

\* وقال عبد الله بن عبد الحكم للشافعي (ت: ٢٠٤) رَحِمَهُمَا اللَّهُ: إن أردت أن تسكن البلد - يعني مصر - فليكن لك قوت سنة، ومجلس من السلطان تتعزز به، فقال له الشافعي: يا أبا محمد، من لم تُعِزَّهُ التقوى فلا عِزَّ له، وقد ولدت بغزة، ورُيِّيت في الحجاز، وما عندنا قوت ليلة، وما بتنا جِيعاً قط. طبقات الشافعيين (١ / ٦٢).

\* وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤١): الزم التقوى قلبك، واجعل الآخرة أمانك. طبقات الحنابلة (٢ / ١٣٤).

\* وقال أبو زرعة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦٤): كُلُّ مَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي هَذَا الشَّأْنِ <sup>(١)</sup> عَلَى الدِّينَانِ فَإِنَّمَا يُعْطَبُ نَفْسَهُ، وَكَانَ الثَّوْرِيُّ وَمَالِكٌ رَحِمَهُمَا اللَّهُ يَتَكَلَّمُونَ فِي النَّاسِ عَلَى الدِّينَانِ فَيَنْفِذُ قَوْلَهُمْ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِمْ عَلَى غَيْرِ الدِّينَانِ يَرْجِعُ الْأَمْرَ عَلَيْهِ. الآداب الشرعية ١٠٢ / ٢.

(١) أي: جرح الرواة وتعديلهم.

## ما قيل في الحكمة والحكماء<sup>(١)</sup>

\* قال بعض الحكماء من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تقول الحكمة: مَنْ التمسني فلم يَجِدْنِي فليَفْعَلْ بأحسنِ ما يَعْلَم، وليترك أقبح ما يَعْلَم، فإذا فَعَلَ ذلك فأنا معه وإن لم يَعْرِفْنِي. عيون الأخبار ٥٢٠ / ٢.

\* وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨٧): العلماء كثير والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا. تهذيب الحلية ١٢ / ٣.



(١) قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الحكمة حكمتان: علمية، وعملية. فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بِمُسَبِّباتها خَلْقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا، والعملية: هي وضع الشيء في موضعه.

وكل نظام الوجود مرتبط بهذه الصفة، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه: الإخلال بها. فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبًا، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال: أقلهم منها ميراثًا. ولها ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة. وآفاتُها أضدادها: الجهل، والطيش، والعجلة.

فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عَجُول. ١. هـ. بتصرف. مدارج السالكين ٣ / ٣٥٠-٣٥٣ والعقلاء يتفاوتون حسب صحة عقولهم وكمالها، فكلٌّ من يعي الكلام ويعرف الخير ويعمل به، ويعرف الشرَّ ويجتنبه: فهو عاقل.

وإذا كمل الإنسان في عقله يُسمى حكيماً، فكل حكيماً عاقل، وليس كل عاقل حكيماً.

## الاعتذار والرجوع إلى الحق<sup>(١)</sup>

\* كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٩) يَقُولُ: مَنْ أَصْبَحَ جُنْبًا أَفْطَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

(١) من طبيعة البشر النَّقْصُ والخطأ، ولم يجعل الكمال إلا له وحده سبحانه، ولقد أوجد الله تعالى أنواعًا كثيرةً من العلاج، من بينها التَّنَاصُحُ والتذكير بين الناس، فإذا فعلوا ذلك قَلَّتْ الأخطاء العيوب، وَصَلَحَتِ الخواطرُ والقلوب. ولقد ضرب سلفنا الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ، أروع الأمثلة في قبول الحق من أيِّ أحدٍ كان، والرجوع إليه، وعدم الحرج من ذلك.

لعلمهم بأنَّ عدمَ الاعترافِ بالحق: هو الكِبَرُ بعينه، كما قال ﷺ: (الكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ).

فالمتكبر يرد الحق، ويُعرض عنه ولا يقبله؛ لأنه معتدُّ برأيه، جازمٌ بصواب عمله، ومع ذلك يحتقر الناس ويزدريهم؛ لأنه يرى نفسه فوقهم.

إِنَّ مَنْ يُذَكِّرُنَا بِأَخْطَائِنَا، وَيُبَيِّنُنَا عَلَى عُيُونِنَا، قَدْ أَسَدَى لَنَا مَعْرُوفًا عَظِيمًا، فَجَزَاؤُهُ أَنْ نَشْكُرَهُ وَنُثْنِيَ عَلَيْهِ، وَنَأْخُذَ بِقَوْلِهِ وَنَعْمَلَ بِهِ، فهذا من علامة الإيمان وصفاء القلب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: من علامات الخشوع: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرَدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ: اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالْإِنْقِيَادِ. مدارج السالكين ١ / ٥١٦.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا تَصِحَّ لَكَ دَرَجَةُ التَّوَّاضِعِ، حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ تُحِبُّ، وَمِمَّنْ تُبْغِضُ، فَتَقْبَلُهُ مِنْ عَدُوِّكَ، كَمَا تَقْبَلُهُ مِنْ وَلِيِّكَ. مدارج السالكين ٢ / ٣٢١.

فالحق يُقبل من أيِّ أحد، لكونه موافقًا للدليل، فلا أثر للمتكلم به في قبوله أو رفضه.

وقال ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: «القاصد لوجه الله تعالى لا يخاف أن يُنْقَدَ عليه خللٌ في كلامه، ولا يهابُ أن يدل على بطلان قوله، بل يُحِبُّ الْحَقَّ من حيث أتاه، ويقبل الهدى ممن أهداه، بل المخاشنة بالحق - أي: التعامل بِخُشُونَةٍ في الحق - والنصيحة أحبُّ إليه من المداينة على الأقوال القبيحة، وصديقك مَنْ صَدَّقَكَ لَا مَنْ صَدَّقَكَ». العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم / ٢٤.

\* فَسُئِلَتْ عَائِشَةُ (ت: ٥٨) وَأُمُّ سَلَمَةَ (ت: ٦١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا ثُمَّ يَصُومُ.

فأخبر أبو هريرة بما قالتا فقال: هُمَا أَعْلَمُ، وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ. صحيح مسلم (١١٠٩).

\* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: سئل عبد الله بن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٨) عن مسألة فأخطأ في الجواب، فقال له قائل: الحكم فيها كذا وكذا فأطرق ساعة، ثم قال: إذا أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنبًا في الحق أحب إلي من أن أكون رأسًا في الباطل. البداية والنهاية ١٠ / ٢١٧.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: صنف الحافظ عبد الغني كتابا فيه أو هام الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥) رَحِمَهُمَا اللَّهُ، فلما وقف عليه الحاكم جعل يقرؤه على الناس، ويعترف لعبد الغني بالفضل، ويشكره على ذلك، ويرجع إلى ما أصاب فيه من الرد عليه، رَحِمَهُمَا اللَّهُ. البداية والنهاية ١٢ / ٧٥.

\* وحكى أبو سهل مُحَمَّد بن عمر عَنْ بعض مشايخ بلخ قَالَ: دخلت بَغْدَادَ، وَإِذَا عَلَى الجسر رجل يُنَادِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَقُولُ: أَلَا إِنَّ القاضي أحمد بن عمرو الخصاف رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٦١) اسْتَفْتِي فِي مسألة كذا، فأجاب بكذا وكذا، وهو خطأ، والجواب كذا وكذا، رحم الله من بلغها صاحبها. الجواهر المضية (١) / ٨٨.

قال تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١٠) معلقا على هذه القصة: هكذا ينبغي أن يكون العلماء، وهكذا يجب أن يكون التحفظ في دين الله، والنصيحة لعباد الله، لا كعلماء زماننا<sup>(١)</sup>، الذين ليس لهم غرض إلا التفاخر

(١) لازال والحمد لله في الأمة من هم في غاية الورع والصدق والأمانة.

بالعلم، والتكبر به، وإظهار القوة والغلبة، فلا يبالي أحدهم إذا كان مستظهِراً في البحث على خصمه أن يكون على الحق أو على الباطل، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. الطبقات السنية (١٢٤).

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: كان يُقرأ عند الوزير أبي المظفر ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٠) الحديث في كل يوم بعد العصر فحضر فقيه مالكي، فذكر مسألة، فخالف فيها ذلك الفقيه، فاتفق الوزير وجميع العلماء على شيء، وذلك الفقيه يخالف، فبدر من الوزير أن قال له: أحمار أنت؟! أما ترى الكل يخالفونك وأنت مُصِرٌّ!.

فلما كان في اليوم الثاني قال الوزير للجماعة: جرى مني بالأمس ما لا يليق بالأدب، حتى قلت له تلك الكلمة، وها أنا فليقل لي كما قلتُ له، فلستُ بخيرٍ منكم، ولا أنا إلا كأحدكم، فضج المجلس بالبكاء، وارتفعت الأصوات بالدُّعاء والثناء، وأخذ الفقيه يعتذر ويقول: أنا أولى بالاعتذار، والوزير يقول: القصاص والثناء، فقال يوسف الدمشقي: يا مولانا إذا أبى القصاص فالفداء، فقال الوزير: له حكمه، فقال الرجل: نعمك عليّ كثيرة فأني حكم بقي لي؟.

قال: لا بد، قال: عليّ بقية دين مائة دينار، فقال: يُعطى مائة دينار لإبراء ذمته، ومائة لإبراء ذمتي، فأحضرت في الحال، فلما أخذها قال الوزير: عفا الله عنك وعني وغفر لك ولي. المنتظم ١٨/١٦٩، ذيل الطبقات ٢/١١٣.

\* وقال بعضهم:

لَكَ الْحَقُّ إِنْ تَعَبْتُ عَلَيَّ لِأَنِّي جَفَوْتُ وَإِنَّمَا تَغْفِرُ فَلَكَ الْفَضْلُ

\* وقال آخر:

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي أَوْ كُنْتَ أَجْهَلُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَ

لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكَ  
\* وقال آخر:

إذا ما امرؤٌ من ذنبه جاء تائبًا إليك فلم تُغفر له فلك الذنبُ  
عيون الأخبار ٣/ ١٠٦، ١٠٨.

\* ووقع بين أبي مسلم رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ٦٢) وبين قائد له كلام، فأرَبَى عليه القائد إلى أن قال له: يا لَقِيط! فأطرق أبو مسلم، فلما سكنت عنه فورة الغضبِ ندم وعلم أنه قد أخطأ واعتذر وقال: أيها الأمير، والله ما انبسطتُ حتى بسطتني ولا نطقتُ حتى أنطقتني فاغفر لي قال: قد فعلتُ. فقال: إني أحبُّ أن أستوثقَ لنفسي. فقال أبو مسلم: سبحان الله! كنتُ تُسيءُ وأُحسن، فلما أحسنتُ أُسيءُ!. عيون الأخبار ٣/ ١٠٩.

\* وكتب رجل إلى صديق له:

لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ لقد سرّني أنني خطرْتُ ببالكَ  
عيون الأخبار ٣/ ١١٢.

\* وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن العنبري رَحْمَةُ اللَّهِ، وهو يومئذ قاضي البصرة، وموضعه في قومه، وقدره عند الناس، فتكلم في شيء فأخطأ، فقلت - وأنا يومئذ حدث - ليس هكذا، يا أبي عليك بالأثر، فتزايد علي الناس، فقال عبيد الله: دعوه، وكيف هو؟ فأخبرته فقال: صدقت يا غلام، إذا أرجع إلى قولك وأنا صاغر. تهذيب الحلية ٣/ ١١٢.

\* ولما وَرَدَ أبو إسماعيل الأنصاري (ت: ٤٨١) نيسابور أخرج الإمام أبو عثمان الصَّبَّائِي (ت: ٤٤٩) لخاله الإمام أبي الفضل بن أبي سعد الزاهد رَحْمَةُ اللَّهِ مجلسًا في الحديث ليمليه بنيسابور، فنظر فيه الأنصاري ونَبَّه على خللٍ في رجال

الحديث وقع فيه، فقبل الصابوني قوله، وعاد إلى ما قال، وأحسن الشاء عليه، وأظهر الشُرور به، وهنأ أهل العصر بمكانه، وقال: لنا جمال، ولأهل السنة مكانة، وانتفاع المسلمين بعلمه ووعظه، وكان ذلك بمشهدٍ من مشايخ فيهم كثرة، وشهرة وبصيرة. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

\* وقال صاحب التاريخ: سمعتُ الإمام أبا إسماعيل الأنصاري الهروي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٨١) بنيسابور يقول: دخلتُ على الإمام ناصر المروزي رَحِمَهُ اللهُ بنيسابور، وكان مجلسه غاصاً بتلامذته، واحتفَّ به الفقهاء، وكان يُدرِّس ويقول: رُوي عن أَبِي بَكْرٍ الصديق رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ: أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: (رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) فقلتُ - أيد الله الشيخ الإمام -: أحدثُ عهد أنت بهذا الحديث وهو على ذكرك؟ فقال: لا، فقلتُ: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، فقال: صَدَقْتَ ورجع إلى قولِي، وحثَّ القومَ على إثباته وتعليقه، ثم بكرتُ إليه من غَدِ هذا اليوم، فرحَّب بي، وأعلى مَحَلِّي، وأجلَسني فوق جماعة زهاء سبعين، كنتُ بالأمس جالسًا دونهم، ومدحتُه بقصيدة، ووَاطَبْتُ على الاختلاف إليه، وأخذَ الفقه عنه مُدَّة. (١) ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).

\* وأفتى عز الدين بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٦٠) بفتيا، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنَادَى في مصر والقاهرة على نفسه: من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به فإنه خطأ. طبقات المفسرين للدواودي (١/ ٣٢٢).

\* وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ الْعُثْمَانِيُّ غَيْرَ مَرَّةٍ قَالَ: وَصَلْتُ الْفُسْطَاطَ مَرَّةً، فَجِئْتُ مَجْلِسَ الشَّيْخِ أَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت:

(١) انظر إلى أدب وتواضع الشيخ كيف جعل هذا التلميذ يحبه ويكثر من التردد عليه للاستفادة منه، بل ويمدحه بقصيدة، ماذا لو أنكر عليه وذكر له أن عَمَلَه هذا سوء أدبٍ مع الشيخ، أو لم يبال به!



(٤٤٨)، وَحَضَرَتْ كَلَامَهُ عَلَى النَّاسِ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِي أَوَّلِ مَجْلِسٍ جَلَسْتُ إِلَيْهِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ وَظَاهَرَ وَآلِي، فَلَمَّا خَرَجَ تَبِعْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: أَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَدَقْتُ، وَطَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَقْتُ، وَقُلْتُ: وَظَاهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ - لِأَنَّ الظَّاهَرَ مُنْكَرٌ مِنَ الْقَوْلِ وَزُورٌ - وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

فَضَمَّنِي إِلَى نَفْسِهِ وَقَبَّلَ رَأْسِي وَقَالَ لِي: أَنَا تَائِبٌ مِنْ ذَلِكَ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي مِنْ مُعَلِّمٍ خَيْرًا، ثُمَّ انْقَلَبْتُ عَنْهُ، وَبَكَرْتُ إِلَى مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، فَالْفَيْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْجَامِعِ، وَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مِنْ بَابِ الْجَامِعِ وَرَأَيْتِي، نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: مَرْحَبًا بِمُعَلِّمِي، أَفْسَحُوا لِمُعَلِّمِي، فَتَطَاوَلَتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيَّ، وَحَدَقْتُ الْأَبْصَارُ نَحْوِي حَتَّى بَلَغْتُ الْمِنْبَرِ، وَأَنَا لِعَظَمِ الْحَيَاءِ، لَا أَعْرِفُ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ أَنَا مِنَ الْأَرْضِ، وَالْجَامِعُ غَاصَّ بِأَهْلِهِ، وَأَسَالَ الْحَيَاءَ بَدَنِي عَرَقًا، وَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى الْخَلْقِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا مُعَلِّمُكُمْ، وَهَذَا مُعَلِّمِي - لَمَّا كَانَ بِالْأَمْسِ قُلْتُ لَكُمْ: أَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَلَّقَ، وَظَاهَرَ، فَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَقَّهُ عَنِّي وَلَا رَدَّ عَلَيَّ، فَاتَّبَعَنِي إِلَى مَنْزِلِي، وَقَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، وَأَعَادَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأَنَا تَائِبٌ عَنْ قَوْلِي بِالْأَمْسِ، وَرَاجِعٌ عَنْهُ إِلَى الْحَقِّ - فَمَنْ سَمِعَهُ مِمَّنْ حَضَرَ فَلَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، وَمَنْ غَابَ فَلْيُبَلِّغْهُ مَنْ حَضَرَ، فَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، وَجَعَلَ يَحْفُلُ فِي الدُّعَاءِ، وَالْخَلْقُ يُؤْمِنُونَ.

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، إِلَى هَذَا الدِّينِ الْمَتِينِ، وَالْإِعْتِرَافِ بِالْعِلْمِ لِأَهْلِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَأَ، مِنْ رَجُلٍ ظَهَرَتْ رِيَاسَتُهُ، وَاشْتَهَرَتْ نَفَاسَتُهُ، لِغَرِيبٍ مَجْهُولِ الْعَيْنِ، لَا يُعْرِفُ مَنْ وَلَا مِنْ أَيْنَ، فَافْتَدُوا بِهِ تَرْشُدُوا. أحكام القرآن لابن العربي ١ / ٢٣٠.

\* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٢٣): حَدَّثَنِي الشيخ محمد نصيف رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كَانَ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ عَلِيٌّ بَا صَبْرَيْنِ رَحِمَهُ اللهُ يَدْرُسُ لَطَالِبَهُ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي جَامِعِ الشَّافِعِيِّ بِجَدَّةَ، فَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي جَاءَ الْبَحْثُ فِي دَعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ وَأَتْبَاعِهَا، فَنَالَ الشَّيْخُ بَا صَبْرَيْنِ مِنْهَا نِيْلًا فَاحْتَشَدَ وَكَانَ مِنَ الطَّلَبَةِ الشَّيْخُ صَالِحُ الْعَبْدَاللَّهِ الْبَسَامِ، وَالشَّيْخُ مَبَارَكُ آلِ مُسَاعِدٍ رَحِمَهُمَا اللهُ، فَلَمَّا فَرَغَ الدَّرْسَ قَامَا إِلَيْهِ، وَقَالَا لَهُ: هَلْ أَطَّلَعْتَ يَا شَيْخَ عَلَيَّ كُتُبَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ حِينَمَا نِلْتَهُ مِنْهُ وَمِنْ دَعْوَتِهِ؟ فَقَالَ لَهُمَا: لَا، إِنِّي لَمْ أَطَّلَعْ عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي قُلْتُ هَذَا نَقْلًا عَنْ مَشَايِخِي، فَقَالَا لَهُ: أَلَا تَرْغَبُ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى كُتُبِهِ؟ فَقَالَ: بَلَى، فَأَتَيْتَاهُ بِنُسْخَةٍ مِنْ كُتُبِهِ، فَدَرَسَهَا نَحْوَ أُسْبُوعٍ، وَهُوَ لَا يَأْتِي لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بِذِكْرٍ، لَا بِمَدْحٍ وَلَا قَدْحٍ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لِلطَّلَبَةِ: إِنِّي فِي إِحْدَى اللَّيَالِي السَّابِقَةِ نِلْتُ مِنَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَدَعْوَتِهِ، وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامِي لَمْ يَكُنْ عَلَى إِطْلَاعٍ عَلَى كُتُبِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَقْلِيدٌ وَحُسْنُ ظَنٍّ فِي مَشَايِخِنَا، وَقَدْ أَطَّلَعَنِي بَعْضُ إِخْوَانِنَا النَّجْدِيِّينَ عَلَى بَعْضِ كُتُبِهِ وَرِسَائِلِهِ، فَرَأَيْتُ فِيهَا الْحَقَّ وَالصَّوَابَ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا قُلْتُ، ثُمَّ صَفَّ رِسَالَةً سَمَّاهَا (هُدَايَةُ كُمَّلِ الْعَبِيدِ إِلَى خَالِصِ التَّوْحِيدِ). عُلَمَاءُ نَجْدٍ (٣٤٧-٣٤٨).

\* وَصَدَقَ الْقَائِلُ:

اقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا      إِنَّ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرَ  
فَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ      وَقَدْ أَجَلَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَرَا

\* وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: رُبَّ ذَنْبٍ أَحْسَنُ مِنَ الْإِعْتِذَارِ مِنْهُ. التَّذَكُّرَةُ الْحَمْدُونِيَّةُ:

\* وصدق القائل.

إذا كان وجه العذر ليس بواضح فإن أطراح العذر خير من العذر<sup>(١)</sup>  
 \* وقال بعض الحكماء: أقل الاعتذار موجب للقبول، وكثرته ريبة. المجالسة  
 وجواهر العلم (٤٧١).

\* وقال الشاعر:

إذا اعتذر الصديق إليك يومًا      من التّقصير عذر أخ مُقرّ  
 فصنّه عن عتابك واغف عنه      فإن الصفح شيمه كل حرّ  
 المجالسة وجواهر العلم (٥٨٨).




---

(١) عدم التصريح والوضوح بطلب المسامحة والعذر: ممّا ينبغي تجنّبه عند الاعتذار، فبعضهم ربما يقول: يا فلان، إن كنت أخطأت فأنا بشرٌ أخطئ وأصيب! وبعضهم يُرسل رسالة يقول فيها: إلى كلّ من ظلمته أو أخطأت في حقّه أرجو مسامحتي، فأنا قد سامحتُ كلّ أحد!! وهذا كلّهُ لا يُسمى اعتذارًا ولا رجوعًا عن الخطأ، بل هو بغیضٌ ثقیلٌ.

## ذم الحمقى واللىثام

\* قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) لجلسائه: أخبروني بأحمق الناس؟ قالوا: رجل باع آخرته بدنياه، فقال عمر: أو أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، قال رجل باع آخرته بدنياه غيره. تهذيب الحلية ٢/٢٣٢.

\* وعن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٤): الأحمق إذا تكلم فضحه حمقه، وإذا سكت فضحه عيئه، وإذا عمل أفسد، وإذا ترك أضاع، لا علمه يُعِينُهُ، ولا عِلْمٌ غيره ينفعه، تَوَدُّ أُمُّهُ أَنَّهَا ثَكَلَتْهُ، وامرأته لو عَدِمَتْهُ، ويتمنى جأزه منه الوحدة، ويجد جليسه منه الوحشة. تهذيب السَّير ٢/٥٥٥.

\* وعن كعب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٢) قال: إن لكل قوم كلبًا فاتقه، لا يتصلن بك شره. ابن أبي الدنيا ٢/٦٢.

\* وقال الشاعر:

لَكَلْبُ الْإِنْسِ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ      أَضُرُّ عَلَيْكَ مِنْ كَلْبِ الْكِلَابِ  
لَإِنَّ الْكَلْبَ لَا يُؤْذِي صَدِيقًا      وَإِنَّ صَدِيقَ هَذَا فِي عَذَابِ  
ابن أبي الدنيا ٢/٦٣.

\* وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١): وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللثام. تهذيب الحلية ٢/٣٧٢.

\* وقال ابن السَّمَاكِ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٣): هِمَّةُ الْعَاقِلِ فِي النِّجَاةِ وَالْهَرَبِ، وَهِمَّةُ الْأَحْمَقِ فِي اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ. تهذيب السَّير ٢/٧٦١.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): خرجتُ إلى اليمن في طلب كتب الفِرَاسة حتى كتبتها وجمعتها، ثم لما حان انصرافي مررت برجلٍ في طريقي وهو محتبٌ بفناء داره، أزرق العين، ناتئ الجبهة، سِنِاطٌ<sup>(١)</sup>، فقلت: هل من منزل؟ قال: نعم، قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ: وهذا النعت أخبر ما يكون في الفِرَاسة، فأنزَلَنِي، فرأيتُ أكرمَ رجلٍ، بَعَثَ إِلَيَّ بعشاءٍ، وطيبٍ، وعلفٍ لدابتي، وفِراشٍ ولحافٍ، وجعلتُ أتَقَلَّبُ الليل أجمع؛ ما أصنع بهذه الكتب؟! إذ رأيتُ هذا النَعت في هذا الحال، فلما أصبحتُ قلت للغلام: اسرج، فأسرج، فركبتُ ومررتُ عليه، وقلت له: إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعي، فقال لي الرجل: أمولى لأبيك أنا؟ قلت: لا، قال: فهل كانت لك عندي نعمة؟ قلت: لا، قال: أَدُّ ما تَكَلَّفْتُ لك البارحة، قلت: وما هو؟ قال: اشتريتُ لك طعامًا بدرهمين، وإدامًا بكذا، وعِطْرًا بثلاثة دراهم، وعَلَفًا لدابتك بدرهمين، وكِرًا<sup>(٢)</sup> الفراش واللحاف بدرهمين، قال: قلت: يا غلام أعطه، فهل بقي من شيء؟ قال: كِرَا المنزل، فإني وسَّعت عليك وضيقك على نفسي، قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ عَنهُ: فَعَبَّطْتُ نفسي بتلك الكتب. طبقات الشافعيين (١/ ٢٣).

\* وقال بعض السلف: كان يقال: إن جاريت الأحمق كنت مثله، وإن سكت عنه سلمت منه. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٣.



(١) هو الذي لا لحية له.

(٢) أي: أجرة.

## حَالُ السَّلَفِ فِي بَابِ الْمَنَازَرَةِ<sup>(١)</sup>

\* سئل سلمان بن ربيعة عن فريضة، فخالفه عمرو بن شرحبيل، فغضب سلمان بن ربيعة ورفع صوته، فقال عمرو بن شرحبيل: والله لكذلك أنزلها الله تعالى!.

فأتيا أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) فقال: القول ما قال أبو ميسرة، وقال لسلمان: ما كان ينبغي لك أن تغضب إن أرشدك رجل، وقال لعمرو: قد كان ينبغي لك أن تساره ولا ترد عليه والناس يسمعون. تهذيب الحلية ٢/٧٠.

(١) لقد سلك سلفنا الصالح غاية الأدب في حواراتهم ومناظراتهم، ويتجلى ذلك فيما يلي:

١- الإنصات والاستماع التام لأقوال وحجج الآخرين، ولو كان في نظر الآخر فاسدًا لا يستحق أن يُسمع له.

٢- عدم مقاطعة المتحدث والمُحاور.

٣- سؤال المتحدث بكل أدب ولطف: هل فرغ من حديثه أم لا؟، لأن المتحدث إذا لم يُكمل حديثه لن يكون منصتًا جيدًا، ومستمعًا صحيحًا، بل ينتظر متى يكمل الآخر حديثه، حتى يكمل هو حديثه.

٤- الرد على الخصم والمناقش بالرد الحسن الذي ليس فيه سب أو شتم أو تجريح؛ لأن الهدف من الحوار والنقاش ليس الانتقام والتشفي، بل إقناع الطرف الآخر، أو على الأقل أن يفهم وجهة نظره، سواء قبلها أم لا.

٥- الاختصار في النقاش، وعدم الإسهاب الممل في عرض وجهات النظر، فخير الكلام ما قلّ ودلّ.

٦- إبداء الرأي من دون الإلزام بأخذه، أو التسخط بعدم قبوله.

٧- إحسان الظن بالآخرين وبآرائهم، فأراء الناس قد تكون أحسن وأصوب.

\* ولما دخل حاتم الأصم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٧) بغداد اجتمع إليه أهلها فقالوا له: أنت رجل أعجمي، ليس يكلمك أحد إلا قطعته لأي معنى؟  
قال حاتم: معي ثلاث خصال، أظهر بها على خصمي، قالوا: ما هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أتجهل عليه. الحلية ٨ / ٨٠.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): ما ناظرت أحدا فأحببت أن يُخطئ. صفة الصفوة ٢ / ٥٥٢.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدا، إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه. صفة الصفوة ٢ / ٥٥٢.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: ما ناظرت أحدا قط إلا على النصيحة. تهذيب الحلية ٣ / ١٢٦.

\* وضح عنه أنه قال: ما ناظرتُ أحداً على الغلبة. (١).

\* وقال أيضا: ما عرضتُ الحُجَّةَ على أحدٍ فقبلها إلا عَظُمَ في عيني، ولا عرضتها على أحدٍ فردّها إلا سَقَطَ من عيني. طبقات الشافعيين (١ / ٥٨).

\* وقال مصعب بن عبد الله بن مصعب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٣٦):

وكان الموت أقرب ما يليني	أأقعد بعدما رجفت عظامي
وأجعل دينه عرضاً لديني	أُجادل كلَّ معترضٍ خصيم
وليس الرأي كالعلم اليقين	وأترك ما علمت لرأي غيري
تُصَرِّفُ في الشمال وفي اليمين	وما أنا والخصومة وهي لبسٌ

(١) أي ما جادلت أحدا بنية أن تغلب عليه وأقنعه، بل بنية طلب الحق، فإن كان الحق معه اتبعته. ولو أن كلَّ أحد نوى هذه النية عند النقاش والجدال: لهداه الله للحق وسدده بإذن الله.

وكان الحقُّ ليس له خفاء أغرَّ كغرة الفلق المبين  
ترتيب المدارك (١/ ٤١٩).

\* وأدخل رجل من الخوارج على المأمون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٨)، فقال:  
ما حملك على خلافنا؟ قال: آية في كتاب الله عَزَّجَلَّ، قال: وما هي، قال: قوله تعالى  
﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال له المأمون: ألك  
علم بأنها منزلة؟ قال: نعم قال: وما دليلك؟ قال: إجماع الأمة.

قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل.  
قال: صدقت، السلام عليك يا أمير المؤمنين. المنتظم ١٠/ ٥٦.

\* وقال المأمون رَحِمَهُ اللهُ لِمُرْتَدٍّ إِلَى النِّصْرَانِيَّةِ: خَبِّرْنَا عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي أَوْحَشَكَ  
مِنْ دِينِنَا بَعْدَ أَنْبِكَ بِهِ وَاسْتِيحَاشِكَ مِمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ، فَإِنْ وَجَدْتَ عِنْدَنَا دَوَاءً دَائِكَ  
تَعَالَجْتَ بِهِ، وَإِنْ أَخْطَأَ بِهِ الشِّفَاءُ وَنَبَأَ عَنْ دَائِكَ الدَّوَاءُ كُنْتَ قَدْ أَعْذَرْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ  
عَلَى نَفْسِكَ بِلَائِمَةٍ، وَإِنْ قَتَلْنَاكَ قَتَلْنَاكَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ، وَتَرْجِعَ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ إِلَى  
الِاسْتِبْصَارِ وَالثَّقَّةِ، وَتَعْلَمَ أَنَّكَ لَمْ تُقْصِرْ فِي اجْتِهَادٍ وَلَمْ تُفَرِّطْ فِي الدَّخُولِ مِنْ بَابِ  
الْحَزْمِ، قَالَ الْمُرْتَدُّ: أَوْحَشَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْاِخْتِلَافِ فِيكُمْ، قَالَ الْمَأْمُونُ: لَنَا  
اِخْتِلَافَانِ: أَحَدُهُمَا كَالِاِخْتِلَافِ فِي الْأُذَانِ، وَالتَّكْبِيرِ فِي الْجَنَائِزِ، وَالتَّشَهُدِ، وَصَلَاةِ  
الْأَعْيَادِ، وَتَكْبِيرِ التَّشْرِيقِ، وَوُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ، وَوُجُوهِ الْفُتْيَا، وَهَذَا لَيْسَ بِاِخْتِلَافٍ  
إِنَّمَا هُوَ تَحَبُّرٌ وَسَعَةٌ وَتَخْفِيفٌ مِنَ الْمِحْنَةِ فَمَنْ أَدْنَى مِثْنَى وَأَقَامَ فِرَادَى...، وَلَا  
يَتَعَايِرُونَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَعَايِبُونَ، وَالاِخْتِلَافُ الْآخَرُ كَنَحْوِ اِخْتِلَافِنَا فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ  
كِتَابِنَا، وَتَأْوِيلِ الْحَدِيثِ مَعَ اجْتِمَاعِنَا عَلَى أَصْلِ التَّنْزِيلِ وَاتِّفَاقِنَا عَلَى عَيْنِ الْخَبَرِ،  
فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَوْحَشَكَ هَذَا حَتَّى أَنْكَرْتَ هَذَا الْكِتَابَ، فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ  
بِجَمِيعِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مُتَّفَقًا عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا يَكُونُ مُتَّفَقًا عَلَى تَنْزِيلِهِ، وَلَا يَكُونُ



بين جميع اليهود والنصارى اختلافٌ في شيءٍ من التأويلات، وينبغي لك ألاَّ ترجع إلا إلى لغةٍ لا اختلافَ في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن يُنزلَ كتبه ويجعلَ كلامَ أنبيائه وورثته رُسُلِهِ لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنَّا لم نر شيئاً من الدِّين والدُّنيا دُفِعَ إلينا على الكفاية، ولو كان الأمرُ كذلك لسقطتِ البُلُوَى والمِحنَةُ، وذهبتِ المسابقةُ والمنافسة ولم يكن تفاضلٌ، وليس على هذا بنى الله الدنيا.

قال المرتد: أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله، وأن المسيحَ عبْدٌ، وأن محمداً صادقٌ، وأنتَ أميرُ المؤمنين حقاً. عيون الأخبار ٥٥٢ / ٢.

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: كان محمد بن داود كثير المناظرة مع أبي العباس ابن سريج رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٠٦)، وكانا يحضران مجلس أبي عمر القاضي فتجري بينهما المفاوضة، والمناظرة حتى يعجب الناس، فتكلما يوماً في مسألة، فقال له ابن سريج: أنت بكتاب الزهرة أشهر منك بهذا! فقال له: وبكتاب الزهرة تعيرني؟ والله ما تحسن تستتم قراءته، وذلك كتاب عملناه هزلاً فاعمل أنت مثله جداً! فلما توفي محمد بن داود في رمضان هذه السنة جلس ابن سريج للعرء ونحى مخاده وقال: ما آسى إلا على تراب أكل لسان محمد بن داود. المتنظم ١٠١ / ١٣.

\* وقال ابن طاهر رَحِمَهُ اللهُ: حكى لنا أصحابنا أن السلطان «ألب أرسلان» حضر هراة، وحضر معه وزيره أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>، فاجتمع أئمة الفريقين من أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة رَحِمَهُمُ اللهُ، للشكاية من أبي إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٨١)، ومطالبته بالمناظرة، فاستدعاه الوزير، فلما حضر قال: إن هؤلاء القوم اجتمعوا المناظرتك: فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك، وإن يكن الحق معهم: إما أن ترجع، وإما أن تسكت عنهم،

(١) يعني الطوسي «نظام الملك».

فقام الأنصاري وقال: أنا أنظر على ما في كَمِّي، فقال له: وما في كميك؟ فقال: كتاب الله، وأشار إلى كمة اليمين، وسنة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأشار إلى كمة اليسار، وكان فيه الصحيحان، فنظر إلى القوم كالمستفهم لهم، فلم يكن فيهم مَنْ يمكنه أن يُناظره من هذه الطريق.

\* وقَدِمَ مسعود بن محمود بن سبكتكين هراة سنة ثلاثين وأربعمائه، فاستحضر شيخ الإسلام أبا إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال له: أَتَقُولُ: إن الله عَزَّجَلَّ يَضَعُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ؟ فقال -أطال الله بقاء السلطان المعظم- إن الله عَزَّجَلَّ لَا يَتَضَرَّرُ بِالنَّارِ، والنار لا تضره، والرسول لا يكذب عليه، وعلماء هذه الأمة لا يزيّدون فيما يَرَوْنَ عنه ويسندون إليه. فاستحسن جوابه، وردّه مُكْرَمًا. ذيل الطبقات (١/ ١٢٢-١٤٤).



## الحكمة، وحسن التصرف، ولطف الكلام

\* قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي، حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا مدّوها خلّيتها وإذا خلّوها مددتها. عيون الأخبار ٥٣ / ١.

\* وفخر سُليم مولى زياد بزياد عنده، فقال معاوية: ما أدرك صاحبك شيئاً قطّ بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني. عيون الأخبار ٥٤ / ١.

\* وقال لعمر بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما بلغ من دهائك يا عمرو؟ قال عمرو: لم أدخل في أمرٍ قطّ فكرهته إلا خرجتُ منه. قال معاوية: لكنني لم أدخل في أمرٍ قطّ فأردتُ الخروجَ منه. عيون الأخبار ٣٢٢ / ١.

\* ووقفتُ عجوزٌ على قيس بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) فقالت: أشكو إليك قلة الجِرْدَانِ! قال: ما أحسنَ هذه الكناية! املؤوا بيتها خبزاً ولحمًا وسمناً وتمراً. عيون الأخبار ٣ / ١٣٠.

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١): إني لأُجمع أن أخرج للمسلمين أمراً من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعاً من طمع الدنيا، فإن نفرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا. عيون الأخبار ٥٣ / ١.

\* وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر رَحِمَهُ اللهُ: ما يمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر؟ فوالله ما كنت أبالي أن تغلي بي وبك القدور في إنفاذ هذا الأمر، فقال عمر: إني أروض الناس رياضة الصعب، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي، وإن عجلت على منية فقد علم الله نيتي، إني أخاف إن بادته<sup>(١)</sup> الناس بالتي تقول: أن يلجئوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف. تهذيب الحلية ٢١٣ / ٢.

\* وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ: حدّثني الفضل بن محمد بن منصور بن زياد (ت: ٢٥٤) كاتب البرامكة قال: قال عبد الله بن طاهر ذات يوم لرجل أمره بعمل: احذر أن تخطئ فأعاقبك بكذا (لأمر عظيم) قلت له: أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابه على الإصابة! عيون الأخبار ٥٩٥ / ٢.

\* وعن الشعبي قال: شهدت شريحاً رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٨) وجاءته امرأة تخاصم رجلاً، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت: أبا أمية ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي، إن أخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يكون. المنتظم ١٨٥ / ٦.

\* وقال أبو العباس: كان عبد الله بن يزيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٨) من عقلاء الرجال، قال له عبد الملك يوماً: ما مالك؟ فقال: شيئان لا عيلة عليّ معهما، الرضا من الله، والغنى عن الناس.

فلما نهض من بين يديه قيل له: هلا خبرته بمقدار مالك؟ فقال: لم يعد أن يكون قليلاً فيحقرني، أو كثيراً فيحسدني. الكامل في اللغة / ١٨٦.

\* وأتى محمد بن واسع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) رجلاً في حاجة لرجل فقال له: أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن يأذن الله في قضائها قضيتها وكنت

(١) أي: فاجأت.

محمودًا، وإن لم يأذن الله في قضائها لم تقضها وكنت معذورًا. تهذيب الحلية ١/٤١٦.

\* وعن عيسى بن حازم قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) في بيت ومعه أصحاب له، فأتوا ببطيخ فجعلوا يأكلون ويمزحون ويترامون بينهم، فذكر رجل الباب فقال لهم إبراهيم: لا يتحركن أحد، قالوا: يا أبا إسحاق تعلمنا الرياء؟ نفعل في السر شيئًا لا نفعله في العلانية؟ فقال: اسكتوا إني أكره أن يعصى الله في فيكم<sup>(١)</sup>. تهذيب الحلية ٢/٤٧٨.

\* وأحضر هارون الرشيد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٣) رجلًا ليوثه القضاء فقال له: إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه.

قال الرشيد: فيك ثلاث خلال: لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة. ولك حلم يمنعك من العجلة، ومن لم يعجل قل خطؤه. وأنت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تتفقه به. فولي فما وجدوا فيه مطعنا. عيون الأخبار ٦٠ / ١.

\* وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٦) أن رجلاً قال له: انعت لي أبا بكر وعمر ما. فقال ربيعة: ما أدري كيف أنعتهما لك؟ أما هما فقد سبقا من كان معهما، وأتعبا من كان بعدهما. تهذيب الحلية ١/٥٣٣.

\* وكان لإبراهيم بن طهمان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٣) جِراية<sup>(٢)</sup> من بيت المال

(١) قال في الحاشية: لعله أراد: أن يظن القادم إليهم ظن السوء فيهم، عند رؤيتهم وهم يلعبون؛ فيكون ذلك سبب معصيته لله تعالى بذلك الظن. ١.هـ

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسَبُهُ فَطِيمًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ نَعَرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ: وَفِيهِ تَزَكُ التَّكْبِيرِ وَالتَّرْفَعِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ كَوْنِ الْكَبِيرِ فِي الطَّرِيقِ فَيَتَوَافَرُ أَوْ فِي الْبَيْتِ فَيَمْزَحُ، وَأَنَّ الَّذِي وَرَدَ فِي صِفَةِ الْمُتَأَفِّقِ أَنَّ سِرَّهُ يُخَالِفُ عَلَانِيَتَهُ لَيْسَ عَلَى عُمُومِهِ. ٧١٣/١٠ - ٧١٤.

(٢) أي: مبلغ من المال.

فاخرة، فسئل يوماً مسألة في مجلس الخليفة فقال: لا أدري! فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة؟.

قال: إنما آخذه على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال ولا يفني ما لا أحسن.

فأعجب أمير المؤمنين جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة وزاد في جراته. المنتظم ٢٦٥-٢٦٦/٨.

\* وقال المنصور ذات يومٍ لشبيب بن شيبه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٤): عظمي وأوجز فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض من نفسه بأن يجعل فوقك أحداً من خلقه، فلا ترض له من نفسك بأن يكون عبداً له أشكر منك، فقال: والله لقد أوجزت. المنتظم ٢٧٣/٨.

\* وأتى رجلٌ بعضَ الولاة، وكان صديقه، فتشاغل عنه، فقرأى له يوماً فقال: اعذرني فإنني مشغول، فقال: لولا الشغل ما أتيتك. عيون الأخبار ١٢٧/٣.

\* وقال أبو سَمَّاكٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٣) لرجلٍ: لم أصنْ وجهي عن الطَّلَبِ إليك، فصنْ وجهك عن ردِّي، وضعني من كرمك بحيثُ وضعتُ نفسي من رجائك. عيون الأخبار ١٢٩/٣.

\* وقال عبد الملك لرجل: ما لي أراك واجماً لا تنطق؟ قال: أشكو إليك ثقل الشرف، قال: أعينوه على حمله. عيون الأخبار ١٣٠/٣.

\* وقال رجل لمعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أقطِني البحرَينِ قال: إني لا أصلُ إلى ذلك قال: فاستعملني على البصرة قال: ما أريدُ عزْلَ عاملها قال: تأمرُ لي بالفين قال: ذاك لك.

ف قيل له: ويحك! أرضيتَ بعد الأوليَّينِ بهذا! قال: اسكتوا لولا الأوليانِ ما أعطيتُ هذه. عيون الأخبار ١٣٢/٣.

\* وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): يؤكل الطعام لثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة. طبقات الحنابلة (١٤٣/٢).

\* وذكر ابن السمعاني رَحِمَهُ اللهُ: أن أبا الخطاب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٠) جاءته فتوى في بيتين من شعر، وهما:

قُلْ للإمام أبي الخطاب مسألة      جاءت إليك وما يُرجى سِوَاكَ لَهَا  
ماذا على رَجُلٍ رَامَ الصلاةَ فمُذْ      لآخَتْ لِنَاظِرِهِ ذَاتُ الْجَمَالِ لَهَا  
فكتب عليها أَبُو الخطاب:

قُلْ للأديب الذي وافى بمسألةٍ      سَرَّتْ فَوَادِي لَمَّا أَنْ أَصَحَّتْ لَهَا  
إِنَّ الذي فَتَنَتْهُ عَنْ عِبَادَتِهِ      خَرِيدَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ فَانْشَى وَلَهَا<sup>(١)</sup>  
إِنْ تَابَ ثُمَّ قَضَى عَنْهُ عِبَادَتَهُ      فَرَحِمَهُ اللهُ تَغْشَى مِنْ عَصَى وَلَهَا<sup>(٢)</sup>  
ذيل الطبقات (١/ ٢٧٦).



(١) من الوله، وهو ذهابُ العقلِ والتَّحْيُّرُ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ، وَقَدْ وَلِهَ - بِالْكَسْرِ - يُولُهُ وَلَهَا.  
(٢) من اللهو، وهو اللعب والعبث.

## حَالُ السَّلَفِ مَعَ النِّعَمِ، وَشُكْرِ الْمُنْعَمِ

أ- حَالُ السَّلَفِ مَعَ نِعَمِ اللَّهِ وَمَا قِيلَ فِي ذَلِكَ<sup>(١)</sup>:

\* قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): مَنْ لَمْ يَرِ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً إِلَّا فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ فَقَدْ قَلَّ فَهْمُهُ، وَحَضَرَ عَذَابُهُ. الزَّهْدُ لِأَبِي دَاوُدَ (١٩٨).

\* وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ تَعَالَى فِي عِرْقٍ سَاكِنٍ. تَهْذِيبُ الْحِلْيَةِ ١/١٦٨.

\* وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فِي حِجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِشَعْبٍ ضَجَّانَ التَّفْتِ عَمَرَ وَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي بِهَذِهِ الشَّعَابِ فِي أَجْمَالٍ لِلخَطَابِ وَكَانَ فِظًا غَلِيظًا، أُحْتَطَبُ عَلَيْهَا مَرَّةً وَأُخْتَبَطُ<sup>(٢)</sup> أُخْرَى، فَأَصْبَحَتِ الْيَوْمَ وَيَضْرِبُ النَّاسُ بِجَنَابِي<sup>(٣)</sup> لَيْسَ فَوْقِي أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ:

(١) قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالنِّعَمِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، مَفْتُونٌ بِثَنَاءِ الْجَهَالِ عَلَيْهِ، مَغْرُورٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ حَوَائِجَهُ وَسْتَرَهُ عَلَيْهِ!

وَأَكْثَرُ الْخَلْقِ عِنْدَهُمْ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ:

١- النِّعَمُ وَالرِّخَاءُ وَالْعَافِيَةُ.

٢- ثَنَاءُ النَّاسِ.

٣- قَضَاءُ اللَّهِ حَوَائِجَهُ وَسْتَرَهُ عَلَيْهِ: عَلَامَةُ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ.

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ. مَدَارِجُ السَّالِكِينَ ١/١٨٩

(٢) أَي: أَضْرَبُ الشَّجَرِ بِالْعَصَا لِيَتَنَاثَرَ وَرَقُهَا.

(٣) أَي: بِنَاحِيَّتِي.



لا شيء فيما ترى إلا بشاشته يبقى الإله ويُؤدى المأل والولد  
الزهد لأبي داود (٩٥).

\* وعن أبي العالية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٣) قال: ما أدري أي النعمتين أفضل، أن هداني الله للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء؟ تهذيب الحلية ١/٣٦٧.  
\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: إني لأرجو أن لا يهلك عبدٌ بين نعمتين: نعمة يحمده الله عليها وذنب يستغفر الله منه. تهذيب السير ١/٤٧٩.

\* وعن عبد الملك بن أبجر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٠) أنه قال: ما من الناس إلا مُبتَلَى بعافية لينظر كيف شكره، أو ببليّة لينظر كيف صبره. المنتظم ٨/١٢٥.  
\* وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨): إن من شكر الله على النعمة أن تحمده عليها، وتستعين بها على طاعته، فما شكر الله من استعان بنعمته على معصيته. تهذيب الحلية ٢/٤٣٠.

\* وكان الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) يقول إذا ابتدأ حديثه: (الحمد لله، اللهم ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافة، كبتّ عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقنا، وأحسنّت معافاتنا، ومن كل والله - ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سرّاً أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حيّاً أو ميّت، أو شاهدٍ أو غائب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت. ابن أبي الدنيا ١/٤٦٧-٤٦٨.

\* وعنه رَحِمَهُ اللهُ قال: إِنَّ اللهَ لِيُمَتِّعُ بِالنِّعْمَةِ ما شاء، فإذا لم يُشْكَرْ قلبها عليهم عذاباً. ابن أبي الدنيا ١/٤٨٠.

وعنه رَحِمَهُ اللهُ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] قال: للكفور، يعدد

المصائب وينسى النعم. ابن أبي الدنيا ١ / ٤٨٣.

وعنه رَحِمَهُ اللهُ قال: أكثرُوا ذكر هذه النعمة فإن ذكرها شكرها. ابن أبي الدنيا

١ / ٤٧٥.

\* وقال بعض السلف: ذكر النعمة يورث الحب لله عَزَّوَجَلَّ. ابن أبي الدنيا

١ / ٤٧١.

\* وعن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، قال: ما قَلَبَ عمر بن عبد العزيز

رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) بصره إلى نعمة أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها عليه إلا قال: اللهم إني أعوذ

بك أن أبدل نعمتك كفرًا، أو أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها. ابن أبي

الدنيا ١ / ٤٨٦.

\* وقال ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللهُ: أنشدني محمود الوراق (ت: ٢٢١):

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلله وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

وما منهما إلا له فيه منة تضيق بها الأوهام والبر والبحر

ابن أبي الدنيا ١ / ٤٨٥.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: أنشدنا محمود الوراق في ذلك:

يا أيها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

ابن أبي الدنيا ١ / ٤٨٥.

\* وكان عنبسة بن خارجة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٠) يقول عند إفطاره: الحمد لله

الذي هداني فصمت، والحمد لله الذي رزقني فأفطرت<sup>(١)</sup>، إن تعذبني فأنا أهلٌ لذلك، وإن تغفر لي فأنت أهلٌ لذلك. ترتيب المدارك (١/ ٥١٧).

\* وقال رجلٌ لبعض السلف: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين، لا أدري أيتهما أفضل: ذنوب سترها الله عَزَّوَجَلَّ فلا يستطيع أن يعيرني بها أحدٌ، ومودةٌ قذفها الله عَزَّوَجَلَّ في قلب العباد لم يبلغها عملي. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٨.

\* وعن محمد بن سوقة، قال: مررت مع عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) بالكوفة على قصر الحجاج، فقلت: لو رأيت ما نزل بناها هنا زمن الحجاج؟! فقال: مررت كأنك لم تدع إلى ضر مسك؛ ارجع فاحمد الله تعالى واشكره، ألم تسمع إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرٍّ مَّسَّةٍ﴾ [يونس: ١٢]. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٣.

\* وقال فضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): كان يقال: من عرف نعمة الله جل وعز بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].<sup>(٢)</sup>

وقال: كان يقال: من شكر النعمة أن تحدّث بها. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٨٣.

\* ومر بعض السلف برجل به زمانة<sup>(٣)</sup>، فجلس يحمد الله عَزَّوَجَلَّ ويبكي، فمر به رجلٌ فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: ذكرت أهل الجنة وأهل النار، فشبهت أهل الجنة بأهل العافية، وأهل النار بأهل البلاء، فذلك الذي أبكاني. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٩٢.

(١) فلولا هداية الله للصائم ما صام ولا صلى، ولولا فضله عليه ما طعم ولا شرب، فاستحضر ذلك يزيد في الإيمان وحب الله والإقبال عليه.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الشكر معه المزيد أبداً، لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقبل الشكر. ١. هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٥٧٨.

(٣) أي: مرض.

\* وعن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١) في قول الله تعالى: ﴿سَسْتَدرِجُهُمْ مِّنْ

حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، قال: نسيغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر.

وقال غير سفيان: كلما أحدثوا ذنباً أحدثت لهم نعمة. ابن أبي الدنيا ١ / ٥٠٤.

\* وقال بعض السلف: قال لي رجل، على بعض السواحل: كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحب؟ قلت: ما أحصي ذلك كثرةً.

قال: فهل قصدت إليه في أمرٍ كَرَبِكَ فخذلك؟ قالت: لا والله، ولكنه أحسن إلي فاعانني.

قال: فهل سألته شيئاً قط فأعطاك؟ قلت: وهل منعني شيئاً سألته؟ ما سألته شيئاً قط إلا أعطاني، ولا استغثت به إلا أغثنِي.

قال: أرأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء.

قال: فربك أحق وأحرى أن تُدَبِّبَ<sup>(١)</sup> نفسك له في أداء شكر نعمته عليك، وهو المحسن قديماً وحديثاً إليك، والله لَشُكْرُهُ أيسر من مكافأة عباده، إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى رضي بالحمد من العباد شكراً. ابن أبي الدنيا ١ / ٥١١.

\* وقال بكر المزني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨): لقيت أخاً من إخواني من الضعفاء فقلت: يا أخي، أوصني، قال: ما أدري ما أقول، غير أنه ينبغي لهذا العبد ألا يفتر عن الحمد والاستغفار؛ فإن ابن آدم بين نعمة وذنوب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار، قال: فأوسعني علماً ما شئت. ابن أبي الدنيا ١ / ٥١٤.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: يا ابن آدم، إن أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك، فغمض عينيك. ابن أبي الدنيا ١ / ٥٢٤.

(١) أي: تُعوّدها.

\* وعن كعب الأحبار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٢) قال: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة؛ وما أنعم الله على عبدٍ من نعمةٍ في الدنيا فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها لله، إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقاً من النار، يعذبه إن شاء، أو يتجاوز عنه. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٢٦.

\* وكتب بعض الحكماء إلى أخ له: أما بعد! يا أخي فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه، فما ندرى أيها نشكر؟ أجميل ما ظهر أم قبيح ما ستر؟. ابن أبي الدنيا ١/ ٥٢٧.

\* وقال ابن شوذب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٦): اجتمع قوم فتذكروا أي النعم أفضل؟ فقال رجل: ما ستر الله به بعضنا عن بعض، قال: فيرون أن قول ذلك أرجح. تهذيب الحلية ٢/ ٢٨٣.

\* وقال بعض السلف: كن لنعمة الله عليك في دينك أشكر منك لنعمة الله عليك في دنياك. تهذيب الحلية ٢/ ٣١١.

\* وسئل الجنيد بن محمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٧) عن حقيقة الشكر فقال: ألا يُستعان بشيء من نعمه على معاصيه. تهذيب الحلية ٣/ ٣٨٠.

\* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧): تفكرت في بشر النصراني، وبشر اليهودي، وبشر المجوسي، ونفسي، واسمي بشر، فقلت: ما الذي سبق منك إليه حتى خَصَّكَ؟ فتفكرت في تَفْضُّلِهِ عَلَيَّ أن جعلني من خاصَّته وألبَسَنِي لباس أحبَّابه. طبقات الحنابلة (٢/ ٥٨٣).

\* وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: النَّعْمُ أَضْيَافٌ، وَقَرَاهَا<sup>(١)</sup>

(١) قرأ الضيف: أضافه وأكرمه.

الشُّكْرُ، والبُلَايا أضيافٌ، وِقْرَاهَا الصَّبْرُ، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَرَحَّلَ الْأَضْيَافُ شَاكِرَةً حُسْنَ الْقِرَى، شَاهِدَةً بِمَا تَسْمَعُ وَتَرَى. الآداب الشرعية ١٢٧/٢.

ب- حال السلف مع من أحسن إليهم من الخلق<sup>(١)</sup>:

\* قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): لو قال لي فرعون: بارك الله فيك، قلت: وفيك. الأدب المفرد (٣٨١) وصححه الألباني.

\* وقال بعضهم:

فلو كان يستغني عن الشكر سيِّدٌ  
لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عِلْوِ مَكَانٍ  
لما أمر الله الجليلُ بشكره  
فقال اشكروني أيها الثَّقَلَانِ  
\* وقال الآخر:

لأشْكُرَنَّكَ معروفًا هَمَمْتَ بِهِ  
إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ  
وَلَا أَلُوْمُكَ إِنْ لَمْ يُمِضْهُ قَدَرٌ  
فَالشَّيْءُ بِالْقَدْرِ الْمَحْتَوِمِ مَصْرُوفٌ  
عيون الأخبار ١٦٧/٣.

\* وقال بعضهم: لا تَتَّقُ بِشُكْرٍ مَنْ تُعْطِيهِ حَتَّى تَمْنَعَهُ، فَإِنَّ الصَّابِرَ هُوَ الشَّاكِرُ، وَالْجَازِعَ هُوَ الْكَافِرُ. عيون الأخبار ١٦٧/٣.

(١) ما أجمل أن يشكر المسلم غيره على محاسن أعماله، ولو لم يجن منها فائدة لنفسه، فهذا الخُلُقُ لا يتخلق به إلا النفوس الشريفة، وقد سمي الله تعالى نفسه شاكراً! فقال: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

فقد علمنا سُبْحَانَ تَعَالَى بهذا أدباً من أكمل الآداب، بما سمي إحسانه وإنعامه على العاملين شكراً لهم، مع أن علمهم لا ينفعه ولا يدفع عنه ضراً، فهل يليق بمسلم أن يرى بعض الناس يسدي إليه معروفاً ثم لا يشكره له ولا يكافئه عليه؟.

وتركنا شكر الناس وتقدير أعمالهم قدرها سواء كان عملهم النافع موجهاً إلينا أو إلى غيرنا من الخلق: هو جناية منا على الناس وعلى أنفسنا لأنَّ صانع المعروف إذا لم يلق الشكر والتشجيع أُصِيبَ بِالْإِحْبَاطِ وَالْكَسَلِ -غالبًا-، فنخسره، ونخسر أعماله التي لها نفعٌ للعباد والبلاد.  
يُنظر: تفسير المنار ٤١/٢ -٤٢.

\* ويقال: الشكر ثلاثُ منازلٍ: لِمَن فوقك بالطاعة، وَلِنظيرِكَ بالمكافأة، وَلِمَن دونك بالإفضال عليه. عيون الأخبار ٣/ ١٦٩.

\* وفد رجل على سليمان بن عبد الملك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٩) في خلافته؛ فقال له: ما أقدمك؟ قال: ما أقدمني عليك رَغْبَةً ولا رَهْبَةً قال: وكيف ذاك؟ قال: أما الرغبةُ فقد وَصَلَتْ إلينا وفاضَتْ في رحالنا وتناولها الأَقْصَى والأَدْنَى مِنَّا، وأما الرَّهْبَةُ فقد أَمِنَّا بعدلِ أمير المؤمنين علينا وحُسْنِ سيرته فينا من الظلم، فنحن وفدُ الشكر. عيون الأخبار ٣/ ١٧٠.

\* وكان يقال: أوَّلُ منازلِ الحمدِ السلامةُ من الذمِّ. عيون الأخبار ٣/ ١٧٤.

\* وقال بعض السلف: إن الرجل ليلقاني بالصحةِ الحسنة فأرى أن سَأَمُوتَ قبل أن أكافئه. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٧.

\* وقال بعض السلف: إن الرجل ليلقاني بما أحب<sup>(١)</sup>، فلو حلَّ لي أن أسجد له لفعلت، الكريم يشكر القليل. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٧.

\* وكان يقال: من لم يشكر صاحبه على النية: لم يشكره على حسن الصنعة.

ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٩.

\* وكان يقال: زكاةُ النعم: اتخاذُ الصنائع والمعروف. ابن أبي الدنيا ٤/ ١٩٨.

\* وقال الشاعر:

وما النَّاسُ في شُكْرِ الصَّنِيعَةِ عندهم      وفي كُفْرِها إِلَّا كَبْعُضِ المَزَارِعِ  
فمزرعةٌ طابت وأضعفَ نبتُها      ومزرعةٌ أكثرت على كُلِّ زارعٍ

أدب الدين (٣٣٠).

\* وقال حكيم من الحكماء: أَشْكُرُ الناسَ لله عَزَّجَلَّ أَشْكُرُهُم لعباده، ومن

(١) من طلاقة الوجه والحفاوة ونحوها.

لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، والمكافأة بالإحسان فريضة، والإفضال نافلة. المجالسة وجواهر العلم (٥٢٩).

ج- فوائد أخرى:

\* كان مطرف بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) يقول: إن من أحب عباد الله إلى الله الصبار الشكور، الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. تهذيب الحلية ٣٥٩ / ١.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر. الزهد لو كيع (٢٠١)، الزهد لهناد (٤٤٢).

\* وعن عمرو بن السكن قال: كنت عند سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨). فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا محمد أخبرني عن قول مطرف: «لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر» أهو أحب إليك؟ أم قول أخيه أبي العلاء: «اللهم رضىت لنفسي ما رضىت لي».

قال: فسكت سكتة ثم قال: قول مطرف أحب إلي، فقال الرجل: كيف وقد رضى هذا لنفسه ما رضىه الله له.

قال سفيان: إني قرأت القرآن، فوجدت صفة سليمان مع العافية التي كان فيها: (نعم العبد إنه أواب)، ووجدت صفة أيوب مع البلاء الذي كان فيه (نعم العبد إنه أواب)، فاستوت الصفتان، وهذا معافى، وهذا مبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا، كانت العافية مع الشكر أحب إلي من البلاء مع الصبر. (١) تهذيب الحلية ٣٦٧ / ١.

(١) صدق رَحِمَهُ اللهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: تَنَازَعَ النَّاسُ أَيَّمَا أَفْضَلُ: الْفَقِيرُ الصَّابِرُ أَوِ الْغَنِيُّ الشَّاكِرُ؟ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ أَفْضَلَهُمَا أَتْقَاهُمَا، فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي التَّقْوَى اسْتَوَيَا فِي الدَّرَجَةِ. مجموع الفتاوى



\* وقال أبو جعفر المنصور رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٨) لعبدالله بن الربيع الحارثي:  
 إني وإياك كمجير أم عامر، قال: يا أمير المؤمنين وما مجير أم عامر؟ قال: خرج  
 قوم يطلبون الصيد فلم يجدوا إلا الضبع، فألجئوها إلى خيمة أعرابي، فأرادوها  
 فنادى: يا آل بيت فلان، فذهبوا وتركوها، فأقبل يغذوها باللحم واللبن حتى  
 أسمنها، فخرج لحاجته وترك أخاه في جانب الخيمة مريضاً، فرجع فوجد الضبع  
 قد ذهب، ووجد أخاه مقطعا، فأنشأ يقول:

ومن يصنع المعروف في غير أهله	يلاقي الذي لاقى مجيرُ أمّ عامر
أذمّ لها حين استجارت برحله	لتأمن ألبان اللقاح الدرائر
فأسمنها حتى إذا ما تكلمت	فرّته بأنيابٍ لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من	أراد يدَ المعروف من غير شاكر

ابن أبي الدنيا ٤ / ٢٠١.



## رمواظ، وخطب، ووصايا، وحكم

### أ- رمواظ وخطب:

\* لما حضر أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٣) الْمَوْتُ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ يَسْتَخْلِفُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: تَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا فِظًا غَلِيظًا، وَلَوْ قَدْ وَلَيْنَا كَانَ أَفْظَ وَأَغْلَظَ، فَمَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا لَقِيْتَهُ وَقَدْ اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْنَا عُمَرَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أِبْرَبِّي تُخَوِّفُونَنِي، أَقُولُ: اللَّهُمَّ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ خَلْقِكَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهَا: إِنَّ «لِلَّهِ حَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ، وَإِنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ، وَإِنَّمَا ثَقُلْتَ مَوَازِينَ مَنْ ثَقُلْتَ مَوَازِينَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ وَثَقُلَهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخَفَّتُهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا، وَأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَأَنَّهُ تَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا أُبَلِّغُ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَأِ مَا عَمِلُوا، وَأَنَّهُ رَدَّ عَلَيْهِمْ صَالِحَ مَا عَمِلُوا، فَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ الْعَذَابِ، لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا، لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَنْ تَعْجِزَهُ. مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٠٥٦).

\* وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣): لا تنظروا إلى صلاة امرئ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث، وإلى ورعه إذا أشفى<sup>(١)</sup>، وإلى أمانته إذا ائتمن. ابن أبي الدنيا ١/ ٢٣٣-٢٣٤.

\* وأني بشاب قد سرق، فقال: والله ما سرقت قبلها قط: فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كذبت والله، ما كان الله لِيُسَلِّمَ عبداً عند أول ذنب. الزهد لأبي داود (٧٤).

\* وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) يقول: يا معشر أهل دمشق ألا تستحيون؟ تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون. قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، وينبون فيوثقون. فأصبح جمعهم بوراً، وأملهم غروراً، وبيوتهم قبوراً.

هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالاً وأولاداً، فمن يشتري مني تركة آل عاد بدرهمين؟ تهذيب الحلية ١٧٤/ ١.

\* وعن قسامة بن زهير قال: خطبنا أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٢) بالبصرة فقال: يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يكون الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لبحرت. الزهد لأحمد: ٣٥٥.

\* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أنه كان يقول إذا قعد: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، من زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يُدرك حريص ما لم يقدّر له، فمن أعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقى شراً فالله وقاه، والمتقون سادة، والعلماء قادة، ومجالستهم زيادة. ابن أبي الدنيا ٥/ ٥٠٦.

(١) قال ابن الأثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي: أشرف على الدنيا وأقبلت عليه.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثلاث أعجبني حتى أضحكنتني: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط رب العالمين عليه، أم راض عنه.

وثلاث أحزنني حتى أبكينني: فراق محمد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربي عَزَّوَجَلَّ، ولا أدري إلى جنة أو إلى نار. صفة الصفوة ١/ ٢٥٩.

\* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت: ٦٨) قال: خمس لهن أحسن من الدُّهم الموقفة<sup>(١)</sup>:

- ١- لا تتكلم فيما لا يعينك، فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر.
- ٢- ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعاً، فإنه رُبَّ متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فيعنت.
- ٣- ولا تمار حليماً ولا سفيهاً؛ فإنَّ الحليم يقلبك، وإن السفيه يؤذك.
- ٤- واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحبُّ أن يذكرك به، وأعفه عما تحب أن يعفيك منه.
- ٥- واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان، مأخوذ بالإجرام. ابن أبي الدنيا ٧/ ٨٨.

\* وعن يونس بن جبير قال: شيعنا جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦١) فلما بلغنا حصن المكاتب قلنا له أوصنا قال: أوصيكم بالقرآن؛ فإنه نور الليل المظلم، وهدي النهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقه، فإن عرَضَ بلاءٌ فاجعل مآلك دون نفسك، وإن جاوزك البلاء فاجعل نفسك دون دينك، فإن المَحْرُوزَ مَنْ حُرِزَ دينه، وإنَّ المسلوبَ مَنْ سلبَ دينه؛ إنه لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد

(١) بل وأحسن من خزانة أغنى رجل في العالم، فيا لها من حِكَمٍ لا يعمل بها إلا العقلاء الأتقياء.

النَّارِ، إِنَّ النَّارَ لَا يُفْكَ أَسِيرُهَا، وَلَا يَسْتَعْنِي فَقِيرُهَا. الزهد لأحمد: ٣٦٠، شعب الإيمان (١٥٢٥).

\* وخطب عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٧): فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، «فإن الدنيا قد آذنت بصرم<sup>(١)</sup>، وولت حذاء<sup>(٢)</sup>، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء<sup>(٣)</sup>، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يُلقى من شفة جهنم، فيهوي فيها سبعين عاما، لا يدرك لها قعرا، والله لتملأن.

ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام.

ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشقتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرا على مصر من الأمصار.

وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما، وعند الله صغيرا. وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت، حتى يكون آخر عاقبتها ملكا، فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا». صحيح مسلم (٢٩٦٧).

\* وعن الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٧) أنه وعظ فقال في موعظته: أيها الناس، تقووا بهذه النعم التي أصبحت فيها على الهرب من نار الله عَزَّ وَجَلَّ الموقدة التي تطلع على الأفئدة؛ فإنكم في دارٍ، الثواءُ فيها قليلٌ، وأنتم فيها تؤجلون خلائف بعد

(١) أي أعلمت بانقطاعها وذهابها وقرب زوالها وقيام الساعة.

(٢) أي مسرعة الانقطاع.

(٣) البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء.

القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعمارًا، وأمدَّ أجسامًا، وأعظم آثارًا؛ فجرّدوا الجبال، وجابوا الصخور، ونقبوا في البلاد مؤيدين ببطش شديد، وأجسام كالعماد؛ فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم، وعفت آثارهم، وأخوت منازلهم، وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم ركزًا؛ كانوا بلهو الأمل آمنين، لبيات قومٍ غافلين، ولصبح قومٍ نادمين.

فلا تكونوا أشباهًا لمن خدعه الأمل، وغره طول الأجل، فتبلغ بالأمان. فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نُذْرَه فانتهى، وعقل مسراه فمهد لنفسه. ابن أبي الدنيا ١/ ٤٧٣-٤٧٤.

\* وعن عبيد بن عمير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٧) قال: كان لرجل ثلاثة أخلاء بعضهم أخص له من بعض، فنزلت به نازلة فلقي أخص الثلاثة به فقال: يا فلان إنه نزل بي كذا وكذا وإني أحب أن تعينني، قال: ما أنا بالذي أفعل. فانطلق إلى الذي يليه في الخاصة فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا وأنا أحب أن تعينني، قال: فانطلق معك حتى تبلغ المكان الذي تريد، فإذا بلغت رجعت وتركتك.

قال: فانطلق إلى أخص الثلاثة. فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا فأنا أحب أن تعينني قال: أنا أذهب معك حيث ذهبت، وأدخل معك حيث دخلت. قال: فالأول ماله خلفه في أهل ولم يتبعه منه شيء، والثاني أهله وعشيرته ذهبوا معه إلى قبره ثم رجعوا وتركوه، والثالث هو عمله وهو معه حيث ما ذهب ويدخل معه حيث ما دخل. تهذيب الحلية ٨/ ٢.

\* وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٠): يا أهل التُّقى! إنَّكم لَم تَخْلُقُوا

للفناء، وإنما تُنقلون من دارٍ إلى دارٍ، كما نُقلتم من الأَصْلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى القبور، ومن القبور إلى الموقف، ومن الموقف إلى الخُلُود في جنة أو نار. تهذيب السَّير ٢ / ٥٨٤.

\* وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: عبادَ الرحمن! هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم تقبل منكم، أو شيئاً من خطاياكم غفر لكم؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستقلتم كلكم ما افترض عليكم، أفرغبون في طاعة الله بتعجيل دنيا تفنى عن قريب، ولا ترغبون ولا تنافسون في جنة ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]. تهذيب الحلية ٢ / ١٩٢.

\* وقال وهب بن منبه رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١١٤): من يرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يجهل يُغلب، ومن يعجل يخطئ، ومن يحرص على الشر لا يسلم، ومن لا يدع المرء يُشتم، ومن لا يكره الشتم يأثم، ومن يكره الشر يُعصم، ومن يتبع وصية الله يحفظ، ومن يحذر الله يأمن، ومن يتولى الله يُمنع، ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن لا يكن مع الله يخذل، ومن يستعين بالله يظفر. ابن أبي الدنيا ٢ / ٤٧ - ٤٧٨.

\* وقال الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١١٠): رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من كثرة الناس، ابن آدم إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، ابن آدم وأنت المعني وإياك يراد. تهذيب الحلية ١ / ٣٣٩.

\* وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: (من علامات المسلم: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحلم في علم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتجميل في

فاقة، وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف في جهد، وصبر في شدة، لا ترده رغبته، ولا يبدره لسانه، ولا يغلبه فرجه، ولا يُمِيلُهُ هواه، ولا يفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته). ابن أبي الدنيا ١/ ٣٦.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: هلك الناس في حرفين: اشتغال بنافلة وتضييع فريضة، وعمل بالجوارح بلا مواطاة القلب عليه، وإنما منعوا الوصول بتضييع الأصول. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٩.

\* وقال سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨٣): لَا يَعْرِفُ الرَّيَاءَ إِلَّا مُخْلِصٌ، وَلَا يَعْرِفُ النِّفَاقَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْجَهْلَ إِلَّا عَالِمٌ، وَلَا يَعْرِفُ الْمَعْصِيَةَ إِلَّا مُطِيعٌ. شعب الإيمان (٦٤٨٠).

\* وقال السري السقطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥١): لو أشفقت هذه النفوس على أديانها شفقتها على أولادها، لاقت السرور في معادها. صفة الصفوة ٢/ ٦٣٢.

\* وما أصدق قول أبي العتاهية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٣):

مفسدةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ	إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجِدَّةَ
مَا أَكْثَرَ الْقُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ	حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوتُ
إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ	هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمْنِي أَوْ فَذَرُ

تهذيب السَّيَر ٢/ ٨٦٦.

\* وعن ميمون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧) قال: يا ابن آدم خفف عن ظهرك، فإن ظهرك لا يطيق كل الذي تحمل عليه من ظلم هذا، وأكل مال هذا، وشتم هذا، وكل هذا تحمله عل ظهرك فخفف عن ظهرك. تهذيب الحلية ٥٦/ ٢.

\* وكان من كلام إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠): أنه يقول: أي حسرة أكبر على امرئ من أن يرى عبداً كان له، خوله الله إياه في الدنيا، هو أفضل منزلة



منه عند الله يوم القيامة؟ وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يصيب مالا فيرثه غيره، فيعمل فيه بطاعة الله تعالى، فيصير وزره عليه وأجره لغيره؟ وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يرى من كان مكفوف البصر ففتح له عن بصره يوم القيامة وعمي هو؟ تهذيب الحلية ٢/ ٨٩.

\* وقال ثابتٌ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): أيُّ عبد أعظم حالًا من عبد يأتيه ملك الموت وحده، ويدخل قبره وحده، ويوقف بين يدي الله وحده، ومع ذلك ذنوب كثيرة ونعم من الله كثيرة. تهذيب الحلية ١/ ٤٠٥.

\* وقال بعض السلف: إنَّ لله عبادًا أخصوا له البطون عن مطاعم الحرام، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام، رجاء أن ينير ذلك لهم قلوبهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا مكتئبون، وإلى الآخرة متطلعون، نفدت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت، فرأت فيه ما رجت من عظم ثواب الله، فازدادوا والله بذلك جدا واجتهادا عند معاناة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم، فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا، وهم الذين تفر أعينهم غدا بطلعة ملك الموت عليهم، قال: ثم بكى حتى بل لحيته بالدموع. تهذيب الحلية ٢/ ٣٤٤.

\* وعن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨) قال: كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة، لم يزد على الكثير منها إلا شرًا. تهذيب الحلية ٢/ ٤٣٠.

\* وعنه رَحِمَهُ اللهُ قال: كان يقال: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه، فعلمه غيره فانتفع به. تهذيب الحلية ٢/ ٤٣٦.

\* واستعمل عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٠١) ميمون بن مهران على الجزيرة على قضائها وعلى خراجها، فكتب إليه ميمون يستعفيه، وقال: كلفتني ما لا أطيق، أقضي بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق، فكتب عمر إليه: اجب من الخراج الطيب، واقض ما استبان لك، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إليَّ فإن الناس لو كانوا إذا كبر عليهم أمر تركوه، ما قام دين ولا دنيا. تهذيب الحلية ٢/٥٥.

\* وحج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ، فخرج سليمان إلى الطائف فأصابه رعد وبرق ففزع سليمان فقال لعمر: ألا ترى ما هذا يا أبا حفص؟ قال: هذا عند نزول رحمته، فكيف لو كان عند نزول نعمته!! تهذيب الحلية ٢/٢١٩.

\* وكتب إلى يزيد بن عبد الملك: إياك أن تدركك الصرعة عند الغرة، فلا تقال العثرة، ولا تمكن من الرجعة، ولا يحمدك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به، والسلام. الزهد الكبير للبيهقي (٥٠٧).

\* ودخل سابق البربري رَحْمَةُ اللَّهِ (ت: ١٤١) على عمر بن عبد العزيز، فقال له: عظمي يا سابق وأوجز، قال: نعم يا أمير المؤمنين وأبلغ إن شاء الله، قال: هات فأنشده:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى      ووافيت بعد الموت من قد تزودا  
ندمت على أن لا تكون شركته      وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا  
فبكى عمر. تهذيب الحلية ٢/٢٢٩.

\* وقال بعضهم: البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٩.

ما شئت كان وإن لم أشأ      وما شئت إن لم تشأ لم يكن  
خلقت العباد على ما علمت      ففي العلم بجري الفتى والمسئ  
فمنهم شقي ومنهم سعيد      ومنهم قبيح ومنهم حسن

على ذا مننتَ وهذا خذلتَ وهذا أعنتَ وذالم تعنُ

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): لا تبدل وجهك إلى من يهون عليه ردك. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: أرفع الناس قدرًا: من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله. طبقات الشافعيين (١/ ٦٥).

\* وقال بعضهم:

وإني لأعفو عن ذنوب كثيرة وفي دونها قطع الحبيب المواصل  
وأعرض عن ذي الذنب حتى كأني جهلتُ الذي يأتي ولستُ بجاهل  
الآداب الشرعية ١/ ٢٢١.

\* وعن مكحول رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٢) قال: كنا أجنَّةً في بطون أمهاتنا فسَقَطَ من سَقَطَ وكنا فيمن بَقِيَ، ثم كنا مَرَّاضِعَ فَهَلَكَ منا من هلك وبَقِيَ من بقي، وكنا أيفاعًا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شَبَّانًا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخًا، فما ننتظر وما نريد! وهل بَقِيَتْ حالةٌ ننتقل إليها. عيون الأخبار ٧٣٠ / ٢.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): تريد الجنة مع النبين والصديقين، وتريد أن تقف الموقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام؟ بأي عمل وأي شهوة تركتها لله عَزَّجَلَّ، وأي قريب باعدته في الله، وأي بعيد قربته في الله. تهذيب الحلية ١٠ / ٣.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون، قال له الفضيل: تعلم ما تقول؟ قال الرجل: فسر له لنا يا أبا علي، قال: قولك إنا لله، تقول: أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع، فليعلم

بأنه موقوف، ومن علم بأنه موقوف، فليعلم بأنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول، فليعد للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: [يسيرة]<sup>(١)</sup> قال: ماهي؟ قال: تحسن فيما بقي، يغفر لك ما مضى وما بقي، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي. تهذيب الحلية ٢٨ / ٣.

\* وقال أبو علي بن سُكْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ أَبُو الْمُعَالِي الْجِيلِي الْقَاضِي (ت: ٤٩٤) شيخ الوعّاظ ومعلّمهم الوعظ بتصانيفه وتدريبه.<sup>(٢)</sup> طبقات الشافعيين (٦٧ / ٢).

\* وجاء رجلٌ إلى سحنون بن سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤٠)، فسأله عن مسألتين أو ثلاثة، ثم قال: ما اليوم، وما غد، وما بعد غد؟.

فقال له سحنون مجيبًا: اليوم عمل، وغداً حساب، وما بعد غد جزاء.<sup>(٣)</sup> ترتيب المدارك (١٠٦ / ٢).

\* وقال عبد الملك بن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٢): ما أشقى من لم تسعه رحمة الله التي وسعت كل شيء، وضائق عليه الجنة التي عرضها السموات والأرض. ترتيب المدارك (١٣٠ / ٢).

\* وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يُقَالُ: إِنَّ سَبَبَ وَضْعِ الْمَلِكِ نَوْرَ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْمَكُوسَ عَنِ النَّاسِ أَنَّ الْوَاعِظَ أَبَا عَثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٠٠) الْمُتَتَجَبِّ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيِّ - وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْكِبَارِ - أَنْشَدَ نَوْرَ الدِّينِ:

(١) في الأصل: تستره. ولعله تصحيف.

(٢) كان الوعظ علمًا يتعلّم، وله شيوخ ومدرّبون، وقد كانوا في الزمن السابق أكثر منهم اليوم.

(٣) فمن عمل صالحًا اليوم خفّ عليه الحساب غداً، ونال أحسن الجزاء بعد غد، ومن ضيّع العمل اليوم عسر عليه الحساب غداً، ودخل دار العذاب بعد غد، فهي أيام ثلاثة، ينبغي للعاقل أن يعدّ العدة لها.

مَثَلٌ وَقَوْفَكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ      يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ  
 إِنَّ قِيلَ نَوْرُ الدِّينِ رُحْتَ مُسَلِّمًا      فَاحْذَرُ بِأَنْ تَبْقَى وَمَا لَكَ نَوْرُ  
 أَنْهَيْتَ عَنْ شَرْبِ الْخُمُورِ وَأَنْتَ مِنْ      كَأْسِ الْمَظَالِمِ طَافِحُ مَخْمُورُ  
 عَطَلْتَ كَاسَاتِ الْمُدَامِ تَعَفُّفًا      وَعَلَيْكَ كَاسَاتُ الْحَرَامِ تَدُورُ  
 مَاذَا تَقُولُ إِذَا نَقَلْتَ إِلَى الْبَلَى      فَرْدًا وَجَاءَكَ مِنْكَرٌ وَنَكِيرُ  
 وَتَعَلَّقْتَ فِيكَ الْخُصُومِ وَأَنْتَ فِي      يَوْمِ الْحِسَابِ مُسَحَّبٌ مَجْرُورُ  
 وَتَفَرَّقْتَ عَنْكَ الْجَنُودُ وَأَنْتَ فِي      ضَيْقِ اللَّحُودِ مُوسَّدٌ مُقْبُورُ  
 وَوَدِدْتَ أَنْكَ مَا وَلَيْتَ وَلَايَةً      يَوْمًا وَلَا قَالَ الْأَنَامُ أَمِيرُ  
 وَبَقِيتَ بَعْدَ الْعِزِّ رَهْنٌ حُفَيْرَةٍ      فِي عَالَمِ الْمَوْتَى وَأَنْتَ حَقِيرُ  
 وَخُشِرْتَ عُرْيَانًا حَزِينًا بَاكِيًا      قَلَقًا وَمَا لَكَ فِي الْأَنَامِ مُجِيرُ  
 أَرْضَيْتَ أَنْ تَحْيَا وَقَلْبُكَ دَارِسٌ      عَافِي الْخَرَابِ وَجِسْمُكَ الْمَعْمُورُ  
 أَرْضَيْتَ أَنْ يَحْطَى سَوَاكَ بِقُرْبِهِ      أَبَدًا وَأَنْتَ مَبْعَدٌ مَهْجُورُ  
 مَهْدٌ لِنَفْسِكَ حُجَّةٌ تَنْجُو بِهَا      يَوْمَ الْمَعَادِ لَعَلَّكَ الْمَعْذُورُ  
 فَلَمَّا سَمِعَهَا الْمَلِكُ نَوْرُ الدِّينِ بَكَى، وَأَمَرَ بِوَضْعِ الْمَكُوسَاتِ وَالضَّرَائِبِ فِي  
 سَائِرِ بِلَادِهِ. البداية والنهاية ١٢ / ٣٦٤.

\* وكان ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٥١٣) بارعًا في الفقه وأصوله، وله في ذلك استنباطات عظيمة حسنة، وتحريرات كثيرة مستحسنة، وكانت له يد طويلة في الوعظ، والمعارف، وكلامه في ذلك حسن، وأكثره مستنبط من النصوص الشرعية، فيستنبط من أحكام الشرع وفضائله معارف جليلة وإشارات دقيقة.

ومن معاني كلامه يستمد أبو الفرج ابن الجوزي في الوعظ.

فمن ذلك ما قاله في الفنون: لقد عظم الله سبحانه الحيوان، لا سيما ابن آدم،

حيث أباحه الشرك عند الإكراه، وخوف الضرر على نفسه، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

من قدّم حُرمة نفسك على حُرمته، حتى أباحك أن تتوقى وتتحمى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه، لتحقيق أن تُعظم شعائره، وتوقّر أوامره وزواجره. وعصم عرضك بإيجاب الحد بقذفك، وعصم مالك بقطع مسلم في سرقة، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك، وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سدا لرمقك، وحفظاً لصحتك، وزجرك عن مضارك بحدٍّ عاجل، ووعيد آجل، وخرق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك، أيحسن بك - مع هذا الإكرام - أن ترى على ما نهاك منهمكاً، وعمّا أمرك متنبكاً، وعن داعيه معرضاً، ولسته هاجراً، ولداعي عدوك فيه مطيعاً؟ يعظملك<sup>(١)</sup> وهو هو، وتهمل أمره وأنت أنت.

هو حطّ رُتب عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدّها لك.

هل عاديّة خادمًا طالت خدمته لك لترك صلاة؟.

هل نفية من دارك للإخلال بفرض، أو لارتكاب نهي؟.

لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوان أن يرى إلا عابداً لله في دار التكليف، أو مجاوراً لله في دار الجزاء والتشريف، وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير مواضعها.

ومن كلامه الحسن: أنه وعظ يوماً فقال: يا من يجد في قلبه قسوة، احذر أن تكون نقضت عهداً؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]. ذيل الطبقات (١/ ٣٢٤-٣٥٤).

(١) لو قال: «يُكرمك» لكان أليق.

ب- وصايا، وتوجيهات، وحكم:

\* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٠): كن من خمسة على حذر؛ من لئيم إذا أكرمه، وكريم إذا أهنته، وعافل إذا أخرجته، وأحمق إذا مازحته، وفاجر إذا مازجته. الآداب الشرعية ١/ ٢٣٥.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كونوا في الناس كالنحلة في الطير، إنه ليس من الطير شيء إلا وهو يستضعفها، ولو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة، لم يفعلوا ذلك بها. خالطوا الناس بألستكم وأجسادكم، وزايلوهم<sup>(١)</sup> بأعمالكم وقلوبكم؛ فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب. مسند الدارمي (٣٢٠).

\* وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): من تناول تعظيمًا خفضه الله عزَّجَلَّ، ومن تواضع لله تخشعًا رفعه الله عزَّجَلَّ، وإن للملك لمة وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، إذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عزَّجَلَّ، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعودوا بالله عزَّجَلَّ. الزهد لأحمد: ٢٩٠.

\* وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مع كل فرحة ترحه. الزهد لوكيع (٥١٦).

\* وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع، فقال: اعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَزُلْ مَعَ الْقُرْآنِ حَيْثُ زَالَ، وَمَنْ جَاءَكَ بِالْحَقِّ فَأَقْبَلْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا قَصِّيًا، وَمَنْ جَاءَكَ بِالْبَاطِلِ فَارْذُدْهُ، وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا حَبِيبًا. مسند ابن الجعد (٢٢٣٤).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه: يا بني ليسعك بيتك، واملك عليك لسانك، وابك من ذكر خطيئتك. الزهد لأحمد: ٢٨٩.

(١) أي: فارقوهم.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأدّ ما افترض الله عليك تكن أعبد الناس، واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أَوْرع الناس. الزهد لأبي داود (١٣٩).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تعودوا الخير، فإنما الخير بالعادة. الزهد لوكيع (٣٥).

\* وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: لولا ثلاث صلح الناس: شحّ مطاع، وهوى متَّبِع، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه. الزهد لأحمد: ٢٥٨.

\* وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): كيف أنتم بثلاث؟ بزلة عالم، وجدال المنافق بالقرآن، ودنيا تقطع أعناقكم؟.

فأما زلة العالم: فإن اهتدى فلا تقلّدوه دينكم، وإن افْتَنّ فلا تقطعوا عنه أناتكم.<sup>(١)</sup>

وجدال المنافق بالقرآن، والقرآن حقٌّ عليه منارُ كمنار الطريق، لا يكاد يخفى على أحد، فما عرفتم فخذوه، وما أنكرتم فكلّوا علمه إلى عالمه.

وأما الدنيا، فمن جعل الله له الغنى في قلبه نفعته الدنيا، ومن لم يجعل الله غناه في قلبه لم تنفعه الدنيا.<sup>(٢)</sup> الزهد لوكيع (٧١)، الزهد لأبي داود (١٧٧)، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين ١/ ٥٦٧.

\* وعن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٧) قال: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسه، والإنفاق من الإقتار، وبذل السلام للعالم.<sup>(٣)</sup> الزهد

(١) أي: رفقكم وحلمكم، بنصحه وتذكيره واللين في التعامل معه.

(٢) فمن رزقه الله القناعة وجعل غناه في قلبه: كان كلّ ما جاءه من الدنيا خيرا ونفعاً له في دينه ودنياه، وأحسن تصوّره فيها، ومن حُرّم القناعة والغنى في قلبه: كان كلّ ما جاءه من الدنيا شراً له وضرراً عليه في دينه ودنياه، وأساء تصوّره فيها، ولم يشبع من الدنيا ولو ملكها كلّها.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما كان من جمع الثلاث مستكملاً للإيمان؛ لأن مداره عليها؛ لأن العبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقاً واجباً عليه إلا أداه، ولم يترك شيئاً مما نهاه =



لو كيع (٢٤١)، البخاري معلقاً بصيغة الجزم في باب: إفشاء السلام من الإسلام.  
 \* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: خذ الحكمة ممن سمعت؛ فإن الرجل ليتكلم بالحكمة، وليس بحكيم، فتكون كالرّمية خرجت من غير رام.  
 صفة الصفوة ١ / ٣٧٣.

\* وقال غنيم بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٥): كنا نتواعظ في أول الإسلام بأربعة:  
 اعمل في فراغك لشغلك، واعمِل في صحتك لسقمك، واعمِل في شبابك لكبرك،  
 واعمِل في حياتك لموتك. الزهد لأحمد: ٤٢٢.

\* وقال بعض السلف: ثمانية من الناس إن أُهينُوا فاللَّومُ عليهم:

- ١- من أتى مائدة قوم ولم يدع إليها.
- ٢- والمُتأمر على رب البيت في بيته.
- ٣- والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخله.
- ٤- والمُستخف بالسلطان.
- ٥- والجالس مجلساً ليس له بأهل.
- ٦- والمقبل بحديثه على من لا يُسمع منه.
- ٧- وراجي العرف من اللئام.

---

= عنه إلا اجتنبه، وهذا يجمع أركان الإيمان.  
 وبذل السلام: يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع وعدم الاحتقار، ويحصل به التألف والتحاب.

والإنفاق من الإقتار: يتضمن غاية الكرم؛ لأنه إذا أنفق مع الاحتياج كان مع التوسع أكثر إنفاقاً،  
 والنفقة أعم من أن تكون على العيال واجبة ومندوبة، أو على الضيف والزائر، وكونه من الإقتار  
 يستلزم الوثوق بالله والزهد في الدنيا وقصر الأمل، وغير ذلك من مهمات الآخرة.  
 وهذا التقرير يقوّي أن يكون الحديث مرفوعاً؛ لأنه يُشبه أن يكون كلام من أوتي جوامع الكلم.  
 فتح الباري (١ / ٨٣)

٨- والمُنَزَّلُ حاجته بعدوّه.

المجالسة وجواهر العلم (١٨٥)، المنتظم ٩٤ / ٦.

\* وقال بعضهم:

فَلَا تَعْجَلْ عَلَى أَحَدٍ بِظَلَمٍ	فَإِنَّ الظَّلَمَ مَرْتَعُهُ وَخِيمٌ
وَلَا تَفْحَشْ وَإِنْ مُلِّتَ غَيْظًا	عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّ الْفُحْشَ لُوْمٌ
وَلَا تَقْطَعْ أَحَاْلَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ	فَإِنَّ الذَّنْبَ يَغْفِرُهُ الْكَرِيمُ
وَلَكِنْ ذَاوِ عَوْرَتَهُ بَرَقِع	كَمَا قَدْ يُرْقِعُ الْخَلْقُ الْقَدِيمُ
وَلَا تَجْزَعْ لِرَيْبِ الدَّهْرِ وَاصْبِرْ	فَإِنَّ الصَّبْرَ فِي الْعُقْبَى سَلِيمٌ
فَمَا جَزَعُ بِمُغْنٍ عَنْكَ شَيْئًا	وَلَا مَا فَاتَ تُرْجِعُهُ الْهُمُومُ

المحاضرات والمحاورات للسيوطي (٢١٩).

\* وقال الشاعر:

رَأَيْتُكَ مِثْلَ الْجَوْزِ يَمْنَعُ لَبَّهُ	صَاحِبًا وَيُعْطِي خَيْرُهُ حِينَ يُكْسَرُ
--	--

\* وقال الآخر:

الْمَرْءُ لَا يُعْرِفُ مِقْدَارَهُ	مَا لَمْ تَبْنِ لِلنَّاسِ أَفْعَالَهُ
------------------------------------	---------------------------------------

أدب الدين (٣٢١، ٣٢٣).

\* وقال أبو العباس ثعلب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩١): من أمثال العرب: لم يذهب

من مالك ما وعظك. الكامل في اللغة / ١٨٤.

\* وعن أبي حازم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠) قال: انظر الذي تحب أن يكون معك

في الآخرة فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثم فاتركه اليوم. تهذيب

الحلية ١ / ٥٢٥.

\* وعنه رَحِمَهُ اللهُ قال: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى

مت. تهذيب الحلية ١ / ٥٢٥.

\* وقالت الحكماء: من لم يرغب بثلاث بلي بست:

١- من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والخذلان.

٢- ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان.

٣- ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران.

أدب الدين (٢٦٦).

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: إن الرجل ليدخل المدخل،

ويجلس المجلس، أو يأكل الأكلة فيتغير قلبه، فيياكم والدخول على أهل البسطة؛

فإن الدخول عليهم يغير قلب الرجل فيتسخط ما في يديه. الزهد لأحمد: ٤٧٥.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: حُسْنُ السُّؤَالِ نَصْفُ الْعِلْمِ، ومُداراةُ النَّاسِ نَصْفُ

العقل، والقصدُ في المعيشة نصفُ المؤونة. عيون الأخبار ٣/ ٢٨.

\* وقال عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠): إذا رأيتُم خلة شر من رجل

فاحذروه، وإن كان عند الناس رجل صدق، فإن لها عنده أخوات، وإذا رأيتُم خلة

خير من رجل فلا تقطعوا عنه إياسكم، وإن كان عند الناس رجل سوء، فإن لها

عنده أخوات. تهذيب الحلية ١/ ٣٥٠.

\* وعن عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) قال: الخير من الله كثير، ولكن لا

يبصره من الناس إلا يسير، وهو للناس من الله معروض، ولكن لا يبصره من لا

ينظر إليه، ولا يجده من لا يبتغيه، ولا يستوجه من لا يعلم به، ألم تروا إلى كثرة

نجوم السماء فإنه لا يهتدي بها إلا العلماء. تهذيب الحلية ٩٦/ ٢.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): كان الأبرار يتواصون بثلاث؛

بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة. تهذيب الحلية ٤٢٧/ ١.

\* وقال الشاعر:

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ      سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ  
المجالسة وجواهر العلم (٥٢٢).

\* وكتب سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٦١) إلى رجل:

يا أخي، لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ما يتقلبون فيه من النعمة، فَإِنَّ  
أمامهم يوماً تَزَلُّ فيه الأقدام، وترعد فيه الأجسام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه  
القيام، ويشتد فيه الحساب، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر، فيالها من  
ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات..

ولا تتهاون بالذنوب الصغير، ولكن انظر مَنْ عصيت؟ عصيت ربًّا عظيمًا.  
وإنَّ أكيس الكيس مَنْ يدخل الجنة بذنبٍ عمله فنَصَبَه بين عينيه، ثم لم يزل  
حَذِرًا على نفسه من تلك الخطيئة، حتى فارق الدنيا ودخل الجنة، وإنَّ أحمق  
الحمق من دخل النار بحسنةٍ واحدة نصبها بين عينيه، ولم يزل يذكرها ويرجو  
ثوابها ويتهاون بالذنوب حتى فارق الدنيا ودخل النار.

فكن يا أخي كَيِّسًا حَذِرًا على ما زل منك ومضى، لا تدري ماذا يَفْعَل بك  
ربك فيه، وما بقي من عمرك لا تدري ماذا يحدث لك فيه، فَإِنَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ  
خليل الرحمن حذر على نفسه فسأل ربه فقال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا أَنْصَنَامَ﴾ [٢٥]  
[إبراهيم: ٣٥] وقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [١٠١] [يوسف: ١٠١]  
وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [١٧] [القصص: ١٧]  
وقال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ١٩]،  
فهؤلاء أنبياءه خافوا على أنفسهم، وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه  
ويده. تهذيب الحلية ٢/٣٨١.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: عَلَيْكَ بِالصَّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، وَإِيَّاكَ وَالْكَذِبَ وَالْخِيَانَةَ وَمُجَالَسَةَ أَصْحَابِهَا، فَإِنَّهَا وَزْرٌ كُلُّهُ، وَإِيَّاكَ يَا أَخِي وَالرِّيَاءَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَإِنَّهُ شَرُّكَ بِعَيْنِهِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُجْبَ، فَإِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا يَرْفَعُ وَفِيهِ عُجْبٌ، وَلَا تَأْخُذَنَّ دِينَكَ إِلَّا مِمَّنْ هُوَ مُشْفِقٌ عَلَى دِينِهِ، فَإِنَّ مَثَلَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُشْفِقٍ عَلَى دِينِهِ كَمَثَلِ طَبِيبٍ بِهِ دَاءٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَالِجَ دَاءَ نَفْسِهِ وَيَنْصَحَ لِنَفْسِهِ، كَيْفَ يُعَالِجُ دَاءَ النَّاسِ وَيَنْصَحُ لَهُمْ؟ فَهَذَا الَّذِي لَا يُشْفِقُ عَلَى دِينِهِ كَيْفَ يُشْفِقُ عَلَى دِينِكَ؟

وَيَا أَخِي، إِنَّمَا دِينُكَ لَحْمُكَ وَدَمُّكَ، ابْنُكَ عَلَى نَفْسِكَ وَارْحَمَهَا، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْحَمْهَا لَمْ تَرْحَمْ.

وَلْيَكُنْ جَلِيسَكَ مَنْ يُزَهِّدُكَ فِي الدُّنْيَا، وَيُرْغِبُكَ فِي الْآخِرَةِ، وَإِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي حَدِيثِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُمْ يُفْسِدُونَ عَلَيْكَ دِينَكَ وَقَلْبَكَ، وَأَكْثَرَ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَأَكْثَرَ الْإِسْتِغْفَارِ مِمَّا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَسَلِّ اللهُ السَّلَامَةَ لِمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ.

ثُمَّ عَلَيْكَ يَا أَخِي بِأَدَبٍ حَسَنٍ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ، وَلَا تُخَالَفَنَّ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا إِلَّا مَنْ هُوَ مُكَبِّ عَلَى الدُّنْيَا، كَالَّذِي يَعْمُرُ بَيْتًا، وَيُخَرِّبُ آخَرَ.

وَانْصَحْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ إِذَا سَأَلَكَ فِي أَمْرِ دِينِهِ، وَلَا تَكْتُمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّصِيحَةِ شَيْئًا إِذَا شَاوَرَكَ فِيمَا كَانَ لِلَّهِ فِيهِ رِضَى، وَإِيَّاكَ أَنْ تَخُونَ مُؤْمِنًا، فَمَنْ خَانَ مُؤْمِنًا فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

وَإِذَا أَحْبَبْتَ أَخَاكَ فِي اللَّهِ فَابْذُلْ لَهُ نَفْسَكَ وَمَالَكَ.

وَإِيَّاكَ وَالْخُصُومَاتِ وَالْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّكَ تَصِيرُ ظَلُومًا خَوَآنًا أَثِيمًا.

وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَإِنَّ الصَّبْرَ يَجْرُ إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَجْرُ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَأَيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالْغَضَبَ، فَإِنَّهُمَا يَجْرَانِ إِلَى الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَجْرُ إِلَى النَّارِ.  
وَلَا تُمَارِينَ عَالِمًا فَيَمَقَّتَكَ، وَإِنَّ الْاِخْتِلَافَ إِلَى الْعُلَمَاءِ رَحْمَةٌ، وَالْاِنْقِطَاعَ  
عَنْهُمْ سَخَطُ الرَّحْمَنِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ خَزَانُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَصْحَابُ مَوَارِيثِهِمْ.  
وَعَلَيْكَ بِالزُّهْدِ يُبْصِرَكَ اللَّهُ عَوْرَاتِ الدُّنْيَا، وَعَلَيْكَ بِالْوَرَعِ يُخَفِّفِ اللَّهُ حِسَابَكَ،  
وَدَعْ كَثِيرًا مِمَّا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ تَكُنْ سَلِيمًا، وَادْفَعْ الشَّكَّ بِالْيَقِينِ يَسْلَمْ لَكَ  
دِينُكَ.

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ تَكُنْ حَبِيبَ اللَّهِ.  
وَابْغِضِ الْفَاسِقِينَ تَطْرُدْ بِهِ الشَّيَاطِينَ.  
وَأَقِلَّ الْفَرَحَ وَالضَّحِكَ بِمَا تُصِيبُ مِنَ الدُّنْيَا تَزِدْ قُوَّةً عِنْدَ اللَّهِ.  
وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ يَكْفِكَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاكَ.

وَأَحْسِنْ سِرِّرَتَكَ يُحْسِنِ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ  
الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَلَا تَكُنْ غَافِلًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُغْفَلُ عَنْكَ، وَإِنَّ لِلَّهِ عَلَيْكَ حُقُوقًا  
وَشُرُوطًا كَثِيرَةً، وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُؤَدِّيَهَا، وَلَا تَكُونَ غَافِلًا عَنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُغْفَلُ  
عَنْكَ، وَأَنْتَ مُحَاسَبٌ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَعَلَيْكَ بِالتَّوَدُّةِ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مُوَافِقًا لِأَمْرِ آخِرَتِكَ  
فَخُذْهُ، وَإِلَّا فَفِغْ عَنْهُ حَتَّى يُنْظَرَ إِلَى مَنْ أَخَذَهُ كَيْفَ عَمَلُهُ فِيهَا، وَكَيْفَ نَجَا مِنْهَا،  
وَاسْأَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ فَسَمِّرْ إِلَيْهَا، وَأَسْرِعْ مِنْ قَبْلِ  
أَنْ يَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَكَ الشَّيْطَانُ.

وَلَا تَكُونَ أَكُولًا لَا تَعْمَلُ بِقَدْرِ مَا تَأْكُلُ، فَإِنَّهُ يُكْرَهُ ذَلِكَ، وَلَا تَأْكُلْ بِغَيْرِ نِيَّةٍ،  
وَلَا بِغَيْرِ شَهْوَةٍ، وَلَا تَحْشُونَ بَطْنَكَ فَتَقَعَ حَيْفَةً لَا تَذْكُرُ اللَّهَ.

وَأَيَّاكَ وَالطَّمَعَ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَإِنَّ الطَّمَعَ هَلَكَ الدِّينَ، وَأَيَّاكَ وَالرَّغْبَةَ،

فَإِنَّ الرَّغْبَةَ تُقَسِّي الْقَلْبَ، وَإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْحِرْصَ مِمَّا يَفْضَحُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَكُنْ طَاهِرَ الْقَلْبِ، نَقِيَّ الْجَسَدِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، نَقِيَّ الْيَدَيْنِ مِنَ الْمَظَالِمِ، سَلِيمَ الْقَلْبِ مِنَ الْغَشِّ وَالْمَكْرِ وَالْخِيَانَةِ، خَالِي الْبُطْنِ مِنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ.

كُفَّ بَصْرَكَ عَنِ النَّاسِ، وَلَا تَمْشِينَ بِغَيْرِ حَاجَةٍ، وَلَا تَكَلِّمَنَّ بِغَيْرِ حُكْمٍ، وَلَا تَبْطِشْ بِيَدِكَ إِلَى مَا لَيْسَ لَكَ، وَكُنْ خَائِفًا حَزِينًا لِمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ، لَا تَدْرِي مَا يَحْدُثُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَلِيَّ نَفْسُكَ مِنَ الْأَمَانَةِ شَيْئًا، وَكَيْفَ تَلِيهَا وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ ظُلُومًا جَهُولًا؟ أَبُوكَ آدَمُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا وَلَمْ يَسْتَكْمِلْ يَوْمَ حَمْلِهَا حَتَّى وَقَعَ فِي الْخَطِيئَةِ.

أَقِلَّ الْعَثْرَةَ، وَأَقْبِلِ الْمَعْذِرَةَ، وَاعْفِرِ الذَّنْبَ، كُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، لَا تَبْغُضْ أَحَدًا مِمَّنْ يُطِيعُ اللَّهَ، كُنْ رَحِيمًا لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَلَا تَقْطَعْ رَحِمَكَ، وَصِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَصِلْ رَحِمَكَ وَإِنْ قَطَعَكَ، وَتَجَاوَزْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ تَكُنْ رَفِيقَ الْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ.

وَأَقِلَّ دُخُولَ السُّوقِ، فَإِنَّهُمْ ذَنَابٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ، وَفِيهَا مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَإِذَا دَخَلْتَهَا فَقَدْ لَزِمَكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِنَّكَ لَا تَرَى فِيهَا إِلَّا مُنْكَرًا، فَقُمْ عَلَى طَرَفِهَا فَقُلْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي، وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ يُكْتَبُ لِقَائِهَا بِكُلِّ مَنْ فِي السُّوقِ - عَجَمِيٍّ أَوْ فَصِيحٍ - عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَلَا تَجْلِسَ فِيهَا، وَاقْضِ حَاجَتَكَ وَأَنْتَ قَائِمٌ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ.

وَإِيَّاكَ أَنْ يَفَارِقَكَ الدَّرْهَمُ، فَإِنَّهُ أَتَمُّ لِعَقْلِكَ، وَلَا تَمْنَعَنَّ نَفْسَكَ مِنَ الْحَلَاوَةِ،  
فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْحِلْمِ، وَعَلَيْكَ بِاللَّحْمِ وَلَا تَدُمَّ عَلَيْهِ، وَلَا تَدْعُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنَّهُ  
يُسِيءُ خُلُقَكَ، وَلَا تَرُدَّ الطَّيِّبَ، فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الدَّمَاعِ، وَعَلَيْكَ بِالْعَدَسِ، فَإِنَّهُ يُفْرِزُ  
الدُّمُوعَ، وَيُرِقُّ الْقَلْبَ.

وَعَلَيْكَ بِاللَّبَاسِ الْخَشَنِ تَجِدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَعَلَيْكَ بِقِلَّةِ الْأَكْلِ تَمْلِكُ سَهَرَ  
الَّيْلِ، وَعَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ يَسُدُّ عَنْكَ بَابَ الْفُجُورِ، وَيَفْتَحُ عَلَيْكَ بَابَ الْعِبَادَةِ،  
وَعَلَيْكَ بِقِلَّةِ الْكَلَامِ يَلِينُ قَلْبُكَ، وَعَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ تَمْلِكُ الْوَرَعَ.

وَلَا تَكُونَنَّ حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا تَكُنْ حَاسِدًا تَكُنْ سَرِيعَ الْفَهْمِ، وَلَا تَكُنْ  
طَعَانًا تَنْجُ مِنَ أَلْسِنِ النَّاسِ، وَكُنْ رَحِيمًا تَكُنْ مُحَبَّبًا إِلَى النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ  
اللَّهُ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ تَكُنْ غَنِيًّا، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَكُنْ قَوِيًّا، وَلَا تَنَازِعْ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي  
دُنْيَاهُمْ يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَيُحِبُّكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَكُنْ مُتَوَاضِعًا تَسْتَكْمِلْ أَعْمَالَ الْبِرِّ.

اعْمَلْ بِالْعَافِيَةِ تَأْتِكَ الْعَافِيَةُ مِنْ فَوْقِكَ، كُنْ عَفْوًا تَظْفَرُ بِحَاجَتِكَ، كُنْ رَحِيمًا  
يَتَرَخَّمْ عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ.

يَا أَخِي لَا تَدْعُ أَيَّامَكَ وَلَيَالِيكَ وَسَاعَاتِكَ تَمُرُّ عَلَيْكَ بَاطِلًا، وَقَدِّمُ مِنْ نَفْسِكَ  
لِنَفْسِكَ لِيَوْمِ الْعَطَشِ، فَإِنَّكَ لَا تُرَوِّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِالرِّضَى مِنَ الرَّحْمَنِ، وَلَا  
تُدْرِكُ رِضْوَانَهُ إِلَّا بِطَاعَتِكَ، وَأَكْثِرْ مِنَ النَّوَافِلِ تُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ، وَعَلَيْكَ بِالسَّخَاءِ  
تُسْتَرِ الْعَوْرَاتُ، وَيُخَفِّفِ اللَّهُ عَلَيْكَ الْحِسَابَ وَالْأَهْوَالَ، وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ الْمَعْرُوفِ  
يُؤْنِسُكَ اللَّهُ فِي قَبْرِكَ، وَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ كُلَّهَا تَجِدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ.

جَالِسْ أَهْلَ الْوَرَعِ وَأَهْلَ التَّقَى يُصْلِحِ اللَّهُ أَمْرَ دِينِكَ، وَشَاوِرْ فِي أَمْرِ دِينِكَ  
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ، وَسَارِعْ فِي الْخَيْرَاتِ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَعَلَيْكَ  
بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ يُزَهِّدُكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ يَهْوِنِ اللَّهُ عَلَيْكَ أَمْرَ



الدُّنْيَا، وَاشْتَقَى إِلَى الْجَنَّةِ يَوْفَقِ اللَّهُ لَكَ الطَّاعَةَ، وَأَشْفَقَ مِنَ النَّارِ يَهْوَنَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْمَصَائِبَ.

أَحَبُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَكُنْ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَابْغُضْ أَهْلَ الْمَعَاصِي يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ شُهُودُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

وَلَا تَسْبِنَ أَحَدًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا تُنَازِعْ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ.

وَانْظُرْ يَا أَخِي أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ أَمْرِكَ تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَاخْشَ اللَّهَ خَشِيَةً مَنْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ مَيِّتٌ وَمُبْعُوثٌ، ثُمَّ الْحَشَرُ، ثُمَّ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ عَزَّجَلَّ، وَتُحَاسَبُ بِعَمَلِكَ، ثُمَّ الْمَصِيرَ إِلَى إِحْدَى الدَّارَيْنِ، إِمَّا جَنَّةً نَاعِمَةً خَالِدَةً، وَإِمَّا نَارًا فِيهَا أَلْوَانُ الْعَذَابِ مَعَ خُلُودٍ لَا مَوْتَ فِيهِ، وَارْجُ رَجَاءَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَغْفُو أَوْ يُعَاقِبُ. تهذيب الحلية ٢ / ٤٠٩.

\* وقال الهيثم: حدثني بعض أصحاب جعفر بن محمد الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ (ت):

(١٤٨): قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال:

يَا بُنَيَّ أَقْبَلْ وَصِيَّتِي، وَاحْفَظْ مَقَالَتِي، فَإِنَّكَ إِنْ حَفِظْتَهَا تَعِشَ سَعِيدًا وَتَمُتَ حَمِيدًا.

يَا بُنَيَّ مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ اسْتَغْنَى، وَمَنْ مَدَّ عَيْنَهُ إِلَى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ مَاتَ فَقِيرًا، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ اتَّهَمَ اللَّهَ فِي قَضَائِهِ.

وَمَنْ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ نَفْسِهِ اسْتَغْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ، وَمَنْ اسْتَصْغَرَ زَلَّةَ غَيْرِهِ اسْتَغْظَمَ زَلَّةَ نَفْسِهِ.

يَا بُنَيَّ مَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ

قَتَلَ بِهِ، وَمَنْ اخْتَفَرَ لِأَخِيهِ بئْرًا سَقَطَ فِيهَا، وَمَنْ دَاخَلَ السُّفْهَاءَ حُقْرًا، وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وَقَّرًا، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ أَتَاهُمْ.

يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ أَنْ تَزْرِيَ بِالرِّجَالِ فَيُزْرِيَ بِكَ.

وَإِيَّاكَ وَالذُّخُولَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ فَتَذِلَّ لِذَلِكَ.

يَا بُنَيَّ قُلِ الْحَقُّ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ تُسْتَشَارُ<sup>(١)</sup> بَيْنَ أَقْرَانِكَ.

يَا بُنَيَّ كُنْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَالِيًا، وَلِلسَّلَامِ فَاشِيًا، وَبِالْمَعْرُوفِ آمِرًا، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا، وَلِمَنْ قَطَعَكَ وَاصِلًا، وَلِمَنْ سَكَتَ عَنْكَ مُبْتَدِئًا، وَلِمَنْ سَأَلَكَ مُعْطِيًا.

وَإِيَّاكَ وَالنِّمِيمَةَ؛ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشَّخْنَاءَ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِعُيُوبِ النَّاسِ فَمَنْزِلَةُ التَّعَرُّضِ لِعُيُوبِ النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ<sup>(٢)</sup>.

يَا بُنَيَّ إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ فَعَلَيْكَ بِمَعَادِنِهِ؛ فَإِنَّ لِلْجُودِ مَعَادِنَ، وَلِلْمَعَادِنِ أَصُولًا، وَلِلْأَصُولِ فُرُوعًا، وَلِلْفُرُوعِ ثَمَرًا، وَلَا يَطِيبُ ثَمَرٌ إِلَّا بِأَصُولٍ، وَلَا أَصْلٌ ثَابِتٌ إِلَّا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ.

يَا بُنَيَّ إِنْ زُرْتَ فَرَزَ الْأَخْيَارِ، وَلَا تَزِرِ الْفُجَّارَ، فَإِنَّهُمْ صَخْرَةٌ لَا يَتَفَجَّرُ مَأْوَاهَا، وَشَجَرَةٌ لَا يَخْضَرُ وَرَقُهَا، وَأَرْضٌ لَا يَطْهَرُ عُشْبُهَا.

فما ترك هذه الوصية إلى أن توفي. تهذيب الحلية ١/٥١٣.

\* وعن ابن السماك قال: أوصاني أخي داود الطائي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٧٠) بوصية:

انظر أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك، واستح في قربه منك وقد رته عليك. تهذيب الحلية ٢/٤٦٧.

\* وعن أبي الجلد رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٣)</sup> أن عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للحواريين: الحق

(١) في الأصل: تستشان وهو تحريف كما في حاشية تهذيب الكمال ٩٠/٥، والمثبت من تهذيب الكمال.

(٢) أي: الغرض الذي تُصَوِّبُ السهام لرميه.

(٣) الواعظ المعروف، كان للكتب المنزلة حافظًا، وبمواظب الأنبياء وأحوالهم واعظًا، وبالأذكار

لهجا لافظًا. الحلية (٦/ ٥٤).

أقول لكم ما الدنيا تريدون ولا الآخرة! قالوا: يا رسول الله فسر لنا هذا الأمر، فإننا قد كنا نرى أنا نريد إحداهما، قال: لو أردتم الدنيا لأطعتم رب الدنيا الذي مفاتيح خزائنها بيده فأعطاكم<sup>(١)</sup>، ولو أردتم الآخرة لأطعتم رب الآخرة الذي يملكها فأعطاكموها ولكن لا هذه تريدون ولا تلك. الزهد لأحمد: ١٣٧.

\* وقال شقيق البلخي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٠): لو أن رجلاً أقام مائتي سنة لا يعرف هذه الأربعة أشياء لم ينج من النار:

أحدها: معرفة الله.

والثاني: معرفة أمر الله ونهيه.

والثالث: معرفة نفسه.

والرابع: معرفة عدو الله وعدو نفسه. تهذيب الحلية ٤٩٧ / ٢.

\* وقال حاتم الأصم رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٣٧): الشهوة في ثلاث: في الأكل والنظر واللسان، فاحفظ اللسان بالصدق والأكل بالثقة، والنظر بالعبرة. تهذيب الحلية ٥١٤ / ٢.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: تعهّد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملتَ فاذكُرْ نظرَ الله إليك، وإذا تكلمتَ فاذكر سَمْعَ الله إليك، وإذا سكتَ فاذكُرْ عِلْمَ الله فيك. صفة الصفوة ٣٩٢ / ٤.

\* وكان لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عبدًا حبشيًّا نجارًا فقال له سيده: اذبح لي شاة، فذبح له شاة فقال له: اتتني بأطيب مضغتين فيها فأناه باللسان والقلب، فقال: أما كان

(١) وقد وعد الله تعالى بذلك فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْحَيٰةُ الطَّيِّبَةُ تُشْمَلُ وُجُوهُ الرَّاحَةِ مِنْ أَيْ جِهَةٍ كَانَتْ. تفسير ابن كثير ٦٠١ / ٤.

فيها شيء أطيب من هذين؟ قال: لا، قال: فسكت عنه، ثم قال له: اذبح لي شاة، فذبح له شاة، فقال له: ألقى أخبثهما مضغتين، فرمى باللسان والقلب، فقال: أمرتك أن تأتيني بأطيبهما مضغتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقي أخبثهما مضغتين فألقيت اللسان والقلب، فقال: إنه ليس شيء بأطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. الزهد لأحمد: ١٢٦.

\* وقال الشاعر:

إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ عِظَةٌ      وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبَرٌ  
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

فِيَاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ      مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ  
فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْذُرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ      وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ<sup>(١)</sup>  
أدب الدين (٥٨٢-٥٨٣).

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): من وُقي خمسا فقد وُقي شر الدنيا والآخرة: العجب، والرياء، والكبر، والإزراء، والشهوة. تهذيب الحلية ٣/١٤.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللهُ: كفى بالله مُحِبًّا، وبالقرآن مؤنِّسًا، وبالموت واعظًا، وبخشية الله علمًا، وبالاغترار جهلًا. تهذيب السَّير ٢/٧٧٩.

\* وقال حذيفة المرعشي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٧): إنك ربما أصبت الحكمة فوق مزبلة، فإذا أصبتها فخذها. تهذيب الحلية ٣/٦٤.

(١) المعنى: أُنذرك أن تُقدم على الأمر الذي إن سهل عليك الدخول فيه ضاق وصعب عليك الخروج منه، ولا يمكنك إتمامه.

وسعة المَوَارِدِ هُنَا كِنَايَةٌ عَنْ سَهُولَةِ الْأَمْرِ فِي أَوَائِلِهِ، وَرَغْبَةِ النَّفْسِ فِيهِ؛ لِحِمَاسِهَا فِي بَادِي الْأَمْرِ. فإنه لَا يحسن بك أن تأتي بالعدر لنفسك وَلَا يعذرُ أحدٌ من النَّاسِ.

\* وعن شميطة بن عجلان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٦) قال: والله ما رأيت أبدانكم إلا مطاياكم<sup>(١)</sup> إلى ربكم عَزَّجَلَّ قال: فانضوها<sup>(٢)</sup> في طاعة الله عَزَّجَلَّ بارك الله فيكم. الزهد لأحمد: ٤٣٤.

\* وكان يقال: انتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ. عيون الأخبار ٣/ ١٥٨.

\* وعن أبي جعفر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨) قال: أشد الأعمال ثلاثة؛ ذكر الله على كل حال، وإنصافك من نفسك، ومواساة الأخ في المال. تهذيب الحلية ٥٧/ ١.

\* ويقال: إن لله عبادًا مفاتيح للخير مغاليق للشر، والله تعالى عباد مغاليق للخير مفاتيح للشر. تهذيب الحلية ١٨/ ١.

\* وقال سلم بن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٠): الشباب الصحة، والسلطان الغنى، والمروءة الصبرُ على الرجال.<sup>(٣)</sup> الكامل في اللغة / ٤١٣.

\* وقال إبراهيم الخواص رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩١): من لم تَبْكِ الدنيا عليه لم تَضْحَكِ الآخرة إليه. صفة الصفوة ٤/ ٣٤٨.

\* وقيل لحمدون بن أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٧١): ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا قال: لأنهم تكلّموا لعزّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق. صفة الصفوة ٤/ ٣٦٣.

\* وعن عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١) قال: إذا غَلَبَتْ محاسنُ الرجل

(١) أي: مركوبكم.

(٢) أي: أتعبوها.

(٣) صدق رَحِمَهُ اللهُ، فالشباب الصحة، فمن كان كبير السنّ وهو مُعافي في بدنه فهو في حكم الشباب، فكم من صغير نشأ مريضًا أو مُعاقًا؟

والسلطان الغنى، فمن كان غنيّ النفس قنوعًا، عنده قوت يومه فقد ملك السلطة. والمروءة الصبرُ على حماقات وأذى وسياسة الرجال، وليست بلبس الثياب النفيسة، وركوب المراكب الوثيرة، وبناء القصور المشيدة.

على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن. تهذيب السَّير ٧٦٨/٢.

\* وقال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧): ثلاثة تُؤدِّي إلى البرِّ والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرَّحم. تهذيب السَّير ٥٨١/٢.

\* وقال خالد بن صفوان<sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللهُ: ثلاثة يُعرفون عند ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشُّجاع عند اللقاء، والصديق عند النِّائبَة. تهذيب السَّير ٦٤٣/٦.

\* وقال أبو عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٤): كن على حذرٍ من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أخرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته.

وليس من الأدب أن تُجيب من لا يسألك، أو تسأل من لا يُجيبك، أو تُحدِّث من لا ينصت لك. تهذيب السَّير ٦٦٦/٢.

\* وقال الشاعر:

متى أخرجت ذا كرم تخطي إليك ببعض أخلاق اللئام  
أدب الدين (٢٢٨).

\* وقال عبدُ الله بن داود رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٣): مَنْ أمكنَ الناسَ من كلِّ ما يريدون أضروا بدينه ودُّنياه. تهذيب السَّير ٨٢٧/٢.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رقَّ طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. تهذيب السَّير ٨٤٦/٢.

(١) العلامة البليغ أبو صفوان وفد على عمر بن عبد العزيز، ولم أظفر له بوفاة، إلا أنه كان في أيام التابعين. السَّير ٢٢٦/٦.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف. المنتظم ١٣٧ / ١٠.

\* وقال الحكيم الترمذي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٢٠): من جَهِل أوصاف العبودية، فهو بنعوت أوصاف الرِّبَانِيَةِ أَجْهَل. تهذيب السَّيَر ١١٠٠ / ٣.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: صلاح خمسةٍ في خمسة: صلاحُ الصَّبي في المَكْتَب، وصلاحُ الفتى في العِلْم، وصلاحُ الكَهْل في المَسْجِد، وصلاحُ المرأة في البَيْت، وصلاحُ المؤذي في السَّجَن. تهذيب السَّيَر ١١٠٠ / ٣.

\* ومن كلام بُنَانِ الحَمَال رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣١٦): متى يُفْلَح من يسُرُّه ما يضرُّه؟! تهذيب السَّيَر ١١٦٩ / ٣.

\* وقال رجل لأحمد بن خضرويه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤٠): أوصني؟ فقال: أمت نفسك حتى تحيها. المنتظم ٢٧٥ / ١١.

\* وعن هشام بن حسان قال: كنت أمشي خلف العلاء بن زياد العدوي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤)، فكنت أتوقى الطين، قال: فدفعه إنسان فوقعت رجله في الطين فخاضه، فلما وصل إلى الباب وقف فقال: رأيت يا هشام؟ قلت نعم! قال: كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فإذا وقع فيها خاضها. تهذيب الحِلْيَةِ ٣٧٩ / ١.

\* وقال بعضهم في النبي ﷺ:

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيَّنَةٌ كانت بَدَاهَتُهُ تُنْبِئُكَ بالخبر

عيون الأخبار ٢٥٧ / ١.

\* وكان يقال: ما أحسن الإيمان يزيئُه العِلْمُ، وما أحسن العمل يزيئُه الرفقُ، وما أضيفَ شيءٌ إلى شيءٍ أَزِينَ من حلمٍ إلى عِلْمٍ ومن عفوٍ إلى مَقْدَرَةٍ. عيون الأخبار ٥٢٤ / ٢.

\* وقال بعضهم: إذا خرج الكلام من القلب وَقَعَ في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يُجاوِز الآذان. عيون الأخبار ٥٢٤ / ٢.

\* وقال بعض السلف: كما تحب أن يكون الله غداً فكن أنت اليوم.<sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٧٢ / ٣.

\* وعن مطرف رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) قال: من أحب أن يعلم ما له عند الله فليُنظر ما لله عنده. الزهد لأحمد: ٤١٧.

\* وعن أبي بكر بن عياش رَحِمَهُ اللهُ قال: قال لي رجل مرة وأنا شاب: خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رَقِّ الآخرة؛ فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبداً. قال أبو بكر: فما نسيتها أبداً. تهذيب الحلية ٨١ / ٣.

\* وقال صالح المري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢): ما بينك وبين أن ترى الله عليك فيما تحب، إلا أن تعمل فيما بينك وبين خلقه فيما يحب، فحينئذ لا تفقد بره ولا تعدم في كل أمر خيره. تهذيب الحلية ٣٠٩ / ٢.

\* وقال وهب بن مُنَبِّه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٤): المؤمن ينظرُ ليعلم، ويتكلم ليفهم، ويسكتُ ليسلم، ويخلو ليغنم. تهذيب السَّير ٥٥٤ / ٢.

\* وكتب رَحِمَهُ اللهُ إلى مكحول: إنك أمرؤ قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام شرفاً، فاطلب بما بطن من علم الإسلام محبة وزلفى. تهذيب الحلية ١٨٠ / ٢.

\* وقال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩): قال رجل: ما كنت لاعباً فلا تلعبن بدينك. تهذيب الحلية ٣٥٣ / ٢.

\* وقال ذو النون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٦): ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت

(١) المعنى: كما تحب أن يكون لك الله كما تحب يوم القيامة من إسعادك ورفعته درجاتك وإسكانك الجنة وإنجائك من النار: فكن أنت في هذه الحياة الدنيا كما يحب؛ بأن تعمل بطاعته وتنتهي عن معصيته.



الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنان إلا برؤيته. تهذيب الحلية ٣/٢٣٣.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٨): اترك الدنيا قبل أن تترك، واسترض ربك قبل ملاقاته، واعمر بيتك الذي تسكنه قبل انتقالك إليه -يعني القبر-. تهذيب الحلية ٣/٢٥٩.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: إنما ينبسطون إليه على قدر منازلهم لديه. تهذيب الحلية ٣/٢٥٩.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: ليس بعارفٍ من لم يكن غاية أمله من ربه العفو. صفة الصفوة ٤/٣٤١.

\* ونظر رَحِمَهُ اللهُ يومًا إلى إنسان، وهو يقبل ولدًا له صغيرًا فقال: أتجبه؟ قال: نعم، قال: هذا حبك له إذ ولدته، فكيف بحب الله له إذ خلقه؟ تهذيب الحلية ٣/٢٥٨.

\* وقال أبو الحسن النوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٥) يوصي بعض أصحابه: عشرة -وأبي عشرة-، احتفظ بهن واعمل عليهن جهدك: فأولى ذلك: من رأيته يدعي مع الله عَزَّجَلَّ حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنَّ منه.

والثانية: من رأيته يركن إلى غير أبناء جنسه ويخالطهم فلا تقربنَّ منه. والثالثة: من رأيته يسكن إلى الرئاسة والتعظيم له فلا تقربنَّ منه، ولا ترتفق به، وإن أرفقك، ولا ترج له فلا حًا.

والرابعة: فقير رجع إلى الدنيا، إن مت جوعًا فلا تقربنَّ منه ولا ترتفق به إن أرفقك، فإن رفقه يقسي قلبك أربعين صباحًا.

والخامسة: من رأيته مستغنيًا بعلمه فلا تأمن جهله.

والسادسة: من رأيته مدعيًا حالة باطنه لا يدل عليها، ولا يشهد عليها حفظ ظاهره، فاتهمه على دينه.

والسابعة: من رأيته يرضى عن نفسه، ويسكن إلى وقته، فاعلم أنه مخدوع، فاحذره أشد الحذر.

والثامنة: مريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهة لا ترجوَّ خيره.<sup>(١)</sup>

والتاسعة: فقير لا تراه عند السماع حاضرًا فاتهمه، واعلم أنه منع بركة ذلك لتشويش سره، وتبديد همه.

والعاشرة: من رأيته مطمئنًا إلى أصدقائه وإخوانه وأصحابه، مدعيًا لكمال الخلق بذلك، فاشهد بسخافة عقله ووهن ديانته. تهذيب الحلية ٣/٣٦٩.

\* وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ قال: كنت جالسًا عند أبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) يومًا، فنظر إلي رجلي وهما لينتان ليس فيهما شقاق، فقال لي: ما هذان الرِّجلان؟ لم لا تمشي حافيًا حتى تصير رجلين خشتين. تهذيب الحلية ٣/١٤٥.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ولهذا نجد مَنْ أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن، حتَّى رُبَّمَا كرهه.

ومن أكثر من السفر إلى زيارة المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت المحرم في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة.

ومن أذمَّن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع.

ومن أذمَّن على قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام. ونظائر هذا كثيرة. اقتضاء الصراط المستقيم / ٣٠٧-٣٠٨.

وقال أيضًا: فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات والتدَّ بها حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات؛ فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن. مجموع الفتاوى ١١/٢٤٦ قلت: ويدخل في ذلك الأناشيد الإسلامية، فالميل إليها وكثرة سماعها يصدِّ عن القرآن والعلم النافع غالبًا.

\* وكتب الحجاج إلى المهلب بن أبي صفرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٨٢) يُعَجِّلُهُ فِي حرب الأزارقة<sup>(١)</sup> وَيُسْمِعُهُ<sup>(٢)</sup>، فكتب إليه المهلب: إن البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يُنْصَرُهُ<sup>(٣)</sup>. البيان والتبيين ١/ ١٥٧.

\* وقال أبو عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٤): خذ الخير من أهله، ودع الشرَّ لأهله. معرفة القراء (١/ ٢٣٣).

\* وكان نقش خاتم أبي عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللهُ:  
وإنَّ امرأً دنياه أكبرُ همه      لَمْ تُسْتَمْسِكْ منها بحبلٍ غرور  
معرفة القراء (١/ ٢٣٦).

\* ولما حضرت نافعا رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦٩) الوفاة قال له أبنائوه: أوصنا، قال: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين». معرفة القراء (١/ ٢٤٧).

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): تَعَبَّدَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرَأْسَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَرَأَسْتَ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَتَعَبَّدَ.<sup>(٤)</sup> طبقات الشافعيين (١/ ٤٩ - ٥٠).

\* وقال الشاعر:

ماضِرَ شَمْسُ الضُّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ      أَنْ لَا يَرَى ضَوْءَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ  
طبقات الشافعيين (١/ ٢١٧).

(١) أي: الخوارج.

(٢) أي: يُسْمِعُهُ شديد الكلام واللوم.

(٣) كحال الوزراء ونحوهم، الذين يُصدرون قرارات وأنظمة دون معرفة الواقع، ودون النظر إلى الأمر الذي أُصدرت فيه آراءهم وقراراتهم والوقوف على ذلك.

(٤) فينبغي الاعتناء بالعبادة قبل الانشغال بالرئاسة والمناصب، وإذا لم يَقوَ المؤمن عليها في حال السَّعة والفراغ، فلا يكاد يقدر بعد ذلك ولو حرص.

\* ومن حَكِيم قَوْل أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٦٣) قَوْلُهُ:

أُمْرَانِ مُخْتَلِفَانِ لَسْتُ تَرَاهُمَا      يتشوفان لخلطةٍ وتلاق  
طَلَبُ الْمَعَادِ مَعَ الرِّيَاسَةِ وَالْعِلَا      فدع الذي يَفْنَى لِمَا هُوَ بَاقٍ  
طبقات الشافعية (٢/ ٦٤٤).

\* ومن حَكِيم قَوْلُهُ:

مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْغِنَى بِالْمَالِ يَجْمَعُهُ      فاعْلَمْ بِأَنْ غِنَاهُ فَقَرَهُ أَبَدَا  
فَاسْتَغْنَى بِالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَكَانَ رَجُلًا      لا يَرتجى غير رِزَاقِ الْوَرَى أَحَدَا  
طبقات الشافعية (٢/ ٦٤٧).

\* وقال الشاعر:

وَرَبَّمَا كَانَ مَكْرُوهُ النَّفُوسِ إِلَى      محبوبها سببًا ما مثله سبب  
الآداب الشرعية ١/ ١٧٦.

\* وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ ثَعْلَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩١) يُشَاوِرُهُ فِي الْإِنْتِقَالِ عَنْ مَحَلَّةٍ إِلَى أُخْرَى لِتَأْذِي الْجَوَارِ، فَقَالَ: الْعَرَبُ تَقُولُ صَبْرُكَ عَلَى أَدَى مَنْ تَعْرِفُهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ اسْتِحْدَاثِ مَنْ لَا تَعْرِفُهُ.

وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٢٨) يقول هذا المعنى أيضًا.  
الآداب الشرعية ٢/ ١٤.

\* وقال عيسى بن مسكين بن منصور رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٩٥):

١- أشرف الغنى ترك المُنَى.

٢- من قاسى الأمور علم المستور.

٣- من حصّن شهوته صان قدره.

٤- من أطلق طرفه كثر أسفه.

- ٥- في تقلّب الأحوال علم جواهر الرجال.
- ٦- بحسن التّأني تسهل المطالب.
- ٧- الحسن النية يصحبه التوفيق.
- ٨- كفاك أدبًا لنفسك ما كرهته لغيرك.
- ٩- قارب الناس في عقولهم تسلم من غوائلهم.
- ١٠- إنّ ثوابك في إدخال المسرة على أخيك المسلم بإفطارك عنده أفضل من صيام يومك. ترتيب المدارك (٢/ ٣٣٥-٣٣٦).

\* وقال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٥٠) في آخر كتابه أدب الدين (٥٨٤): كن أيها العاقل مُقبلاً على شأنك، سلماً لأهل دهرك، جاريّاً على عادة عصرك، منقاداً لمن قدّمه الناس عليك، متحنّناً على من قدّمك الناس عليه، ولا تُبَاينهم بالعزلة عنهم فيمقتوك، ولا تجاهرهم بالمخالفة لهم فيعادوك، فإنه لا عيش لممقوت ولا راحة لمعادى.

\* وأنشد بعض أهل الأدب لبعضهم:

إذا اجتمع الناس في واحد      وخالفهم في الرضا واحد  
فقد دلّ إجماعهم دونه      على عقله أنه فاسد  
واجعل نصح نفسك غنيمة عقلك، ولا تداهنها بإخفاء عيبك وإظهار عُذرك.  
فهذّب أيها الإنسان نفسك بإنكار عيوبك؛ فإن من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤):

١- احذر خصومة الأهل، والولد، والصديق، والضعيف، واحتجج عليهم بالحجج. الأدب الصغير (٣٧).

- ٢- لا يوقعنك بلاءٌ تخلّصت منه في آخر لعلك لا تخلص منه. (٣٧).
- ٣- الورعُ لا يَخْدَعُ، والأريبُ<sup>(١)</sup> لا يُخْدَعُ. الأدب الصغير (٣٧).
- ٤- خمول الذكر أجملُ من الذكر الذميم. الأدب الصغير (٤٣).
- ٥- كان يقال: قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك، ولا تقاربه كلّ المقاربة فيجترئ عليك عدوك، وتذل نفسك، ويرغب عنك ناصرك.<sup>(٢)</sup>
- ومثل ذلك مثل العود المنسوب في الشمس، إن أملتة قليلاً زاد ظله، وإن جاوزته الحدّ في إمالته، نقص الظل. الأدب الصغير (٤٥).
- ٦- الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي<sup>(٣)</sup>، والرأي بتكرار النظر وتحصين الأسرار. الأدب الصغير (٤٦).
- ٧- وجدنا البلايا في الدنيا إنما يسوقها إلى أهلها الحرصُ والشره، ولا يزال صاحب الدنيا يتقلب في بلية وتعب؛ لأنه لا يزال بخلة الحرص والشره. الأدب الصغير (٤٩).
- ٨- كلّ أحدٍ حقيقٌ -حين ينظر في أمر الناس- أن يُتَّهم نظره بعين الريبة<sup>(٤)</sup>، وقلبه بعين المقت<sup>(٥)</sup>، فإنهما يزيّنان الجور<sup>(٦)</sup>، ويحملان على الباطل، ويقبّحان الحسن، ويحسنّان القبيح. الأدب الكبير (٧٢).
- ٩- قلّما تقدّر على ردّ رجل عن طريقته التي هو عليها بالمكابرة والمناقضة<sup>(٧)</sup>.

(١) أي: العاقل.

(٢) أي: لا تنصب لعدوك العدا والخصام، ولا تقترب منه قريباً شديداً بمصاحبتة، بل كن بين بين، وهذا هو العقل.

(٣) أي بإدارة الرأي وإعمال الفكر.

(٤) أي: الشك والتهمة، بحيث يتهم رأيه ونظره.

(٥) أي: البغض، بحيث لا يرضا بكلّ ما يهواه ويميل إليه قلبه.

(٦) أي: الظلم وتجاوز الحد.

(٧) المكابرة: أي منازعته ومجادلته، والمناقضة: أي الردّ عليه وإبطال وتفنيده قوله.

ولكنك تقدر على أن تعينه على أحسن رأيه، وتُسَدِّده فيه، وتزيّنه وتُقَوِّيه عليه.

فإذا قوِّيت منه المحاسن: كانت هي التي تكفيك المساوي، وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يُبَصِّرُه الخطأ بالطف من تبصيرك، وأعدل من حُكْمك، فإنَّ الصواب يؤيِّد بعضه بعضًا، ويدعو بعضه إلى بعض، حتى تستحكم لصاحبه الأشياء، ويظهر عليها<sup>(١)</sup> بتحكيم الرأي، فإذا كانت له مكانة من الأصالة اقتلع ذلك الخطأ كله.

فاحفظ هذا الباب وأحكمه.<sup>(٢)</sup> الأدب الكبير (٧٩).

١٠ - ليعرف إخوانك والعامّة أنك إلى أن تفعل ما لا تقول أقرب منك إلى أن تقول ما لا تفعل.

فإنَّ فضل القول على الفعل عار وهُجْنة<sup>(٣)</sup>، وفضل الفعل على القول زينة. وأنت حقيقٌ فيما وعدت من نفسك أو أخبرت به صاحبك أن تحتجج<sup>(٤)</sup> بعض ما في نفسك؛ إعدادًا لفضل الفعل على القول، وتحرزًا بذلك عن تقصير فعل إن قصّر، وقلما يكون إلا مقصّرًا. الأدب الكبير (٩٨).

١١ - تحرز من سكر السلطان، وسكر المال، وسكر العلم، وسكر المنزلة، وسكر الشباب، فإنه ليس من هذا شيء إلا وهو ريح جنة<sup>(٥)</sup> تسلب<sup>(٦)</sup> العقل،

(١) أي: يتغلب عليها.

(٢) هذه الفائدة تُساوي رحلة، وتُكتب بماء الذهب، وهي نافعة جدا لمن كان له ولد أو زوج أو طالب عنده سلوك منحرف، أو طبع رديء، فقد أرشدنا إلى أحسن طريقة في تقويم سلوكه، وإصلاح طبعه.

(٣) فضل القول على الفعل: زيادته عليه، والهجنة: القبح والعيب.

(٤) أي: تدخر.

(٥) أي: جنون.

(٦) أي: ريح الجنون.

وتذهب الوقار، وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان إلى غير المنافع.  
الأدب الكبير (١٠٠).

١٢ - إذا كانت لك عند أحد صنعة، أو كان لك عليه طول<sup>(١)</sup>، فالتمس إحياء ذلك بإماتته، وتعظيمه بالتصغير له، ولا تقتصرن في قلة المن به<sup>(٢)</sup> على أن تقول: لا أذكره، ولا أضغي بسمعي إلى من يذكره، فإن هذا قد يستحيي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم.

ولكن احذر أن يكون في مجالستك إياه، وما تكلم به، أو تستعينه عليه، أو تجاريه فيه، شيء من الاستطالة<sup>(٣)</sup>، فإن الاستطالة تهدم الصنعة، وتكدر المعروف. الأدب الكبير (١٠٣).

١٣ - من أقوى القوة لك على عدوك، وأعز أنصارك في الغلبة له: أن تحصي على نفسك العيوب والعورات، كما تحصيها على عدوك، وتنظر عند كل عيب تراه أو تسمعه لأحد من الناس: هل قارفت ذلك العيب أو ما شاكله؟ أو سلمت منه؟.

فإن كنت قارفت شيئاً منه: فأحصه، حتى إذا أحصيت ذلك كله فكابر<sup>(٤)</sup> عدوك بإصلاح عيوبك، وتحصين عوراتك. الأدب الكبير (١٠٩).

١٤ - اعلم أن بعض العطية لؤم<sup>(٥)</sup>، وبعض البيان عي<sup>(٦)</sup>، وبعض العلم جهل<sup>(٧)</sup>.

(١) أي: فضل.

(٢) المن: هو أن تذكر لمن أحسنتهم إليه ما فعلته له من المعروف.

(٣) أي: التفضل والتعالي.

(٤) أي: أقهره وتغلب عليه.

(٥) كمن يُعطي رياء وسمعة.

(٦) كمن يتكلف السجع ويختار الغريب من الكلمات والعبارات.

(٧) كالعلم بالمنطق وقصص الروايات التافهة.



فإن استطعت ألا يكون عطاؤك جوراً، ولا بيانك هذراً<sup>(١)</sup>، ولا علمك جهلاً: فافعل. الأدب الكبير (١١٥).

١٥- لا تجالس امرأً بغير طريقته، فإنك إن أردت لقاء الجاهل بالعلم، والعِيَّ بالبيان: لم تزد على أن تضع علمك، وتؤدي جليسك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف، وغمك إياه، بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الأعجمي الذي لا يفقه عنه. الأدب الكبير (١١٩).

\* وقال أبو إسحاق الجُبَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٩٩):

١- خمسة تعاونوا على هلاك ابن آدم المسكين: مؤمن يحسده، وكافر يرصده، وشيطان مارد، ودنيا حاضرة، ونفس أمارة بالسوء.

٢- إذا رأيت الشاب قدراً في شببته، فإن كبر يكون شيخ سوء.

٣- إذا رأيتك زوجتك وولدتك وخادمك تعصي الله كان أول من يُذَلِّك هم. ترتيب المدارك (٥٤ / ٤).

\* وقال الشاعر:

إذا أنت جازيت المسيء بفعله      ففعلك من فعل المسيء قريب

الأداب الشرعية ١٦٢ / ٢.

\* وقال بعض الحكماء: ليس غنى أغنى من سكون القلب، وليس فقر أفقر من اضطراب القلب، وليس عزّ أعز من الزهد، وليس ذل أذل من الرغبة في الدنيا والطمع، وليس شرف أشرف من اليقين، وليس درجة أعلى من الصبر، وليس حلاوة أحلى من محبة الله عَزَّجَلَّ، وليس مرارة أمرّ من سخطه، وليس زين أزين من التواضع، وليس جهل أجهل من الكبر، وليس قوة أقوى من الجوع، وليس كلام

أحسن من قول: لا إله إلا الله. المجالسة وجواهر العلم (٣٠٢).

\* وقال ابن عَقِيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٣) فِي الْفُنُونِ: مِنْ أَكْبَرِ مَا يُفَوِّتُ الْفَوَائِدَ تَرْكُ التَّلَمُّحِ لِلْمَعَانِي الصَّادِرَةِ عَمَّنْ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحِكْمَةِ، أَتَرَى يَمْنَعُنِي مِنْ أَخْذِ اللَّوْلُؤَةِ وَجَدَانِي لَهَا فِي مَزْبَلَةٍ؟ كَلَّا، سَمِعْتُ كَلِمَةً بَقِيَتْ مِنْ قَلَقِهَا مُدَّةً، وَهِيَ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَقُولُ عَلَى شُغْلِهَا وَتَتَرَنَّمُ بِهَا: «إِنَّ لِلتَّوَانِي غَائِلَةً وَلِلْقَبِيحِ خَمِيرَةً تَبِينُ بَعْدَ قَلِيلٍ».

فَمَا أَوْقَعَهَا مِنْ تَخْجِيلٍ عَلَى إِهْمَالِنَا الْأُمُورَ، غَدَا تَبِينُ خِمَائِرُهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. الآداب الشرعية ٢ / ٨١.

\* وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٦٣): وَكَانَ يُقَالُ: الْغَالِبُ فِي الشَّرِّ مَغْلُوبٌ. الآداب الشرعية ٢ / ٩.

\* وقال ابن هبيرة الحنبلي الوزير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٠): لَيْكُنْ غَايَةُ أَمَلِكَ مِنْ عَدُوِّكَ: الْإِنْصَافَ، فَمَتَى طَلَبْتَهُ مِنْهُ كَانَ سَائِرُ الْخَلْقِ عَوْنًا لَكَ، فَأَمَّا أَخْوُكَ وَصَدِيقُكَ: فَعَامِلُهُمَا بِالْفَضْلِ وَالْمَسَامَحَةِ، لَا بِالْعَدْلِ. الآداب الشرعية ٢ / ١٠.

\* ومما يذكر من شعر الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ:

تعودُ فِعَالُ الْخَيْرِ جَمْعًا فَكَلَّمَا      تَعَوَّدَهُ الْإِنْسَانُ صَارَ لَهُ خُلُقَا

ذيل الطبقات (٢ / ١٦٩).



## ما قيل في العارف والمعرفة

- \* قال رجلٌ لأبي سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٣): طوبى للزاهدين، فقال أبو سليمان: طوبى للعارفين. تهذيب الحلية ٣/١٨٨.
- \* وقيل له: سهرت ليلة في ذكر النساء إلى الصباح، فتغير وجهه وغضب عليه وقال: ويحك، أما استحييت منه يراك ساهراً في ذكر النساء؟ ولكن كيف تستحي ممن لا تعرف؟ تهذيب الحلية ٣/١٨٩.
- \* وقال بشر بن الحارث رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢٧): من حرم المعرفة لم يجد للطاعة حلاوة، ومن لا يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال، ومن زهد في الدنيا على حقيقة، كانت مؤنته خفيفة، ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات. تهذيب الحلية ٣/٩٩.
- \* وقال أبو عثمان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٨): حق لمن أعزه الله بالمعرفة أن لا يذل نفسه بالمعصية. تهذيب الحلية ٣/٣٦٤.
- \* وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٧٢٨) يقول: العارف لا يرى له على أحد حقاً، ولا يشهد له على غيره فضلاً، ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب. مدارج السالكين ١٥٥/٢-١٥٦.



حفظ الوقت<sup>(١)</sup>

\* عن الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٧) أنه قال: ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يومًا فيومًا وساعة فساعة، فلا تمر به ساعة لم يذكر الله فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم.<sup>(٢)</sup> المنتظم ١٩٦ / ٨.

\* وقال فضيل الرقاشي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٠): لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك<sup>(٣)</sup>؛ فَإِنَّ الأَمْرَ يَخْلُصُ إِلَيْكَ دُونَهُمْ. وإياك أَنْ تُذْهَبَ نَهَارُكَ تُقَطِّعُهُ ههنا وههنا؛ فإنه محفوظ عليك. تهذيب الحلية ١ / ٤٦٦.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وعمارة الوقت: الاشتغال في جميع آثائه بما يُقربه إلى الله أو يُعين على ذلك من مأكَل أو مشرب أو منكح أو منام أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يُسخطه كانت من عمارة الوقت، وإن كان فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات. فالمحب الصادق: ربما كان سيره القلبي في حال أكله وشربه وجماع أهله وراحته: أقوى من سيره البدني في بعض الأحيان.

وقد حكى عن بعضهم: أنه كان يَرِدُ عليه وهو على بطن امرأته حال لا يعيها في غيرها. ولا تعجل بالإنكار، وانظر إلى قلبك عند هجوم أعظم محبوب له عليك في هذه الحال كيف تراه؟ فكهذا حال غيرك. ١. هـ بتصرف. مدارج السالكين ١٨٩ / ٢

(٢) وكيف إذا قضى هذه الأيام الساعات في الحرام؟

(٣) كمن ينشغل بالأصدقاء أو الأهل أو اللعب المباح، عن إصلاح نفسه وتهذيبها وتعلّم ما ينفعه ويُقربه إلى ربّه.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): كُلُّ مَا شَغَلَكَ عَنْ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ أَوْ وَلَدٍ فَهُوَ عَلَيْكَ مَشُؤُومٌ. صفة الصفوة ٤ / ٤٤٢.

\* وقال بعض البلغاء: مَنْ أَمْضَى يَوْمَهُ فِي غَيْرِ حَقِّ قِضَائِهِ، أَوْ فَرَضِ أَدَائِهِ، أَوْ خَيْرِ أَسَسِهِ أَوْ عِلْمِ اقْتِبَسِهِ، فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ نَفْسَهُ.

وقال بعض الشعراء:

لقد أهَّاج الفراغُ عليك شغلاً      وأسبابُ البلاء من الفراغ  
أدب الدين (١٠٠).

\* وقيل للمعافى بن عمران رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٤): مَا تَرَى فِي الرَّجُلِ يَقْرَضُ الشَّعْرَ وَيَقُولُهُ؟.

قال: هو عمرك فأفنه فيما شئت. <sup>(١)</sup> تهذيب الحلية ٣ / ٧٤.

\* وقال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥٨): أَعْظَمُ الْمَصِيبَةِ عَلَى الْحَكِيمِ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَمْضِيَ عَنْهُ، لَا يَأْتِيهِ فِيهِ هَدِيَّةٌ مِنْ رَبِّهِ - يَعْنِي حِكْمَةً جَدِيدَةً. تهذيب الحلية ٣ / ٢٥٩.

\* وقال بعض السلف: إِنْ مِنْ إِعْرَاضٍ لِلَّهِ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَشْغُلَهُ بِمَا لَا يَنْفَعُهُ. تهذيب الحلية ٣ / ٢٩٥.

\* وقال بعض السلف: لَيْسَ لَكَ مِنْ عَمْرِكَ إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ فَإِنْ لَمْ تَفْنِهَا فِيمَا لَكَ فَلَا تَفْنِهَا فِيمَا عَلَيْكَ. تهذيب الحلية ٣ / ٤٥٤.

\* وقال بعض السلف: الْعُمْرُ قَصِيرٌ، وَالْوَقْتُ ضَيْقٌ، وَالْأَيَّامُ تَقْضَى وَلَيْسَ فِي الْوَقْتِ فَضْلٌ. الزهد للبيهقي (٢٩٧).

\* وقال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٠):

والوقت أنفس ما عنت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

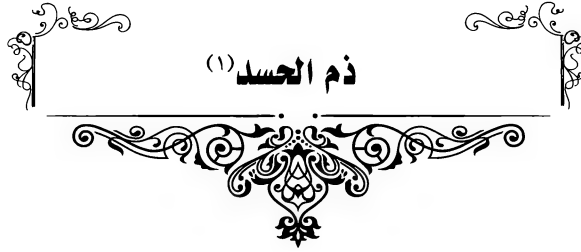
ذيل الطبقات (٢ / ١٦٧).

\* وقال بعض السلف: نهارك ضيفك، فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه

ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بدمك، وكذلك ليلك. أدب الدين

(١٩٦).





\* قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠): كَلَّ النَّاسُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا. عيون الأخبار ٤٠٧ / ٢.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤):

ديوان الشافعي (١٤٥).

\* وقال بعضهم:

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا      إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ  
عيون الأخبار ٤٠٧ / ٢.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَسَدُ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ، وَهُوَ مَرَضٌ غَالِبٌ فَلَا يَخْلُصُ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّيْمَ يُبْدِيهِ وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ.

فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لغيرِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَهُ التَّقْوَى وَالصَّبْرَ. فَيَكْزُرُهُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ دِينٌ لَا يَغْتَدُونَ عَلَى الْمَحْسُودِ، فَلَا يُعِينُونَ مَنْ ظَلَمَهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَيْضًا لَا يَقُومُونَ بِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ، بَلْ إِذَا ذَمَّهُ أَحَدٌ لَمْ يُوَافِقُوهُ عَلَى ذَمِّهِ، وَلَا يَذْكُرُونَ مَحَامِدَهُ، وَكَذَلِكَ لَوْ مَدَحَهُ أَحَدٌ لَسَكَتُوا، وَهَؤُلَاءِ مَدِينُونَ فِي تَرْكِ الْمَأْمُورِ فِي حَقِّهِ مُفَرِّطُونَ فِي ذَلِكَ، لَا مُعْتَدُونَ عَلَيْهِ.

وَجَزَاؤُهُمْ: أَنَّهُمْ يُبْخَسُونَ حُقُوقَهُمْ فَلَا يُنْصَفُونَ أَيْضًا فِي مَوَاضِعَ، وَلَا يُنْصَرُونَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُمْ كَمَا لَمْ يَنْصُرُوا هَذَا الْمَحْسُودَ، وَأَمَّا مَنْ اعْتَدَى بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فَذَلِكَ يُعَاقَبُ. ١. هـ [مجموع الفتاوى (١٠/١٢٤-١٢٥)].

وقال الحسين بن الفضل رَحِمَهُ اللَّهُ في سورة الفلق: إِنَّ اللَّهَ جَمَعَ الشُّرُورَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَخَتَمَهَا بِالْحَسَدِ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ﴾ [الفلق: ٥]؛ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ أَخْسَ الطَّبَائِعِ. تفسير الثعالبي: ٤ / ٤٥٣.

\* وقال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): ما حسدت رجلاً قط، إن كان من أولياء الله فكيف أحسده على شيء من حطام الدنيا؟ تهذيب الحلية ١/٤٤٠.

\* وقيل للحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟ فَقَالَ: مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ، وَلَكِنْ عُمَهُ فِي صَدْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا لَمْ تَعُدْ بِهِ يَدًا وَلِسَانًا. الزهد لهناد ٢/٦٤٢.

\* ويقال: إذا أراد الله أن يُسَلِّطَ على عبده عدوًّا لا يرحمه سلَّطَ عليه حاسداً. عيون الأخبار ٤٠٦/٢.

\* وقال بعضهم:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ      فَالْقَوْمَ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومَ  
كَضَرَّائِرِ الْحُسْنَاءِ قُلْنَ لَوْ جَهَّهَا      حَسَدًا وَظُلْمًا إِنَّهُ لَذَمِيمٌ  
عيون الأخبار ٤٠٦/٢.

\* وقال بعضهم: الحسدُ أوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ، يَعْنِي حَسَدَ إِبْلِيسَ آدَمَ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، يَعْنِي حَسَدَ ابْنِ آدَمَ أَخَاهُ حَتَّى قَتَلَهُ. عيون الأخبار ٤٠٨/٢.

\* وقال الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ: رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا قَدْ أَتَتْ لَهُ مَائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَطْوَلَ عَمْرَكَ!.

فقال: تَرَكْتُ الْحَسَدَ فَبَقِيْتُ. عيون الأخبار ٤٠٨/٢.

\* وقال بعضهم:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ رَاغِمًا      وَتَقْتُلَهُ حُزْنًا وَتَحْرِقَهُ غَمًّا  
فَسَامَ الْعَلَا وَازْدَدَ مِنَ الْفَضْلِ إِنَّهُ      مِنْ أَزْدَادِ فَضْلًا زَادَ حَاسِدُهُ هَمًّا  
البداية والنهاية ١١/٣٦٤.



\* وقال بعضهم:

ألا قل لمن كان لي حاسداً      أنذري على من أسأت الأدب  
أسأت على الله في فعله      لأنك لم ترض لي ما وهب  
فجازاك عني بأن زادني      وسدّ عليك وجوه الطلب  
البداية والنهاية ١٢ / ٣٦.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط. تهذيب الحلية ٣ / ١٤.

\* وقال ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٣) في الفنون: افتقدت الأخلاق فإذا أشدها وبالأعلى صاحبها الحسد، فإنه التأذي بما يتجدد من نعمة الله، فكلمة تلذذ المحسود بنعم الله تعالى تأذي الحاسد وتنغصص، فهو ضد لفعل الله تعالى، ساخط بما قسمه، متمن زوال ما منحه خلقه، فمتى يطيب بهذا عيش ونعم تنثال انشبالاً؟! الآداب الشرعية ١ / ٨٧.

\* وقال أبو القاسم التنوخي اللغوي القاضي الحنفي (ت: ٤١٧):  
وكلُّ أداريه على حسب حاله      سوى حاسدي فهي التي لا أنالها  
وكيف يداري المرء حاسد نعمة      إذا كان لا يرضيه إلا زوالها  
تاج التراجم (٢٦٢).

\* وقال ابن طاهر: سمعت أصحابنا بهراة يقولون: لما قدم السلطان «ألب أرسلان» هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه، ودخلوا على الشيخ أبي إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٨١)، وسلموا عليه، وقالوا: قد ورد السلطان، ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه، فأحبينا أن نبدأ بالسلام

على الشيخ الإمام، ثم نخرج إلى هناك، وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً من الصُّفْر صغيراً، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع إلى خلوته.

ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري، وقالوا له: إنه مجسّم، فإنه يترك في محرابه صنماً، ويقول: إن الله عَزَّجَلَّ على صورته، وإن يبعث السلطان الآن يجد الصنم في قبلة مسجده، فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلاماً ومعه جماعة، ودخلوا الدار، وقصدوا المحراب، وأخذوا الصنم من تحت السجادة، ورجع الغلام بالصنم، فوضعه بين يدي السلطان.

فبعث السلطان بغلمان، وأحضر الأنصاري: فلما دخل رأى مشايخ البلد جلوساً، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحاً، والسلطان قد اشتد غضبه، فقال له: ما هذا؟ قَالَ: هذا صنم يُعمل من الصفر شبه اللُّعبة. فقال: لست عن هذا أسألك، فقال: فعن ماذا يسأل السلطان.

قَالَ: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا الصنم، وأنت تقول: إن الله عَزَّجَلَّ على صورته، فقال الأنصاري: ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، بصوتٍ جهوري وصولة.

فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به فأخرج إلى داره مُكْرَمًا، وقال لهم: اصدقوني القصة، أو أفعل بكم وأفعل، وذكر تهديدًا عظيمًا، فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامّة، وأردنا أن نقطع شرّه عنا. فأمر بهم، ووكل بكل واحدٍ منهم، ولم يرجع إلى منزله حتى كتب خطه بمبلغ عظيم من المال، يؤديه إلى خزانة السلطان جنائيّة، وسلموا بأرواحهم بعد الهوان العظيم.<sup>(١)</sup> ذيل الطبقات (١/ ١٢٦).

(١) انظر إلى التحاسد بين الأقران كيف يفعل، حتى جعلت هؤلاء -الذين هم من طلاب العلم- =

\* وقال بعض الحكماء: يكفيك من الحاسد أنه يغتم في وقت سرورك.  
وقيل في منشور الحكم: عقوبة الحاسد من نفسه.  
وقال الشاعر:

اصبر على كيد الحسو      د فإن صبرك قاتله  
فالنار تأكل بعضها      إن لم تجد ما تأكله  
أدب الدين (٤٣٢-٤٣٣).

\* وقال ابن المقفع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): ليكن مما تصرف به الأذى والعذاب  
عن نفسك ألا تكون حسودًا.  
فإن الحسد خلقٌ لئيم، ومن لؤمه أنه يُوكَل<sup>(١)</sup> بالأدنى فالأدنى من الأقارب،  
والمعارف، والخطاء، والإخوان.

فليكن ما تُقابل به الحسد: أن تعلم أن خير ما تكون حين تكون مع من هو  
خير منك، وأن غنمًا حسنًا لك أن يكون عشيرك وخليطك أفضل منك في العلم  
فتقتبس من علمه، وأفضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته، وأفضل منك في المال  
فتفيد من ماله، وأفضل منك في الجاه فتصيب من حاجتك بجاهه، وأفضل منك  
في الدين فتزداد صلاحًا بصلاحه. الأدب الكبير (١٠٦).

\* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدًا      لمن بات في نعمائه يتقلب  
ديوان المتنبي (٣٥).

\* وكان فتوح بن الغزال الباغاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٤٦) من أهلها<sup>(٢)</sup>، فاضلاً فقيهاً

---

=يفترون على الشيخ بأنه يعبد صنماً، وقد وضعوه في بيته، رغبة في قتل السلطان له، والسبب في  
ذلك أن الناس قد أقبلوا عليه وأحبوه!

(١) أي: يُلَازِم.

(٢) أي: من باغانة.

موسراً خيراً، حسن الطريقة، منظوراً إليه ببلده، رأس على مَنْ فيها من أهلها من العلماء بعلمه وخيره، ومكانته من السلطان.

فكان صاحب القيروان يخاطبه في أمر بلده، فحسده على ذلك كُلِّ مَنْ كانت له بها رئاسة، مِنْ عربها وعجمها، فاتفقت كلمتهم على إغراء العامل به، والسلطان مشغول بفتنة القيروان إذ ذاك المذهلة.

فأجابهم، ووجه فيه بأمر، فقتله بالرماح بحضرتهم، وبقي مطروحاً يومين، وكان ذلك كله سنة ست وأربعين.

وعجل الله بالانتقام من المُغْرِبِينَ به، فخرج جماعة منهم صحبة الفقيه المعروف بابن عفيف من فقاء باغانة، للقاء العرب من أهلها، لشحناء وقعت بين العرب والعجم، فتغلبوا على العرب فقتلوهم، إلا ابن عفيف، ثم سلَّط الله العجم عليهم، فقتلوا العرب وانتقم الله للفقيه من الجميع. ترتيب المدارك (٤/ ٣٤٣-٣٤٤).

\* وقال الشاعر:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ      طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانٌ حَسُودٌ  
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ      مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ  
أدب الدين (٤٣٥).

\* وكان الشيخ عبدالله بن مسلم التميمي (ت: ١٣٤١) كفيف البصر منذ صغره، لكنه يتوقّد ذكاءً وفطنةً، وقد أخذ العلم عن علماء نجد حتى أدرك إدراكاً تاماً، وحصل الأصول والفقه.

قال الشيخ علي الهندي: «كان آية في فقه الحنابلة، مع تحصيلٍ في سائر العلوم». ١. هـ<sup>(١)</sup>.

وأما اطلاعه على العلوم فكان واسعاً في جميع العلوم الشرعية، وكان من محفوظاته: «منتقى الأخبار»، وكان مُعاصراً لأبناء الشيخ عبد اللطيف آل شيخ رَحْمَةُ اللَّهِ، ويرى نفسه أكثر منهم علماً، وأكثر مؤهلاً، ومع ذلك مقامهم عند الخاصة والمسؤولين وعند العامة أكبر منه، وكان ذلك يُؤلمه ويُحزنه، ويظهر ذلك<sup>(١)</sup>، وكان عنده امرأةٌ صالحة تُهَوِّن عليه الأمر، ولكنه لم يُطق ذلك، فذهب إلى آل رشد في حائل وأقام عندهم، وكانت الحرب في ذلك الوقت قائمةً بين الحكومتين: آل سعود وآل رشيد، فرفع آل الرشيد مقامه وعرفوا قدره، فلما نشب القتال بين الملك عبدالعزيز رَحْمَةُ اللَّهِ وأهل حائل بقيادة محمد بن طلال بن رشيد جعل الشيخ عبدالله يُحرّض المدافعين من أهل حائل على القتال ضد ابن سعود وجنده.

وكان يرمي المدافعين بأنهم خوارج يُكفِّرون الناس بالذنوب، ويقول لأهل حائل: إنّ القاتل منكم سعيد، والمقتول شهيد، هكذا أخبرني بعض من شهد المعركة بين الطرفين.<sup>(٢)</sup> علماء نجد (٤/ ٣٩٤-٣٩٥).

\* وفي آخر عام ١٣٦٩هـ حدث شَغَبٌ بمناسبة تقرير بعض الأساتذة المصريين في مسجد السويطي، وذلك أنّ أحد الطلبة نقد المقرر ووشى به إلى القاضي، فبعث عما حدث للمعارف، فعُزل المصري عن وظيفته، فقام بالمطالبة

(١) أعوذ بالله من ذلك.

(٢) انظر إلى الحسد كيف يؤول بصاحبه، فالعاقل الحصيف يجتهد أشد الاجتهاد على إخراجهِ من قلبه، ويجتهد في تعويد نفسه على حب الخير للمسلمين، وإذا رأى الناس يُثنون على أحد ولو كان أقل منه علماً أو منصباً أو أصغر منه فليفرح.

وكم من طالب فاق شيخه علماً ونفعاً وبركة، فلا يجوز للشيخ إذا رأى نبوغ أحد طلابه وإقبال الناس عليه أن يكون في صدره شيء.

ويا رَبَّ فرعٍ فاق بالبذلِ أصله  
وإن أحرّته أزمَنُ وعُصُور  
والمؤمن التقي همّة نصره وخدمة الإسلام والمسلمين، سواء كان ذلك على يده أو على يد غيره، ولو كان أصغر منه سنّاً، أو أقل منه علماً أو جاهاً أو منصباً.

وتفرَّق الناس إلى صنفين، فصنفٌ أيَّده وقال: لا محذور فيما قاله، وقالوا: قد سبقه السيوطي فيما قاله في (الإتقان)، ومنهم شيخنا عبدالرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ وثَلَّةٌ من الطلبة.

وصنفٌ نقدوه وشدُّوا أزر القاضي، وطال النزاع وكثرت الوشائيات والمقالات المُغرِضة، فأورثت بين الشيخين عبدالرحمن ابن سعدي والقاضي، فحاول القاضي عزله من إمامة وخطابة الجامع، وقال لشيخنا محمد العبدالعزیز المطوع رَحِمَهُ اللهُ: نصِّبناك إماماً في الجامع، فقال: ما كان ينبغي لمثلي أن يحلَّ محلَّ شيخنا، فضجَّ الناس، وأبرقوا للملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ يطلبون تأييد شيخنا ابن سعدي، فأجابهم الملك لتأييده مدة حياته، فعند ذلك تنكَّر الناس عليه، وتعرَّكَ صفو الحياة، وتحزَّب الناس، فلما رأى ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وطلب الإغفاء من منصبه فأعفي.

فتعيَّن مدرسا بالمعهد العلمي بالرياض، وتوالت عليه أمراض كانت تعتاده، فوفاه أجله المحتوم سنة (١٣٧٤)، وصلى عليه شيخنا عبدالرحمن ابن سعدي صلاة الغائب في عنيزة.<sup>(١)</sup> علماء نجد (٣/١١٣-١١٤).



(١) صفاء القلب من الحقد والحسد كرامة وهبة من الله، فاطلبها منه.

فمع ما قام به القاضي تجاه الشيخ السعدي رَحِمَهُمَا اللهُ، وسعيه في عزله عن الإمامة والخطابة إلا أنه لم يحقد عليه، بل صلى عليه صلاة الغائب لما مات، فيا لها من قلوب ما أظهرها.

## العدل وذم الظلم<sup>(١)</sup>

\* اشترى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فرساً من رجل على أن ينظر إليه، فأخذ الفرس فسار به فعبط، فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك؟ فقال: لا! قال: فاجعل بيني وبينك حكماً، قال الرجل: شريح، قال: ومن شريح؟ قال: شريح العراقي، قال: فانطلقا إليه فقصا عليه القصة، فقال: يا أمير المؤمنين رد كما أخذته، أو خذ بما ابتعته، فقال عمر: وهل القضاء إلا هذا، سر إلى الكوفة، فإنه لأول يوم عرفه يومئذ. تهذيب الحلية ٢/٦٩.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي فِيهِ الْإِشْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ الْإِنِّمِ: أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ وَإِنْ لَمْ تَشْتَرِكْ فِي إِنْمٍ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً. وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكَفْرِ وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ ذَنْبٌ أَسْرَعَ عُقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»، فَأَلْبَاغِي يُصْرَعُ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَعْفُورًا لَهُ مَرْحُومًا فِي الْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ نِظَامُ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا أُقِيمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِعَدْلٍ: قَامَتْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ. وَمَتَى لَمْ تَقُمْ بِعَدْلٍ لَمْ تَقُمْ وَإِنْ كَانَ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْإِيمَانِ مَا يُجْزَى بِهِ فِي الْآخِرَةِ. مجموع الفتاوى (١٤٦/٢٨)

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حدٍّ، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل.

ولست تجد فساداً إلا وسبب نتيجته الخروج فيه من حال العدل إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان، فإنه لا شيء أنفع من العدل، كما لا شيء أضر مما ليس بعدل. أدب الدين (٢٣٠، ٢٢٥).

\* وقال لمحمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٤٣): كيف تراني يا محمد؟ فقال: أراك والله كما أحب، وكما يحب من يحب لك الخير، أراك قوياً على جمع المال، عفيفاً عنه، عادلاً في قسمه، ولو ملت عدلناك، كما يُعدّل السهم في الثفاف<sup>(١)</sup>، فقال عمر: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني. الزهد لابن المبارك (٤٧٣).  
\* ودخل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥) على غلام له يعلف ناقة، فرأى في علفها شيئاً كرهه، فأخذ بأذن غلامه فعرکہا، ثم ندم فقال له: خذ بأذني فاعرکہا، فأبى الغلام، فلم يدعه حتى أخذ بأذنه، فجعل عثمان يقول له: شد، شد، حتى ظن أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه، قال عثمان: واهّا<sup>(٢)</sup> لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٥٠.

\* وعن عبد الرحمن بن شماس قال: أتيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ت: ٥٨) أسألها عن شيء فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم<sup>(٣)</sup> لكم في غزائكم هذه؟ فقال: ما نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئاً، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَ الْبَعِيرِ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرُ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدُ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةُ، فقالت: أما إنّه لا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»<sup>(٤)</sup>.  
صحيح مسلم (١٨٢٨).

(١) الثفاف: ما تسوى به الرماح.

(٢) كلمة تعجب تقال للشيء الطيب الحسن.

(٣) أي: الأمير على مصر، من قبل معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو معاوية بن خديج، بعدما تغلب على أميرها من قبل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو محمد بن أبي بكر، وقد قتله معاوية.

(٤) هذا من إنصافها وعدلها، حيث ذكرت الحديث الذي فيه مدح لهذا الأمير الذي قتل أخاها. فيستفاد من ذلك: أن قول الحق وذكر فضل ذي الفضل أمرٌ مرغَّبٌ فيه مع العدو والصديق، ولا يُمنع منه لسبب عداوةٍ ونحوها.



\* وقال أبو الدرداء (ت: ٣٢): إن أبغض الناس إليّ أن أظلمه الذي لا يستعين عليّ إلا بالله عزَّ وجلَّ. الزهد لأبي داود (٢٠١).

\* وعن الزهري أن أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انتهى إلى جارية له ترعى غنما، فأعطى جاريته فرسه، ثم قال: لا يغلبك، ثم طاف في غنمه، فانفلت الفرس، فجالت<sup>(١)</sup> الغنم حتى تكسر عامتها، فجاء أبو الدرداء إليها يشتد رافعا السوط، حتى إذا دنا منها كف وقال: لولا القود<sup>(٢)</sup> لأوجعتك. ابن أبي الدنيا ٢٤٩/٦.

\* ودعا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) بَغْلَامٍ لَهُ فَرَأَى بِظَهْرِهِ أَثْرًا، فَقَالَ لَهُ: أَوْجَعْتُكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَنْتَ عَتِيقٌ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: مَا لِي فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَزِنُ هَذَا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتَقَهُ». صحيح مسلم (١٦٥٧).

\* وعن معاوية بن سويد بن مقرن رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَطَمْتُ مَوْلَى لَنَا فَهَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَا وَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: امْتِثِلْ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>، فَعَفَا، ثُمَّ قَالَ: كُنَّا بَنِي مُقَرَّرٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ لَنَا إِلَّا خَادِمٌ وَاحِدَةٌ، فَطَمَمَهَا أَحَدُنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَعْتَقُوهَا»، قَالُوا: لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا، قَالَ: «فَلَيْسَتْ خَدِمُوهَا، فَإِذَا اسْتَعْنَوْا عَنْهَا فَلْيُخْلَوْا سَبِيلَهَا». صحيح مسلم (١٦٥٨).

\* وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٥)، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بُرْدَةٌ

(١) أي هاجت واضطربت.

(٢) القود: القصاص ومجازاة الجاني بمثل صنيعه.

(٣) أي افعَلْ به مثل ما فعل بك.

وَمَعَاْفِرِي<sup>(١)</sup>، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَاْفِرِي.

فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمَّ لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ، وَأَعْطَيْتَهُ مَعَاْفِرِيكَ، وَأَخَذْتَ مَعَاْفِرِيَهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، يَا ابْنَ أَخِي بَصْرَ عَيْنِي هَاتَيْنِ، وَسَمِعُ أُذُنِي هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مَنْطِقِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ».

وَكَانَ أَنَّ أَعْطَيْتُهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. صحيح مسلم (٣٠٠٧).

\* وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): لو أن جبلاً بغى على جبلٍ لُدَّكَ الباغي. تهذيب الحلية ١ / ٢٢٨.

\* وسمع ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) رجلاً يدعو على من ظلمه، فقال: اقصر يا هذا، لا يَرْبَحْ عليك ظالمك. عيون الأخبار ١ / ١١٩.

\* وقال بعضهم:

ما يدخل السجنَ إنسانٌ فتسأله ما بال سجنك إلا قال مظلومٌ  
عيون الأخبار ١ / ١١٩.

\* وعن حسان بن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠): قال: يعذب الله الظالم بالظالم، ثم يدخلهما النار جميعاً. تهذيب الحلية ٢ / ٢٦٨.

\* وكتب عُمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠١) إلى بعض عماله: أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ عَلَى النَّاسِ إِلَى ظُلْمِهِمْ، فَادْكُرْ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، وَنَفَادَ مَا تَأْتِي إِلَيْهِمْ، وَبَقَاءَ مَا يَأْتُونَ إِلَيْكَ. تهذيب السير ٢ / ٥٨٩.

(١) البردة شملة مخططة، وقيل كساء مربع، فيه صغر يلبسه الأعراب، والمَعَاْفِرِي نوع من الثياب يعمل بقرية تسمى مَعَاْفِر.

\* وكان رَحْمَةُ اللَّهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُعَاقِبَ رَجُلًا حَبَسَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ عَاقَبَهُ كِرَاهِيَةً أَنْ يَعْجَلَ فِي أَوَّلِ غَضَبِهِ. تهذيب السَّيَر ٢ / ٥٩٠.

\* وعن يحيى الغساني قال: لما ولاني عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ الموصِل، قدّمَتها فوجدتها من أكبر البلاد سِرْقًا ونَقْبًا، فكتبت إلى عمر أعلمه حال البلد، وأسأله آخذ من الناس بالمظنة، وأضربهم على التهمة، أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه عادة الناس؟ فكتب إلي أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله.

قال يحيى: ففعلت ذلك فما خرجت من الموصِل حتى كانت من أصلح البلاد وأقله سِرْقًا ونَقْبًا. تهذيب الحِلْيَة ٢٠٤ / ٢.

\* وعن رباح بن عبيدة قال: كنت قاعدًا عند عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ، فذكر الحجاج فشتمته ووقعت فيه، فقال عمر: مهلاً يا رباح، إنه بلغني أن الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويتنقصه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم عليه الفضل. ابن أبي الدنيا ٧ / ٣٦٩.

\* وكتب بعض عمال إليه: أما بعد: فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها ما لا يرمها به فعل.

فكتب إليه عمر: أما بعد: فقد فهمت كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصّنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم، فإنه مرّتُها والسلام. تهذيب الحِلْيَة ٢٢٤ / ٢.

\* وقال بعض البلغاء: السلطان السوء يُخيف البريء ويصطنع الدنيء، والبلد السوء يجمع السُّفْل ويورث العلل، والولد السّوء يشين السّلف ويهدم الشرف. أدب الدين (٢٣٠).

\* وقال بعض الحكماء: الأمن أهنا عيش، والعدل أقوى جيش. أدب الدين (٢٣١).

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): والله ما يحلُّ لك أن تؤذي كلبًا ولا خنزيرًا بغير حقٍّ، فكيف تؤذي مسلمًا. تهذيب السَّير ٧٧٤ / ٢.

\* وقال أبو عمران رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣): بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة، أمر الله تعالى بكلَّ جبار، وكلَّ شيطان، وكلَّ من يخاف الناس من شرِّه في الدنيا، فيوثقون في الحديد، ثم أمر بهم إلى النار، ثم أوصدها عليهم - أي طبقها -، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدًا، ولا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبدًا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدًا، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدًا.

ثم يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطانًا ولا جبارًا، وكلوا اليوم واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية. تهذيب الحلية ١ / ٤٠٢.

\* وقال بعضهم:

تفرح أن تغلبنى ظالمًا      والغالبُ المظلومُ لو تعلم  
\* وقال آخر:

ونستعدي الأمير إذا ظلمنا      فمن يُعدي إذا ظلم الأميرُ  
عيون الأخبار ١ / ١١٧.

\* وقال يوسف بن أسباط (ت: ١٩٩) والحسن البصري (ت: ١١٠) رَحِمَهُمَا اللهُ: من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله. ابن أبي الدنيا ٧ / ١٥٤، تهذيب الحلية ٥٧ / ٣.

\* وسمع مسلم بن يسار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٩) رجلاً يدعو على رجل، فقال: كِلِ الظالم إلى ظلمه، فإنه أسرع إليه من دعائك عليه، إلا أن يتداركه بعمل، وقَمِنَ أن لا يفعل. <sup>(١)</sup> الزهد لأبي داود (٣٨٦).

\* وعن محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٨) قال: ثلاث خصال من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر. وقرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿بِأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]، ﴿فَمَنْ تَكَلَّمَ فَأْتَمَّا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]. ابن أبي الدنيا ٢٤٤ / ٥.

\* وجاء رجل إلى أَحْمَدَ بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) فقال له: نكتب عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ منصور الطوسي (ت: ٢٥٤)؟ فقال: إذا لم تكتب عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ منصور فعمن يكون ذلك؟ -مراراً- فقال له الرجل: إنه يتكلم فيك، فقال أَحْمَدُ: رجل صالح ابْتُلِيَ فينا فما نعمل؟ <sup>(٢)</sup> طبقات الحنابلة (٢ / ٤٥).

\* وقال الشاعر:

وما زال المسيء هو الظلوم	أما والله إن الظلم شؤم
وعند الله تجتمع الخصوم	إلى ديان يوم الدين نمضي
غدا عند المليك من الظلوم	ستعلم في المعاد إذا التقينا
أدب الدين (٢٢٥).	

\* وكان الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٩) يستعمل الإنصاف، ويقول: ليس في الناس أقل منه، فأردتُ المداومة عليه. ترتيب المدارك (١ / ١٠٥).

(١) صدق رَحِمَهُ اللهُ.

ومعنى كلامه: كِلِ أمر الظالم إلى ظلمه، فإن شؤم ظلمه أسرع إليه من دعائك عليه، إلا أن يتداركه بعمل صالح أو توبة نصوح، وحرِّي أن لا يفعل؛ لأن السيئة تجر السيئة.

(٢) هذا والله التجرد والإنصاف والعدل، حيث لم يمنعه ما نُقِلَ عنه من الكلام فيه من الشاء عليه بالصلاح، والحث على الرواية عنه، والاستفادة منه.

\* وقال بشر بن عمر: جئت مع مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ من منزله حتى دخل المسجد، فانتهى إلى جماعة، فوسَّع لي في صدرها، فأبى وجلس حيث انتهى به المجلس، فقلت في نفسي: هذا رجل مُنْصِف، كما لا يوسع لأحد في مجلسه لا يقعد في صدور مجالس الناس. ترتيب المدارك (١ / ١٧٤).

\* وقال محمود الوراق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢١):

اصبر على الظلم ولا تتصر  
فالظلم مردودٌ على الظالم  
وكل إلى الله ظلومًا فما  
ربي عن الظالم بالنائم  
\* وقال آخر:

وما من يد إلا يد الله فوقها  
وما ظالمٌ إلا سيلى بأظلم  
الآداب الشرعية ١ / ١٤٢.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): بسَّ الزادُ إلى المَعَادِ العدوانُ على العباد. تهذيب السَّير ٢ / ٨٤٩.

\* وعن قحطبة بن حميد أنه قال: كنت واقفًا على رأس المأمون رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٨) يومًا وقد قعد للمظالم، فأطال الجلوس حتى زالت الشمس، وإذا امرأة قد أقبلت تعثر في ذيلها حتى وقفت على طرف البساط، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، فأقبل يحيى عليها فقال: تكلمي. فقالت: يا أمير المؤمنين، قد حيل بيني وبين ضيعتي، وليس لي ناصر إلا الله. فقال لها يحيى بن أكثم: إن الوقت قد فات، ولكن عودي يوم الخميس قال: فرجعت، فلما كان يوم الخميس قال المأمون: أول من يدعى المرأة المظلومة، فدعا بها، فقال: أين خصمك؟ قالت: واقف على رأسك يا أمير المؤمنين، قد حيل بيني وبينه، وأومأت إلى العباس ابنه، فقال لأحمد بن أبي

خالد: خذ بيده وأقعده معها، ففعل، فتناظرا ساعة حتى علا صوتها عليه، فقال لها أحمد بن أبي خالد: إنك تناظرين الأمير أعزه الله بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فأخفصي عليك، فقال له المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه، فلم تزل تناظره حتى حكم لها المأمون عليه، وأمر برّد ضيعتها، وأمر ابن أبي خالد أن يدفع لها عشرة آلاف درهم. المنتظم ٦٥ / ١٠.

\* وقال بعضهم:

وظلمُ ذَوِي القُرْبَى أشدُّ مَضاضَةً      على المرءِ من وَفَعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ  
عيون الأخبار ٣ / ٩١.

\* وقصد ملك شاه رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٨٥) رجلاً من أهل البلاد السفلى من أرض العراق، فتعلقا بركابه وقالوا: نحن من أسفل واسط من قرية تعرف بالحدادية، مقطعة لخمارتكين الحلبي، صادَرْنَا على ألف وستمئة دينار، وكسر ثنيتي أحدنا - والثيتان بيده -، وقد قصدناك أيها الملك لتقتص لنا منه، فقد شاع من عدلك ما حملنا على قصدك، فإن أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك وإلا فالله الحاكم بالعدل بيننا.

وفُسرَّ على السلطان ما قالاه، فنزل عن فرسه وقال: ليمسك كل واحد منكما بطرف كمي واسحباني إلى دار حسن - وهو نظام الملك رَحِمَهُ اللهُ - فأفرعهما ذلك، ولم يُقدِّم عليه، فأقسم عليهما إلا فعلا، فأخذ كل واحد منهما بطرف كمه وسارا به إلى باب النظام، فبلغه الخبر، فخرج مسرعاً وقال: أيها السلطان المعظم، ما حملك على هذا؟ فقال: كيف يكون حالي غداً بين يدي الله إذا طُوبت بحقوق المسلمين، وقد قلّدتك هذا الأمر لتكفيني مثل هذا الموقف، فإن تطرّق على الرعية ثلّم لم يتطرق إلا بك وأنت المُطالَب، فانظر بين يديك، فعاد من وقته،

فكتب بعزل خمارتكين وحل إقطاعه، وردّ المال إليهما وقلع ثنيتيه إن ثبت عليه البينة، ووصلهما بمائة دينار، وعادا من وقتهما. المنتظم ٣١١-٣١٢/١٦.

\* وقال الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ اللهُ: لَمَّا تعرّض الشيخ عثمان بن سند (ت: ١٢٥٠) للإمام تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وعرض بإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: ردّ عليه الشيخ عثمان بن منصور رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٨٢) ردًّا مُوجعًا مؤلما مفحمًا بقصيدة عُرِفَتْ بـ (الرد الدامغ على من اعتقد أنّ شيخ الإسلام زائف).

ومؤلفات الشيخ عثمان بن سند كثيرة جدًّا ومفيدة؛ لأنها ليست مجرد نقل، وإنما كتبها من علوم هضمها، ومعارف شربها، فجاءت مؤلفاته بأفكار حرة من معارفه الخاصة، وبمعانيه المبتكرة، وصاغها بأسلوبه الأدبي، وجملته البليغة، ومن هذه المصنفات<sup>(١)</sup>: (الصارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب)، وهي مجموعة شعرية تضمّنت أكثر من ألفي بيت، وجميعها في الردّ على الشاعر الشيعي دِعبِل الخزاعي.

إنّ الشيخ عثمان بن سند من كبار العلماء، ونوابغ البلغاء، وفحول الشعراء، وإنه موسوعة علمية في كلّ باب من أبواب العلم، وفي كلّ فنٍّ من فنون الأدب، فهو عالم عصره، وعلامة عصره.

ونحن نشي عليه وندعو له حينما تصدّى للشاعر الخبيث دِعبِل الخزاعي الذي تهجّم -قبّحه الله- على سادات الصحابة؛ أبي بكر وعمر وطلحة وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وأندادهم، فهجاهم وشتّمهم وازدراهم، فتصدّى له الشيخ عثمان بن سند بالردّ عليه بمجموعة شعره «الصارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب».

(١) وقد ذكر خمسة وأربعين مصنفًا، ثم قال: ليت بعض الشباب الجادّ حاول جمع تراثه وقدم فيه شهادة؛ فإنها ستنال إعجاب العلماء والمفكرين.



فكان في هذا الردّ البليغ ما يَشفي العليل ويروي الغليل.

ونحن نعتب على الشيخ عثمان ونلومه - وهو النجدي الأصل، ونجد هي منبت السلفية - أن ينحاز مع المنحرفين عن هذه الدعوة السلفية، ويكون مع أصحاب الطرق الصوفية، ثم لا يكفيه هذا حتى تناول بالسَّبِّ والنقد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ صاحب المدرسة السلفية، مما جعل الشيخ عثمان بن منصور الناصري رَحِمَهُ اللهُ يردّ عليه، وهو معاصر له، ومُجاوره في العراق مدّة الطلب.<sup>(١)</sup> علماء نجد (٥/ ٨٥، ١١٨-١٢٣).

\* وقال المتنبّي (ت: ٣٥٤):

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا غفة فلعله لا يظلم<sup>(٢)</sup>

(١) هذا من عدل وإنصاف الشيخ عبدالله البسام رَحِمَهُ اللهُ، الذي سار فيه على هدي ومنهج الصحابة والسلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، فقد ذكر محاسن الشيخ عثمان وبالغ في الثناء على جهوده، وذكر كذلك مساوئه وأخطائه بلا زيادة ولا قذف وخطّ من قدره، مع فداحة ما قام به، حيث طعن على شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، التي امتلأ قلب الشيخ عبدالله وغيره بحبه والإعجاب بعلمه وكتبه، وملاً كتبه بالنقل عنه، والجزم القاطع أن ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من المجددين المجاهدين، وأن الشيخ عثمان أخطأ خطأ لا يحتمل الصواب. وهكذا يجب على كل مسلم أن يتعامل مع من جاء بحق وباطل، وخير وشرّ، ما لم يكن الباطل والشرّ غالباً عليه، فيُحذّر منه لئلا يغتر به الناس.

وذكر الشيخ عبدالله بن بسام كذلك أنّ الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان طبع كتاب محمد بن علي بن سلّوم (ت: ١٢٤٦) (شرح متن البرهانية)، وصدّر له الشيخ عمر بن حسن آل شيخ، وقال الشيخ عمر عن مؤلفه ابن سلّوم: إنه ممن شَرِقَ بالدعوة السلفية، لكنه لا يُدرى ما آل إليه أمره.

(٢) وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء: إما عقل زاجر، أو دين حاجز، أو سلطان رادع، أو عجز صاد.

فإذا تأملتُها لم تجد خامساً يقترب بها، ورهبة السلطان أبلغها؛ لأنّ العقل والدين ربما كانا مضعوفين، أو بدواعي الهوى مغلوبين، فتكون رهبة السلطان أشدّ زجراً وأقوى ردّعا. أدب الدين (٢١٨).

❖ وقال:

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعةً      بين الرّجال ولو كانوا ذوي رحم<sup>(١)</sup>  
ديوان المتنبي (٢٣٩، ٢٤٨).



---

(١) يقول: إنهم لما لم ينصفوا في إنزالنا منازلنا ففارقناهم، لأن قلة الإنصاف تقطع بين الناس، وإن كانوا ذوي قربي.

## مكائد الشيطان ووسوسته، والحذر منه <sup>(١)</sup>

\* ذكر الغيلان <sup>(٢)</sup> عند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) فقال: إن أحدا لا يستطيع أن يتغير عن صورته التي خلقه الله تعالى عليه، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم من ذلك شيئا فأذّنوا. ابن أبي الدنيا ٥٢٩ / ٤.

\* وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٠) قال: أمرنا إذا رأينا الغول أن ننادي بالصلاة. ابن أبي الدنيا ٥٣٢ / ٤.

\* وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) قال: لما ضرب الدينار والدرهم أخذه

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبر تعالى بأن الشيطان عدو، وخبره حق وصدق، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال جل من قائل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ صَلَكَأً بِعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وقال: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَحْصَى السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وهذا غاية في التحذير، ومثله في القرآن كثير. تفسير القرطبي (١٣/٣).

ومن أحسن من تكلم في هذا الباب، وعن مداخل الشيطان على الناس والعباد وأهل العلم: ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: تلبیس إبلیس، فقد أجاد وأفاد.

(٢) الغيلان: جمع غُول، وهي جنس من الجن والشیاطین، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تترأى للناس فتغول تغولا، أي تتلون تلونا في صور شتى، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٦).

إبليس فوضعه على عينيه وقال: أنت ثمرة قلبي وقرّة عيني، بك أطغي، وبك أكفر، وبك أدخل النار، رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدك. تهذيب الحلية ١/٢٣٠.

\* وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) قال: شيطان المؤمن مهزول. ابن أبي الدنيا ٤/٥٣٥.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مثل المحقرات من الأعمال مثل قوم نزلوا منزلاً ليس به حطب ومعهم لحم، فلم يزلوا يلقطون حتى جمعوا ما نضجوا به لحمتهم. الزهد لهناد (٨٩٣).

\* وقال سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٣) عن السوق: لا تكن أول أهلها دخولا، ولا آخرهم منها خروجا؛ فإنها حيث باض الشيطان وفرخ. الزهد لهناد (٦٧٥).

\* وقال مطرف بن الشخير رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٥): لو أن رجلاً رأى صيدا والصيد لا يراه يختله أليس يوشك أن يأخذه، قالوا: بلى! قال: فإن الشيطان هو يرانا، ونحن لا نراه فيصيب منا. تهذيب الحلية ١/٣٦١.

\* وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ: وجدت العبد مُلقى بين ربه تعالى وبين الشيطان، فإن استنقذه نجا، وإن تركه للشيطان ذهب به. الزهد لابن المبارك (٢٨٣).

\* وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: لم ير إبليس ابن آدم ساجداً قط إلا التطم ودعا بالويل، ثم يقول: أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فلم أسجد فلي النار. تهذيب الحلية ٢/١١.

\* وقال بعض السلف: وجدت التسوييف جنداً من جنود إبليس، قد أهلك خلقاً من خلق الله كثيراً. تهذيب الحلية ٢/٢٥٩.

\* وعن الحسن بن صالح رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٦٩) قال: إن الشَّيْطَانَ ليفتح للعبد تسعةً وتسعين باباً من الخير، يريد بها باباً من الشر. <sup>(١)</sup> تهذيب السَّيَر ٧٠٣ / ٢.

\* ودخل أبو حازم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٠) المسجدَ فَوَسَّوسَ إليه الشَّيْطَانُ: إنك قد أحدثتَ بعد وُضُوءِكَ! فقال: وقد بَلَغَ هذا من نصحك! عيون الأخبار ٧٣٧ / ٢.

\* وقال بعض السلف: إذا نظر إليك الشَّيْطَانُ فَرَأَكَ مداوماً في طاعة الله: ملَّكَ ورفضك، وإذا كنت مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): لا تَجِيءُ الوَسْوَاسُ إِلَّا إِلَى كُلِّ قَلْبٍ عامرٍ، رَأَيْتَ لَصّاً يَأْتِي الْخَرَابَةَ يَنْقُبُهَا وَهُوَ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّ الْأَبْوَابِ شاء؟.

تهذيب الحِلْيَةِ ١٨٣ / ٣.

\* وشكا إليه رجلٌ الوسواس فقال: إن أردت أن ينقطع عنك فإن أحسست بها <sup>(٢)</sup> فافرح بها، فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك، فإنه ليس شيء أبغض إليه من سرور المؤمن، وإن اغْتَمَمْتَ منها زادك. الحِلْيَةِ (٩ / ٢٦٠).

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: أنت لا تطيع من يحسن إليك <sup>(٣)</sup>، فكيف تُحَسِّنَ إلى من يسيء إليك <sup>(٤)</sup>. صفة الصفوة ٤ / ٤٨٥.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وهاهنا لطيفة للشَّيْطَانِ لا يتخلص منها إلا حاذق، وهي أن يظهر له في مظان الشر بعض شيء من الخير ويدعوه إلى تحصيله فإذا قرب منه ألقاه في الشبكة. عدة الصابرين / ٨٦

وقال: فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويع باطله إلا بإخراجه في قالب حق. إغاثة اللهفان ٩٥ / ٢

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ولا ينفق - أي يروج - الباطل في الوجود إلا بشوبٍ من الحق. مختصر الفتاوى المصرية: ١٥٩

(٢) أي: الوسواس.

(٣) وهو الله.

(٤) وهو الشَّيْطَانُ.

\* وقال بعض السلف رَحِمَهُ اللهُ: الشَّيْطَانُ أَشَدُّ بَكَاءَ عَلَى الْمُؤْمِنِ إِذَا مَاتَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، لَمَّا فَاتَهُ مِنْ إِفْتَانِهِ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا. ابن أبي الدنيا ٥٣٨/٤.

\* وعن الزهري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٤) قال: إبليس أبو الجن، كما أن آدم أبو الإنس، وآدم من الإنس، وهو أبوهم، وإبليس من الجن وهو أبوهم. ابن أبي الدنيا ٥٣٨/٤.

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: كانت شجرة تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ إِلَيْهَا، فَقَالَ: لَأَقْطَعَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَجَاءَ لِيَقْطَعَهَا غَضِبَا اللهُ، فَلَقِيَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، فَقَالَ: مَا تَرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، قَالَ: إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْبُدْهَا فَمَا يَضُرُّكَ مِنْ عِبَادَتِهَا؟ قَالَ: لَأَقْطَعَنَّهَا، فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ: هَلْ لَكَ فِيهَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، لَا تَقْطَعُهَا وَلَكِ دِينَارَانِ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا أَصْبَحْتَ عِنْدَ وَسَادَتِكَ، قَالَ: فَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: أَنَا لَكَ، فَرَجَعَ فَأَصْبَحَ فَوَجَدَ دِينَارَيْنِ عِنْدَ وَسَادَتِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، فَقَامَ غَضِبًا لِيَقْطَعَهَا، فَتَمَثَّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: مَا تَرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، قَالَ: كَذَبْتَ مَا لَكَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ، فَذَهَبَ لِيَقْطَعَهَا فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ وَخَنَقَهُ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُهُ، قَالَ: أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟ أَنَا الشَّيْطَانُ، جِئْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ غَضِبَا اللهُ فَلَمْ يَكُنْ لِي سَبِيلٌ، فَخَدَعْتُكَ بِالْدِينَارَيْنِ فَتَرَكْتَهَا، فَلَمَّا جِئْتُ غَضِبَا لِلدِينَارَيْنِ سَلَطْتَ عَلَيْكَ. ابن أبي الدنيا ٥٤٦/٤.

\* وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ: رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١) يَصْلِي فَقَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا - يُشِيرُ بِأَصْبُعَيْهِ -، فَلَمَّا سَلَّمَ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا قُلْتَ فِي صَلَاتِكَ؟ قَالَ: كُنْتُ عَلَى طَهَارَةٍ فَجَاءَ إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنَّكَ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقُلْتُ: شَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ. طبقات الحنابلة (١/٢٨٨).

\* وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الهمُّ همّان: همّ خطرات، وهمّ إصرار.<sup>(١)</sup>  
طبقات الحنابلة (١/ ٣٦٥).

\* وَقَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ قَالَ لِي أَبِي: يَا بَنِي اعْلَمْ أَنَّ إِبْلِيسَ مُوَكَّلٌ بِالْمُسْلِمِينَ، مَعَهُ خِرْجٌ فِيهِ رِقَاعٌ حَوَائِجُ بَنِي آدَمَ كُلِّهِمْ، فَإِذَا وَقَفُوا لِلصَّلَاةِ أَخْرَجَهَا فَعَرَضَهَا عَلَيْهِمْ، لِيُخْرِجَ الْمُصَلِّيَ مِنْ حَدِّ الصَّلَاةِ فَيَشْغَلَ قَلْبَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وُكِّلَ بِي، فَإِذَا وَقَفْتُ لِلصَّلَاةِ وَقَفَ بِحِذَائِي، فَإِذَا صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ قَالَ لِي: يَا أَحْمَدُ قَدْ صَلَّيْتَ ثَلَاثَةَ، فَأَقُولُ لَهُ بِيَدِي: «لَا» بَلَا كَلَامٍ، فَلَا يَزَالُ يَقُولُ كَذَلِكَ حَتَّى أَقْضِيَ الصَّلَاةَ. طبقات الحنابلة (١/ ٤٦٦).

\* وَأَتَى رَجُلٌ إِلَى سَحْنُونِ بْنِ سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤٠) فَجَلَسَ حَتَّى انصَرَفَ النَّاسُ، فَأَخَذَ فِي الْبُكَاءِ، فَسَأَلَهُ سَحْنُونُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ رَأَى أَمْرًا اسْتَعْظَمَهُ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى ذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ رَأَى كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، وَحُشِرَ النَّاسُ، وَأُتِيَ سَحْنُونُ، فَرَأَى أَنَّهُ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، بَعْدَ أَنْ لَقِيَ مِنَ الْأَغْلَالِ وَالنِّكَالِ أَمْرًا عَظِيمًا، فَصَبَّرَهُ سَحْنُونُ، فَأَرْسَلَ فِي رُؤُوسِ كَنِيسَةِ النَّصَارَى، فَجَاءَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ اثْنَانِ، فَسَأَلَهُمْ هَلْ مَاتَ لَكُمْ مَيِّتٌ مِمَّنْ تَعْظُمُونَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ لَهُ شَيْئًا؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَأَى كَثِيرَةً، وَوَصَفُوا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالتَّرْفِيعِ، فَصَرَفَهُمَا، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: هَلْ تَشْكُ أَنَّ هَؤُلَاءِ وَمَيِّتَهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي لِلْمُؤْمِنِ بِمَا يَبْطِئُهُ عَنِ الْخَيْرِ، وَيَمَقِّتُ لَهُ أَهْلَهُ، وَيَأْتِي إِلَى الْكُفَّارِ بِمَا يَغْبِطُ إِلَيْهِ حَالَهُ وَيَشْبِئُهُ عَلَى كُفْرِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَخْتَلِفُ إِلَيْنَا فَأَرَادَ أَنْ يُضِرَّكَ. ترتيب المدارك (٢/ ١٠٧).

(١) هم الخطرات يكون من القادر، فإنه لو كان همه إصراراً جازماً وهو قادر لوقع الفعل، ومن هذا الباب هم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بُرْهَنَ رَبِّيَ﴾ الآية [يوسف: ٢٤].

وأما هم المرأة التي راودته فقد قيل: إنه كان هم إصرار؛ لأنها فعلت مقدورها. [مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/ ٧٤٠)].

\* وقال بعضهم: إنّ الشيطان ليقنع من الإنسان بأن ينقله من طاعة إلى طاعة؛ ليفسخ عزمه بذلك.<sup>(١)</sup> طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢١٠).

\* وقال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٠): من مكائد الشيطان: تنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعا.

ومنها: أن يُخرج جواب الفتن<sup>(٢)</sup> مخرج التشدد في الدين.<sup>(٣)</sup>

ومنها: أن يقيم أوثانا في المعنى تعبد من دون الله مثل أن يبين الحق، فيقول: ليس هذا مذهبنا تقليدا للمعظم عنده، قد قدمه على الحق. ذيل الطبقات (٢/ ١٥٦).



(١) وهذا يحصل كثيرا، فتجد بعض الناس يعزم على القيام عمل نافع، ثم يفتر ويتنقل إلى طاعة أخرى، وهو يرى أنه فعل الأحسن والأكمل، ولم يعلم أن مضيه في عمله الأول حتى يتمّه أحسن وأنفع له ولغيره.

(٢) الجواب: الآفات والشدائد، مفردا: جالبة.

(٣) أي: يبرر أعماله التي تؤدي إلى الفتن العظيمة بتمسكه بالدين واحتياطه، كما هو حال الخوارج، حيث خرجوا على الحكام وجأهروا بأمرهم بالمعروف ونهيه عن المنكر باللسان واليد، بدعوى الغيرة على الدين، والتمسك به، فحصل من ذلك فتن أعظم من الفتن التي طلبوا إزالتها ودفعها.



## النصيحة والاستشارة والاستخارة<sup>(١)</sup>

\* قدم معاوية بن أبي سفيان (ت: ٦٠) على عمر بن الخطاب (ت: ٢٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أبيض وأبْضُ الناس وأجملهم، فخرج إلى الحج مع عمر بن الخطاب، فكان عمر بن الخطاب ينظر إليه، فيعجب له، ثم يضع أصبعه على متنه، ثم يرفعها عن مثل الشراك، فيقول: بخٍ بخٍ، نحن إذا خير الناس إن جمع لنا خير الدنيا والآخرة، فقال معاوية: يا أمير المؤمنين، سأحدثك إنا بأرض الحمامات والريف، فقال عمر: سأحدثك ما بك، إطفأك نفسك بأطيب الطعام، وتصبحك حتى تضرب الشمس متنك، وذوو الحاجات وراء الباب! الزهد لابن المبارك (٥٣١).

\* وقال معمر رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٥٣): كان يقال: أنصح الناس من يخاف الله عَزَّجَلَّ فيك. الزهد لابن المبارك (١٠٧٣).

(١) بايع بعض الصحابة - كجدير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رسولَ الله ﷺ عَلَى النَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. فبايع - أخي الكريم - رَبَّكَ جَلَّ وَعَلَا عَلَى ذَلِكَ، وأنصح لكل مسلم، ولا تخف في الله لومة لائم، وإذا علم الله تعالى منك الصدق وحبَّ النصح: وفقك وسدّدك ورفعك في الدنيا والآخرة. واحرص على المشاورة في أمورك، وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين، وثبت في أمره، وقد قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] [٣/١٥٩]، وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدا إلى أرشد أمرهم. الوابل الصيب لابن القيم / ١١٢

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: من الحزم لكل ذي لب أن لا يُبْرَمَ أمراً ولا يمضي عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح؛ فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيّه ﷺ مع ما تكفل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. أدب الدين (٤٨٣)

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠): المسلم مرآة أخيه. الزهد لهناد (١٠٢٧).

\* وقال الشاعر:

النُّصْحُ أَرْحَصُ مَا بَاعَ الرَّجَالُ فَلَا تَرُدُّ عَلَى نَاصِحٍ نُصْحًا وَلَا تَلُمُ  
\* وقال الآخر:

وَلَا تَمْنَحَنَّ الرَّأْيَ مَنْ لَيْسَ أَهْلُهُ فَلَا أَنْتَ مَحْمُودٌ وَلَا الرَّأْيُ نَافِعُهُ  
أدب الدين (٤٩٢، ٤٩٤).

\* واستشار عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ في قوم يستعملهم، فقال له بعض أصحابه: عليك بأهل العُدْر قال: ومن هم؟ قال: الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم، وإن قصّروا قال الناس: قد اجتهد عمر. عيون الأخبار ٦٠ / ١.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): استخيروا الله ولا تَحَيَّرُوا عليه، فكم من عبد تخير لنفسه أمرا كان هلاكه فيه! أما رأيتموه سأل ربه طرسوس<sup>(١)</sup> فأعطىها فأسر فصار نصرانيا. (٢) عيون الأخبار ٧٣١ / ٢.

\* وكان بعض المتقدمين يكثر سؤال الشهادة فهتف به هاتف: إنك إن غزوت أسرت، وإن أسرت تنصرت. فكف عن سؤاله. الجامع المنتخب / ١٤١.  
\* وقال بعضهم:

وَرُبَّ مُلِحٍّ عَلَى بُغْيَةٍ وَفِيهَا مَنِيَّتُهُ لَوْ شَعَرَ  
عيون الأخبار ٩٣ / ٣.

(١) قال في الحاشية: طرسوس: بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثغور المسلمين.

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وَلْيَعْلَمْ الْعَاقِلُ أَنَّ إِجَابَةَ اللَّهِ لِسَائِلِهِ لَيْسَتْ لِكِرَامَةِ كُلِّ سَائِلٍ عَلَيْهِ، بَلْ يَسْأَلُهُ عَبْدُهُ الْحَاجَةَ فَيَقْضِيهَا لَهُ وَفِيهَا هَلَاكُهُ وَشَقْوَتُهُ. فاحذر كل الحذر أن تسأل شيئا مُعَيَّنًا خَيْرَتَهُ وَعَاقِبَتَهُ مَغْيِبَةً عَنْكَ، وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنْ سؤَالِهِ بُدًّا فَعَلِّقْهُ عَلَى شَرْطِ عِلْمِهِ تَعَالَى فِيهِ الْخَيْرَةُ. وقدم بين يدي سؤالك الاستخارة. ١. هـ. بتصرف. مدارج السالكين ١ / ١٦٩.

\* واستشار زياد بن عبيد الله الحارثي عبيد الله بن عمر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٧) في أخيه أبي بكر أن يوليه القضاء، فأشار عليه به، فبعث إلى أبي بكر فامتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكر، فقال أبو بكر لعبيد الله: أنشدك بالله أترى لي أن ألي القضاء؟ قال: اللهم لا.

قال زياد: سبحان الله! استشرتكم فأشرت عليّ به ثم أسمعك تنهاه! قال: أيها الأمير استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك، واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحتة. عيون الأخبار ١ / ٧١.

\* وكان يقال: من أعطي أربعاً لم يُمنع أربعاً: من أعطي الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي المشورة لمن يمنع الصواب، ومن أعطي الاستخارة لم يُمنع الخيرة. عيون الأخبار ١ / ٧٢.

\* وقال أعرابي: ما غُبِنْتُ قط حتى يُغَبَّنَ قومي، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم. عيون الأخبار ١ / ٧٣.

\* وقيل لرجل من بني عَبَس: ما أكثر صوابكم! فقال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نطيعه، فكأننا ألف حازم.

ويقال: ليس بين المَلِك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا حزمٌ أو تَوَانٍ. عيون الأخبار ١ / ٧٤.

\* وقال الشاعر:

إِنَّ اللَّيْبَ إِذَا تَفَرَّقَ أَمْرُهُ      فَتَقَ الْأُمُورَ مَنَازِرًا وَمَشَاوِرًا

وَأَخُو الْجَهَالَةِ يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ      فَتَرَاهُ يَعْتَسِفُ الْأُمُورَ مَخَاطِرًا

الآداب الشرعية ١ / ٢٤٨.

\* وقال القاضي أبو بكر الأرجاني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٤٤):

شاور سواك إذا نابتك نائبةٌ      يوماً وإن كنت من أهل المشوراتِ  
فالعينُ تنظر منها ما دنا ونأى      ولا ترى نفسها إلا بمرآةِ  
طبقات الشافعيين (١٥٧/٢).

\* وقال القاضي ابن مفرج رَحِمَهُ اللهُ: لَمَّا قَدَّمَ المستنصرُ أبا بكر ابن السَّليم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٦٧) قاضيه إلى الصلاة والخطبة، وكان ذلك ليلة الفطر، كتب إلى جماعة من ثقات إخوانه يسألهم أن يصبحوا إليه، فأتيناه، فقال: أريد أن تُحَفُوا بي وتشهدوا خطبتي، لتصدقوني على نفسي، وما يُتَعَقَّبُ عليّ، ففعلنا، وخطب وأبلغ، إلا أنه أهدر، وأكثر الاهتذار.

فلما انصرفنا سألنا فأثنينا، فقال أحمد بن نصر صاحب الشرطة والسوق: يا سبحان الله، سألكم فقولوا الحق، فقلنا له: قل أنت يا أبا عُمر، قال: قعدنا ننظر خطيباً، فإذا بهدهد يرفع رأسه ويضعه لكل كلمة<sup>(١)</sup>، وليس هذا من سمت الخطباء، فأقصر عنه، ورتل كلامك<sup>(٢)</sup>، وزن جسمك، فشكره القاضي، وتفقد نفسه، فلحق بالخطباء المتقدمين<sup>(٣)</sup>. ترتيب المدارك (٨٨/٤).

\* وصدق القائل:

وَأَنْفَعُ مَنْ شَاوَرْتَ مَنْ كَانَ عَاقِلًا      شَفِيقًا فَأَبْصُرْ بَعْدَهَا مَنْ تُشَاوِرُ

\* وقال بعض البلغاء: من حقّ العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذُّ ربما زلّ، والعقل الفرد ربما ضلّ.

(١) أي: يحرك رأسه كثيراً يمناً ويسرة، وهذا يخل بسمت الخطيب.

(٢) الرّتل: حُسْنُ تناسقِ الشيء، ورتل الكلام تزتيلاً: أَحْسَنَ تأليفه، وترتل فيه: ترسل وتمهل.

(٣) من الدلالة على عقل القاضي: طلبه من يقومه على أداء خطبته، وسعيه في تحسين أدائه وإلقائه، وهذا شأن العقلاء.

وكان يقال: إياك ومشاورة رجلين: شابٌ معجبٌ بنفسه قليل التجارب في غيره، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه.  
وقيل في منثور الحكم: كل شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى التجارب.

وقال بعض الحكماء: نصف رأيك مع أخيك فشاوره ليكمل لك الرأي.  
وقال بعض الأدباء: من استغنى برأيه ضلّ، ومن اكتفى بعقله زلّ.  
وقد قيل في منثور الحكم: مَنْ أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحًا، وعند الخطأ عاذرًا، وإن كان الخطأ من الجماعة بعيدًا. أدب الدين (٤٨٤-٤٩٠).  
\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): لا تقذفن في رُوعك<sup>(١)</sup> أنك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجةُ إلى رأي غيرك، فإنك لست تريد الرأي للافتخار به، ولكن تريده للانتفاع به، ولو أنك مع ذلك أردت الذكر كان أحسن الذكّرين وأفضلهما عند أهل الفضل والعقل أن يقال: لا يتفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي. الأدب الكبير (٦٣).



## ذم الغرور والعجب<sup>(١)</sup>

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي مدارج السالكين (١ / ١٩٥) عند قول الهروي: (وكل معصية عيرت بها أخاك فهي إليك): يحتمل أن يريد أن تعرف أن كل طاعة رضىتها منك فهي عليك، وكل معصية عَيَّرَتْ بها أخاك فهو أعظم إثما من ذنبه وأشد من معصيته، لما فيه من ضلوة الطاعة، وتركية النفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب وأن أخاك باء به. ولعل كَسَرَتَه بذنبه، وما أحدث له من الذلة، والخضوع، والازدراء على نفسه، والتخلص من مرض الكبر، والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع الطرف، منكسر القلب: أنفع له وخير من ضلوة طاعتك، وتكثرك بها، والمِنَّة على الله وخلقه بها.

فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله، وما أقرب هذا المُدِلِّ من مَقَّتِ الله. فذنب تُذِلُّ به لديه أحب إليه من طاعة تُدِلُّ بها عليه، وإنك أن تبيت نائماً وتصبح نادماً خير من أن تبيت قائماً وتصبح معجباً، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داءً قاتلاً هو فيك وأنت لا تشعر.

فلله في أهل طاعته ومعصيته أسرار لا يعلمها إلا هو ولا يطالعها إلا أهل البصائر فيعرفون منها بقدر ما تناله معارف البشر، ووراء ذلك ما لا يطلع عليه الكرام الكاتبون، وقد قال النبي ﷺ (إذا زنت أمة أحدكم فليقم عليها الحد ولا يثرب) أي: لا يعير، من قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَخَوْتِهِ ﴿لَا تَنْرِيْبَ عَلَيْكُمُ آيَاتُ﴾ [يوسف: ٩٢] فَإِنَّ الْمِيزَانَ بِيَدِ اللَّهِ وَالْحَكْمَ اللَّهُ، فالسوط الذي ضرب به هذا العاصي بيد مقلب القلوب، والقصد إقامة الحد لا التعيير والتثريب، ولا يأمن كُرَاتِ القدر وسطوته إلا أهل الجهل بالله، وقد قال الله تعالى لأعلم الخلق به: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبْنَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيْلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] وقال يوسف الصديق: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ﴾ [يوسف: ٣٣]. ا.هـ.

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: قلما تجد بالعلم معجبا وبما أدرك مفتخرا، إلا من كان فيه مقلا ومقصرا؛ لأنه يجهل قدره، ويحسب أنه قد نال بالدخول فيه أكثره.

\* قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥٨): ذنب أفتقر به إليه أحب إليّ من عمل أدلّ به عليه. صفة الصفوة ٤ / ٣٤٠.

\* وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣١): أنا للقارئ الفاجر أخوف مني للفاجر المبرز بفجوره، إن هذا أبعدهما غرورًا. تهذيب الحلية ٤٢٤ / ١.

\* وقال هشام بن حسان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٤٨): سيئة تسوؤك خير من حسنة تُعجبك. عيون الأخبار ٣١٢ / ١.

\* وقال محمود الوراق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٢١):

تصلُ الذنوبَ إلى الذنوب وترتجي      دركَ الجنانِ بها وفوزَ العابدِ  
ونسيتَ أن الله أخرج آدمًا      منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدٍ  
عيون الأخبار ٧٤٠ / ٢.

\* وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٥): كيف يعجب عاقل بعمله؟

= فأما من كان فيه متوجها، ومنه مستكثرا، فهو يعلم من بُعد غايته، والعجز عن إدراك نهايته، ما يصدّه عن العُجب به.

ومما أنذرك به من حالي أنني صنفت في البيوع كتابا جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس، وأجهدت فيه نفسي وكددت فيه خاطري، حتى إذا تهذب واستكمل وكدت أعجب به وتصوّرت أنني أشدّ الناس اضطلاعا بعلمه، حضرنى وأنا في مجلسي أعرابيان، فسألاني عن بيع عقدها في البادية على شروط تضمنت أربع مسائل لم أعرف لواحدة منهن جوابا!

فأطرقت مفكرا، وبحالي وحالهما معتبرا، فقالا: ما عندك فيما سألناك جواب، وأنت زعيم هذه الجماعة؟ فقلت: لا، فقالا: واهّا لك، وانصرفا.

ثم أتيا من يتقدّمه في العلم كثيرٌ من أصحابي فسألاه فأجابهما مسرعا بما أقنعتهما وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه، فبقيت مرتبكا، وبحالهما وحالي معتبرا.

فكان ذلك زاجرَ نصيحة، ونذيرَ عظة، تدلّل لهما قيادَ النفس، وانخفض لها جناحُ العجب، توفيقا مُنحتة ورشدا أوتيته.

وحقّ على من ترك العُجب بما يحسن أن يدع التكلف لما لا يحسن، فقد يماهى الناس عنهما، واستعاذوا بالله منهما. أدب الدين (١٢٦-١٢٧)

وإنما يعد العمل نعمة من الله، إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع، وإنما يعجب بعمله القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون، فأما من زعم أنه مستعمل بأي شيء يعجب؟ تهذيب الحلية ١٨٧ / ٣.

\* وقال أبو عثمان الحيري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٠٠): احتقار الناس في نفسك مرض لا يُدَاوَى. تهذيب الحلية ٣٦٤ / ٣.

\* وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): لو كان الرجل يُصِيب ولا يخطئ، ويُحمد في كل ما يأتي؛ داخله العُجب. الآداب الشرعية ٤٧ / ١.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٠٤): إذا خفت على عملك العجب؛ فاذكر رضا مَنْ تطلب، وفي أي نعيمٍ ترغب، ومن أي عقابٍ ترهب، فحينئذٍ يصغر عندك عملك. طبقات الشافعيين (١ / ٦٧).

\* وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْبَهْلُولِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: كنت مع أَبِي (ت: ٣١٠) فِي جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه وإلى جانبه فِي الحق<sup>(١)</sup> جالس أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣١٠)، فأخذ أَبِي يعظ صاحب المصيبة ويسليه، وينشده أشعارا، ويروي لَهُ أخبارا، فداخله الطبري فِي ذلك ودأب معه، ثم اتسع الأمر بينهما فِي المذاكرة، وخرجا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم استحسناها الحاضرون وعجبوا منها، وتعالى النهار، وافترقا.

فلَمَّا جعلْتُ أسير خلفه قَالَ لي أَبِي: يا بني هَذَا الشيخ الَّذِي داخلنا اليوم فِي المذاكرة من هو؟ أتعرفه؟ فقلت: يا سيدي كَأَنَّكَ لم تعرفه؟ فَقَالَ: لا، فقلت: هَذَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِي، فَقَالَ: تالله ما أحسنت عشتري يا بني! فقلت: كيف يا سيدي؟ قَالَ: ألا قلت لي فِي الحال، فكنت أذكره غير تلك المذاكرة، هَذَا

(١) الحق: الأرض المطمئنة، ويطلق على مكان المأتم.



رجل مشهور بالحفظ، والاتساع في صنوف من العلم، وما ذاكرته بحسبها، قَالَ: ومضت على هذا مدة، فحضرنا من حُقَّ آخر، وجلسنا، فإذا بالطبري يدخل إلى الحق، فقلت له: قليلاً قليلاً أيها القاضي، هذا أبو جعفر الطبري قد جاء مقبلاً، قَالَ: فأوماً إليه بالجلوس عنده، فعدل إليه، فأوسعت له حتى جلس إلى جنبه، وأخذ أبي يجاريه، فكلما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتاً، قَالَ أبي: هاتها يا أبا جعفر إلى آخرها، فيتلعثم الطبري فينشدها أبي إلى آخرها، وكلما ذكر أشياء من السير قَالَ أبي: كَانَ هَذَا فِي قصة فلان، ويوم بني فلان، مُرِ يا أبا جعفر فيه، فربما مر وربما تلعثم، فيمر أبي في جميعه حتى يشقه، قَالَ: فما سكت أبي يومه ذلك إلى الظهر، وبان للحاضرين تقصير الطبري عنه، ثم قمنا فَقَالَ لي أبي: الآن شفيت صدري.<sup>(١)</sup> تاريخ بغداد (٥ / ٥١).

\* وقال الوزير ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٦٠): نظر العامل إلى عمله بعين الثقة به في باب النجاة أضر على العصاة من تفريطهم. ذيل الطبقات (٢ / ١٥٧).

\* وقيل في منشور الحكم: إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء.

وقال الشاعر:

من شاء عيشاً هنيئاً يستفيد به      في دينه ثم في دنياه إقبالاً  
فلينظرنَّ إلى من فوقه أدباً      ولينظرنَّ إلى من دونه مالا  
أدب الدين (١٢٦).

(١) شفى صدره بإظهار سعة اطلاعه، وقوة حفظه، وتفوقه في هذا على الطبري! وهذا من أمراض القلب، ولعل الله تعالى اطلع على سريرة الطبري فعلم أنه سالم من هذه الآفة، فبارك في علمه، ونشر فضائله، بخلاف ذلك الرجل فلا يكاد يُعرف.

## ما قيل في العقل والعقلاء<sup>(١)</sup>

\* عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨) في قوله: «فَسَمِّ لَدِي حِمْرًا» [الفجر: ٥] قال: الرجل ذو النهى والعقل. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٦٩.

\* وكان ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) يقول: لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه. عيون الأخبار ٧٦ / ١.

\* وقال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ليس العاقل مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، ولكن هو الذي يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرِّينِ. تهذيب السَّيَر ١/ ٣٣٦.

(١) العقل في اللغة: المنع والحبس، تقول: عقلتُ البعير، أي منعتَه عن الحركة وربطته. ووجه تسمية العقل بهذا الاسم: كونه يمنح صاحبه عن سفاسف الأمور وأخطارها، ويحبسه عن ذميم القول والفعل.

والعمل ثمرة العقل وفائدته، ولا عقل لمن لم يعمل بموجب ما دله إليه عقله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَقْلُ لَا يُسَمَّى بِهِ مُجَرَّدُ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ بِهِ صَاحِبُهُ، وَلَا الْعَمَلُ بِلَا عِلْمٍ؛ بَلْ إِنَّمَا يُسَمَّى بِهِ الْعِلْمُ الَّذِي يُعْمَلُ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ: «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ» [الملك: ١٠]. ١. هـ. مجموع الفتاوى: ٩/ ٢٨٦ - ٢٨٧. وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْعَقْلُ يَتَضَمَّنُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، فَمَنْ عَرَفَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَلَمْ يَتَّبِعِ الْخَيْرَ وَيَحْذَرِ الشَّرَّ لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا؛ وَلِهَذَا لَا يُعَدُّ عَاقِلًا إِلَّا مَنْ فَعَلَ مَا يَنْفَعُهُ وَاجْتَنَبَ مَا يَضُرُّهُ. مجموع الفتاوى: (١٠٨/ ١٥)

والعقل يأتي ويوهب من أحد طريقتين: الغريزة والفطرة، حيث ينشأ بعض الناس منذ صغره عاقلاً فطناً.

والطريق الثاني: الاكتساب والتحصيل، وذلك عن طريق التجربة والخبرة، ومُجالسة العقلاء أو قراءة سيرهم.

\* وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٤): ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير، ولكن العاقل الذي يدفع بين الشرين فيختار أيسرهما. تهذيب الحلية ٣/١٣٢.

\* وقال أيضًا رَحِمَهُ اللهُ: اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل. صفة الصفوة ٥٥٤/٢.

\* وقال رجل يصف عاقلا:

بصير بأعقاب الأمور كأنما يرى بصواب الرأي ما هو واقع  
عيون الأخبار ١/٧٧.

\* وعن عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠) قال: ليس الرجل الذي إذا وقع في الأمر تخلص منه، ولكن الرجل يتوقى الأمور حتى لا يقع فيها. ابن أبي الدنيا ٤٧٨/٦.

\* وسئل ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١): ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: حُسْنُ أدب.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ شفيق يستشيرُهُ.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: صَمْتُ طويل.

قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل. تهذيب السَّير ٧٦٨/٢.

\* وعن مطرّف بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) أنه قال: ما أوتي عبدٌ بعدَ الإيمان أفضلَ من العقل.<sup>(١)</sup> صفة الصفوة ٣/١٥٩، ابن أبي الدنيا ٤٦٧/٦.

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: إن أجل الأشياء موهبة العقل؛ فَإِنَّهُ الآلَةُ فِي تَحْصِيلِ مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ، وَبِهِ تَضَبُّطُ الْمَصَالِحِ، وَتَلَحُّظُ الْعَوَاقِبِ، وَتَدْرُكُ الْغَوَامِضِ، وَتَجْمَعُ الْفَضَائِلُ. الأذكياء: ٩.

\* وقال الشاعر:

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرْءِ فِعْلُهُ      كَفَى الْفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مُخْبِرًا  
أدب الدين (١٢٨).

\* وقال المتنبي (ت: ٣٥٤):

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فَطِنٍ      لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٍ  
ديوان المتنبي (١٩٢).

\* وقال أيوب السخيتاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣١): لَا يَنْبُلُ الرَّجُلَ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ  
خَصْلَتَانِ: بِالْعَقَّةِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَالتَّجَاوُزِ عَمَّا يَكُونُ مِنْهُمْ. صِفَةُ الصَّفْوَةِ  
٢١٠ / ٣.

\* وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٤): إِنِّي وَجَدْتُ فِي بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
عَلَى أَنْبِيَائِهِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَكْبُدْ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُؤْمِنٍ عَاقِلٍ، وَأَنَّهُ يَكْبُدُ مِائَةَ  
أَلْفٍ جَاهِلٍ فَيَسْخَرُ بِهِمْ، حَتَّى يَرْكَبَ رِقَابَهُمْ، فَيَنْقَادُونَ لَهُ حَيْثُ شَاءَ، وَيَكْبُدُ  
الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ فَيَصْعَبُ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَنَالَ مِنْهُ شَيْئًا. تَهْذِيبُ الْحِلْيَةِ ٣٧ / ٢.

\* وَكَانَ سَحْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٢٤٠) يَقُولُ: لَيْسَ لِلْأُمُورِ بِصَاحِبٍ  
مَنْ لَمْ يَنْظُرْ لَهَا فِي الْعَوَاقِبِ. تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ (٢ / ١٠٤).

\* وَكَانَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦٣) يَقُولُ: مَنْ صَنَّفَ فَقَدْ جَعَلَ  
عَقْلَهُ عَلَى طَبَقٍ يَعْرِضُهُ عَلَى النَّاسِ. تَهْذِيبُ السَّيْرِ ٣ / ١٤١٣.

\* وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ لَمْ يَحْتَرِزْ بِعَقْلِهِ مِنْ عَقْلِهِ هَلَكَ بِعَقْلِهِ.

قَالَ ابْنُ مَفْلَحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٧٦٣): وَهَذَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ. الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ  
١٣٥ / ٢.

\* وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَتَى يَكُونُ الْأَدَبُ شَرًّا مِنْ عَدَمِهِ؟ قَالَ: إِذَا كَبُرَ  
الْأَدَبُ وَنَقَصَ الْعَقْلُ. عَيُونُ الْأَخْبَارِ ١ / ٣٨٠.

\* وكانوا يكرهون أن يزيد مَنْطِقُ الرجل على عقله. عيون الأخبار ٣٨٠ / ١ .  
 \* ويقال: من لم يكن عقله أغلبَ خصال الخير عليه كان حَتْفُهُ في أغلب خصال الخير عليه. عيون الأخبار ٣٨٠ / ١ .

\* وقيل لقتادة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٨): أي الناس أغبط؟ قال: أعقلهم، قيل: أعلمهم؟ قال: أعقلهم. ابن أبي الدنيا ٤٦٨ / ٦ .

\* وقال المتنبى (ت: ٣٥٤):

أَفْضَلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لَدَى الزَّمَنِ      يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ  
 ديوان المتنبى (٢٥٧).

\* وعن علي بن غنام الكلابي قال: قال عامر بن قيس رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا عَقَلَكْ عَقْلُكَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَأَنْتَ عَاقِلٌ.

قال علي رَحِمَهُ اللهُ: وإنما سَمِّيَ العقل عقلاً من عقال الإبل. ابن أبي الدنيا ٤٧٢ / ٦ .

\* وقال الشاعر:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْعُقْلِ مَا حَصَّ أَهْلُهُ      عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى بَدْءًا وَعَاقِبَةً  
 وَلَا خَيْرَ فِي عَقْلٍ يَزِيغُ عَنِ الثَّقَى      وَيُشْغَلُ بِالدُّنْيَا الَّتِي هِيَ ذَاهِبَةٌ  
 المجالسة وجواهر العلم (٢٩٧).

\* وقال بعض الحكماء: أفضل العقل معرفةُ الرجل نفسه. المجالسة وجواهر العلم (٢٩٧).

\* وعن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨) قال: لا تنظروا إلى عقل الرجل في كلامه ولكن انظروا إلى عقله في مخارج أموره. ابن أبي الدنيا ٤٧٣ / ٦ .

\* وقال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٧): العاقل من عقل الله عن عَزَجَلٍ أمره، وليس من عقل تدبير دنياه. ابن أبي الدنيا ٤٧٣ / ٦ .

\* وقال بعض السلف: جعل الله عَزَّجَلَّ رأس أمور العباد العقل، ودليلهم العلم، وسائقهم العمل، ومقوِّيهم على ذلك الصبر. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٣.

\* وقال بعض الحكماء: لا ينبغي لعاقل أن يعرض عقله للنظر في كل شيء، كما لا ينبغي أن يضرب بسيفه كل شيء.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٥.

\* وقيل للضحَّاك بن مزاحم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٥): يا أبا القاسم ما أعبدَ فلانا وأورعه وأقرأه!.

قال: كيف عقله؟ قيل له: نذكر لك عبادته وورعه وقراءته وتقول عقله؟.

قال: العاقل من عقل، إن الأحمق يصيب بحمقه ما لا يصيب الفاجر بفجوره.

ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٥.

\* وقال الشاعر:

لكلِّ امرئٍ شِكلٌ من الناس مثله	فأكثرهم شِكلًا أقلهم عقلا
وكلُّ أناس آلفون لشكلهم	فأكثرهم عقلا أقلهم شِكلًا
لأنَّ كثير العقل لستَ بواجد	له في طريقٍ حين يسلكه مثلاً
وكلِّ سفیه طائشٍ إنْ فقدته	وجدت له في كلِّ ناحية عدلاً

أدب الدنيا والدين (٢٧٧).

\* وعن الحسن رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: فضل المَقال على الفِعال منقصة، وفضل الفِعال على المَقال مكرمة. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٧٨.

(١) فإن من أضر الأشياء على العاقل أن يُقحم عقله في الخوض في كلِّ صغير وكبير، وفيما يعنيه وما لا يعنيه، والصواب أنَّ تحكيم العقل البشري في الخوض في ذات الله وصفاته، وفيما دون ذلك من عالم الغيب كملائكته وعرشه وجنته وناره: طغيانٌ من العقل، وتجاوزٌ لحدوده، وقد نُهي عنه؛ صيانةً له، فإنَّ أكبر نُظَّار البشر وفلاسفتهم عقولا قد عجزوا إلى اليوم عن معرفة كُنْه أنفسهم وأنفس ما دونهم من المخلوقات، حتى الحشرات كالنحل والنمل، فأئى لهم أن يعرفوا كُنْه ذات الله وصفاته وأفعاله أو ملائكته؟. يُنظر تفسير المنار ١٢/ ١٣٦.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: التودد إلى الناس نصف العقل. ابن أبي الدنيا ٥٢٦ / ٧.

\* وقال بعض الخلفاء لجلسائه: من الغريب؟ فقالوا فأكثرُوا، فقال: الغريب هو الجاهل، أما سمعتم قول الشاعر:

يَعْدُّ رَفِيعُ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا      وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ<sup>(١)</sup> بِحَسِيبٍ  
إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ      وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدٍ بِغَرِيبٍ

ابن أبي الدنيا ٤٧٨ / ٦.

\* وقال الشعبي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٣): لا خير في علم بلا عقل، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: ما عبد الله تعالى مثل حليم. ابن أبي الدنيا ٤٧٩ / ٦.

\* وعن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: كانوا يرون حسن السؤال يزيد في عقل الرجل. ابن أبي الدنيا ٤٧٩ / ٦.

\* وقال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٧): التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف العلم. ابن أبي الدنيا ٤٨٠ / ٦.

\* ودخل على الخليل بن أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) شيخ من أهله، فقال له: لو اشتغلت بمعاشك كان أعود عليك من هذا، فأنشأ الخليل يقول:

لَوْ كُنْتُ تَعْقِلُ مَا أَقُولُ عَذْرَتَنِي      أَوْ كُنْتُ أَعْقِلُ مَا تَقُولُ عَذْلَتُكَ  
لَكِنْ جَهِلْتُ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي      وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَ

ثم قال لأصحابه:

الرجال أربعة:

١ - رجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك غافل فنبهوه.

٢ - ورجل يدري ويدري أنه يدري؛ فذاك عاقل فاعرفوه.

---

(١) في الأصل: في فعله، وهو خطأ، وفي جميع المصادر الأخرى كمجمع الحكم والأمثال، وجواهر العرب: في قومه.

٣- ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري؛ فذاك جاهل فعلموه. <sup>(١)</sup>.

٤- ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذاك مائق <sup>(٢)</sup> فاحذروه. <sup>(٣)</sup>.

المجالسة وجواهر العلم (٤٤)، ابن أبي الدنيا ٦ / ٤٨٣.

\* وصدق القائل:

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري      وأنت لا تدري بأنك لا تدري

أدب الدين (١٣١).

\* وقالت الحكماء: لو جرت الأقسام على قدر العقول لم تعيش البهائم.

فنظمه أبو تمام رحمه الله (ت: ٢٢٨) فقال:

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل      ويكدي الفتى من دهره وهو عالم

ولو كانت الأزواق تجري على الحجا      هلكن إذا من جهلهن البهائم

أدب الدين (٨٥).

\* وعن ابن جريج رحمه الله (ت: ١٥٠) قال: قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا

عقل له. ابن أبي الدنيا ٦ / ٤٨٣.

\* وصدق الشاعر:

إذا تم عقل المرء تمت أموره      وتمت أمانيه وتم بناؤه

\* وقيل لبعض الحكماء: أوصنا بأمر جامع، قال: احفظوا وعوا؛ إنه ليس من

أحد إلا ومعه قاضيان باطنان:

أحدهما: ناصح.

والآخر: غاش.

(١) وهذا هو الجاهل البسيط، ومن السهل إقناعه، ويتقبل النصيحة غالباً.

(٢) أي: أحمق.

(٣) وهذا هو الجاهل المركب، ومُجالسته داء، والجدال معه حمق وتضييع وقت.



فأما الناصح: فالعقل.

وأما الغاش: فالهوى.

وهما ضدان، فأيهما ملّت معه وهى الآخر.<sup>(١)</sup> ابن أبي الدنيا ٦ / ٤٨٤.

\* وقال بعض أهل العلم: كلام العاقل وإن كان يسيراً: عظيمٌ. ابن أبي الدنيا ٦ / ٤٨٨.

\* وكان يقال: عقل الرجل مدفون في لسانه. المجالسة وجواهر العلم (٥١٤).

\* وَقَالَ بعض العرب: أعون الأشياء عَلَى تذكِة<sup>(٢)</sup> العقل التعلّم، وأدُلُّ الأشياء عَلَى عقل العاقل حسن التدبير. أمالي القالي ١ / ٢١٤.

\* وقال ابن المُقَفَّع رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٤): على العاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأي، والزلل في العلم، والإغفال في الأمور؛ فإنه من استصغر الصغير أوشك أن يجمع إليه صغيراً وصغيراً، فإذا الصغير كبير، وإنما هي ثُلَمٌ<sup>(٣)</sup> يَثْلُمُها العجز والتضييع، فإذا لم تُسَدَّ أوشكت أن تَنفجر بما لا يطاق.

ولم نر شيئاً قط إلا قد أتي من قِبَل الصغير المتهاون به، قد رأينا الملك يُؤْتى من العدو المحتقر، ورأينا الصّحة تؤتى من الداء الذي لا يُحفل به، ورأينا الأنهار تنبثق من الجدول الذي يستخف به.

وعلى العاقل أن يجبن عن الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً وإن ظن أنه على اليقين.

ولا يستخف ذو العقل بأحد.

وأحق من لم يُسْتَخَفَّ به ثلاثة: الأتقياء، والولاءة، والإخوان.

(١) حكمة عظيمة، والعاقل لا يُحكم القاضي الغاش.

(٢) أي: فِطنته وذكائه ونمائه.

(٣) الثلم: جمع ثلمة، وهي الخلل في الجدار وغيره.

فإنه من استخف بالأتقياء أهلك دينه، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته.

ولا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد بما لا يجد إنجازَه، ولا يرجو ما يُعَنَّفُ برجائه، ولا يُقَدِّم على من يخاف العجز عنه.

ولا عقل لمن أغفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه، وليس من العقل أن يحرمه حظُّه من الدنيا بصُرِّه بزوالها. الأدب الصغير (١٩-٤١).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أن من تنكَّب<sup>(١)</sup> الأمور ما يسمى حذرًا، ومنه ما يسمى خورًا<sup>(٢)</sup>، فإن استطعت أن يكون تجنبك من الأمر قبل مُوَاقَعَتِكَ<sup>(٣)</sup> إياه فافعل، فإن هذا هو الحذر، ولا تنغمس فيه ثم تتهيَّبه، فإن هذا هو الخور، فإن الحكيم لا يخوض نهراً حتى يعلم مقدار قعره. الأدب الكبير (١٢٤).



(١) التنكب: التباعد.

(٢) أي: ضعفاً.

(٣) أي: مداناتك ومباشرتك.

## عناية السلف بالخواطر والأفكار<sup>(١)</sup>

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي الجواب الكافي: وأعلى الفِكر وأجلها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة، فما كان لله فهو أنواع:

الأول: الفكرة في آياته المنزلة وتعقلها، وفهمها، وفهم مراده منها، ولذلك أنزلها الله تعالى، لا لمجرد تلاوتها بل التلاوة وسيلة.

الثاني: الفكرة في آياته المشهودة والاعتبار بها، والاستدلال بها على أسمائه وصفاته، وحكمته وإحسانه، وبره وجوده.

الثالث: الفكرة في آلائه وإحسانه، وإنعامه على خلقه بأصناف النعم، وسعة مغفرته ورحمته وحلمه.

الرابع: الفكرة في عيوب النفس وآفات، وفي عيوب العمل.

الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته وجمع الهم كله عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبدا.

فوق الإنسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر أسرع من مر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته وإن عاش فيه عاش عيش البهائم.

وما عدا هذه الأقسام من الخطرات والفكر فيما وسوس شيطانية، وإما أمانى باطلة، وخدع كاذبة، بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم من السكرى والمحشوشين والموسوسين.

واعلم أن ورود الخاطر لا يضر، وإنما يضر استدعاؤه ومحدثه، فالخاطر كالمار على الطريق فإن لم تستدعه وتركته مر وانصرف عنك، وإن استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره، وهو أخف شيء على النفس الفارغة بالباطلة، وأثقل شيء على القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة. اهـ

واعلم أن أجل الصناعات: صناعة العقول والأفكار، فهي الأساس لكل عمل وصناعة.

قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: أشرف الصناعات: صناعة الفكر، وأرذلها: صناعة العمل، لأن العمل نتيجة الفكر، وهو مدبر به. أدب الدين ص ٣٤١.

فاحرص على صناعة عقلك وأفكارك بالعلم النافع والتأمل الصحيح.

\* قال مسروق رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٦٣): من راقب الله في خطرات قلبه: عصمه الله في حركات جوارحه. صفة الصفوة ٤ / ٣٦٨.

\* وقال أبو ثراب النخشي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٤٥): احفظ همك، فإنه مُقَدِّمة الأشياء، فمن صحَّ له همُّه صحَّ له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله. ذم الهوى: ١٢١.  
\* وقيل لسُفْيَان الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١): أيُواخذ العبد بالهَمَّة! قال: إذا كانت عزمًا أخذ بها. تهذيب الحلية ٢ / ٣٦٩.

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: إياكم رحمكم الله وهذه الأمانى فإنه لم يعط أحد بالأمنية خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة. (١) الزهد للإمام أحمد / ٤٧٩.

\* وقال بعض السلف: من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال. تهذيب الحلية ٣ / ٣٥١.  
\* وقال بعضهم: الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال. تهذيب الحلية ٣ / ٤٤٥.  
\* وقال الشاعر:

مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ      رَوْضَ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا  
أدب الدين (٣٦٣).

\* وقال الآخر:

وَلَا تَكُنْ عَبْدَ الْمُنَى فَالْمُنَى      رُؤُوسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

الدر الفريد وبيت القصيد (١٠ / ٤٥٦).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فما قَطَعَ الْعَبْدَ عَنْ كَمَالِهِ وَفَلَاحِهِ وَسَعَادَتِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ قَاطِعٌ أَعْظَمُ مِنَ الْوَهْمِ الْغَالِبِ عَلَى النَّفْسِ وَالْخِيَالِ الَّذِي هُوَ مَرْكَبُهَا - بَلْ بَحْرُهَا - الَّذِي لَا تَنْفَكُ سَابِحَةً فِيهِ، وَإِنَّمَا يُقَطِّعُ هَذَا الْعَارِضُ بِفِكْرَةٍ صَحِيحَةٍ وَعَزْمٍ صَادِقٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْوَهْمِ وَالْحَقِيقَةِ. مفتاح دار السعادة ١ / ٥٤٠.

\* وصدق القائل:

إِذَا الْهَمُّ أَمْسَى وَهُوَ دَاءٌ فَأَمْضِهِ      وَلَسْتَ بِمُمْضِيهِ وَأَنْتَ تُعَاذِلُهُ<sup>(١)</sup>  
وَقُلْ لِلْفُؤَادِ إِنْ تَجِدْ بِكَ ثَوْرَةً      مِنَ الرَّوْعِ ابْشُرْ أَكْثَرَ الرَّوْعِ بَاطِلُهُ<sup>(٢)</sup>



---

(١) أي: تلومه وتُعاتبه.

(٢) ثبت أن سبعين إلى تسعين بالمائة من التوقعات السيئة لا تقع، وتقل نسبة وقوع وحدوث التوقعات السيئة حسب حسن ظنّ العبد وثقته بربه تعالى، وحسب تعامله مع الحدث، ورجاحة عقله، وثقته بنفسه.

فإن كان حسن التعامل مع المصائب والمشاكل، راجح العقل، حسن الظنّ بربه، قويّ الثقة به ثم بنفسه: قلّت نسبة وقوع التوقعات السيئة.  
وإن كان عكس ذلك ارتفعت نسبة وقوع التوقعات السيئة.

## حفظ السمع عن الحرام<sup>(١)</sup>

(١) ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٥٥٩٠) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ».

وإنما قال ذلك على وجه الذم لهم وأن الله مُعاقِبُهُمْ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ اللَّهْوِ فِي الْعُرْسِ وَنَحْوِهِ، كَمَا رَخَّصَ لِلنِّسَاءِ أَنْ يَضْرِبْنَ بِالْذِّفِّ فِي الْأَعْرَاسِ وَالْأَفْرَاحِ. وَأَمَّا الرِّجَالُ عَلَى عَهْدِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَضْرِبُ بِذِفٍّ وَلَا يُصَفِّقُ بِكَفٍّ، بَلْ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ وَالتَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ»، «وَلَعَنَ الْمُتَسَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ. وَالمُتَسَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ».

وَلَمَّا كَانَ الْغِنَاءُ وَالضَّرْبُ بِالْذِّفِّ وَالْكَفِّ مِنْ عَمَلِ النِّسَاءِ كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ الرِّجَالِ مُخَنَّنًا، وَيُسَمُّونَ الرِّجَالَ الْمُغَنِّيَّ مَخَانِثَ، وَهَذَا مَشْهُورٌ فِي كَلَامِهِمْ. فَأَمَّا الْمُسْتَمِلُّ عَلَى الشَّبَابَاتِ وَالدُّفُوفِ الْمَصْلُصَةِ فَمَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ تَحْرِيمُهُ. مجموع الفتاوى (١١/ ٥٦٥-٥٦٦)، (١١/ ٥٣٧).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كَلَامِهِ عَلَى الْحَدِيثِ: وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْهُ: أَنَّ الْمَعَازِفَ هِيَ آلَاتُ اللَّهْوِ كُلِّهَا، لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَتْ حَلَالًا لَمَا ذَمَّهُمْ عَلَى اسْتِحْلَالِهَا، وَلَمَّا قَرَنَ اسْتِحْلَالُهَا بِاسْتِحْلَالِ الْخَمْرِ وَالْحَرِّ، وَهُوَ الْفُرُوجُ الْحَرَامُ. وَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ شَمَّ رَائِحَةَ الْعِلْمِ أَنْ يَتَوَقَّفَ فِي تَحْرِيمِ ذَلِكَ، فَأَقْلَ مَا فِيهِ: أَنَّهُ مِنْ شُعَارِ الْفَسَاقِ وَشَارِبِي الْخُمُورِ.

فإن مضرته وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير وأعظم من فتنته. إغاثة اللهفان ٢/ ٣٤٦-٣٦٣. وقد نقل أبو عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ اللهُ الْإِجْمَاعَ عَلَى تَحْرِيمِ السَّمَاعِ الَّذِي جُمِعَ الدَّفُّ وَالشَّبَابَةُ وَالْغِنَاءُ، فَقَالَ: أَمَّا إِبَاحَةُ هَذَا السَّمَاعِ وَتَحْلِيلُهُ فَلْيُعْلَمَنَّ أَنَّ الدَّفَّ وَالشَّبَابَةَ وَالْغِنَاءَ إِذَا اجْتَمَعَتْ فَاسْتَمَاعُ ذَلِكَ حَرَامٌ عِنْدَ أَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ فِي الْإِجْمَاعِ وَالْإِخْتِلَافِ أَنَّهُ أَبَاحَ هَذَا السَّمَاعَ.

والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنما نقل في الشبابة منفردة والدفع منفردا. ومن تبع ما اختلف فيه العلماء وأخذ بالرخص من أقاويلهم تزدق أو كاد. فتاوى ابن الصلاح ٢/ ٥٠٠.

\* قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): الغناء ينبت النفاق في القلب. جامع معمر بن راشد (١٩٧٣٧).

\* وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣): أخبث الكسب كسب الزمارة. ابن أبي الدنيا ٢٨٨ / ٥.

\* وذُكِرَ عند القاسم بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠) الغناء والسلو عنه، فقال لهم: أخبروني، إذا مُيزَ أهلُ الحقِّ وأهلُ الباطل ففي أيِّ الفريقين يكون الغناء؟ قالوا: في فريق الباطل قال: فلا حاجة لي فيه. ابن أبي الدنيا ٢٨٤ / ٥، عيون الأخبار ٣٧٧ / ٤.

\* وقال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣): لعن الله المغني والمغنى له. ابن أبي الدنيا ٢٨٤ / ٥.

\* وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٨٧): الغناء رقية الزنا. ابن أبي الدنيا ٢٨٤ / ٥.

\* وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١١٠): صوتان ملعونان: زممار عند نعمة<sup>(١)</sup>، ورنة عند مصيبة. ابن أبي الدنيا ٢٨٦ / ٥.

\* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس الدف من سنة المسلمين في شيء. ابن أبي الدنيا ٢٩ / ٥.

\* وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٤) قال: في قول الله تعالى ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَقَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] قال: المزمار، ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] قال: كل راكب ركب من معصية الله فهو في خيل إبليس، وكل رجل سعت في معصية الله فهي في رجل إبليس. ابن أبي الدنيا ٢٨٩ / ٥.

\* وكان أصحاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذون بأفواه السكك يخرقون

(١) في الأصل: نعمة، والمثبت هو الصواب.

الدفوف التي مع الجواري، كانوا يقفون في رؤوس الدروب لإزالة هذا المنكر.  
ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٩٠.

\* وسمع ابن عقيل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥١٣) بعض الصوفية يقول: إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حَدَاها الحادي إلى الله بالأناشيد! فقال ابن عقيل: لا كرامة لهذا القائل، إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده، وسنة الرسول؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَإِذَا تُلِّيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ، زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت، فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله، والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق، مما يتعدد عنه فتنه، ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون. تلبس إبليس: ٢٨١.





## حفظ البصر عن الحرام<sup>(١)</sup>

\* عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٩٣) قال: إذا مرت بك امرأة فاغضض عينيك حتى تجاوزك. ابن أبي الدنيا ٢٠٦/١.

\* ودخل رجل مع ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) بيت رجل، فجعل الرجل

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: محبة الإنسان للشيء الجميل من الصورة والنظر إليه، وما يدخل في ذلك من قوة الحب والزيادة فيه التي تسمى العشق؛ فإن ذلك إذا خلا عن المفسدة الراجحة، مثل أن يحب الإنسان امرأته وجاريته حبا معتدلا، أو يحب ما لا فتنة فيه كحبه للجميل من الدواب والثياب، ويحب ولده وأباه وأمه ونحو ذلك من محبة الرحم، كنوع من الجمال الحب المعتدل: فهذا حسن.

أما إذا أحب النساء الأجانب أو المردان ونحو ذلك: فهذا الحب متضمن للمحبة الحيوانية، وليس في ذلك مجرد محبة الجمال، والمحبة الحيوانية مما يبغضها الله ويمقتها، وتوابعها منهي عنها مع ذلك، سواء كان مع المحبة فعل الفاحشة الكبرى، أو كانت للمتمتع بالنظر والسماع وغير ذلك.

فالمتع مقدمات الوطء، فإن كان الوطء حلالا حلت مقدماته، وإن كان الوطء حراما حرمت مقدماته، وإن كان في ذلك رفض للجمال، كما فيه رفض للذة الوطء المحرم؛ فإن ما في ذلك مما يبغضه الله ويمقت عليه أعظم مما في مجرد الجمال من الحب المتضمن، وذلك متضمن لتفويت محاب الله من التقوى والعفاف والإقبال على مصالح الدين والدنيا أعظم بكثير مما فيها من مجرد حب الجمال؛ فلهذا كانت هذه مذمومة منهي عنها، حتى حرم الشارع النظر في ذلك بلذة وشهوة، وبغير لذة وشهوة إذا خاف الناظر الفتنة، والفتنة مخوفة في النظر إلى الأجنبية الحسنة، والأمرد الحسن في أحد قولَي العلماء الذي يصححه كثير من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما، وهذا قد يختلف باختلاف العادات والطبائع، وأما النظر للحاجة من غير شهوة ولا لذة فيجوز. الاستقامة: ٣١٧.

ينظر إلى امرأة في البيت، فقال له ابن مسعود: لأن تفقأ عينك خير لك مما أراك تصنع. الزهد لهناد (١٤٢١).

\* وخرج حسان بن أبي سنان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٦) إلى العيد، فقليل له لما رجع: يا أبا عبد الله ما رأينا عيداً أكثر نساء منه؟ قال: ما تلقنتني امرأة حتى رجعت. تهذيب الحلية ١/٤٧١.

\* وعن موسى الجهني قال: كنت مع سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) في طريق، فاستقبلنا امرأة فنظرنا إليها جميعاً، ثم إن سعيداً غص بصره ونظرت أنا، فقال: الأولى لك والثانية عليك. الزهد لهناد (١٤١٨).

\* وعن العلاء بن زياد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) قال: لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يجعل شهوة في القلب. (١) الزهد لأحمد: ٤٣٦.

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) قال: رب نظرة أوقعت في قلب صاحبها شهوة، ورب شهوة أورثت صاحبها حزناً طويلاً. الزهد لأحمد: ٤٧٩.

\* وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠): كثرة النظر إلى الباطل، تذهب بمعرفة الحق من القلب. تهذيب الحلية ٤٨٦/٢.

\* وقال بعضهم: -عيون الأخبار ٤/٣١٢-

وكنْتَ متى أرسلتَ طَرْفَكَ رائداً      لقلْبِكَ يوماً أتعبتَكَ المناظرُ  
رأيتَ الذي لا كُلُّهُ أنتَ قادرٌ      عليه ولا عن بعضه أنتَ صابرٌ

\* وكان الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٠) يغص بصره، فمر به نسوة، فأطرق

(١) إذا كان من أتبع بصره رداء المرأة قد تجعل الشهوة في قلبه: فكيف بمن يُقلب بصره في عورات النساء، وينظر إلى محاسنهن في مواقع التواصل وغيرها؟  
فالنظر إلى النساء الفاتنات من أعظم أسباب استيلاء الشهوة على القلب، وحرمان نور العلم والقرآن أن يلج إليه.

حتى ظنَّ النسوةُ أنه أعمى، فتعوَّذنَ بالله من العمى؟! ذم الهوى: ٨٦.

\* وقال أبو بكر المروزي رَحِمَهُ اللهُ: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): رجل تاب وقال: لو ضرب ظهري بالسياط ما دخلت في معصية الله، إلا أنه لا يدع النظر؟! فقال: أي توبة هذه! ذم الهوى: ٨٢.

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: كان في عصرنا أبو الحسن بن أحمد الحربي رَحِمَهُ اللهُ، لا يمشي إلا وعلى رأسه طُرحة، ليكفَّ بذلك بصره عن الانطلاق.<sup>(١)</sup> ذم الهوى: ٨٥.

\* ومَرَّتْ أعرابيةٌ يقوم من بني نُمير، فأداموا النظرَ إليها، فقالت: يا بني نُمير، والله ما أخذتم بواحدةٍ من اثنتين: لا بقول الله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] ولا بقول جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمِيرٍ      فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلَابًا

فاستحيا القومُ من كلامها وأطرقوا. عيون الأخبار ٤ / ٣٧٢.

\* ويقال: ربَّ طَرْفٍ أفصحُ من لسانٍ. عيون الأخبار ٤ / ٣٧٢.

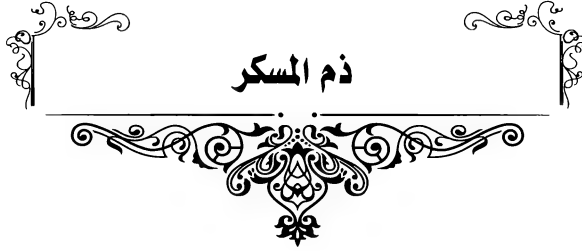
\* وعن داود الطائي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٧٠) قال: كانوا يكرهون فضول النظر. ابن أبي الدنيا ١ / ٢٠٤.

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم وفَقَّك الله، أن البصرَ صاحبُ خبرِ القلب ينقل إليه أخبار المُبَصَّرَات، وينقُشُ فيه صورها فيجول فيها الفكر، فشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة.

ولما كان إطلاق البصر سببًا لوقوع الهوى في القلب، أَمَرَ الشَّرْعُ بغضَّ البصرِ عَمَّا يُخَافُ عواقبه، فإذا تعرَّضت بالتخليلِ وقد أمرت بالحِمية فوقعت إذا في أدنى فلم تضحْ من أليم الألم! قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. ثم أشار إلى مسبب هذا السبب، وتبَّه على ما يؤول إليه هذا الشر بقوله: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]. ذم الهوى: ٨٠.

- \* وعن وكيع قال: خرجنا مع سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١) في يوم عيد فقال: إن أول ما نبدأ به في يومنا غض أبصارنا. ابن أبي الدنيا ٢٠٦/١.
- \* وقال فضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨٧): لا تنظروا إلى مراكبهم، فإن النظر إليه يطفئ نور الإنكار عليهم. ابن أبي الدنيا ٢٠٦/١.
- \* وقال العلاء بن زياد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤): لا تتبع بصرك حسن ردف المرأة، فإن النظر يجعل الشهوة في القلب. ابن أبي الدنيا ٢٠٧/١.





\* قام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) على منبر المدينة فقال: إن الخمر حُرمت يوم حُرمت وهي من خمسة: من العنب، والعسل، والتمر، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل. صحيح البخاري (٤٦١٩)، صحيح مسلم (٣٠٣٢).

\* وقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٥): إياكم والخمر، فإنها مفتاح كل شر، أتى رجل فقيل له: إما أن تحرق هذا الكتاب، وإما أن تقتل هذا الصبي، وإما أن تسجد لهذا الصليب، وإما أن تفجر بهذه المرأة، وإما أن تشرب هذه الكأس، فلم ير شيئاً أهون عليه من شرب الكأس، فشرب الكأس، ففجر بالمرأة، وقتل الصبي، وحرق الكتاب، وسجد للصليب، فهي مفتاح كل شر. ابن أبي الدنيا ٢٥٤/٥.

\* وقيل للعباس بن مرداس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨) بعدما كبر: ألا تأخذ من الشراب فإنه يزيد من جرأتك ويقويك؟ قال: أصبح سيد قومي وأمسي سفيهم؟ لا والله، لا يدخل جوفي شيء يحول بيني وبين عقلي أبداً. ابن أبي الدنيا ٢٦٥/٥.

\* وقال ابن أبي الدنيا: وحدثني محمد بن عبد الله القراطيسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شرب رجل نبيذاً فسكر، فنام عن العشاء الآخرة، فجعلت ابنة عم له تنبهه للصلاة، وكان لها دين وعقل، فلما ألحت عليه حلف بطلاقها البتة ألا يصلي ثلاثاً، ثم عقد يمينه، فلما أصبح كبر عليه فراق ابنة عمه، فظل يومه لم يصل وليلته، ثم أصبح على ذلك، وعرضت له علة فمات، وفي نحو هذا يقول القائل:

أَتَأْمَنُ أَيُّهَا السَّكَرَانُ جَهْلًا      بِأَنْ تَفْجَأَكَ فِي السَّكَرِ الْمَنِيَّةِ  
فَتُضْحَى عِبْرَةً لِلنَّاسِ طُرًّا      وَتَلْقَى اللَّهَ مِنْ شَرِّ الْبَرِيَّةِ  
ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٦٧.

\* وقال بعض السلف: لو كان العقل يُشْتَرَى، لتغالى الناس في شرائه، فالعجب  
من أقوام يشترون بأموالهم ما يُذهب بعقولهم!. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٦٧.



## كتمان السر

\* قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٣): ما استودعتُ رجلاً سرّاً فأفشاه فلمتُه، لأنّي كنت أضيق صدرًا حين استودعته. عيون الأخبار ٨٢ / ١، ابن أبي الدنيا ٧ / ٢٤٥.

\* وعن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٠) قال: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. ابن أبي الدنيا ٧ / ٢٤٤.

\* وكانت الحكماء تقول: سرّك من دمك، والعرب تقول: من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه. عيون الأخبار ٨٠ / ١.

\* وقال بعضهم: عيون الأخبار ٨٢ / ١.

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرّها فسرك عند الناس أفشى وأضيعُ

\* وكان يقال: من ضاق قلبه اتسع لسانه. عيون الأخبار ٨٢ / ١.

\* وقال ذو النون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٤٦): صدور الأحرار قبور الأسرار. تهذيب الحلية ٣ / ٢٣٦.

\* وقال بعض الأدباء: من كنتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ      وَلَامَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ      فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

أدب الدين (٤٩٥-٤٩٦).

المزاح، وأدابه<sup>(١)</sup>

\* قال سعيد بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٥٧) لابنه: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيّ فيجترئ عليك. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٤٠.

\* وقال الأحنف بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٢): من كثر كلامه وضحكه ومزاحه: قلت هيئته، ومن أكثر من شيء عُرف به. ابن أبي الدنيا ٧/ ٢٣٨.

(١) المزاح هو الدعابة، وهو قسمان:

- ١- مزاح منضبط، بحيث يتبسّط المازح للناس ويلتزم جانبه معهم، فهذا محمود باتفاق العقلاء والعلماء، وهو من أجمل ما تحلّى به المسلم لا سيما أهل العلم والفضل.
- قال العلامة ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا قَرَنَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَحْسَنُ مِنْ ظَرْفٍ إِلَى صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَسِرٍّ مَعَ اللَّهِ وَجَمْعِيَّةٍ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ عُنِيَ بِهَذَا الشَّانِ تَضَيَّقُ نَفْسُهُ وَأَخْلَافُهُ عَنْ سَوَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ، فَتَثْقُلُ وَطْأَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ وَجَلِيسِهِ، وَيَضُنُّ عَلَيْهِ بِيْسْرِهِ، وَالتَّبَسُّطُ إِلَيْهِ، وَلِيْنِ الْجَانِبِ لَهُ. وَلَعَمْرُ اللَّهِ إِنَّهُ لَمَعْدُورٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ بِمَشْكُورٍ.
- فَإِذَا تَمَكَّنَ الْعَبْدُ فِي حَالِهِ وَصَارَ لَهُ إِقْبَالٌ عَلَى اللَّهِ وَجَمْعِيَّةٌ عَلَيْهِ -مَلَكَهَ وَمَقَامًا رَاسِخًا-: أُنْسَ بِالْخَلْقِ وَأُنْسُوا بِهِ، وَانْبَسَطَ إِلَيْهِمْ، فَعَكَفَتِ الْقُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ لِلطُّفَةِ وَظَرْفِهِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَنْفَرُونَ مِنَ الْكَثِيفِ -أَيِ الثَّقِيلِ- وَلَوْ بَلَغَ فِي الدِّينِ مَا بَلَغَ.
- وَلِلَّهِ مَا يَجْلِبُ اللَّطْفَ وَالظَّرْفَ مِنَ الْقُلُوبِ، وَيَذْفَعُ عَنْ صَاحِبِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَيُسَهِّلُ لَهُ مَا تَوَعَّرَ عَلَى غَيْرِهِ، فَلَيْسَ الثُّقْلَاءُ بِخَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا ثَقُلَ أَحَدٌ عَلَى قُلُوبِ الصَّادِقِينَ الْمُخْلِصِينَ إِلَّا مِنْ أَفَةِ هُنَاكَ، وَإِلَّا فَهَذِهِ الطَّرِيقُ تَكْشُو الْعَبْدَ حَلَاوَةً وَلَطَافَةً وَظَرْفًا، فَتَرَى الصَّادِقَ فِيهَا مِنْ أَخْلَى النَّاسِ وَالطُّفَةِ هُمْ وَأَطْرَفُهُمْ، فَذَرَأَتْ عَنْهُ ثَقَالَةَ النَّفْسِ وَكُدُورَةَ الطَّبْعِ، وَصَارَ رُوحَانِيًّا سَمَائِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ حَيَوَانِيًّا أَرْضِيًّا، فَتَرَاهُ أَكْرَمَ النَّاسِ عَشْرَةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَلَطَفَهُمْ قَلْبًا وَرُوحًا، وَهَذِهِ خَاصَّةُ الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّهَا تَلْطَفُ وَتَظْرُفُ وَتَنْظِفُ. ١. مدارج السالكين ٣/ ٧٢٩-٧٣٠
- ٢- مزاح غير منضبط، إما بذاته أو بصفاته أو وقته، فهذا مذموم، وما نُقل من ذم المزاح فيقصد به هذا القسم.



\* وقال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٣٠): لا تمازح الصبيان، فتهون عليهم ويستخفون بحقك. تهذيب الحلية ١/٤٩٧، ابن أبي الدنيا ٢٣٨/٧.

\* وقال بعضهم:

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْحِدِّ رَاحَةً      يُجَمُّ وَعَلَّلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْحِ  
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَزْحَ فَلْيَكُنْ      بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ  
البداية والنهاية ١١/٣٦٤.

\* وقال مسعر بن كدام رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٥) لابنه:

إِنِّي نَحَلْتُكَ يَا كِدَامَ نَصِيحَتِي      فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِي عَلِيكَ شَفِيقِ  
أَمَّا الْمُزَاحَةُ وَالْمِرَاءُ فَدَعُهُمَا      خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لَصَدِيقِ  
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدُهُمَا      لِمَجَاوِرٍ جَارًا وَلَا لَرَفِيقٍ<sup>(١)</sup>  
ابن أبي الدنيا ٧/٢٣٨.

\* وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١): اتقوا الله، وإيَّاي والمزاحة؛ فإنها تورث الضغينة، وتجر القبيحة، تحدثوا بالقرآن، وتجالسوا به، فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال. ابن أبي الدنيا ٧/٢٣٩.

\* وكان يقال: لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح. ابن أبي الدنيا ٧/٢٤١.

\* وكان يقال: المزاح مسلبة للبهاء، مقطعة للصداقة. ابن أبي الدنيا

٧/٢٤٢.

\* وقال بعض البلغاء: من قلَّ عقله كثر هزلُهُ.

(١) الإفراط في المزاح والجدال أقصَرُ طريقٍ لجلب العداوة، وتمزيق رباط الأخوة والصداقة، فكم وقعت بسببهما الفرقة بين الأقارب والأصدقاء، وشُتَّتْ شمل المتحابين والأخلاء، وعن طريقهما حلَّ الحزن والوحشة في القلوب، ووقع الناس في الآثام والذنوب.

وقال الشاعر:

إِنَّ الْمَزَاحَ بَدْوُهُ حَلَاوَةٌ      لَكِنَّمَا آخِرُهُ عَدَاوَةٌ  
يَحْقِدُ مِنْهُ الرَّجُلُ الشَّرِيفُ      وَيَجْتَرِي بِسُخْفِهِ السَّخِيفُ  
أدب الدين (٥٠٢-٥٠٣).



## إجمام النفس وترويحها<sup>(١)</sup>

\* قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٦٨): إنه هذه القلوب تَمَلُّ كما تمل الأبدان، فالتمسوا لها من الحكمة طرفاً. ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٥.

\* وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): استَبَقْ نفسك ولا تَكْرِهْها؛ فإنك إن أكرهت القلب على شيء عمي.<sup>(٢)</sup> ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٨٥.

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدباراً،

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن السرور والفرح ييسط النفس ويُنَمِّيها، ويُنَسِّبها عيوبها وآفاتِها ونقائصها، إذ لو شهدت ذلك وأبصرته: لشغلها ذلك عن الفرح.

والفرح بالنعمة قد ينسيه المُنعم، فيشتغل بالخَلعة التي خلعها عليه عنه، فيطفح عليه السرور، حتى يغيب بنعمته عنه، وهنا يكون المكر إليه أقرب من اليد للثم.

ومما يدل على أن الفرح من أسباب المكر ما لم يقارنه خوف: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا شَاؤَا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]

وقال قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

فالفرح متى كان بالله، وبما مَنَّ الله به، مقارناً للخوف والحذر: لم يضرَّ صاحبه، ومتى خلا عن ذلك: ضره ولا بُدَّ. ١. هـ. بتصرف. مدارج السالكين ٣/ ٦٠٨

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَوَّلُ بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْإَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا»: ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملل، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين:

إما كل يوم مع عدم التكلف.

وإما يوماً بعد يوم، فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليُقبل على الثاني بنشاط، وإما يوماً في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضوابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط. فتح

فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها». <sup>(١)</sup> الزهد لابن المبارك (١٠٤٢)، صفة الصفوة ١ / ١٩٠ واللفظ له.

\* وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢): إني لأستجُم نفسي بشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحق. الكامل في اللغة / ٤٨٩.

\* وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٠١) يوماً: يا أبة، إنك تنام نوم القائلة، وذو الحاجة على بابك غير نائم؟ فقال له: يا بني، إن نفسي مطيَّتي، فإن حملت عليها في التعب حسرتها. <sup>(٢)</sup> الكامل في اللغة / ٤٩٠.

\* وقال بعض السلف: روَّحوا القلوب تعي الذكر. أخبار الشيوخ (٣٤٦).

\* وقال وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١١٤): مكتوب في حكمة آل داود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يلقي فيها إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويَجْمَل؛ فإن في هذه الساعة

(١) قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقد أخبر النبي ﷺ (إن لكل عامل شِرة، ولكل شِرة فترة) فالطالب الجاد لا بُدَّ أن تعرض له فترة فيشتاق في تلك الفترة إلى حاله وقت الطلب والاجتهاد.

فَتَحُلُّ الفترات للسالكين أمرٌ لازم لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تُخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم: رُجي له أن يعود خيراً مما كان.

وفي هذه الفترات والغيوم والحُجب التي تعرض للسالكين من الحِكم ما لا يعلم تفصيله إلا الله، وبها يتبين الصادق من الكاذب. فالكاذب: ينقلب على عَقْبَيْهِ، ويعود إلى رسوم طبيعته وهواه، والصادق: ينتظر الفرج ولا ييأس من رَوْحِ الله، ويلقي نفسه بالباب طريقاً ذليلاً مسكيناً، كالإناء الفارغ الذي لا شيء فيه البتة ينتظر أن يضع فيه مالك الإناء وصانعه ما يصلح له، فإذا رأيته قد أقامك في هذا المقام: فاعلم أنه يريد أن يرحمك ويملاً إناءك، فإن وضعت القلب في غير هذا الموضع: فاعلم أنه قلب مضيع، فسل ربه ومن هو بين أصابعه أن يرده عليك ويجمع شملك به. ١. هـ بتصرف. مدارج السالكين ٣ / ٦٣٨ - ٦٤٠.

(٢) أي: بلغت بها أقصى غاية الإعياء.

عوناً على تلك الساعات، وفضل بلغة واستجماعاً للقلوب. جامع العلوم والحكم / ٣٩٦، ابن أبي الدنيا ٦ / ٤٧١.

\* وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) أنه رخص في قمار البيض للصبيان، وكان ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١١٠) يكرهه، وكان ابن المسيب رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٤) لا يرى بأساً بكسر البيض الذي يتقامر به الصبيان.

قال ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٨١): وكذلك الحسن إنما رخص في هذا لأنه رأى الصبيان غير مكلفين، فلم ير لفعالهم أثراً في التحريم، بخلاف البالغين فإن قمارهم معصية، وما يكسبونه به حرام. ابن أبي الدنيا ٥ / ٢٩٤.

\* وقال أبو الفرج بن الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: كان الفقيه الزاهد أبو منصور عبد العزيز بن ثابت البغدادي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٩٦) لطيفاً في صُحبته، خرجنا نزور قبر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، ثم عدلنا إلى الشطّ، فنزل الفقهاء يسبحون في الشطّ، فقالوا للشيخ أبي منصور: انزل معنا، فنزع ثوبه، ونزل يسبح معهم، ولعبوا في الماء، فعمل مثلهم، فقال له بعض الفقهاء: أين الشيخ محمد النعّال يبصرك؟ فقال: يا مسكين، الحقُّ تعالى يُبصرنا، فطاب بعض الجماعة بقوله. ذيل الطبقات (٢ / ٤٥٥).

\* وقال بعضهم: التَّوَقُّرُ في النزهة مثل التَّبَدُّل في الحفلة.<sup>(١)</sup> طبقات المفسرين للداوودي (٢ / ١٨٠).



## موقف السلف من الرخص والأخذ بها<sup>(١)</sup>

\* قال سليمان التيمي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٣): لو أخذت برخصة كل عالم - أو زلة كل عالم - اجتمع فيك الشر كله. تهذيب الحلية ١/ ٤٤٢.

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ لابنه: حدثني بالرخص لعلي ألقى الله عَزَّجَلَّ وأنا أحسن الظن به. تهذيب الحلية ١/ ٤٤٢.

\* وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٦١): إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه. تهذيب الحلية ٢/ ٣٦٤.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: الرخصة نوعان:

١- الرخصة المستقرة المعلومة من الشرع نصاً، كأكل الميتة والدم عند الضرورة، فليس في تعاطي هذه الرخصة ما يوهن رغبته، ولا ينقص طلبه وإرادته البتة.

٢- رخص التأويلات واختلاف المذاهب، فهذه تتبعها حرام. ١. هـ بتصرف. مدارج السالكين ٢٥٤/٢

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وقد يستدل بهذا - أي في حديث «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» - على أن الخروج من اختلاف العلماء أفضل لأنه أبعد عن الشبهة، ولكن المحققين من العلماء من أصحابنا وغيرهم على أن هذا ليس هو على إطلاقه، فإن من مسائل الاختلاف ما ثبت فيه عن النبي ﷺ رخصة ليس لها معارض، فاتباع تلك الرخصة أولى من اجتنابها... وإن كان للرخصة معارض إما من سنة أخرى أو من عمل الأمة بخلافها، فالأولى ترك العمل بها، وكذا لو كان قد عمل بها شذوذ من الناس واشتهر في الأمة العمل بخلافها في أمصار المسلمين من عهد الصحابة رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، فإن الأخذ بما عليه عمل المسلمين هو المتعين، فإن هذه الأمة قد أجازها الله أن يظهر أهل باطلها على أهل حقها، فما ظهر العمل به في القرون الثلاثة المفضلة فهو الحق وما عداه فهو باطل. جامع العلوم والحكم: ١٤٣-١٤٤

## ما قيل في الزمان<sup>(١)</sup>

\* قال عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠٠): الناس بأزمتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم. تهذيب الحلية ١/٣٥٠.

\* وعن مطرف بن الشخير رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٩٥) قال: عقول الناس على قدر زمانهم. تهذيب الحلية ١/٣٦١.

\* وصدق القائل:

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا      وما لزماننا عيبٌ سوانا  
ونهجوا ذا الزمانَ بغير جرم      ولو نطق الزمانُ إذا هجانا

\* وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٩٧): كان الوليد بن عبد الملك صاحب بناء واتخاذ مصانع، وكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضًا عن البناء والمصانع، فولي سليمان، وكان صاحب نكاح وطعام، وكان الناس يلتقون فيسأل الرجل الرجل عن التزويج والجواري، فلما ولي عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٠١) كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟ المنتظم ٢٦٨-٢٦٩/٦.

(١) صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ». رواه البخاري (٧٠٦٨)، والعامل لا ينشغل بانتقاد زمانه وعيبه، ومقارنته بالأزمان الماضية. وثبت في الواقع أنَّ الناس يتوجهون غالباً على حسب توجيهات ملوكهم وحكامهم، والعامل لا ينبغي له أن ينحرف مع من انحرف، بل يجب عليه أن يعمر وقته بما ينفعه، ويدع تتبع الأخبار والقليل والقال.

### ما قيل في المساجد<sup>(١)</sup>

\* سمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٢٣) صوت رجل في المسجد فقال:  
تدري أين أنت؟ الزهد لابن المبارك (٣٨٦).

\* وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ١٨): «من رأى أن من في المسجد ليس  
في الصلاة إلا من كان قائماً يصلي، فإنه لم يفقه». الزهد لابن المبارك (٣٩٢).

\* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن المساجد طهرت من خمس: من أن تقام فيها الحدود،

(١) للمساجد حرمة عظيمة، ومكانة شريفة، يجب مراعاتها، وتعاهدتها وتطهيرها من الدنس، واللغو  
والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها.

ولا يجوز تمكين الأطفال من اللعب ورفع الأصوات الصاخبة فيها، ويتأكد ذلك: إذا كان ذلك  
أثناء صلاة الفريضة، فقد اجتمع في لعينهم وصراخهم معذوران:  
الأول: امتهان حرمة المسجد.

والثاني: أذى المصلين وإفساد خشوعهم.

وقد ذكر أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ، أنه لا يجوز تعليم القرآن في المسجد، إذا كان فيه ضرر على  
المسجد وأهله.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: تعليم القرآن في المسجد لا بأس به إذا لم يكن فيه ضرر على  
المسجد وأهله بل يستحب تعليم القرآن في المساجد. الفتاوى الكبرى ٥ / ٣٤٢

وذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى في أحداث سنة ثلاث وثلاثين وأربع مائة، أنه استفتي على  
مُعَلِّمِي الصَّبِيَّانِ أَنْ يُمْنَعُوا مِنَ الْمَسَاجِدِ صِيَانَةً لَهَا، وَحِفْظًا لِمَكَانَتِهَا، وَلَمْ يُسْتَشْنِ مِنْهُمْ سِوَى  
رَجُلٍ كَانَ فِيهَا شَافِعِيًّا، يَدْرِي كَيْفَ تُصَانُ الْمَسَاجِدُ، وَاجْتِهَدَ فِي تَرْبِيَةِ تَلَامِيذِهِ عَلَى احْتِرَامِهَا  
وَعَدَمِ الْعَبَثِ فِيهَا، وَاسْتَدَلَّ الْمُفْتِي بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي  
بَكْرٍ».

وَالْخَوْخَةُ هِيَ الْبَابُ الصَّغِيرُ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ. البداية والنهاية (١٦ / ١١٦)



وأن يقتص فيها الجراح، وأن ينطق فيها بالأشعار، أو ينشد فيها الضالة، أو تتخذ سوقاً. الزهد لابن المبارك (٣٩٤).

\* وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢) أنه قال: ما من رجل يغدو إلى المسجد بخير يتعلمه أو يُعلِّمه إلا كتب الله له أجر المجاهد ولا ينقلب إلا غانماً. الزهد لأحمد: ٢٥٤-٢٥٦.

\* وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٧٣) قال: يأتي على الناس زمان يجتمعون في المسجد، ليس فيهم مؤمن. الزهد لوكيع (٢٧١).

\* وعن أبي إدريس الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٨٠) قال: المساجد مجالس الكرام. تهذيب الحلية ١٦٢/٢.

\* وعن حسان بن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٣٠) قال: كانوا يمسكون عن ذكر النساء وعن الخنا في المساجد. تهذيب الحلية ٢٦٦/٢.

\* ورأى عطاء بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٣) رجلاً يبيع في المسجد فدعاه فقال: هذه سوق الآخرة فإذا أردت البيع فاخرج إلى سوق الدنيا. الزهد لأحمد: ٥٣١.

\* وعن عمرو بن ميمون رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٥) قال: المساجد بيوت الله، وحق على المزور أن يكرم زائره. تهذيب الحلية ٧١/٢.



## العمر والشيب<sup>(١)</sup>

\* عن يحيى بن سعيد القطان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٩٨) قال: بلغنا أنه من أهان ذا شيبة: لم يمت حتى يبعث الله عليه من يهين شبيهه إذا شاب. ابن أبي الدنيا ٥٦٠ / ٧.  
\* ودخل قوم على أعرابي يعودونه، فقال له بعضهم: كم أتى عليك؟ قال: خمسون ومائة سنة، فقالوا: عمر والله، فقال: لا تقولوا ذاك، فوالله لو استكملتموها لاستقللتموها. ابن أبي الدنيا ٥٦١ / ٧.

\* وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٨١): ما أسرع هذه الأيام في هدم عمرنا، وأسرع هذا العام في هدم شهره، وأسرع هذا الشهر في هدم يومه. ابن أبي الدنيا ٥٢٦ / ٧.

\* وكان عون بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٢٣) يضع يده تحت لحيته، ثم يميلها إلى وجهه، ثم ينظر إليها فيبكي، ويقول: إلهي ارحم شيبتي. ابن أبي الدنيا ٥٦٣ / ٧.

\* وعن بعض التابعين رَحِمَهُ اللهُ قال: كان الرجل من أهل المدينة إذا بلغ أربعين

(١) مرحلة الشباب مرحلة صعبة على الإنسان، وأكثر من انحرف وافْتُشِن من الشباب، لضعف عقولهم وثوران عواطفهم، ومن تجاوزها وسَلِم من الأهواء والبدع فليحمد الله، وقد كان بعض السلف إذا رأى الشيب قال: مرحبًا بالحلم والعلم، الحمد لله الذي أخرجني من الشباب سالمًا. وكلما طال عمر المؤمن ازداد خيرًا ورفعةً، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنُ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا». رواه مسلم

سنة تفرغ للعبادة. <sup>(١)</sup> الزهد لهناد (٦٧١).

\* واعتم <sup>(٢)</sup> شهر بن حوشب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٠٠) وهو يريد سلطانا يأتيه، ثم أخذ المرأة ينظر في وجهه وعمامته، فنظر إلى لحيته فرأى شية فأخذها بيده، ثم نقض عمامته، وهو يقول: السلطان بعد الشيب، السلطان بعد الشيب. <sup>(٣)</sup> ابن أبي الدنيا ٥٦٩ / ٧.

\* واعتم إياس بن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٩٣)، وهو يريد بشر بن مروان، فنظر في المرأة، فإذا بشية في ذقنه، فقال: أفلها يا جارية. ففلتها فإذا هي بشية أخرى، فقال: انظروا من الباب من قومي فأدخلوه، فأدخلوا عليه، فقال: يا بني تميم إني قد كنت وهبت لكم شيبتي فهبوا لي شيبتي، ألا أراني حمير الحاجات، وهذا الموت يقرب مني، ثم نقض عمامته فاعتزل يؤذن لقومه ويعبد ربه، ولم يغش سلطاناً حتى مات. صفة الصفوة ٣ / ١٥٤.

\* وقد قال أحد أمراء بني أمية: تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس، ثم تركتها حياء من الله، عز وجل.

وما أحسن قول الشاعر:

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ      فَلَمَّا عَلَا قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْطُلْ

تفسير ابن كثير (٧ / ٢٨١).

(١) أي: إذا بلغ أربعين سنة اجتهد في عبادة الله وجعلها أهم أعماله، ولا يعني ذلك انقطاعه عن الناس، وترك شؤون أهله وولده.

وقد قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي إِلَىٰ فِي دِينِكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل، ويعزم عليها. ١٠. تفسير ابن كثير (٧ / ٢٨١)

(٢) أي لبس عمامته.

(٣) والشيب يبدأ غالباً من سن الأربعين، فلذلك لما رأى الشيب تفرغ للعبادة وقلل انشغاله بالناس، كما هو حال أكثر السلف الصالح.

\* وقال عبد الله بن داود رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢١٣): كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشه، وكان بعضهم يُحيي الليل، فإذا نظر إلى الفجر قال: عند الصباح يَحْمَدُ القَوْمُ السَّري. عيون الأخبار ٦٧٧ / ٢.

\* وقال السري السقطي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٥١): إن اغتممت بما يَنْقُصُ من مالك، فابك على ما ينقص من عُمرِكَ. صفة الصفوة ٢ / ٦٢٧.

\* وقال بعض السلف: إنما يحب البقاء من كان عمره له غُنْماً، وزيادة في عمله، فأما من غَبِنَ عمره، واستنَّ له هواه، فلا خير له في طول الحياة. ابن أبي الدنيا ٧ / ٥٦٤.

\* وقال الشاعر:

وما أقبح التفريط في زمن الصبا      فكيف به والشيب في الرأس نازل  
أدب الدين (٢٠٣).

\* وقال عبد العزيز بن أبي رواد رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٥٩): من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء: الإسلام، والقرآن، والشيب. ابن أبي الدنيا ٧ / ٥٦٤.

\* وقال الشاعر:

رَأَيْتُ الشَّيْبَ مِنْ نُذُرِ الْمَنَايَا      لِصَاحِبِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ نَذِيرِ  
المجالسة وجواهر العلم (٥٦٦).

\* وكان أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى النحوي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٠٩) إذا أراد أن يقوم تمثل أبيان أبي الطيخان القيني:

حَتَّتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى      كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو<sup>(١)</sup> لَصِيدِ

قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مِنْ رَأْيِي      -ولست مقيداً- أَنِّي بِقَيْدِ

ابن أبي الدنيا ٧ / ٥٧٠.

(١) في الأصل: بدنو، وهو خطأ مطبعي.

\* وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٤١): ما شَبَّهْتُ الشبابَ إلا بشيء كان في كُمِّي فسقط. طبقات الحنابلة (١/ ١٨٣).

\* ومن شعر ابن عبيدة المقرئ النحوي رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٥٨٢):

وما شَنَّانُ الشَّيبِ من أَجَلٍ لونه      ولكنه حَادٍ إلى الموت مُسْرِع  
إذا ما بدت منه الطليعة آذنت      بأنَّ المنايا بعدها تتطَّلَعُ<sup>(١)</sup>  
معرفة القراء (٣/ ١٠٦١).

\* وقال أحمد بن أبي سليمان رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٢٩٦):

لئن كان المشيبُ أتى نذيرًا      فإني سوف أدعوه بشيرًا  
فأهلاً بالمشيب لنا لباسًا      وقارًا نستزيد به وقورًا  
ترتيب المدارك (٢/ ٣٥٣).

\* وقال رَحِمَهُ اللهُ:

جزى الله طول العمر خيرًا فإنه      هداني إلى التقوى ودل وأرشدًا  
ولما نحا عمري ثمانين حجة      وأيقنت أني قد قربت من المدى  
تركت تكاليف الحياة لأهلها      وجانبتها طوعًا فجانبني الردى  
رأيت حلیم القوم فيهم مقدَّمًا      ومن نال علمًا نال جاهًا وسؤددًا  
ويُحِبُّني من الزُّلْفَى غداً في معاده      بأضعاف ما يُحِبُّني الذي قد تعبداً  
ترتيب المدارك (٢/ ٣٥٤).

\* وقال بعضهم:

أيام عمرك تذهب      وجميع سعيك يكتب

(١) إذا بدأك الشيب فاستعد فقد دنا الرحيل.

رأى بعض السلف شيبه في لحيته، فقال لقومه: قد كنت وهبتُ لكم شيبتي فهبوا لي شيبتي، وهذا الموت يقرب مني، ثم انشغل بالعبادة.

ثم الشهيد عليك منك فأين المذهب

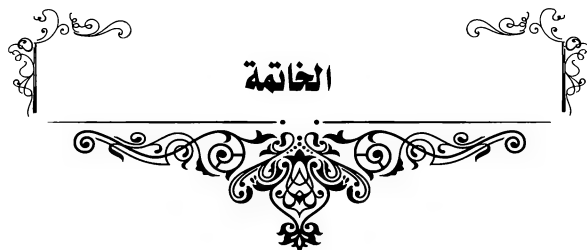
طبقات المفسرين للداوودي (٢/٤٣).

\* وقال الشاعر:

وما شاب رأسي من سنين تتابعت علي ولكن شيتني الوقائع

المجالسة وجواهر العلم (١٧٥).





اللهم لك الحمد أن هديتني للإسلام والسنة، وعلمتني القرآن، وحببت إليّ العلم النافع وزيّنته لي، وشرحت صدري لنشره، وذوّلت لي الطرق والسبل لذلك.

ولك الحمد على نعمة العافية، ولولاها لما قدرت على تعلّم العلم ولا على العمل به ولا على نشره.

ولك الحمد أن رزقتني بإخوة ناصحين يقومونني إذا اعوججت، وينصحونني إذا أخطأت، ويفرحون لفرحي إذا أصبت، ويعينونني على نشر العلم الذي وهبته لي بكرمك وجودك وإحسانك.

ولك الحمد على نعمة الفراغ، فلولاها لما وجدت الوقت الذي أتعلّم وأعمل وأُعلّم وأكتب.

ولك الحمد أن صرفت عني شياطين الإنس والجن، فلولا لطفك بصرفهم عني لأذوني وأردوني، وشغلوني عما فيه صلاح ديني ودنياي.

ولك الحمد أن أغنيتني ووسعت لي في رزقي الذي به حياة بدني، فلولاه لانشغلت بتحصيل لقمتي ولقمت أولادي عن العلم الذي به حياة روحي.

ولك الحمد على أن أعنتني على نفسي ولم تكني إليها فهي الأمانة بالسوء، ولو وُكلت إليها لوُكلت إلى ضعف وفقر وعجز.

فلولاك ربّي ما اهتدينا، ولا تصدّقنا ولا صلّينا.  
الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما يُحب ربنا ويرضى.  
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





## المراجع<sup>(١)</sup>

### ١ - القرآن الكريم.

السنة:

٢ - صحيح البخاري، المطبوع ضمن شرح ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ.

٣ - صحيح مسلم، المطبوع ضمن شرح القرطبي رَحِمَهُ اللهُ. (٢).

٤ - سنن أبي داود.

العقيدة:

٥ - اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، تعليق فضيلة الشيخ:

محمد ابن صالح العثيمين. تحقيق: محمود بن الجميل. طبع: دار الأنصار للنشر والتوزيع.

---

(١) كانت قراءتي لهذه الكتب على مدى سنوات، قُيدت كثيرا مما جاء فيها، وهي أصل مادة هذا الكتاب، وهناك مصادر أخرى لم أذكرها ضمن المراجع؛ لأنها ذُكرت عرضاً ولم تكن من صلب مادة الكتاب.

وهناك مصادر رجعت لها عند الحاجة والتأكد؛ ككتب اللغة، مثل القاموس المحيط للفيروزآبادي، ولسان العرب لابن منظور، وكتب الأحاديث؛ كمسند الإمام أحمد والترمذي وغيرهما، وكتب الآثار، كمصنف بن أبي شيبه وعبدالرزاق، وغيرهما. وإنما بَيَّنْتُ هذا حتى لا يظنَّ أحدٌ أنَّ كل ما ذكرته في الكتاب قد قرأته، فالمتشبّع بما لم يُعطِ كلابس ثوبي زور، نعوذ بالله من ذلك.

(٢) قرأتها قراءة متأنية استفدت منهما في جمع ما نُقِلَ عن الصحابة والتابعين رَحِمَهُمُ اللهُ، وقد ظفرت بمئات الآثار التي لم أجد بعضها في غيرهما.

- ٦- الشريعة للأجرى. تحقيق الشيخ: عبد الرزاق المهدي. طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.
- ٧- شرح السنة للبرهاري. تحقيق: خالد بن قاسم الرّداوي. طبع: دار السلف، دار الصمعي.
- ٨- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني. تحقيق: ناصر الجديع. طبع: دار العاصمة للنشر والتوزيع.
- الأدب والشعر:
- ٩- الكامل في اللغة والأدب للمبرد. تحقيق: د. يحيى مراد. طبع: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.<sup>(١)</sup>
- ١٠- عيون الأخبار لابن قتيبة. تحقيق: د. محمد الإسكندراني. طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.
- ١١- البيان والتبيين، دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى.
- ١٢- المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن حزم.
- ١٣- أدب الدين والدنيا، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الثانية، قام بخدمته: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج.
- ١٤- ديوان الشافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور أحمد شتيوي، الناشر: دار الغد الجديد.

---

(١) قرأت جزء منه.

- ١٥ - ديوان أبي الطيب المتنبي (المتوفى: ٣٥٤هـ).  
 ١٦ - شرح ديوان المتنبي للواحدى (المتوفى: ٤٦٨هـ).  
 ١٧ - معجز أحمد لأبي العلاء المعري (المتوفى: ٤٤٩هـ).  
 ١٨ - الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المُفَقَّع (ت: ١٤٤)، الناشر:  
 المكتبة العصرية، ودار صادر - بيروت.

#### السير والتراجم:

- ١٩ - تهذيب سير أعلام النبلاء، للدكتور: محمد موسى الشريف. طبع: دار  
 الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، ورمزت له بـ (تهذيب السير).  
 ٢٠ - تهذيب حلية الأولياء، للشيخ: صالح الشامي. طبع: دار القلم، الدار  
 الشامية، ورمزت له بـ (تهذيب الحلية).  
 ٢١ - صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق الشيخ: الشيخ عبد الرحمن  
 اللاذقي، والشيخ حياة شيحا اللاذقي. طبع: دار المعرفة.  
 ٢٢ - أخبار الشيوخ وأخلاقهم للمرؤذِيّ (المتوفى: ٢٧٥)، حققه وقدم له  
 وخرج نصوصه: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت.  
 ٢٣ - الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبخار (ت: ٧٤٩)، تحقيق: زهير  
 الشاوش، طباعة: المكتب الإسلامي.

#### التواريخ:

- ٢٤ - المنتظم لابن الجوزي. تحقيق: الشيخ محمد عبد القادر عطا، والشيخ  
 مصطفى عبد القادر عطا. طبع: دار الكتب العلمية.  
 ٢٥ - البداية والنهاية لابن كثير. تحقيق: مجموعة من المشايخ. تحت إشراف  
 فضيلة الشيخ مصطفى العدوي. طبع: دار ابن رجب.

شروح الأحاديث:

- ٢٦- الجامع المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب للشيخ: محمد العمري.  
طبع: مؤسسة فؤاد بعينو للتجليد.
- ٢٧- جامع العلوم والحكم لابن رجب. تحقيق الشيخ: فؤاد بن علي حافظ.  
طبع: مؤسسة الريان.
- ٢٨- فتح الباري لابن حجر، الناشر: دار السلام.
- ٢٩- المفهم للقرطبي، حققه مجموعة من الباحثين، طباعة: دار ابن كثير  
ودار الكلم الطيب.
- السلوك، والرفائق:
- ٣٠- مدارج السالكين لابن القيم. تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن ناصر  
الجيليل. طبع: دار طيبة.
- ٣١- مفتاح دار السعادة لابن القيم. تحقيق: الشيخ: علي بن حسن الحلبي.  
طبع: دار ابن القيم، دار ابن عفان.
- ٣٢- ذم الهوى لابن الجوزي. تحقيق: الشيخ: خالد عبد اللطيف السبع  
العلمي. طبع: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.
- ٣٣- موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا، طبع: المكتبة العصرية، بيروت، ورمزت  
له بـ (ابن أبي الدنيا).
- ٣٤- المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، للخطيب البغدادي (المتوفى:  
٦٣٤هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ورمزت  
له بـ (المنتخب للخطيب).

### كتب أخرى:

- ٣٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.  
 ٣٦- الاستقامة لشيخ الإسلام، تحقيق: محد رشاد سالم، طبع: دار الفضيلة.  
 ٣٧- بدائع الفوائد لابن القيم. تحقيق: علي بن محمد العمراني. طبع: دار عالم الفوائد.

٣٨- أعلام الموقعين لابن القيم، تحقيق: بشير عيون، طبع: دار البيان.

٣٩- طبع: دار الخزانة.

٤٠- تلبس إبليس لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبع: دار المُغني.

٤١- صيد الخاطر لابن الجوزي، تحقيق: يوسف علي، طبع: دار اليمامة.

٤٢- أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبع: دار الكتاب العربي.

٤٣- الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي. تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، طباعة: دار الكتب العلمية.

٤٤- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)، المحقق: د. محمد سعيد أوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة.

### كتب الطبقات:

#### كتب طبقات الحنفية:

٤٥- طبقات الحنفية، لابن الحنائي (ت: ٩٧٩)، تحقيق: سفيان بن عايش بن محمد، وفراس بن خليل مشعل.

٤٦- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله

القرشي، (ت: ٧٧٥)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي.

٤٧- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي (ت: ١٠١٠)، الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع، من المكتبة الشاملة.

٤٨- تاج التراجم، لقاسم بن قُطْلُوبغا الحنفي (ت: ٨٧٩)، تحقيق: إبراهيم صالح.

٤٩- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، للفقهاء المحدث محمد عبد الحي اللكنوي الهندي الحنفي (ت: ١٣٠٤)، تحقيق: أحمد الزعبي.<sup>(١)</sup>

كتب طبقات المالكية:

٥٠- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (ت: ٥٤٤).<sup>(٢)</sup>

(١) مات دون سنّ الأربعين، وقد ألف أكثر من (١٠٠) كتاب، وقد اعتمد في ذكر القصص والحكايات وأقوال العلماء على من سبقه، فلم أجد فيه الجديد.

(٢) تبين خلال قراءتي لهذا الكتاب الجليل أن علماء المالكية تميز كثير منهم بالعبادة والزهد والورع، والصدق بالحق، وهناك خلق ممن لم يقل يخلق القرآن زمن المأمون والمعتمد والواثق، وقُتل منهم وسُجن وعذب الكثير، في مصر والمغرب خاصة، والشهرة صارت للإمام أحمد لإمامته وشهرته، وقربه من دار الخلافة، ومناظرته للمعتزلة والخليفة.

وذكر عشرات من أهل العلم ممن قتل وعذب وطرد على يدي الروافض أتباع بني عبيد، ومن ذلك:

أمر عبيد الله الشيعي بضرب محمد بن موسى التمار مائتي سوط فمات.

وخلع لسان عمروس، وضرب ظهر ابن معتب، وضرب ابن المدني في ظهره، وصفعه، وسجن ابن اللباد، وقتل وصلب ابن البرذون وابن هذيل، وأشياء كثيرة من جهة ترك: حيّ على خير العمل في الأذان، وترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، والفتيا بمذهب مالك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام.

وضرب النَّفْطِيُّ قاضي الشيعة محمد بن العباس الذهلي في جميع القيروان عرياناً، وصفع ففاه، حتى سال الدم من رأسه، وُبْرِحَ عليه في الأسواق، وأطافه عرياناً على حمار إذ رُفِعَ عنه أنه كان يفتي بمذهب مالك، ويطعن على السلطان، ثم حبس.

## كتب طبقات الشافعية:

٥١- طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة. (ت: ٨٥١)، تحقيق: علي محمد عمر.

٥٢- طبقات الشافعيين، لابن كثير (ت: ٧٧٤)، تحقيق: أنور الباز، تحقيق: حسن شلبي ورفاقه.

## كتب طبقات الحنابلة:

٥٣- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، (ت: ٥٢٦)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، الطبعة الثالثة.

٥٤- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (ت: ٧٩٥)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، الطبعة الثانية، ورمزت له بـ (ذيل الطبقات).

٥٥- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبد الله النجدي (ت: ١٢٩٥)، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، وعبد الله بن عبد الرحمن العثيمين، تحقيق: د. طيار آتي قولاج. <sup>(١)</sup>.

٥٦- علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله بن بسام (ت: ١٤٢٣) الطبعة الثالثة.

---

(١) وهو كتاب جمع تاريخ علماء الحنابلة خلال خمسة قرون، وهو نفيس لولا ما أفسده بإعلان الحرب والعداء على الشيخ المجدد محمد بن الوهاب ودعوته وأولاده وأتباعه، فقد نقل عن ابن فيروز قوله عنه: طاغية العارض (٢/ ٦٧٠)، وأطلق هو هذه العبارة عليه كذلك (٣/ ٩٧٩)، وقال عن أبيه: هو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق (٢/ ٦٧٥)، وتجاهله لتراجمهم وهم حنابلة، بل من فضلائهم وأكابرهم علما ونفعا، حتى قال الدكتور عبد الرحمن بن عثيمين: إسقاطه لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره من علماء الدعوة؛ سابقة تاريخية خطيرة، تدلّ على ما وصل إليه ابن حميد من عصبية بغضه وعدم أمانة. (٣/ ٩٩٦).

## كتب طبقات المحدثين:

٥٧- المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة.

## كتب طبقات المفسرين والقراء:

٥٨- طبقات المفسرين للداوودي (ت: ٩٤٥)، تحقيق: لجنة من العلماء.

٥٩- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي (ت: ٧٤٨).<sup>(١)</sup> تحقيق: د. طيار آلتي قولاج.

## كتب الآثار المسندة المتقدمة، التي انتقيت ما صح منها:

٦٠- الزهد للإمام أحمد.<sup>(٢)</sup> تحقيق: الشيخ يحيى الأزهرى. طبع: دار ابن رجب.

٦١- الزهد لأبي داود، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: المشكاة.

٦٢- الزهد للمعافي الموصلي (المتوفى: ١٨٥)، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، المحقق: الدكتور عامر حسن صبري.

٦٣- الزهد لأسد بن موسى (المتوفى: ٢١٢)، المحقق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: مكتبة التوعية الإسلامية.

(١) هذا الكتاب يُنبئ عن إمامة الذهبي في القراءات، فقد ذكر أنه قرأ على كثير من القراء، وأخذ الإجازات منهم، ورحل إليهم، وكان هذا في سن الشباب، ثم تفرغ بعد ذلك لعلم الحديث والرجال والسير، وهذا يدل على بركة الله له، حيث أمضى سنوات طويلة في علم القراءات، وسافر الأيام بل الشهور في البحث عن الشيوخ، ومع ذلك أصبح إمام في عدة فنون، فالهمة العالية لا يُعيقها عن تحقيق طموحاتها - بعد توفيق الله - أي عائق، لا السن، ولا كثرة الفنون، ولا الفقر، ولا غير ذلك.

(٢) من ضمن المراجع قبل الطبعة الرابعة.



٦٤- الزهد لابن المبارك (المتوفى: ١٨١)، المحقق: أحمد فريد، الناشر: مكتبة ابن تيمية.

٦٥- الزهد لهناد بن السري (المتوفى: ٢٤٣)، المحقق: عبد الرحمن الفريوائي، الناشر: مكتبة دار الحضارة.

٦٦- الزهد لوكيع (المتوفى: ١٩٧)، المحقق: عبد الرحمن الفريوائي، الناشر: مكتبة دار الصمعي.

٦٧- مسند الدارمي (المتوفى: ٢٥٥)، المحقق: حسين سليم الداراني، الناشر: مكتبة دار المغني.<sup>(١)</sup>



---

(١) من بداية المجلد الأول إلى كتاب الطهارة.

## الفهرس

الورع .....	٥
أ- أهميَّة الورع ومعناه: .....	٥
ب- قصص وأخبار السلف في الورع .....	٦
ج- التنبيه على الورع الصحيح والخاطئ، ومن يليق به الورع .....	١١
د- الورع في القضاء .....	١٣
الأدب والمروءة .....	١٤
الحياء .....	١٩
أ- الحياء من الله .....	١٩
ب- الحياء من الناس .....	٢٠
ج- الحياء من النفس .....	٢١
الكرم، والجود، والإيثار .....	٢٣
التواضع وذم الكبر .....	٣٧
هضم النفس .....	٥٤
الهدايا والهبات .....	٦٣
المدح والثناء .....	٦٥

- أ- موقف السلف من المدح والثناء ..... ٦٥
- ب- ثناؤهم على من يستحق بلا إطراء: ..... ٦٨
- الغيرة والعفة ..... ٧٠
- التأني والتروي، والرفق، وذم العجلة ..... ٧١
- الزهد وذم الدنيا ..... ٧٢
- أ- فضل الزهد ..... ٧٢
- ب- معنى الزهد، وأنواعه، وبيان أخطاء بعض الناس في الزهد ..... ٧٤
- ج- ذم الركون إلى الدنيا والفرح بمتاعها ..... ٨١
- د- قصص الزاهدين ..... ١٠٨
- هـ- أقوال وحكم في القناعة ..... ١١٦
- و- ترك ما في أيدي الناس ..... ١٢٠
- الرضا ..... ١٢٥
- أ- رضا العبد عن الله وعن أقداره ..... ١٢٥
- ب- رضا الله عن العبد، وأسباب ذلك ..... ١٣٠
- فضل الذكر وبيان أثره ..... ١٣١
- الدعاء ..... ١٣٨
- أ- أهمية الدعاء، والتضرع إلى الله والتذلل له عزَّجَل ..... ١٣٨
- ب- الحذر من دعاء المظلوم، وذكر بعض القصص في ذلك ..... ١٤٢
- ج- قصص من أجاب الله دعاءه ..... ١٤٧
- د- نماذج من دعاء السلف ..... ١٥٩
- هـ- بعض الآداب في الدعاء، وبعض الأخطاء فيه ..... ١٦٢

- الخوف والخشية والرجاء ..... ١٦٧
- أ- الخوف والخشية ..... ١٦٧
- ب- الرجاء وإحسان الظن بالله ..... ١٨١
- ج- الموازنة بين الخوف والرجاء ..... ١٨٨
- د- ما جاء فيمن يُصعق عند الموعظة، وموقف السلف من ذلك ..... ١٨٩
- هـ - فوائد أخرى ..... ١٩١
- حال السلف في التعامل مع نسائهم، ونصحهم وتوجيههم للزوج والزوجة .. ١٩٣
- عناية السلف بالأولاد ..... ١٩٩
- أ- الحرص على تربيتهم وتعليمهم، والصبر على ذلك ..... ١٩٩
- ب- فضل الأولاد ..... ٢٠٥
- ت- الصبر على فقد الولد ..... ٢٠٦
- ج- فضل الإنفاق عليهم ..... ٢٠٨
- د- تحفيزهم وعدم احتقارهم ..... ٢٠٩
- هـ- العدل بينهم ..... ٢١١
- و- تزويج الأبناء والبنات ..... ٢١١
- ل- العطف عليهم، ومحبتهم، ومداعتهم ..... ٢١٣
- م- التسليم على الصبيان ..... ٢١٥
- ن- مداعبة الصبيان، والرخصة في لعبهم ..... ٢١٥
- ز- العناية بالأيتام، وتأديبهم ..... ٢١٦
- ي- فوائد أخرى ..... ٢١٧
- عناية السلف بالجار، وما قيل في ذلك ..... ٢٢٠

- المواساة وتفريج الكرب ..... ٢٢١
- عناية السلف بالفقراء والمساكين ..... ٢٢٦
- المسارعة إلى فعل الخيرات ..... ٢٣٥
- حال السلف مع الطعام والشراب ..... ٢٤٠
- أ- التقليل من الأكل، والحث على ذلك ..... ٢٤٠
- ب- أكل الحلال، والحذر من أكل الحرام ..... ٢٤٥
- ج- ترك التكلف والمباهاة في إكرام الناس ..... ٢٤٥
- التوكل والاعتماد على الله ..... ٢٤٧
- اليقين بالله ..... ٢٥٤
- المحبة ..... ٢٥٧
- أ- محبة الناس بعضهم لبعض ..... ٢٥٧
- ت- محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد، وأسباب ذلك ..... ٢٥٧
- ث- محبة النبي ﷺ وتعظيمه: ..... ٢٥٩
- حفظ اللسان ..... ٢٦٤
- أ- حفظ اللسان من كثرة الكلام، ومن الكلام الذي لا ينفع ..... ٢٦٤
- ب- حفظ اللسان من الغيبة وتتبع الزلات والهفوات والسقطات ..... ٢٧٧
- ت- حفظ اللسان من النيمة ..... ٢٨٧
- ث- ذم ذي اللسانين والحذر منه ..... ٢٩٠
- ج- حفظ اللسان من الكذب ..... ٢٩٠
- هـ- حفظ اللسان من المسابة والمشاتمة ..... ٢٩٥
- ع- حفظ اللسان من السخرية ..... ٢٩٧

و- حفظ اللسان من القول على الله بلا علم، والورع في الفتيا والنقل عن النبي

٢٩٨ ..... ﷺ

ي- حفظ اللسان من التكلم فيما لا يعني ..... ٣٠٨

ل- كلام السلف في تفضيل السكوت على الكلام أحياناً، والعكس ... ٣١٠

م - حفظ اللسان من التعر بالكلام ..... ٣١١

ز- مَنْ تجوز غيبته ..... ٣١٢

ط - حفظ اللسان من إخلاف الوعد ..... ٣١٣

ن- حفظ اللسان من الفظاظلة والحدّة ..... ٣١٤

ش - حفظ اللسان من السؤال عما لم يقع: ..... ٣١٥

ك- فوائد أخرى ..... ٣١٦

الأمانة، والمسؤولية ..... ٣١٨

الثبات على الدين والتضحية لأجله ..... ٣٢٨

أحوال المتكسين ..... ٣٣٥

التوبة والرجوع إلى الله ..... ٣٤٥

التأمل والتفكر ..... ٣٥٢

العزلة، وأهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم ..... ٣٥٥

أ- اعتزال الناس، وعدم الإكثار من مخالطتهم، والحذر منهم ..... ٣٥٥

ب- أهمية الاستغناء عن الناس، وعدم سؤالهم ..... ٣٦١

ج- أقوال بعض السلف في تفضيل مخالطة الناس، وتوجيههم لمن خالطهم . ٣٦٤

حال السلف عند الموت ..... ٣٦٦

أ- قصص وأخبار ..... ٣٦٦

- ب- أهمية تذكر الموت والاستعداد له ..... ٣٨٣
- ج- ما قيل في الموت ورهبته ..... ٣٨٧
- د- ما قيل في الجنائز والمقابر والاحتضار ..... ٣٩٣
- ل- القبر راحة المؤمن ..... ٣٩٨
- هـ- تلقين المحتضر الشهادة ..... ٣٩٩
- ن- ذكر مَنْ تُوفي فجأةً وكان بحال طاعة: ..... ٤٠٠
- ومنن توفوا فجأةً ..... ٤٠٣
- الشوق إلى لقاء الله وجنته ..... ٤٠٤
- أ- أحوالهم وأقوالهم في الشوق إلى لقاء الله وجنته ..... ٤٠٤
- ب- حال بعض السلف الذين يرغبون طول العمر للزيادة في العمل .. ٤٠٥
- حال بعض الملوك، والأمراء، والمذنبين عند الموت ..... ٤٠٦
- الرؤى والمنامات ..... ٤١١
- أحوال يوم القيامة ..... ٤١٦
- الجنة ونعيمها ..... ٤١٧
- النار وعذابها ..... ٤٢٢
- تقلبُ الأحوال، وفُجاءة النِّقَم ..... ٤٣١
- الأمل ..... ٤٣٥
- أ- ما قبل في الأمل غربزة في الإنسان ..... ٤٣٥
- ب- الحث على قصر الأمل ..... ٤٣٥
- ذم الطمع والبخل ..... ٤٤١
- فوائد الطاعة والأعمال الصالحة، وتوجيهات السلف في ذلك: ..... ٤٤٣

- أ- محبة الله للمطيع، وتحبيب الناس له، وتيسير أموره ..... ٤٤٣
- ب- اللذة، والأنس، وانسراح الصدر ..... ٤٤٦
- ج- الذلّ عند الطاعات، والعزّ عند المعاصي ..... ٤٥١
- أضرار المعصية: ..... ٤٥٢
- أ- شؤم المعصية وما ينتج عنها ..... ٤٥٢
- ب- ما قيل في المعاصي، والحذر منها، وفضل من تجنبها ..... ٤٥٩
- ج- نظرة السلف للمعصية وللعاصي ..... ٤٦١
- د- الستر على العاصي، وعدم إفشاء معصيته: ..... ٤٦٤
- محاسبة النفس ..... ٤٦٥
- أ- أهمية وفضل محاسبة النفس ..... ٤٦٥
- ب- توجيهات ونصائح في محاسبة النفس ..... ٤٦٧
- ج- قصص ووقائع في محاسبة النفس ..... ٤٦٨
- د- أهمية معرفة عيوب النفس وآفاتهما، وترك عيب الناس ..... ٤٧١
- و- مجاهدة النفس ..... ٤٧٨
- الإخوة والصحة ..... ٤٨١
- أ- فضل الإخوة والصحة في الله، والإحسان إليهم ..... ٤٨١
- ب- أقوال وآراء بعض السلف الذين يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب ..... ٤٨٥
- ج- أقوال وآراء بعض السلف الذين لا يرون الإكثار من الإخوان والأصحاب ..... ٤٨٥
- د- قصص ومواقف في الإحسان إلى الأخ والصديق ..... ٤٨٦
- و- الصبر عليهم، والتجاوز عن تقصيرهم، والتماس العذر لهم ..... ٤٩١
- ل- نصائح وتوجيهات للصديق ..... ٤٩٥



- ي- فوائد أخرى ..... ٥٠٢
- تقوى الله وأثرها على المسلم ..... ٥٠٦
- ما قيل في الحكمة والحكماء ..... ٥١٠
- الاعتذار والرجوع إلى الحق ..... ٥١١
- ذم الحمقى واللثام ..... ٥١٩
- حال السلف في باب المناظرة ..... ٥٢١
- الحكمة، وحسن التصرف، ولطف الكلام ..... ٥٢٦
- حال السلف مع النعم، وشكر المُنعم: ..... ٥٣١
- أ- حال السلف مع نعم الله وما قيل في ذلك ..... ٥٣١
- ب- حال السلف مع من أحسن إليهم من الخلق ..... ٥٣٧
- ج- فوائد أخرى ..... ٥٣٩
- مواعظ، وخطب، ووصايا، وحكم ..... ٥٤١
- أ- مواعظ وخطب ..... ٥٤١
- ب- وصايا، وتوجيهات، وحكم ..... ٥٥٤
- ما قيل في العارف والمعرفة ..... ٥٨٢
- حفظ الوقت ..... ٥٨٣
- ذم الحسد ..... ٥٨٦
- العدل وذم الظلم ..... ٥٩٤
- مكائد الشيطان ووسوسته، والحذر منه ..... ٦٠٦
- النصيحة والاستشارة والاستخارة ..... ٦١٢
- ذم الغرور والعجب ..... ٦١٧

٦٢١	ما قيل في العقل والعقلاء
٦٣٠	عناية السلف بالخواطر والأفكار
٦٣٣	حفظ السمع عن الحرام
٦٣٦	حفظ البصر عن الحرام
٦٤٠	دم المسكر
٦٤٢	كتمان السر
٦٤٣	المزاح، وآدابه
٦٤٦	إجمام النفس وترويحها
٦٤٩	موقف السلف من الرخص والأخذ بها
٦٥٠	ما قيل في الزمان
٦٥١	ما قيل في المساجد
٦٥٣	العمر والشيب
٦٥٨	الخاتمة
٦٦٠	المراجع
٦٦٩	الفهرس



## طَبْعُ لِمُؤَلِّفٍ

- ١ - حَيَاةُ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . (الطبعة الرابعة).
- ٢ - مختصر حَيَاةِ السَّلَفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .
- ٣ - إرشادُ السَّاجِدِ بِأَسْبَابِ الْخِلَافِ وَالتَّقَاطُعِ فِي الْمَسَاجِدِ .
- ٤ - الْإِفَاضَةُ فِي أَحْكَامِ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَالْأَسْتِحَاضَةِ .
- ٥ - كَيْفَ تُرَبِّي أَوْلَادَكَ؟ (الطبعة الثانية).
- ٦ - يُبَوِّتُ تَيْنٌ مِنَ الْمَشَاكِلِ وَالْخِلَافَاتِ، الْأَسْبَابُ وَالْعِلَاجُ .
- ٧ - حُقُوقُ الصَّدِيقِ وَكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ .
- ٨ - آدَابُ طَالِبِ الْعِلْمِ وَسُبُلُ بِنَائِهِ وَرُسُوحِهِ .
- ٩ - الْحَيَاةُ الزَّوْجِيَّةُ السَّعِيدَةُ، قَوَاعِدُ وَحُقُوقُ وَعِلَاجُ لِلْمُنْغَصَّاتِ .
- ١٠ - عِلْمُ تَغْيِيرِ الرُّؤْيَى، بَحْثُ تَأْصِيلِيٍّ عِلْمِيٍّ تَطْبِيقِيٍّ .
- ١١ - الْمَعْنَى الْجَارِي فِي اسْتِنْبَاطِ الْفَوَائِدِ وَاللِّطَائِفِ مِنْ صَحِيحِ  
الْبُخَارِيِّ .

١٢- مَنَهْجُ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ فِتَاوَى

الْمُفْتِينَ وَالرَّدَّ عَلَى الْمُخْطِئِينَ.

١٣- تَهْذِيبُ كِتَابِ الْمُوَافَقَاتِ لِلْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ، مَعَ التَّعْلِيقِ

عَلَيْهِ.

١٤- مَجَالِسُ شَهْرِ رَمَضَانَ.

١٥- قِصَصِي مَعَ الْمُلْحِدِينَ وَالْمُشَكِّكِينَ وَالْمُؤَسِّسِينَ، مَعَ

بَيَانِ طُرُقِ إِقْنَاعِهِمْ وَهِدَايَتِهِمْ.

١٦- الْمَسَائِلُ الْمُهِمَّةُ فِي التَّجْوِيدِ وَالْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ.

١٧- عِبَارَاتٌ أَثَرَتْ عَلَيَّ وَغَيَّرَتْ فِي حَيَاتِي.

١٨- عِبْقَرِيَّةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٩- بَوَابَةُ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.

٢٠- صِنَاعَةُ طَالِبِ عِلْمٍ مَاهِرٍ. (الطبعة الثانية).

٢١- صِنَاعَةُ خَطِيبٍ مَاهِرٍ.

٢٢- الْأَنْسُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

٢٣- تَقْرِيبُ فِتَاوَى وَرِسَائِلِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢٤- فَنُّ التَّعَامُلِ وَاجْتِسَابِ الْأَخْلَاقِ.

٢٥- الرُّقِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ بَيْنَ بَاعَةِ الْأَوْهَامِ وَأَصْلِهَا الشَّرْعِيِّ، قِصَص

وَعَبَر.

٢٦- غِذَاءُ الْعُقُولِ وَصِفَاتُ الْعُقَلَاءِ.

٢٧- نَشْرُ الْخَوَاطِرِ.

٢٨- حَدِيثَةُ الْمُتَنَبِّي.

